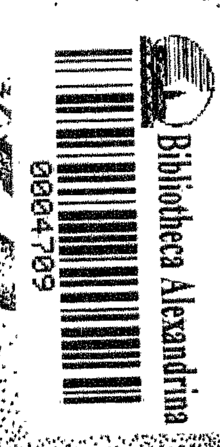
موسى شحادة

الحق و الباطل

بين الإنسان واللاإنسان

في مسيرة الدهر





موسى شحادة

الحق والباطل

بين الإنسان والإنسان

في مسيرة الدهر

الله

بسم الله وبالله ولا حول ولاقوة إلا بالله

الحمد لله مدبر الكون. وموجد الصبغة واللون. سبحانه هو الأول. عَرَفَهُ خَلْقُهُ بِخَلْقِهِ، ثم أرسل الرسل. وأنزل الأمر بالوحي. ثم أنزل الكتب فذكر فيها عن نفسه ما أراد. علمه الأكبر عند نفسه. سبحانه فهو القائل ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام * والبحرُ يمدُه من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله* إن الله عزيز حكيم * ما خلقكم ولابعثكم إلا كنفس واحدة * إن الله سميع بصير﴾[1] فالآية هذه توقف الباحث عند حده وأقول ـ علمه لنفسه قف عند ذا ـ قدرة الانسان فيما قد حمل ـ وَخَلْقُ جميع الأنفس من بني الانسان كخلق نفس واحدة. ثم الموت والقبض أهون من الخَلْقِ، ثم البعث كبعث نفس واحدة. وكما قال: ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾[2].

ومما روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني. وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً. وأنا الأحد الصمد. لم ألِدْ ولم أُولَدْ. ولم يكن لي كفواً أحد» فالله جل وعلا كما قال عن نفسه ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾[3].

وأنا أقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبده ورسوله وأن موسى عبده ورسوله وأنه أنزل في القرآن الكريم ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك. وماكان لرسولٍ أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾[4].

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم (اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه) وبعد: فإني أقول عن هذا الذي

(١) سورة لقمان الآية/ ٢٧

(٢) سورة الأنبياء الآية/١٠٣

(٣) سورة الحديد/الآية/٣

(٤) سورة غافر الآية/٧٧

أكتب في أول كتابي هذا إنه مجمع الخيوط لعيش هذا الانسان الذي استخلفه الله على هذا الكوكب، وأعطاه ما لم يعط أحداً من مخلوقاته الآخرين ولو قلنا الملائكة أو الجن. وجعله سيداً على الأرض وما بينها وبين هذه الكواكب المرئية. أو على الأقل في بدء اكتشافها إن المعطىٰ من الله لهذا الانسان شيء لايرى بالعين أبداً وبه سيطر الانسان علىٰ الأرض وربما على ما حولها ألا وهو العقل. ومن الغريب والعجيب أن الانسان استعمله لجميع حاجاته النافعة والضارة وحتى الخرافة التي صنعها ثم ارتبط بها رباطاً وثيقاً فملكته وأخذته حيث شاءت. أمرته بالضحك فضحك. وأمرته بالكذب فكذب حتى أمرته بقتل أخيه الانسان فقتله وارتفع بين كل أولئك الذين يرون خرافته كما يراها وَمَشَىٰ في ظل الخرافة بينهم إلىٰ حيث تقودهم. ونَحَّوُا العقل جانباً وهو الذي يتمتعون بخيراته. ويعيشون بنعمائه. وجعلوا ذلك الانسان المقتول قرباناً لخرافتهم. فيا ليت شعري لِمَ لَمْ يأكلوا لحمه فينتفعون به؟.

هذا العقل الذي دفع الانسان إلى القمر والكواكب والنجوم يمشي في خدمة وأوامر الخرافة كما تمشي الآلة التي صنعها هو بيده. والغريب أيضاً أنك ترى وتسمع ما لايمكن تصديقه. وتعلم أنه أسطورة موضوعة من رجل أو رجال في يوم أو أيام ثم تقف وأنت العاقل الواعي والعالِمُ المعَلِّمُ، مكتوف اليد. فاغر الفم. تضغط على عقلك وتخنقه لتمنعه من الايعاز إلى لسانك لكيلا يتفوه بالحقيقة. فيفصح ويبين الصحيح المطموس.

والأغرب من هذا وأعجب أنك تعرف الخرافة خرافة. وتحاول بكل طاقاتك أن تثبتها حقيقة وأصلاً، وتخالف العقل والعلم الذي برهنت بصنعك أنه موجود في جسمك. والعلم الذي بواسطته وصلت إلى صنعتك وإختراعك، فانتقلت بساعات من أقصىٰ الأرض إلى أقصاها. وطرت في السماء حتى وصلت ونزلت على الكواكب.

ولنعد إلى القصد فأقول إن بعض الذي أكتب وأهمَّهُ هو تاريخ جزء من هذه الارض التي يعيش عليها هذا الانسان. وهو تاريخ قوم وأقوام عاشوا على هذا الجزء من تلك الارض أتناول فيه العنصر والمعتقد والعيش ثم حربهم مع بعضهم ومع غيرهم وتعايشهم. وعيشهم منذ القديم. وعصرهم وتطوره. وتجمعُّهم ومن أين هم. والأهم معرفة الغاية التي يطلبونها ويعملون - لأجلها. وهي أم البلاء ومصدر الشقاء، لآلاف الملايين من بني الانسان.

قد يستغرب القاريء قولي أن الذي أكتب عنه هو مصدر مشاكل هذا الانسان على هذه الأرض. ويزول إستغرابه عندما يفكر فيعلم أن ثلثي سكان هذا الكوكب يدورون حول بل في

حلقةٍ لفّها هذا الذي أكتب عنه لفّاً محكماً عسر على أهل العقول حلّه في هذا العصر العجيب عصر العلم والنور. فسبب ضحك المبطلين. وبكاء المحقّين.

الانسان منذ القديم القديم فكر بمبدأ هذا الكون فعجز عن الوصول اليه. وفكر في نفسه وما حوله فعرف أن له خالقاً. وأنه لم يخلق عبثاً. وهذا طبعاً الانسان العاقل المفكر. وهذا قبل معرفته القراءة والكتابة. فقد نظر إلى ما صنع هو فعرف أنه الصانع. ثم نظر إلى نفسه فعرف أنه المصنوع وأن هناك من صنعه وأنه صانع أكبر صنعه وصنع هذا الذي يراه من حوله. ثم بدأ يفكر برؤية صانعه ويفكر..

لقد أراد الانسان أن يرى صانعه فعجز عن ذلك. ولحق بعض بني الانسان شك. والبعض تصور ماهو الخالق فصنع ما تخيل وألّهَهُ. وتفنن في صنع ذلك الاله فجعل شكل الثور. والثور المجنح والأسد والطاووس ثم القرد والشيطان حسبما تخيله. ثم تفنن في طقوس العبادة. فجعل المراسيم وطورها لتعطي هيبة ورهبة. في قلب هذا الانسان المسكين حتى يستغله صانعوا تلك الطقوس والمراسيم.

إذا عرف الانسان العاقل عقله فسيعرف ربه. وإذا رأى الانسان عقله فسيرى ربه. فعقل الانسان في تفكيره وتفكيره في عقله. ومع ذلك لايراه. فكيف يرى الرب العظيم رب هذا الكون وقد قال جل وعلا يخاطب موسى الذي طلب من ربه الرؤية ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه * قال رب أرني أنظر إليك. قال لن تراني ولكن إنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني * فلما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾(٥).

وجاء في كتاب العهد العتيق أن الله جعل موسى في نقره من الصخر ومر الله فوقها فرأى موسى قفوة ربه ثم أرسل الله إلى بني الانسان رسلاً من بني الانسان من البشر منهم تماماً من ذكر وأنثىٰ نطفة فعلقة فمضغة ومن الطعام الذي تأكله أمهاتهم والشراب. وفي داخل الأرحام نمت أجسامهم وبعد تكامل شهور حملهم ولدتهم أمهاتهم حتى استطاعوا الأكل وخرجت أسنانهم. وكان كافلهم من أم أو مرضع أو خادم يميطون عنهم الأذى والقذر حتى كبروا ووصلوا إلى كفالة أنفسهم ولما بلغوا أشدهم أوحى الله إليهم لتبليغ أقوامهم الرسالة،وتعريف الناس بالخالق في حدود ما أراد الله التعريف. ولو شاء لعرّفَ أكثر.

---

(٥) سورة الأعراف الاية/١٤٢

لقد أرسل الله رسلاً قبل أن يعرف الناس القراءة والكتابة وقبل التأريخ فكانت رسالاتهم بالوحي وصايا فقد أخبرنا جل وعلا عن رسالة نوح وإبراهيم ولم تصل إلينا كتبهم. وإذا كان عصر إبراهيم قد عرف الناس فيه القراءة والكتابة فقد كان عصر نوح قبل معرفة القراءة والكتابة وقد قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك * وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى * أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾(٦) فالرسل كلهم لااستثناء فيهم أبداً كوّنهُم الله كغيرهم من بني الانسان من المادة يأكلون ويشربون. ويبولون ويتغوطون ويفرحون ويحزنون. ويجوعون ويعطشون. وكما ولدتهم أمهاتهم يموتون(٧). ومن قال بغير ذلك فقد كذّب الرسل أنفسهم والكتب التي أنزلها الله عليهم فهو أما أن يكون من أهل الهوس والتخريف أو أنه من المخربين في الدين وأتباع الشياطين.

وتعلم الناس القراءة والكتابة فأنزل الله الكتاب وأمر المرسلين بكتابته فكتب موسى التوراة بمكالمة ربه في أربعين يوماً وقد كتب موسى التوراة على الواح من حجر. وهم يقولون في كتاب العهد العتيق أن الله أعطى موسى التوراة مكتوبة في ألواحها. ثم كتب أتباع عيسى الأناجيل بعد رفع عيسى عليه السلام بعشرات السنين وقد كتب الكاتبون أناجيلهم في أقاليم مختلفة ومتباعدة في المكان والزمان وقد بلغ عددها أكثر من ثمانين إنجيلاً وبعد أكثر من ثلثمائة عام اجتمع علماء النصارى بمجمعٍ سموه المجمع المسكوني الأول. فاختاروا أربعة أناجيل واعدموا ما سواها ولاشك أن الانجيل الصحيح متفرق في جميع تلك الأناجيل.

من تلك الكتب أيضاً عرف الانسان كيف خلق الله السماوات والأرض وما بينهما بإيجاز. وتكلم الرسل مما عرفوا عن ربهم هذا أيضاً وقرأت تلك الكتب وعرفت نصديق بعضها لبعض على أنها أنزلت من الخالق. ولكن أهل الزمان الذين أمسكوا بزمامه قد حرفوها وفق أهوائهم ورغباتهم. فالأخير من تلك الكتب يصدق ما قبله حسب نزوله. والذي سبق يصدق الذي قبله حسب نزوله. ولكن الزمن وأهل الزمن كلٌ يعمل حسب طلبه. فصار العداء بين المؤمنين بتلك الكتب وكما قال تعالى ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن

---

(٦) سورة الشورى الآية/١٢

(٧) ففي سورة المؤمنون يقول تعالى في الآية/١١ ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾.

اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر * ولو شاء الله ما اقتتلوا * ولكن الله يفعل ما يريد﴾[٨].

لقد كان نوح عليه السلام وهو أول من وصل إلينا علم رسالته ولم يصل إلينا فيها كتاب. إنما ذكر في الكتب اللاحقة. وذلك أن الكتابة لم تكن في عهد نوح. وإنما علمها الناس واستعملوها بعد الطوفان بعشرات القرون إذا لم يكن بآلافها. ولو سلم للناس ما نزل على نوح، وآمنوا به وعملوا بما فيه لما كانت الحاجة إلى كتاب ينزل من بعده. ولو أن أبناء إبراهيم وأبناءهم سلكوا مسلكه لما كانت الحاجة إلى التوراة. ولكن الله قدَّرَ ما سيكون وأعطى لكل زمن حاجته. فلكل زمان مفهومه في مَنْ عاش فيه. ويتم الله ما قدَّرَ وكما قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لايحتسب * ومن يتوكل على الله فهو حسبه * إن الله بالغ أمره * قد جعل الله لكل شيءٍ قدْراً﴾[٩].

ويدلنا هذا على أن الطقوس في العبادة إنما هي لتمييز جماعات عن جماعات في العبادات. وأصل العبادات هي النوايا والطاعة. والتعامل فيما بين الناس. ويغلف هذا كله ويمازجه توحيد الله. فالتوحيد غاية جميع الرسالات في المفهوم والمعمول به. وكل هذا هو الدين. ولابد من القوانين فيه لتقييد الناس بمنهج واحد وهو دستور يحترمه المؤمنون ويعملون ضمن دائرته فيعرف كل واحد حقه والواجب عليه. فيذود عن حقه. ويقدم الواجب عليه حتى تستمر الحياة سليمة بين الأمة أو الأمم. لأن الرب واحد. فمصدر الدين واحد.

والدين مهما كان عميقاً في الوثنية ربما كانت له في يوم مع السماء صلة ولكن قدم الزمن جعل البدع والغايات تختلط به ثم يتحول تدريجياً إلى وثنية. لأن كل دين مهما كانت معتقدات أهله فهم يُقِرُّون أن في السماء إلهً أكبر من جميع الآلهة التي يعبدون والله جل وعلا يقول ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً * وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[١٠] إن ثالث رسول في العرب نعرفه وأخبرنا الله به هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وقد أخبرنا جل وعلا برسالته أيضاً فقال ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً * وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً﴾[١١] وكان العرب أو كانت قريش يقرون بوجود الاله الأكبر

---

(٨) سورة البقرة الآية/٢٥٣
(٩) سورة الطلاق الآية/٢
(١٠) سورة فاطر الآية/٢٢
(١١) سورة مريم الآية/٥٣

المتصرف بالكون وبالانسان. ويصورون آلهة ينصبونها في معابدهم ويقولون كما قال الله تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[١٢] كما أخبرنا الله عن مشركي العرب عامة وقريش خاصة أنهم يقرون لله بكل شيء إلا أنهم يعبدون الأصنام للقربى فقط فقد قال تعالى يخبرنا عن ذلك في سورة المؤمنون ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله * قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله * قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنىٰ تسحرون﴾[١٣] وكان أول كتاب مكتوب نعرفه معشر اتباع الدين السماوي ووصل إلينا ولو بعضه هو التوراة فقد صار الخلاف حول أنها هي الموجودة أو أنها مزورة. أو مبدلة في مجموعها أو أكثرها. واستدل العقلاء على تبديل الكثير منها وأنه قد أدخل عليها وحذف منها أمور كثيرة أولها احتكارها في عنصر لاتتعداه إلا لما هو لصالح هذا العنصر ثانياً جعل الاله كأحد البشر في خلقه وتصرفه ثالثاً وصم أنبيائه ورسله بالمشينات التي تشين الانسان العادي. كوصم هُرون بصنع١/١ الصنم العجل والسماح بعبادته. وداود بالزنا. وسليمان بعبادة الأصنام رابعاً قتل الشيوخ من الرجال والنساء والأطفال بما لايمكن للرب أن يرضى به أو يأمر به خامساً الكذب في التاريخ بدءاً من خلق آدم في عهده وعهد الطوفان ومابين آدم ونوح وما بين إبراهيم وأجداده إلى نوح.

إن الخرافة لايقوم عليها بناء قصة صحيحة أبداً كما لايقوم علىٰ أساس الملح بناء. أو على الهواء. والله جل وعلا لايتكلم إلا حقيقة. ولايفعل ما يشين. ولا يأمر بسوء. ولايظلم أحداً أبداً وكما قال ﴿ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك * وأرسلناك للناس رسولاً وكفىٰ بالله شهيداً﴾[١٤] وقال أيضاً: ﴿وما كان الله ليظلمهم ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾[١٥] فإذا رأىٰ إنسان أنهُ مظلوماً فليراجع أفعاله أو ذاك مقدره. وعند الله الجزاء. إن فرعون قد تأله وجميع فراعنة مصر قد خصوا أنفسهم أنهم أبناء آلهة وكذلك ملوك ما بين الرافدين. ومصدر ذلك أن الوثنيين قد عززوا ملكهم بمثل هذا. وأهل التوراة قد احتكروا الله لأنفسهم فسموه ما شاؤوا. وادعوا أنهم أفضل الناس وأن الله وفق رغبتهم والتاريخ كذّب كل هذا. فالعقل والحقيقة تقول بأن البشر كلهم أبناء آدم. وأن الله للجميع.

---

(١٢) سورة الزمر الآية/٢

(١٣) سورة المؤمنون الآية/٨٣ وما بعدها

(١٤) سورة النساء الآية/٧٨

(١٥) سورة العنكبوت/٤٠

والجميع في الخلق سواء وما اللون إلا صبغة. والسجايا واحدة إذا كان التطبع واحداً. وهذا يقطع أن الله للجميع وأن الله بريء من المحتكرين ويقول الله تعالى ﴿وقالت اليهود والنصارىٰ نحن أبناء الله وأحباءه. قل فَلِمَ يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق. يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾[16].

ولقد أخبر الله في القرآن الكريم أن أصل الانسان واحد وكرر ذلك في آيات كثيرة لتأكيد ذلك فمنها قوله جل وعلا ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾[17].

وذكر المساواة بين الناس بقوله ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم * إن الله عليم خبير﴾[18] هذا في القران الكريم ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾[19].

إن حاجة الانسان واحدة مهما كان لونه ومهما كان خلقه. فالجميع يحتاج الهواء والغذاء. وكل هذه المادة التي كون الله منها الجسم يطلبها الجميع ويكدون في الحصول عليها. فَبِمَ يكون التفاضل؟ لاشك أنه بالتقوىٰ وكما قال محمد ﷺ «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» ترىٰ لِمَ كان احتكار الاله وادعاء الفضل. مع أننا نرىٰ أن اليهودية تلد من الوثني، والوثنية تلد من اليهودي.

ومن دلائل التبديل والتغيير رسالة المسيح عليه السلام. فلولا التغيير والتبديل لما كانت الحاجة إلى الرسالة وإنزال الانجيل، والانجيل يذكر بعض آيات التوراة ويُعَيِّرُ ببعضها. ثم التناقض الكثير فيما ذكره التوراة. والذي يخالف الحقيقة والعلم. فمثلاً تاريخ بدء الخلق. أول مخالفة صريحة يرتكبها المبدلون والمغَيِّرون فجعلوا أن خلق آدم الأب الأول للبشر قبل الميلاد بثلاثة آلاف وسبعمائة وستين سنة، وقد عرف كل متعلم من اليهود أنفسهم ومن النصارى والمسلمين أن تاريخ خلق الانسان الأول لايعرفه حتى عصرنا هذا عصر العلم والنور أي عالم ومكتشف ولايمكنه أن يحدد ذلك بأقل من ثلاثين الف سنة كحد أدنىٰ، وثم لايستبعد كونه بالملايين.

---

(١٦) سورة المائدة الآية/١٨

(١٧) سورة النساء الآية/١

(١٨) سورة الحجرات الآية/١١

(١٩) سورة يس الآية/١٥٨/١ وأهم شيء في المشينات ما كتبوا فيها ادعوه التوراة عن نبي الله لوط. وأن ابنتيه قد حملتا منه انظر في الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين الآية/٣٠

إن من الآثار الدالة على أن آدم خلق قبل عشرات الآلاف من السنين في سورية من بلاد الشام موقع (تل المريبط) على الضفة اليسرىٰ لنهر الفرات يقابل مسكنة. قد أثبت اكتشافه أنه كان مستوطنة مأهولة بالانسان قبل الميلاد بثمانية آلاف وخمسمائة عام هذا المعلوم حسب ما وجد من آثار. فكم مضى على أبائهم قبل أن يجعلوا آثاراً تُعْرَفُ عن وجودهم. بالتأكيد أنها آلاف السنين. لقد عملت في ذلك المكان بعثة من جامعة شيكاغو الأمريكية في عامي ١٩٦٤-١٩٦٥ ثم بعثة فرنسية بإدارة الأستاذ (جاك كوفان) من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٧٤ ومع هذا نقرأ في توراتهم أن آدم خلق في عام ٣٧٦٠ قبل الميلاد. وقالوا أن هذا كتبه الله بيده وأعطاه إلى موسى عليه السلام. وعاش آدم عليه السلام بعد هذا الخلق تسعمائة وثلاثون عاماً كما ذكروا فيكون موت آدم قبل الميلاد بألفين وثمانمائة وثلاثين عاماً. فمن هم الذين كانوا يعيشون في تل المريبط ياترىٰ؟ هل هم من أبناء آدم أم من آبائه؟ مع أن هذا ليس الأمر الوحيد في العالم الذي اكْتُشِفَ وعُرِّفَ تاريخ وجود الناس فيه، أو الأقدم فكل بلاد العالم تحتوي على آثار لابن آدم كان يعيش على هذه الأرض منذ عشران الألوف من السنين فمن هو آدم القوم ياترىٰ؟ هذا مع العلم أن تاريخهم كتاب العهد العتيق يذكر أن آدم الأب الأول لجميع بني الانسان.

لالوم على القوم فإنهم احتكروا رب الأرباب لأنفسهم لعنصرهم وسموه (رب الجنود) وجعلوا أنفسهم صفوة العالم ولن يعذب أحد منهم في الآخرة إلا أياماً معدودات يدخل بعدها الجنة وتدوم له بلا موت. فقد قال تعالى يخبر عن هذا ﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات * وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾[٢٠] ومن هذا أنهم أضافوا إلى ما أنزل على موسى ما شاؤوا لصالح عنصرهم وحذفوا منه كل ما يخص الشعوب الآخرىٰ أو يذكر عن الشعوب الآخرىٰ شيئاً يرفع رأسها. فكانت التوراة الجديدة وفق أهوائهم.

إن الانسان العادي من مسلم ومسيحي ووثني يقرأ كتاب العهد العتيق للإطلاع وحسب ويمر به مرور الكرام فلا يدقق ولاينقد شيئاً بل يفكر بأنه يخص اليهود دون غيرهم. فلا حاجة له به. ولا أهمية له عنده فلا لوم عليه. ولاتثريب عليه. فقد اطلع على كلمات سمعها من الناس يرددونها كقول شمشون (علي وعلى أعدائي) وقوله (لم يعرف حل أحجيتي إلا من حرث على عجلتي).

هذا يكون من الانسان العادي. فماذا يكون من رجل الدين المسيحي والمسلم؟ ماذا يكون من الرجل المسلم المتدين؟ الذي يقرأ أن نبي الله يوشع قد حَرَّمَ مدينة (أريحا) أول مدينة

---

(٢٠) سورة آل عمران الآية/٢٤

فلسطينية يدخلها اليهود فيحرمون أهلها جميع أهلها الشيخ حتىٰ الطفل من الرجال. والمرأة العجوز والطفلة حتىٰ البهائم وجميع الدواجن يجب أن تحرم وحرمت ومعنى التحريم هو إفناء كل ذي روح. ونفذ هذا يشوع النبي في أكثر مدن فلسطين آنذاك ترى ماذا يقول؟ ترىٰ ماذا يقول رجل الدين المسيحي الذي يقدس كتاب العهد العتيق كما يقدسه اليهودي ويعتمده كما يعتمده رجل الدين اليهودي. ماذا يقول وهو يرىٰ أن دولة إسرائيل تقوم على مبدأ هذا الكتاب يحرم جميع من يكن ضمن دائرة حدود الدولة اليهودية التي حدودها من (بحر سوف) البحر الأحمر. إلى البحر الكبير البحر الأبيض إلى مدخل حماة وهي طرطوس إلى النهر الكبير نهر الفرات إلى البرية جنوباً إلى بحر سوف، ترىٰ ماذا يقول؟[21].

ماذا يقول وقد اطلع على تزوير تاريخ خلق آدم. وتزوير ما بعد الطوفان من تاريخ ومن أسماء ومسميات حتى ربط جميع البشر ثانية مع نوح.

لقد ذكر كتاب العهد العتيق أن مابين الطوفان ومولد إبراهيم عليه السلام مائتين وتسعين عاماً. وذكر أن نوحاً عليه السلام عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عاماً فتكون وفاته بعد ولادة إبراهيم بسبعين عاماً وصار لابراهيم من العبيد ثلاثمائة أو أربعمائة من المدربين على القتال لقد هزم بهم عند دمشق أربعة ملوك هم أقوى ملوك العالم أنذاك[22].

وإليكم آباء إبراهيم من بعد الطوفان في ولادتهم وتوليدهم وذلك من الاصحاح الحادي عشر سفر التكوين/١٠ وهذه مواليد سام لما كان سام ابن مائة سنة ولد أرفكشاد بعد الطوفان بسنتين/١١ وعاش سام بعدما ولد أرفكشاد خمسمائة سنة وولد بنين وبنات.../١٢ وعاش أرفكشاد خمساً وثلاثين سنة وولد شالح/١٣ وعاش أرفكشاد بعدما ولد شالح أربعمائة وثلاث سنين وولد بنين وبنات.../١٤ وعاش شالح ثلاثين سنة وولد عابر/١٥ وعاش شالح بعدما ولد عابر أربعمائة وثلاث سنين وولد بنين وبنات/١٦ وعاش عابر أربعاً وثلاثين سنة وولد فالج/١٧ وعاش عابر بعدما ولد فالج أربعمائة وثلاثين سنة وولد بنين وبنات.../١٨ وعاش فالج ثلاثين سنة وولد رعو/١٩ وعاش فالج بعدما ولد رعو مائتين وتسع سنين وولد بنين وبنات.../٢٠ وعاش رعو اثنين وثلاثين سنة وولد سروج/٢١ وعاش رعو بعدما ولد سروج مائتين وسبع سنين وولد بنين وبنات.../٢٢ وعاش سروج ثلاثين سنة وولد ناحور/٢٣ وعاش سروج بعدما ولد ناحور مائتي سنة وولد بنين وبنات.../٢٤ وعاش ناحور تسعاً

---

(٢١) انظر كتاب العهد العتيق الإصحاح/٣٤ من سفر العدد.

(٢٢) انظر كتاب العهد العتيق الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين الآية/١٣

وعشرين سنة وولد تارح/٢٥ وعاش ناحور بعدما ولد تارح مائة وتسع عشرة سنة وولد بنين وبنات. . ./٢٦ وعاش تارح سبعين سنة وولد إبرام، وناحور، وهاران.

فعلى هذا يكون مولد إبراهيم في سنة مائتين واثنين وتسعين عاماً بعد الطوفان وعلى هذا أيضاً نرى أن جميع آبائه من بعد الطوفان كانوا أحياء يرزقون بما فيهم نوح عليه السلام. وبعضهم مات بعد موت إبراهيم فهذا سام الذي عاش بعد الطوفان خمسمائة عام وستين أيضاً يكون موته حتى وليعقوب من العمر خمس وثلاثون عاماً فهل أخطأ الله جل وعلا وحاشاه من الخطأ. أم كذب من نسب هذا إلى الله؟ ومن رأى الخطأ وتابعه فقد أخطأ وشذَّ.

ولنحسب الآن مما في كتاب العهد هذا ولد إبراهيم في السنة الثانية والتسعين بعد المائتين للطوفان وعاش مائة وخمسة وسبعين عاماً فيكون موته بعد الطوفان بأربعمائة وسبع وستين عاماً وقد ولد إسحاق ولابراهيم مائة عام كما جاء في الكتاب، وولد لاسحق وهو في الستين من العمر كما جاء في الكتاب فيكون ليعقوب من العمر عند موت إبراهيم خمسة عشر سنة.

ولما كان موت إبراهيم في السنة أربعمائة وسبع وستين عاماً بعد الطوفان فإن ساماً الذي عاش خمسمائة عام بعد الطوفان وبتخريج الْمولَدَيْن من بعضهما يكون موت سام بن نوح بعد موت إبراهيم بثلاثة وثلاثين سنة ويكون عمر يعقوب أربعاً وثلاثين عاماً وربما كان أولاد يعقوب ما عدا يوسف وبنيامين يلعبون ويرعون الماشية حسب ما ورد في الكتاب المعزوُ إلى الله كتابته وحاشا لله أن يخطىء. إن إبراهيم عليه السلام الذي يذكرون أن الله أعطاه الأرض في فلسطين له ولنسله من بعده كما جاء في سفر التكوين في الاصحاح الثاني عشر من سفر التكوين/٥ فأخذ إبرام ساراي امرأته ولوطاً إبن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى أرض كنعان/٦واجتاز إبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة. وكان الكنعانيون في الأرض حينئذٍ/٧ وظهر الرب لابرام وقال لنسلك أعط هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له/٨=

إن بكر إبراهيم هو إسماعيل ولاخلاف في هذا من هاجر الجارية المصرية. ثم ولدت له ساراي إسحق ولما ماتت تزوج من إمرأة اسمها قطورة فولدت له كما جاء في الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين/١ وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة/٢ فولدت له زمران. ويقشان. ومدان. ومديان. ويشباق. وشوحا= إن أبناء إبراهيم كما ذكر الكتاب ثمانية ورثة الأرض إذا طردنا سكانها الأصليين والأرض المعطاة لابراهيم في الأصل هي فلسطين ولا شيء غيرها. فيكون نصيب إسحق منها ثمنها. فلم تكون الأرض لاسحق؟ مع أن بكر إسحق المحبوب من أبيه كما ذكر كتابهم (عيسو) فيكون قسم إسرائيل هو واحد من ستة عشر من مساحة

فلسطين، إن آدم الأب الأول للانسان وهو المستخلف على الأرض والأرض لجميع بنيه يعيشون عليها دون أن يتسلط زيد على عبيد. هذا إذا كان القوم يطلبون حقاً. فالناس جميع الناس من خلق الله تعالى وخير الناس أنفعهم للناس. أكان بين الناس أم كان عبد الله. وقد قال ﷺ «الناس كلهم عيال الله. وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» ويقول جل وعلا ﴿وقالت اليهود والنصارىٰ نحن أبناء الله وأحباؤه * قل فلم يعذبكم بذنوبكم * بل أنتم بشر مما خلق. يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء * ولله ملك السماوات والأرض وإليه المصير﴾[٢٣].

القوم واسطة عقد بين شرورٍ في العالم. وبلاء يمضي. وبين شرود في العالم وبلاء يحبك ويدبر. فالفتن منهم بدأت. وهم أقطابها من خلف الآستار فيها يأتي ومن فكر بعقل وجد هذا. فهم سبب عدم الاستقرار في العالم وسوف يحاسبون من قبل الانسانية في يوم.

انك لاتكاد ترىٰ مذهباً جديداً في أبعد أصقاع العالم حتى ترىٰ يد يهودي تحبكه بل يداً صهيونية هي المدبرة وعرف الناس هذا. ومع ذلك يسير رأس كل جماعة وفق هوىٰ الصهيونية، فبعد ألفي عام رأينا وسمعنا مايذهل من أعلىٰ قمم العالم. لآن الصهيونية هكذا تريد. ولكن لكل ليل نهاية. يامعشر القراء فكروا بمايجري في هذا العصر لآن الصهيونية قد كشفت فيه قناعها المتسترة خلفه منذ ألفي عام. ستروُنها وقد القت بطعم في بحر الزمن الذي قد سممته فيجري خلفه طماعوا العالم أولئك الذين يحلمون بأمجاد زائفة. أو غنىً يفوق الآحلام. ويبتلعون الطعم فلا يجدون فيه شيء لآن صهيونية اليوم. لم تجعل في الطعم إلا سُمّاً. وأن الطعم قد طرح ليجري خلفه صائد يجب أن يؤكل مع صيده. وكل صائد يظن نفسه الرابح حتى يصل النهاية فلا يجد ربحاً فيقرع سناً علىٰ سن وقد فات الآوان.

هاهي بقعة من الآرض في قلب هذه الكرة كان يسكنها منذ ثلاثة الآف ومائتي عام أقوام من أبناء العرب من قبائل شتىٰ. يستقبلون بينهم كل وافد يريد الحياة. والعيش بسلام. يكره الشرور. ويرعىٰ مبادىء الجوار حتى جاءهم وافد جديد في أول القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ولدينا دليل طِيب عنصرأهل الآرض أنذاك وهو من كتاب العهد العتيق ونقدمه للقاريء.

لقد جاء إبراهيم الأرامي الكلداني من هناك من أعالي جبال أرارات بعدأن هجر أباه وقومه لعبادتهم النجوم والأصنام. مع ابنة عمه سارة وابن أخيه لوط وحاشية صغيرة ونزل أرض فلسطين التي كما ذكرنا أنها لاتتبع دولة من الدول الكبيرة أنذاك إنها لكل عشيرة حكمها وحاكمها المستقل. واستقام في فلسطين وما حولها يرعىٰ أنعامه ومواشيه. وينزل أرض الأقوام والعشائر.

---

(٢٣) آل عمران الآية(١٨)

يحفظ عهودهم ويحترمهم. ويحفظون له الود حتى ماتت زوجته سارة. وأراد دفنها في مكان معلوم يزور قبرها. ويأمن علىٰ بقايا جسمها. فجاء كما ذكر كتاب العهد العتيق يطلب مكانا لدفنها وقبرها. وذلك من أهل الأرض. بصرف النظر أن الله قد أعطاه الأرض وإليك النص أيها القاريء ـ الاصحاح الثالث والعشرون... من سفر التكوين.

/١ و كانت حياة سارة مائة وسبعاً وعشرين سنة سني حياة سارة. /٢ وماتت سارة في قرية أربع التي هي حبرون في أرض كنعان. فأتىٰ ابراهيم ليندب سارة ويبكي عليها /٣ وقام إبراهيم من أمام ميته. وكلم بني حث قائلاً: /٤ أنا غريب ونزيل عندكم. أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي /٥ فأجاب بنو حث إبراهيم قائلين له /٦ إسمعنا ياسيدي. أنت رئيس من الله بيننا. في أفضل قبورنا إدفن ميتك، لايمنع أحد منا قبره عنك حتى لاتدفن ميتك /٧ فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث /٨ وكلمهم قائلاً. إن كان في نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي. فاسمعوني والتمسوا لي من عفرون بن صوحر/٩ أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له في طرف حقله. بثمن كامل يعطيني إياها وسطكم ملك قبر/١٠ وكان عفرون جالساً بين بني حث. فأجاب عفرون الحثي في مسامع بني حث لدىٰ جميع الداخلين باب مدينته قائلاً /١١ لا ياسيدي إسمعني. الحقل وهبتك إياه. والمغارة التي فيه لك وهبتها. لدىٰ عيون بني شعبي وهبتك إياها إدفن ميتك /١٢ فسجد إبراهيم أمام شعب الأرض /١٣ وكلم عفرون في مسامع شعب الأرض قائلاً. بل إن كنت أنت إياه فليتك تسمعني. أعطيك ثمن الحقل. خذ مني فأدفن ميتي هناك /١٤ فأجاب عفرون إبراهيم قائلاً له /١٥ ياسيدي إسمعني. أرض بأربعمائة شاقل فضة. ماهي بيني وبينك إدفن ميتك /١٦ فسمع إبراهيم لعفرون ودفع إبراهيم لعفرون الفضة. التي ذكرها في مسامع بني حث أربع مائة شاقل فضة جائزة عند التجار /١٧ فوجب حقل عفرون الذي في المكفيلة التي أمام ممرا. الحقل والمغارة التي فيه. وجميع الشجر في الحقل الذي في جميع حدوده حواليه /١٨ لابراهيم ملكاً لدىٰ عيون بني حث. بين جميع الداخلين باب مدينته /١٩ وبعد ذلك دفن إبراهيم سارة امرأته في مغارة حقل المكفيلة. أمام ممرا التي هي حبرون في أرض كنعان /٢٠ فوجب الحقل والمغارة التي فيه لابراهيم ملك قبر من عند بني حث//.

لقد شهد كاتب كتاب العهد العتيق أن أرض فلسطين لكنعان العربي. وثبتت بذلك شهادة من صدق الكتاب بأن الأرض لكنعان وليس لابراهيم سوى ذلك الحقل والقبر. وشهد الكاتب بطيب عنصر أهل الأرض. فلمن هي الأرض الآن؟ أهي لأهل الأرض الذين اشترى إبراهيم منهم أرضاً لقبر فقط أم لشذاذ الأفاق؟.

ونتسائل هل خلا هذا العالم من عقلاء يبحثون في حقيقة ما جاء في كتابهم أم أن الجميع قد استسلموا لأساطير قد وضعها في يوم مَنْ نَاصرَ ثورة المكابيين ضد اليونانيين. وكانت في يوم مضىٰ يقبلها عقل الناس حيث لاعلم ولا تفكير. وليس هناك من يسمح بالتفكير لأنهم يعدون من فكر فيه ملحداً، وخارجاً عن طريق الايمان.

إن أكثر من ستين في المائة من اليهود ليسوا من نسل إبراهيم. وهم يتجمعون في فلسطين لبناء دولة إسرائيل. ولم يقولوا دولة اليهود. فهاهم يهود (الخزر) ويهود (الفلاشة) السود. فأين عقلاء العالم؟.

لقد عشت بين العامة وأنا منهم، وتعرفت على جهلهم بالتاريخ للانسان الذي يجب أن يعرفه ابن الانسان. فهو تاريخ الأسلاف الذين هم جذور الانسان المعاصر. وعرفت جهلهم بتاريخ أنبيائهم، وحوادث وأحاديث الرسل ولمست وتبينت مدىٰ تعلق الانسان بالأسطورة والخرافة التي أوجدها منتفعون في زمنهم للعيش في رفاهية وتقديس. وورّثوها لأبنائهم أو أتباعهم. واستمرؤوا هذا وعاشوا عليه.

ورأيت الناس يسلمون بالتقديس، ويخافون مناقشته ومحاكمته لأنه مقدس يخافون عاقبة مناقشته. وشعرت بالدعاية والترويج لما سمي بالمقدس. كما لمست أن المروجين يقومون بالدعاية تطوعاً. يظنون إنهم ينالون الثواب ممن روّجوا لهم. ويروّجون ولايشعرون أنهم ضلوا. ويضللون. أكان هؤلاء من اليهود أو النصارىٰ أو المسلمين. حتى والوثنيين.

فكم نسمع بولي وقديس عند اليهود في حاضرنا. وكم من قديس وقديسة عند النصارىٰ في ماضيهم وحاضرهم. وكم من ولي وقطب عند المسلمين في ماضيهم وحاضرهم. وقد أخبرنا جل وعلا عن ذلك بقوله ﴿وقالت اليهود ليست النصارىٰ على شيء * وقالت النصارىٰ ليست اليهود على شيء * وهم يتلون الكتاب * كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم * فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾[٢٤].

---

(٢٤) سورة البقرة الآية/١١٣

ونذكر قولاً مر معنا وهو:

سادن القبر كسىٰ أوثانه	زين القبر بإفك وحيل
قال من في القبر يشفي زمناً	يهب الطفل لمن يعطي بدل
انظروا القديس في أحلامكم	يمسح الرأس فيشفي من علل
حاملاً مفتاح باب الجنة	يغفر الذنب بمدخول وصل
قالت الأحبار هذا مثلما	قالت الرهبان عن هذا أجل
ومضىٰ بعض الشيوخ في كذا	ياترىٰ هل صح من دون العمل
لا ورب البيت فالأخرىٰ لمن	طهر القلب وأعطىٰ وبذل
لضعيف أو كسير وارتدىٰ	حلة الايمان لله وذل
ومشىٰ بالعلم درباً واضحاً	فرمىٰ الداء بترياق أدل

إن الخرافة والأسطورة ينحصر ضررها بمن جعلها للتسلية، وأخذ بها مأخذ الجد. وأعتقدها أكيدة المصدر أما إذا أراد مختلقها أن يُؤْمِن الناسُ بها. وَقَدَّسَهَا. وروَّجَ لتقديسها فلا بد أن يجد من البلهاء والبسطاء من يؤمن بها إيماناً يقاتل من أجله. ثم يصبح بين مقدسيها من يعرف كيف يستغل قدسيتها. وتلك الطامة الكبرى. فقد تصل ووصلت إلى الأمم والدول، وكانت حروب وحروب دامت عشرات السنين بل ومئاتها. حتىٰ وأكثر من ألف عام. ولاتزال في عصرنا هذا تعمل تحت ستارٍ آخر. ومن فكر وجد. والخرافة أم الجميع والأسطورة ابنتها.

إن لكل أمة أساطيرها وخرافاتها. كُوِّنَتْ في يوم للتسلية أو للتربية أو للاثنتين معاً. وهذه لم تكن مفروضة أو مقدسة. فإذا قُدست فذلك البلاء الذي لابد من سفك الدماء من أجله. فالأساطير والخرافات إذا قدست صارت أسافيناً تشق بني الانسان ومبادىء الانسانية شقاً وتجعل الانسان عدواً لمبادئه فيسحق أصله بيده وتسحق مبادىء الكتب المنزلة سحقاً لترفع من مستوىٰ قاتل يستحل سفك الدماء وتجعله بطلاً في نظر من يقرأ الأسطورة أو الخرافة بعد غياب من فعلها أو كتبها. فكم من قاتل ومقتول؟ والانسانية تعاني الويل حتى في هذا العصر الذي وصل الانسان فيه الى القمر.

إن تلك الأساطير والخرافات يجب أن تُعَرَّفَ ويُعرَّفَ من هم أصحاب النفع منها وأنها ليست من الحقيقة في شيء إنما وجدت لغاية في الانسان، وأن الله بريء منها، وأن الله للجميع. ولم ينزل الله كتاباً إلا لخير الانسان في دنياه قبل آخرته. وأن دنيا الانسان ليست سوىٰ مرحلة اختبار لتصنيف الانسان لمنازل الآخرة بعد حساب فيه الثواب والعقاب.

الانسان اليوم وكل يوم

الانسان الآن ينظر إلى أخيه الانسان شزراً يخشاه ويخافه تهيأً للدفاع عن نفسه أو للانقضاض على أخيه هذا متىٰ تغيرت اللغة أو الثقافة ضمن أسوار الدين بين هذا وذاك فلِمَ ؟ ومن أين جاء هذا ؟.

إنها الأساطير التاريخية ذُكِرَت أحلاماً. وفي تقديسها أوجبت عملاً، ولِمَ؟ لتحقيق تلك الأحلام. وتحقيقها يوصل إلى إحدى حالتين إما القضاء على مافي هذا الكوكب من حياة وإما القضاء على حضارة هذا الكون تماماً وإعادة من يتبقىٰ فيه إلى عصر ما قبل التاريخ فتفكيره ينقلب تماماً عكس ما يجب التفكير أن يكون.

الانسان الحر في تفكيره يقف وقفة الحائر تماماً، لأنه ينظر إلى أهل العقول، وهم يكدون في خدمة غاية الأسطورة. أهل العقول يعملون لصنع الدمار ويتفننون فيه. حتى يصير شاملاً للحياة على هذا الكوكب. وهم ولاشك سيفنون مع من سيفنىٰ.

أنا لا أنظر أو أفكر بما أقول عن إحدىٰ هاتين الحالتين وحدي أو أتأثر من غيري. لا. أبداً انما كان علمي بهذا والدافع إليه إنما هو قراءتي لكتاب العهد العتيق. ثم تأكدي من أن الدولة التي أقيمت في فلسطين إنما أقيمت على أساسه بل لتحقيقه بل لتحقيقه في عصر العلم والتور.

إن الكاتبة الأمريكية (غريس هالسل) تذكر عن تقدير مجنون يؤمن به كثيرون. وهو أن حرباً نووية يجب أن تكون. بل يعملون لها لكي تدمر العالم بأجمعه. ويظنون بل بتقديرهم ينصرون اليهود وأحلافهم بتنجيم يعرفه سحرة اليهود والكذابون ويساعدهم فيه كل من يرضىٰ بأن يكون خادماً في مطاعمهم ومهرجاً في نواديهم من غير اليهود.

أنا لا أتكلم من تلقاء نفسي بشيء أبداً أو أحمل على دين أو عقيدة لغاية في نفسي إنما أطلب إلى كل عاقل من ذكر وأنثىٰ قد عرف القراءة والكتابة أن يقرأ كتاب العهد العتيق بتعمق وتأمل فيتعرف فيه إلى أين ينتهي به المطاف إذا تم تطبيق ما في الكتاب عملياً وقبل أن يقرأ أؤكد له أنه سيكون لاحدىٰ الحالتين إما الفناء المقصود في الكتاب نفسه أو العبودية الدائمة له ولعقبه. وسيتحمل نظام السخرة من جديد كما يذكر الكتاب عن حالة (اليبوسيين).

اليهود يقولون بفناء العالم غيرهم وسيتولىٰ أمرهم مسيحهم المنتظر وهذا في زمنٍ يذكرونه يموت فيه الموت فتبقىٰ الحياة الأبدية فلا موت. ولكن هل يقوم إبراهيم وموسىٰ وهارون ويوشع

وداود وسليمان ويبعثون من جديد، أم يتقمصون أجساداً جديدة بأرواحهم ؟ لم يتفق اليهود علىٰ هذا بعد! فهم (صدوقيون) بفرقهم (وفريسيون). كذلك بفرقهم.

والسابقون منهم كانوا يقولون بموت شامل، ثم بعث الأرواح، فهي التي تصل إلى الخلود بعد حسابها وتطهيرها وعليها من كان قبل هذا العصر الذي نعيش فيه لأن الحاضرين المعاصرين يبحثون عن طب يغلب الموت في تجديد الخلايا، وهذا بعيد جداً عن عيش الانسان الذي يمكن أن يستطيبه ويقبل، وهذا لن يكون.

والمسلمون يقولون بماجاء في القرآن الكريم وهو كثير مثل قوله تعالىٰ في سورة التغابن الآية السابقة: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلىٰ وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك علىٰ الله يسير﴾ وفي سورة المؤمنون الآية الخامسة عشر: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ وذلك بعد قوله تعالىٰ ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالةٍ من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسون العظام لحماً * ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

ويثبت للمسلمين بعث الاجساد آيات كثيرة في القرآن منه قوله تعالىٰ في سورة يس الاية/٧٨ ﴿وضرب لنا مثلآ ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم * قل يحيها الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون﴾.

وفي سورة الاسراء الآية/٤٩ ﴿وقالوا ءإذا كنا عظاماً ورفاتاً أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً * قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم * فسيقولون من يعيدها * قل الذي فطركم أول مرة * فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو * قل عسىٰ أن يكون قريباً * يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلاً﴾.

إن الآيات في هذا كثيرة والاحاديث عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كثيرة جداً نورد منها حديثاً واحداً قد أتفق عليه عن ابي هريرة قال رسول الله ﷺ: «مابين النفختين أربعون». قالوا ياأبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال أبيت. قالوا أربعون شهراً؟ قال أبيت قالوا أربعون سنة؟ قال أبيت «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل» قال: «وليس من الانسان شيء لايبلىٰ إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة» وفي رواية مسلم «كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب» والمطر المذكور هو نوع من المطر. كالمطر الذي يكوّن الله منه الكمأة. والنفختين الاولىٰ التي تغنىٰ فيها جميع الأنفس الحية،

والنفخة الثانية التي تبعث فيها الأرواح إلى الاجساد التي تنبت كما ينبت البقل، وأقرب شيء لمثلها خلق الكمأة ويقول جل وعلا في سورة الزمر الآية/ ٦٥ ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لأن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين * وماقدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالىٰ عما يشركون * ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرىٰ فاذا هم قيام ينظرون * واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لايظلمون﴾.

إن في الحرب النووية الموت للجميع ثم يكون البعث للجميع من الأب الأول أدم وسيجزىٰ كل فاعل بما فعل أكان إبراهيم أم كان موسىٰ أم كان داوود أم سليمان حتى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والنمرود المزعوم سيبعث كما ستبعث أجساد من قتلهم وسيبعث أجساد الاطفال الذين أمر بذبحهم فرعون من أبناء الغرباء عن مصر، وهم بأجساد الرجال المكتملين ويقف فرعون أمامهم ليحاسب على قتلهم بفعله. وتلك الاجساد التي زعم كاتب الكتاب أي العهد العتيق من نساء مدين وستكون حبلًا عظيماً تنبع منه أنهار الدماء تلطخ قاتلها، والأطفال تشخب دماؤهم لتفقأ عين قاتلهم أو الزاعم كذباً قتلهم.

والنساء والاطفال والشيوخ المُحرّمين في أريحا وعاي الذين قتلوا بزعم الكاتب حيث ولدتهم أمهاتهم علىٰ فرشهم لم يجرموا في حق أحد وماسيكون من أمر العمونيين النساء والاطفال والشيوخ الذين داسهم الكاتب تحت النوارج الحديد والذين أحرقهم في آتون الكلس ؟.

كل هؤلاء سوف يقفون بين يدي رب العالمين ليجزي كل فاعلٍ بفعله وسيجزىٰ الكاتب الذي كتب أو الفاعل الذي فعل حتى والمؤمن بأحقية هذا الفعل ولازمه. والويل له ثم الويل له.

لم لانبحث عن الحقيقة بجدٍ

العصر الذي نعيش فيه عصر النور بحق فمن الكهرباء إلى الذرة والألكترون. إلى التحرك بين الكواكب في البحث والتقصي عن كل شاردة وواردة لما حولنا. ألا يجدر بنا أن ننظر بجد وحزم ألى سبب الشقاق والعداء بين الأمم. ونرجع إلى الماضي لنعرف الأخطاء التي فرقت بني الإنسان فجَعلته عدواً. لمثله لمن غايته الحياة الكريمة كفاية الأخر كفايته هو؟.

ألا يجدر بنا أن نوقف استغلال الانسان لأخيه إلا ضمن دائرة الاحترام والاعتبار والحشمة. وذلك بتبادل المنافع بعدل العادل ونترك ساماً. وحاماً. ويافث جانباً. فاذا أمنا بوجودهم. وحقيقة قصتهم. فعلينا أيضاً أن نؤمن بأنهم أخوة لأب واحد وأم واحدة. لم لانبحث عن الماضي هل كان هذا المزعوم أم لم يكن اهل هذا الكون الذي عرفنا أن له أبعاداً لم تعرف بعد هل له رب واحد أم أرباب هل هو لعنصر من الناس ؟ أم هو للجميع ؟ هل خلق الناس هكذا ليقتل بعضهم بعضاً. أم خلقهم لأمر أسمىٰ مما يفعلونه؟.

لم يقتل طفل ليحل محله أخر؟لم نمزق وندوس ووروداً لنزرع غيرها؟كلنا عرف أن عنصراً طاغياً على عنصر، وكلنا عرفنا أن الورد المتلوف أذا لم يكن أفضل مما سنزرع فهو وإياه في تساو. لم نقتل امرأة مع زوجها وأولادها في بيت عمروه بكدهم وجدهم وعرق جبينهم ليحل محلهم أخرون زوجة مع زوجها وأبنائهما. يالشقاء البشرية لمثل هذه الأعمال، ترىٰ هل قال الله هذا.

إسمع أيها المسيحي أو اقرأ كتاب العهد العتيق اسمعه من الكاهن على منبره. أو اشتر الكتاب الذي ألفه أحبار يهود في القرن الأول والثاني قبل الميلاد. وتطبعه جمعية الكتاب المقدس المسيحية. أقرأ وفكر هل هو حقيقة وجدير بالتقديس ؟ أو أن أكثر من تسعين بالمئة منه خرافات وأساطير تخالف الحقيقة والمنطق والدين. وأن الله بريء من مثله.

ترى هل تحمل المرأة اليهودية من كنعاني أو أسود ؟ أو تحمل الكنعانية والسوداء من يهودي ؟ فاذا كان هذا فهم والآخرون على سواء. ويسعهم ماوسع الناس. فالجميع لأدم وأدم من تراب. وكما قال محمد ﷺ: «وكلكم لأدم. وأدم من تراب».

الأمم جميع الأمم تبدأ. وتنشأ. وتعظم وتبقىٰ عظيمة طالما هي تسلك المسلك الصالح. وتبقىٰ عظيمة طالما هي تحافظ عليه. فمتى زاغت عنه بدأت تصفر حتى تذل كما صارت إليه حال الأمم الماضية. ومنهم اليهود ودولتهم يقول جل القائل ﴿إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم * وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردٌ له * ومالهم من دونه من وال﴾[٢٥] التغيير من الله للمحسنين إلى الأحسن. والتغيير من الله للمسيئين إلى الأسوأ، وقال اليهود إن الله وعد إبراهيم بأن تكون الأرض فلسطين له ولعقبه. وقد مر معنا أنه اشترىٰ من (عفرون بن صوغرالحثي) موضعاً لقبر زوجته سارة رغم هذا الوعد. ولنسلم بأن لاحق للحثيين بالأرض مع أنه تسليم باطل. فان لابراهيم كما ذكر كتاب العهد العتيق سبعة أولاد. كبيرهم والبكر فيهم كما هو المقدم على إخوته والوارث الأحق هو إسماعيل. ثم إسحق من بعده. وابناء. فطودة. مدين.

---

(٢٥) سورة الرعد الآية/١١

ومديان. وشوحا. وزمران. ويقشان. ولكل واحد من هؤلاء قسمه من الأرض شرط المحافظة على حقوق الأخرين. والاعتراف بحقوقهم. أما إذا قامر بحقه وترك شروط المحافظة والبقاء. فقد خسر حقه، واختار طريق المجازفة. فاليهود هم الذين طلبوا من الرومان القدوم إلى شرقي البحر الأبيض بتمامه. وإلى فلسطين خاصة.

وجاء الرومان. وصبر على دلال اليهود كثيراً. ولكنهم لم يستطيعوا الصبر على عدل الرومانيين. فكانت ثورة صغيرة تحملها الرومانيون وقمعوها بهدوء. ثم طمع اليهود فكانت ثورة أكبر في سنة سبعين للميلاد. حيث دخل الروم مدينة أورشليم وفتكوا باليهود فتكاً ذريعاً فقتلوا عشرات الألاف منهم. وهام الباقون على وجوههم في شتىٰ انحاء الامبراطورية الرومانية. وتعدوها فيما بعد إلى بلاد الحجاز ومضىٰ على هذا قرابة ألفي عام وقد أخذ العرب المسلمون أرض أبائهم واجدادهم من الرومان. فما معنىٰ هذا الوعد المزعوم؟ إن وعد الله صحيح لكل أمة إن أحسنت ملكت. وإن أساءت هلكت. وكان الوعد لنوح وعقبه. فملك من ملك وهلك من هلك وملكت أمم كثيرة من سومريين وأكاديين وعيلاميين. وبابليين. ومن الكلدان والأشوديين. والحثيين والأراميين، والفرس واليونانيين وفي مصر الفراعنة لأجيال وقرون والاف السنين. والوعد صحيح. فان الله جل وعلا يقول ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم * وإن أسأتم فلها﴾[٢٦] كما يقول ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح * وكفىٰ بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾[٢٧].

إن اليهود لم يدركوا عشر عز الأمم التي ملكت في السابق مثل الفراعنة، أو الأشوريين والكلدانيين. وأين هم من فارس وكسرىٰ. وعز الرومانيين وعز اليونان في عهد الاسكندر ومن بعده.

وخرج المسلمون من الجزيرة العربية وملكوا جل العالم آنذاك، وقد قرأ المسلمون الأية الكريمة التي كانت تحمل الوعد من الله ﴿وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم * وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً * يعبدونني لايشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك * فأولئك هم الفاسقون﴾ لقد شُرِطَ وعد الله لليهود ولغيرهم بالاستقامة ولكن اليهود لم يعرفوا الاستقامة إلا بما قالت التوراة كتابة وسماعاً. ولكن لاعمل بها ولااستقامة. وهذا كتابهم يشهد عليهم من

---

(٢٦) سورة الإسراء الأية/٨

(٢٧) سورة الإسراء الأية/١٧

عبادة العجل إلى اتهام موسىٰ إلى عبادة البعل وأصنام الأمم إلى أكل الربا. إلى فسق فاق الفسوق إلى الغدر بمواثيق الله والأمم من حولهم ومخالفتهم للتوراة في جميع تشريعاتها. وقدْ شهد عليهم بكل ذلك. يوحنا. والمسيح. فلم يكون وعدهم قائماً ووعد الله للأخرين ليس بقائم؟فلعلماء النصارى نقول. كم بقي عز اليهود في فلسطين؟ وهل يخلف الله وعده ؟.

إن الله لايخلف الميعاد ولكنهم أخلفوه فذهب عزهم الذي لم يدم سوىٰ مرور زوبعة لهم من عمر الأمم. ترىٰ ألم يعدالخالق الأمم الأخرىٰ كما وعد اليهود ؟ لقد. وعد جنكيزخان بملك الشرق يوماً وملك. ووعد الأتراك مثل ذلك والاسبانيون حيث وصلوا العالم الجديد. ولكنهم لم يوعدوا بالحياة الأبدية على هذه الأرض. وأن الناس لهم عبيد. وصدقوا هذا من مستغليهم. وعاشوه حلماً منذ ثلاثة الاف عام. وخمسمائة عام. مع أنهم جعلوا عمر الانسان على هذه الأرض حتى الأن لايتجاوز خمسة آلاف وسبعمائة عام تقريباً. وقالوا هذا وَصَدَّقوه. فلمَ نصدقه نحن. وقد خالف قول الخالق. وخالفوا التوراة. ويعلم هذا جميع رجال الدين المسيحي لأنهم يقرؤن التوراة المزعومة ويحفظونها أكثر من اليهود. وخالفوا الانجيل وكذبوه تماماً. وخالفوا مبدأ المنطق ومنطق الانسانية. والعلم والأثر. وناهيك بالماضي الذي كذب الادعاء. وكشف الغطاء فلم ير من تحته شيء العلم والأثر. ومبدأ الخلق. وحقوق الانسان كلها تقول. لا. فلم نصدق نحن هذا. ونبيع لهم ضميرنا. ونقدم لهم أموالنا. ونقتل إخوأننا لنحقق لهم هذا الباطل الذي يدعونه؟.

الدين والعدل يقولان إن حق العيش للجميع. فلا يطرد زيد من أرضه ليسكنها عمرو. بل يبقىٰ عمرو حيث ولدته أمه وحيث ولدت جدته أباه. وسيكون الموت للجميع. وأن الادعاء لايثبت حقاًإلا ببينه. وأن البينة عند القوم كذُّبت الادعاء فَرُفضَ. فجاء الادعاء بعد رفضه بشهود زور. لم يحضروا واقعة أوسمعوا من شاهد. بل حباً بشهادة الزور فحسب وفرحت الصهيونية بهذا. فرحوا بشهودهم. وشهودهم أثبتوا صحة الادعاء بالقوة. حتى وبرؤو اليهود من دم المسيح. وساندوهم بالنار والمدفع. ولكن العاقبة للمتقين. وكما قال تعالىٰ ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[٢٨].

لقد ادعوا وكتبوا أن الله أعطاهم الأرض من النيل إلى الفرات، فهل ملكوا هذا في الماضي ؟ وهل وصلوا الفرات إلا وهم في السبي ؟ لقد كان فيهم أنذاك أنبياء نؤمن بنبيوتهم. ومع هذا لم يملكوأنفسهم إلا قرناً واحداً أو دونه في غفلة من الدهر. وهذا تاريخهم الذي كتبوه

---

(٢٨) الشعراء الآية/٢٢٧

بأيديهم. ولم يكن أنذاك من يدحضه. لأن الناس لم يعرفوه ويتداولوه. بينهم إلا بعد عهد عيسى عليه السلام. حيث أخذه المسيحيون ونشروه على علاته التي لاتزال إلى اليوم.

لقد غنىٰ القوم بهذا وحتى اليوم يغنون به. ولهم أن يفضلوا ذلك وهم في حلمهم. أما نحن فلم نغني معهم. بل نسعىٰ معهم لتحقيق حلمهم ؟ نكذب المعلوم من عقل ودين وإنسانية. ونثبت المجهول الذي لم تثبته بينة بل إن بينته تكذبه. ونقتل أنفسنا لأجلهم، أهو حقد الأخوة وبغض الأهل ؟ فياللعار.

يامعشرالعلماء من نصارىٰ ومسلمين ألم تقرؤوا في كتبكم في الإنجيل وصف عيسىٰ للقوم ؟. ووصف يوحنا لهم وأنهم أبناء الأفاعي ؟ وهل بعد الأفعى شيء في الُسمّية وأنها لاتساكن في بيت؟وأنهم أعداء الحقيقة. وأنهم لوالب كل فتنة وأحباء الفوضىٰ وتجار الحروب ؟.

وأنتم ياعلماءالمسلمين قد قرأتم في القرآن الكريم في سورة أل عمران الآية/٧٨ ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب * وماهو من الكتاب * ويقولون هو من عند الله * وماهو من عند الله * ويقولون علىٰ الله الكذب وهم يعلمون﴾ فكم من قول كاذب وسواه في كتاب وجعلوه مقدساً وكم من نبي قتلوه. فنالوا بذلك ماأخبرنا الله تعالىٰ به وهو قوله في سورة أل عمران الأية/١١٢ ﴿ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا * إلا بحبل من الله * وحبل من الناس * وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة * ذلك بأنهم كانوا يكفرون بأيات الله * ويقتلون الأنبياء بغير حق * ذلك بماعصموا وكانوا يعتدون﴾ ومن كفرهم بأيات الله إنكارهم ولادة عيسى من مريم بلا أب. ولم يقفوا عند حد الانكار بل تعدوه إلى وصمها بما لايليق بحرة. وهي العابدة الزاهدة رضي الله عنها.

أسطورة الصقلوب تقول أن الصقلوب وهو رجل عملاق بعين واحدة. إذا أمسك بالانسان أو بالجماعة أكل سمينهم وسمن ضعيفهم بأعشاب تفقده تفكيره فيأكل بشره ونهم حتى إذا سمن شواه بسيخ من حديد ثم أكله والأسطورة يونانية. والقوم في الحاضر أي الصهيونية العالمية تسعىٰ لتسمين أبناء كنعان وهم سكان لبنان وسكان سورية وهم الذين يقول الكتاب بتحريمهم. ومنهم سكان أرواد وقبرص ورودس ومالطا يسمنون ويؤكلون عند الحاجة إلى أكلهم، ففي الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الخروج كتبوا هذا وقد أعيد في توراتهم المزعومة مرات ونسبوه إلى الخالق سبحانه /٢٦ لاتكن مسقطة ولاعاقر في أرضك، أكمل عددأيامك /٢٧ أرسل هيبتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين/ وأرسل أمامك الزنابير والحويين والكنعاونيين والحثيين من أمامك إلى أن تثمر وتتملك الأرض /٣١ وأجعل

تخومك من بحر سوف إلى فلسطين ومن البرية إلى النهر، فاني أدفع إليك سكان الأرض فتطردهم أمامك /٣٢ لاتقطع معهم ولامع ألهتهم عهداً /٣٣ لايسكنوا في أرضك لئلا يجعلوك تخطىء الي.

وفي الآية /٢٩ لا أطردهم من أمامك بسنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية. وفي أول اصحاح من سفر التثنية جاء هذا /٥ في عبر الأردن في أرض مؤاب بدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا /٦ الرب الهنا كلمنا في حوريب قائلاً كفاكم قعود في هذا الجبل /٧ تحولوا وارتحلوا. وأدخلوا جبل الأموريين. وكل ماليليه من الغرب والجبل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان الى النهر الكبير نهر الفرات /٨ أنظروا قد جعلت أمامكم الأرض التي أقسم الرب لأبائكم ابراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم وفي الإصحاح السابع من سفر التثنية جاء هذا /١٩ هكذا يفعل الرب الهك بجميع الشعوب التي أنت خائف من وجهها /٢٠ والزنابير أيضاً يرسلهاالرب الهك عليهم حتى يفنىٰ الباقون والمختفون من أمامك /٢١ لاترهب وجوههم لأن الرب الهك في وسطك إله عظيم ومخوف /٢٢ ولكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً لئلا تكثر عليك وحوش البرية /٢٣ ويدفعهم الرب أمامك ويوقع فيهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا/٢٤ ويدفع ملوكهم الى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء لايقف انسان في وجهك حتى تفنيهم».

هل صار هذا يامعشر علماء النصارىٰ والمسلمين ؟ هذه جمل من ألف مثلها في كتاب العهد العتيق. وهي طبعاً قد وجهت الى ساكني الشام برمتها. ويذكر لبنان قبل داخل سوريا. وهي ليست موجهة للحويين من حيث هم حويون ولا للكنعانيين لنسبتهم أو الحثيين بل الى من يسكن تلك الأرض. من أي قومية كانوا فهم يطلبون الأرض والأرض دينهم.

في صدر الإسلام لم يكن لليهود دولة. وأسلم بعض أحبار من اليهود. وداخل هؤلاء علماء المسلمين الذين لم يكن لهم أي كتاب سوىٰ القرآن الكريم. وبدأ المسلمون بتفسيره. واحتاجوا العلم من خارج معرفتهم. ووصل الى علمهم الحديث من رسول الله ﷺ «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولاحرج. ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو.

وأراد القوم التوسع في التفسير فخالطوا من أسلم من احبار اليهود. وأخذوا عنهم الكثير مما هو عند اليهود ويخرج عن توراتهم. ومع ذلك أخبروا عن المصدر. وامتلاءت التفاسير بكثير من الإسرائيليات. ومن قرأ من علماء السابق من المسلمين فقد قرأها مسلماً بها أنه حقيقة. فهذا

عوج باشان، أو عوج بن عناق طوله في تفسير الخازن ثلاثة آلاف وثلاث مائة وثلاثاً وثلاثون ذراعاً. وأنه كان يأخذ الحوت من البحر ويشويه على الشمس. وأنه بن أخت نوح عليه السلام. وأنه نقل أخشاب سفينة نوح من بلاد الهند. وقد بارىٰ السفينة أثناء الطوفان فلم يبلغ الماء حقويه.

وبقي هذا حتى عهد موسى. وحارب موسى وقتله موسى وذلك أن موسى كان طوله عشرة أذرع، وكان طول عصا موسى عشرة أذرع وقفز موسى بالهواء عشرة أذرع فأصاب كاحل رجل عوج فسقط هذا قتيلاً.

وكم من حديث روي عن علماء اليهود ولم يروا رسول الله ﷺ. فهذا كعب الأحبار يروون عنه القول أن الله قبض قبضة من نور وجهه وقال لها كوني حبيبي محمداً فكانت. ثم خلق الله من نور محمد العرش والكرسي واللوح والقلم وكعب الأحبار هذا هو الذي ألقىٰ في روع ابن عباس رضي الله عنهما ان محمدصلىٰ الله عليه وسلم رأىٰ ربه فخالف بذلك القرآن وصحيح الحديث. وكم من بلاء جاء عن اولئك العلماء الذين أسلموا بعد أن ثبت لهم أن الاسلام قد ثبت في الارض وتمكن. فأسلموا ليعيشوا سادة وكان لهم ذلك فجعلوا يحدثون بأحاديث كثيرة غريبة ومع ذلك أخذ الناس عنهم. وحدثوا بما أخذوا. فكان البلاء لطيب قلب المسلمين وطرحهم الظن. لان اليهود آنذاك لم يتحدثوا أو يعلنوا. أو يطلبوااقامة دولة لهم. وكان معاوية يقول: عن كعب الاحبار (انا لنبلو عليه الكذب) وكعب لم ير رسول الله ﷺ. وفي تفسير ابن كثير الكثير من هذا وأكثر النقل عن ابن جرير الطبري الذي ملأ تاريخه بما اخذ من كتب الفرس القديمة عن طهماسب وامبراطوريته الموهومة. وجمع بين ملك سليمان وملك الفرس وزاوج بينهما. وجعل امتداد دولة الفرس ببعض رواياته علىٰ أن يكون بختنصر من ولاة ملوك فارس ومنذ خمسين عاماً كان أحد علماء المسلمين يحدث في المسجد الأموي بدمشق أن يوسف قد تملك مصر يفسر قول يوسف ﴿رب قد آتيتني من الملك﴾[٢٩] وقوله تعالىٰ ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾[٣٠].

ودفعني هذا الى شراء كتاب العهد القديم. وقرأت الكتاب مرة ومرات واستغربت وصف الكتاب ومسماه. وكيف أخذ العلماء من المسلمين بما فيه. وأنه التوراة. مسلما بها. وكيف صدق الكتاب ومن نفس الكتاب يمكنك أن تستبعد تصديقه. فحساباته كلها بعيدة عن الصحة. فكان

(٢٩) سورة يوسف الآية/١٠١

(٣٠) سورة يوسف الآية/٥٦

جميعه لايزيد عن أقاصيص العجائز الا بعض مايمكن أن يكون من التوراة. وهذا أقل من عشر الكتاب. ويكفيك قصص من قتل مائة وعشرين الفا من العرب من مدين بثلثمائة يحملون الجرار. ومن قتل ستمائة من الفلسطينيين بمنساس البقر.

أما قصة شمشون فهي أم القصص. واني لأستغرب كيف يقرؤها علماء النصارىٰ. وعظماء رجالهم ثم يأخذون بها تصديقاً ويسعون لمساعدة شمشون والأخذ بثاره. فاضحك أيها القارئ المنصف بمرارة. وألم واستهزاء الأن دين القوم يهون عليهم اللعب به وجعله كقصص العجائز وقصص الكتب القديمة وعندنا منها قصص فيروزشاه. وحمزة البهلوان. وفتوح اليمن والملك الهضام، والملك سيف بن ذي يزن. وعنترة والزير سالم، وقصص بني هلال. وجميع هذه الكتب لها أصل يحمل الصحة كذلك الكتاب. ولكنها ليست مقدسة.

اقرأ عن تلك التي نزلت من سور المدينة الى القائد الأشوري (الفانا) واستطاعت قتله وقتل رجاله وأخرجت قومها من المدينة فقتوا مائة ألف من الأشوريين. وقصة استير ذات السفر. وحال اليهود آنذاك واقرأ عن دانيال ومعرفته بحلم بختنصر. وتفسيره. وحلم ابن بختنصر وكيف تمت المؤامرة وقتل ابن بختنصر. كيف تم ونَحهِ عن الدين. وبعد ذلك أجعل قياساً له من مقدساتهم. لتعلم أن الدين لايخالف العقل والعلم الصحيح وَعُدْ الى انسانيتك. وتذكر أن الدين من الله رب العقل والعلم. وأنه خاطب في كتبه أهل العقول. وطلب اليهم التفكر. لِيُنحوا الأباطيل عن الحق. وليظهرو الحق بعقولهم السليمة.

لقد أرسل الله لهم عيسىٰ عليه السلام وهو أخر رسول لهم وقد جاءهم بأيات تفوق طلبهم فأحيا لهم الأموات بإذن الله وشفىٰ لهم الأبرص والأكم بإذن الله. والمجنون والمشلول والمقعد ومع ذلك كذبوه وطلبوه كي يقتلوه. فوصفهم ببعض وصفهم فقال بما جاء في انجيل متى الاصحاح الثالث والعشرين مايلي /١٣ ويل لكم أيها الكتبة المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم. ولا تدعون الداخلين يدخلون/١٤ ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون أموال الأرامل،ولعلة تطيلون /٢٣ ويل لكم أيها الكتبة والفريسون المراؤون لأنكم تُعَشِرُون النعنع والشبث والكمون. وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والايمان، كان ينبغى أن تعملوا هذه ولاتتركوا تلك /٢٤ أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل /٢٦ ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء، وتزينون مدافن الصديقين /٣٠ وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء /٢١ فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء فاملؤا أنتم مكيال آبائكم /٣٣ أيها الحيات أبناء الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم.

وفي انجيل لوقا الاصحاح الثالث عشر نفس معنىٰ هذه الكلمات مثل /٤٧ ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وأباؤكم قتلوهم /٤٨ اذاً تشهدون وترضون بأعمال آبائكم لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم) والأن ويالالأسف تسعىٰ الدول المسيحية الى بناء مجد لهم على قبور الشهداء الحقيقيين في العالم، ويبرؤوا أبناء الأفاعي من دم المسيح. وتلك كلمة حق يبنون بها الباطل.

لنقرأ ثم نتفكر: الله رب الكون والمَكَونَاتِ.

ان أول مضمون الصحف التي أنزل الله هو التوحيد المشير الى وحدانية الخالق وخير لفظ هو «الله» واللفظ يكون مع التفكير بوحدانيته فقط. فقد أخبر عن نفسه أنه لايشابه أبداً. وأنه لايُرَىٰ أبداً في الحياة الدنيا. اذ لايمكن للأبصار أن تدركه. وقد قال في القرأن الكريم سورة الاخلاص وهي قوله ﴿قل هو الله أحدٰه الله الصمده لم يلد ولم يولده ولم يكن له كفواً أحد﴾.

روىٰ مسلم عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرأن في ليلة ؟ قالوا وكيف يقرأ ثلث القرأن ؟ قال: قل هو الله أحد يعدل ثلث القرأن» أو تعدل.

ان القرأن الكريم عشرات الألوف من الكلمات وسورة الاخلاص سطر واحد من آلاف السطور. وتعدل ثلث القرأن لأنها التوحيد في كل كلمة فيها، وهو توحيد الله جل وعلا عن الشريك والصاحبة والولد وكما قال ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً * ولم يكن له شريك في الملك * ولم يكن له ولي من الذل * وكبره تكبيراً﴾[٣١].

فسورة الاخلاص تبدأ بأمر الله لرسوله بتبليغ التوحيد الذي هو أول هدف الرسالات. وأن الله واحدأحد فرد وتر. فقل ﴿هو الله أحد الله الصمد﴾ والصمد هو الثابت للقاصد. القائم بنفسه. وبه يقوم كل ذي بال فهو قيوم السموات والأرض. من عنده المصدر. واليه المرجع. والصمد المكتنز ليس بذي جوف. وعلم الوصف بكامله الى الله ولكننا عرفنا من سورة الاخلاص أنه الأحد الذي ليس له ثان أبداً. ولاينادده شيء أبداً. ﴿وقوله لم يَلِد﴾ لم يقصد أو يقبل. أو يفعل مايوجب التوالد. وفي قوله ﴿ولم يُولَدْ﴾ يُجَسِّم النقاش. فمن لم يأت عن توالد لن يلد. لأنه ليس بمخلوق من أحد. وأتم فقال ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ وكفىٰ أنه لاكفء له.

وقد أعطىٰ سبحانه تفسير ذلك حيث قال: ﴿هو الأول * والأخر * والظاهر * والباطن * وهو بكل شيء عليم﴾ ولو شاء لأفصح عن أكثر من هذا. فلن يعادل جنساً. أو كماً. أو مكانة. ومتىٰ عُدّلَ غلب التعادل. وله فقط علم نفسه. الا بما أخبر. وأرشد، وقال في

---

(٣١) سورة الإسراء الآية/١١٠

تنزيهه عن الصاحبة والولد آيات كثيرة منها قوله ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً * لقد جئتم شيئاً إداً * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولداً * وماينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل مافي السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾[٣٢] وهذا اخبار عن عظمة الخالق سبحانه ودليل التوحيد الكامل. فلا استيلاد ولاتوالد ولا صاحبة ولا ولد. وكما قال أيضاً ﴿بديع السموات والأرض * أنىٰ يكون له ولد * ولم تكن له صاحبة * وخلق كل شيء * وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم * لا إله إلا هو * خالق كل شيء فاعبدوه * وهو على كل شيء وكيل لاتدركه الأبصار * وهو يدرك الأبصار * وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها * وما أنا عليكم بحفيظ﴾[٣٣] وقال أيضاً ﴿ماأتخذ الله من ولد * وماكان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق * ولعلا بعضهم على بعض * سبحان الله عما يصفون﴾[٣٤] لقد أخبر جل وعلا بأنه لاشبه له أبداً فقال: ﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً * ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه * ليس كمثله شيء وهو السميع البَصيرُ﴾[٣٥] والشيء المقصود هنا كل شيء. فقد تفرد جل وعلا بشيئيته التى لاتماثل أبداً فلكل شيء مثل إلا هو المتوحد المتفرد قطعاً. فكان رب الكون وموجده، وبه قامت السموات والأرض سبحانه. وعنده سر التكوين كيف ومتى فهو الخالق وماسواه مخلوق. وقال عن خلق السموات والأرض كيف خلقهما. ولم خلقهما: ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق * وأجل مسمى وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾[٣٦] ووردت الآيات مرة أخرى بقوله: ﴿ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾[٣٧].

الولد يأتي عن توالد. والتوالد يأتي من زوجين من ذكر وأنثى. وكان الوثنيون يجعلون لأنفسهم آلهة من الذكور ومن الإناث: وقد عرف أبناؤهم ضلتهم فتباعدوا عن مفترياتهم، فلو

---

(٣٢) سورة مريم الآية/٨٧

(٣٣) سورة الأنعام الآية/١٠٢ وما بعدها

(٣٤) سورة المؤمنون الآية/٩٠

(٣٥) سورة الشورى الآية/١٠

(٣٦) سورة الروم الآية/٧

(٣٧) سورة الأحقاف الآية/٢

صح الأمر لملأ شعب الأرباب جميع الكون، وقد قال جل وعلا لرسوله: ﴿قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾[٣٨].

وطبعا لا يمكن أن تكون الزوجة الا من الجنس ولو اختلفت شكلا ولونا، فالزوجة تكون للزوج سكناً ولا يفرط بها بحال والزوجة للزوج دليل الفصيلة والنوعية، والتعدد، فقطعاً لا والد ولا ولد. وهذا استدلال العقل علاوة عن الخبر.

لم يكن ابراهيم عليه السلام الا موحداً. فكل من قرأ عنه في كتاب العهد القديم تأكد من هذا. عرف هذا اليهود ثم النصارىٰ. وعرّفه القرآن الكريم على أنه كان موحداً، رغم أن الكتاب لم يذكر رسالة ابراهم، ولا تكسيره الذي ذكره الله في القرآن الكريم لأصنام قومه الا تلميحاً بالنبوة.

وما كان موسى إلا موحداً وفي الطريق السوى المستقيم وتلك بعض ما في التوراة توضح ذاك تماماً ففي الإصحاح العشرين من سفر الخروج جاء هذا/٣ لايكن لك آلهة أخرى أمامي/٤ لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما مما في السماء من فوق. وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض.

ولم يكن يوحنا الا موحداً ولم يذكر له رباً سوى العلي القدير فإنه لما سئل من قبل الفريسيين من اليهود من هو أجاب أنه صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب، ولو عرف أن عيسى الهٌ لما غاب عنه أبداً ولمشٰ معه ولو طرده عيسى عليهما السلام. وتقويم طريق الرب. هو السير وفق ما أمر الرب.

وما كان عيسى الا موحداً، ففي الإصحاح الرابع من انجيل متى جاء هذا /ثم أصعد يسوع الى البرية من الروح ليجرب من إبليس/٢ فبعد ما صام أربعين يوماً وأربعين ليلة جاع أخيراً،٣ فتقدم إليه المجرب وقال له ان كنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً/٤ فأجاب وقال ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله/٥ ثم أخذه إبليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل/٦ وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلىٰ أيديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك قال له يسوع مكتوب لا تجرب الرب الهك/٨ ثم أخذه جبريل الى جبل عال جداً. وأراه جميع ممالك العالم ومجدها/٩ وقال له أعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لي/١٠ حينئذ قال له

(٣٨) سورة الزخرف الآية/٨٠

اليسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك. تسجد واياه وحده تعبد/ ثم تركه ابليس وإذ ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه= وأي توحيد يكون اذا لم يكن هذا التوحيد.

ان الله جل وعلا خلق الخلق وكون المكونات، ويعلم ويبصر جميع خرافيها علاوة على الظاهر منها وقد قال في سورة الحديد الآية/٣: ﴿هو الأول * والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم * هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض * وما يخرج منها * وما ينزل من السماء * وما يعرج فيها * وهو معكم أين ما كنتم * والله بما تعملون بصير * له ملك السموات والأرض * والى الله ترجع الأمور * يولج الليل في النهار * ويولج النهار في الليل * وهو عليم بذات الصدور﴾.

آية جامعة تُعَرِف من الله ما أراد تعريفه، وتبين عظمة الله في بعض نواحيها والله أعظم وأعظم وهذا واجب المسلم المؤمن أن يقر ويعترف بأن الله يحيط بكل شيء علماً ومقدرة. فلو أن جميع المخلوقات نظرت فيما حولها دفعة واحدة لما كان ولا تم لها أن تبصر جميع المكونات، ولكن الله كما في هذه الآية وغيرها من الآيات كما في سورة سبأ قوله تعالى في الآية/٣: ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم * عالم الغيب * لا يعزب عنه مثقال ذرة * في السموات ولا في الأرض * ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين﴾ فهذا هو الله عند المسلم المؤمن لا يجلس في خيمة، ولا تتسع له أرض ولا تحمله، وقد مر معنا كيف طلب موسى رؤية الله، فلما تجلى الرب للجبل جعله دكاً. فالله يرى كل شيء دفعة واحدة. ويلم بكل شيء.

وفي الحديث القدسي المتفق عليه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال الله تعالىٰ يؤذيني ابن آدم. يسب الدهر. وأنا الدهر. بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» أي أن الإنسان اذا لم يدرك رغباته يشتم الوقت والزمن والساعة وكلها الدهر وهي لا تملك شيئا انما الأمر الىٰ الله في التقدير والمسير.

وكما قلت:

لئن فكرت أن أشكو زماني فما شكوىٰ الزمان هو المراد
ولكن أشتكي أهلي وقومي الى ما كان قبل الوحي عادوا

ومعلومنا أن الزمن يحدث بدوران الكواكب، ولكل كوكب يومه في ليله ونهاره حسب حجمه وسرعة دروانه، ولكن الدهر هو الوجود الذي ندركه بالأحاسيس. وعند الله سر الوجود.

ان القدرة لله والعلم التام لله في كل زمان ومكان وقد قال تعالى في سورة طه الآية/٣: ﴿له ما في السموات وما في الأرض ومابينهما وما تحت الثرى * وان تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفىٰ﴾.

وقد أرسل الله الرسل والأنبياء، وختمهم بمحمد ﷺ وأخبر عن أنه خاتمهم منذ ألف وأربعمائة عام ولم يظهر بعد موته نبي وذلك في الآية التي ذكرناها من سورة الأحزاب وهي ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ آية منذ ألف وأربعمائة عام تؤدي حتى يومنا هذا مطلوبها.

ثم أيده بالحجة البالغة بالقرآن الكريم الذي هو بقية رسالة ابراهيم، وهو حقيقة رسالة موسى، لا تبديل ولا تغيير، الذي حوىٰ مزامير داوود. وحكم سلميان، ونفى عن الرسالات كلها كل مدخل وكل غريب وكل ما ينافي الحقيقة وحوى رسالة عيسى عليه السلام، بالخير والتسامح، والتواضع والإخلاص.

لقد ذهبت جميع آيات الأنبياء والرسل لقد غابت وذابت نار ابراهيم وناقة صالح وعصا موسى وملك سليمان حتى ومات من أحيا عيسى عليه السلام وكل من أبرأ من المرض والبرص والجنون، وكل آية كانت لنبي ومرسل بعد أن أدت دورها، وبقي بفضل الله للإنسانية كلها، لو أخذت به على علم لكانت السعادة لبني الإنسان عامة الأبيض والأصفر والأسود، وكان الإخاء الحقيقي كتاب أنزل بفضل الله وكما قال تعالىٰ في أول سورة الأعراف ﴿المص * كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين * اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء * قليلاً ما تذكرون﴾ لقد نزل بحفظ الله ولا يزال بحفظ الله، وتعهد بحفظه حيث قال في سورة الحجرات ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

والحجة تلك والآية انما هي القرآن الكريم. الذي تحدىٰ الله به الثقلين الإنس والجن على أن يأتوا بمثله. في غايته وقالبه. ومعطياته. وبلاغته. منذ نزل الى يومنا هذا في أربعة عشر قرناً وذلك في سورة الإسراء الآية/٨٨ ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن * لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾.

لقد كانت قريش ومن جاورها من القبائل أفصح العرب لساناً. وأروعهم بياناً. وهم الذين أظهروا العداء لمحمد ﷺ. وقد وصلتهم الآية الكريمة وهي احدىٰ آيات التحدي من الله لقريش وحلفائها بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم ففي الآية/٢٣ من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا * فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم

صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا * فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ وقد حاول البعض المعارضة والتقليد فلم يفلحوا. كمسيلمة الكذاب. وسجاح التميمية. فذاك تَزَعَّمَ بعض ربيعة. وتلك تَزَعَّمَتْ بني تميم. ولكل منهما الخطباء والشعراء. وأخفق كل من حاول تقليد القرآن الكريم. وكما قال منزله تعالىٰ في سورة النساء/٨٢: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾.

وقد أخبر الله تعالىٰ عن نفسه كما مر في آية الحديد أنه الأول ولم يكن قبله شيء. فكونَ المكونّات التي لم تكن وكل شيء من تكوينه. وأنه الآخر الباقي أبداً. وأن كل مُكَوَّنٍ يفنىٰ. فقد قال في سورة الأنبياء الآية/١٠٤: ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده * وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ وهو الباطن الذي لايخفىٰ عليه شيء. والظاهر الذي يحيط بكل شيء علماً وقدرة وربما حجماً وعلم ذلك اليه فقد قال في سورة فصلت الآية/٥٤: ﴿ألا انهم في مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شيء محيط﴾ وقد قال أيضاً في سورة البروج الآية/١٩: ﴿بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط * بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾.

وهناك الأهم والأعظم وهو ما جاء في سورة البقرة وذلك آية الكرسي وهي أعظم آية في القرآن الكريم وهي الآية/٢٥٥: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم * لاتأخذه سنة ولانوم * له ما في السموات وما في الأرض * من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه * يعلم ما بين أيديهم * وما خلفهم ولايحيطون بشي من علمه الا بما شاء * وسع كرسيه السماوات والأرض * ولايؤوده * حفظهما وهو العلي العظيم﴾.

ان في تفسير هذه الآية أقوال كثيرة. منها أن علمه هو الذي وسع السموات والأرض. ومنها أن السموات والأرض لو وضعتا في الكرسي لكانتا حلقة ملقاة في أرض فلاة. وقد يؤيد هذا الحديث الصحيح الإسناد الذي رواه أبو داوود عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش. أن مابين شحمة أذنه الى عاتقيه مسيرة سبعمائة عام».

ومن هذا ان الإنسان الذي يعيش على هذه الأرض. وبقوانين الحياة التي ضبطتها. والتي لاتملأ قبضة هذا الملك محدود السمع. محدود الرؤية. وتفكيره فوق طاقته. أو أن تفكيره فوق علمه المؤكد ولذا يكثر خطؤه. وقد أوتي العقل الذي تميز به عن سائر المخلوقات. وما الكلام الا تبع للعقل في توجيهه.

ان الله جل وعلا كان فيما كان. قبل ان يخلق السماوات والأرض فيما أخبر في سورة هود

الآية/٧: ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً * ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين﴾.

وروىٰ البخاري عن عمران بن حصين قال اني كنت عند رسول الله ﷺ اذ جاءه قوم من بني تميم فقال ﷺ: «اقبلوا البشرىٰ يا بني تميم»، قالوا بشرتنا اعطنا. فدخل أناس من أهل اليمن فقال «اقبلوا البشرىٰ يا أهل اليمن. اذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين. ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان. قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله. وكان عرشه على الماء. ثم خلق السماوات والأرض. وكتب في الذكر كل شيء» ثم جاء رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك. فقد ذهبت فانطلقت أطلبها. وأيْمَ الله لوددت أنها ذهبت ولم أقم».

وروىٰ الترمذي عن أبي رزين العقيلي. قال: قلت يارسول الله. أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال: «كان في عماء. ماتحته هواء. وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء» وقد ضعف بعضهم الحديث. وصححه أخرون. «كروية الأرض ومصدر الماء منها واليها» ويقول جل وعلا في سورة فصلت الآية/٩: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها. وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ ان هذه الآية دليل لأهل العلم بأن الله جل وعلا خلق الأرض. وجعل فيها كفايتها بتمام خلقها. وذلك أنه خلق الأرض في يومين. ثم جعل الجبال لتثبتها. في مدارها. ثم جعل بركتها. في أن الذي فيها يبقىٰ فيها أبداً. يدوم مادامت سلامتها فالماء يجول جولته من الأرض الى البحار، أو الهواء، فللفضاء، حيث يعود الى الأرض. حتى أن هذا المتنفس من الهواء ربما كان منه جسم طري ثم فني الجسم وذهبت الطراوة في هذا الفضاء. لتعود مع الماء وهكذا تفلق الحبة لتصير النبات. وعليه يعيش الحيوان من نتاجه. وينمو الحيوان. ويكبر ويهرم ويذوىٰ. أو يؤكل، ومن حيث أتىٰ يعود. فالبركة قد جعلها الله في الأرض فلا نفاذ لها أبداً ولو أن سكان الأرض من البشر ملايين الملايين. وذلك باستعمال العقل. وصلاح الأمر. وسلوك مسلك الإخاء الصحيح.

ومن تلك الآية الكريمة عرفنا أن الأرض قد أتم الله لها حاجتها وحاجة سكانها. في ستة أيام. فلا يصل اليها من السماء العليا سوىٰ الرحمة. ومطلب الرسالات من الوحي. ومما دون السماء حرارة الشمس، وأنوار النجوم من مصادر الشمس. والجاذبية منها واليها. وذلك دليل كرويتها وطريقة اروائها. وأتم كل هذا بعقل الإنسان الموجه. على أن يكون الإنسان يعرف

انسانيته. ويعمل لأجلها وبموجبها. كما قال جل القائل في سورة النساء الآية/١: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها * وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام * ان الله كان عليكم رقيباً﴾.

وفي الآية التالية المتممة للآية التاسعة والعاشرة من سورة فصلت. دليل الجاذبية وترتيب المسار وهي قوله تعالى: ﴿ثم استوىٰ إلى السماء وهي دخان * فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً * قالتا أتينا طائعين﴾ والطاعة وتفسيرها عند الله. ونحن نظنها الجاذبية المنظمة والرابطة.

ومما يثبت كروية الأرض ودورانها قوله تعالىٰ في سورة الأنبياء الآية/٣٣: ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر * كل في فلك يسبحون﴾ فالليل والنهار كناية عن الأرض. لأن المعرفة البسيطة تدل الإنسان على أن الليل أو النهار ليس بجسم مادي. انما هو كناية عن الشيء الذي يكون منه ويحصل عليه. ويقول جل وعلا في سورة الزمر الآية/٥: ﴿خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل * وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمىٰ ألا هو العزيز الغفار﴾

واما ذكره جل وعلا الجبال والغاية من خلقها فقد أوضح بعض ذلك في سورة النحل الآية/١٥: ﴿وألقىٰ في الأرض رواسي أن تميد بكم * وأنهاراً * وسبلاً لعلكم تهتدون﴾ وذكر مثل ذلك أيضاً في سورة الأنبياء/٣١: ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم * وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلكم تهتدون﴾.

فالجبال لحفظ توازن الأرض في دورانها في هذا الفضاء الذي لايُعلَمُ حتى الأن له نهاية. وقد قال تعالىٰ في سورة فاطر الأية/٤١: ﴿ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا * ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده * انه كان حليماً غفوراً﴾ أي من يقدر أن يعيدهما الى المسار الأول من ذلك الفضاء اللامتناهي.

ثم ذكر لنا كيفية انزال الماء من السماء. أو بعضاً منا ففي الأية/١٦٤ من سورة البقرة يقول تعالىٰ: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار * والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ومآأنزل الله من السماء * من ماء فأحيابه الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لأيات لقوم يعقلون﴾.

وقد ذكر جل وعلا أنه أنشأ وخلق وجعل محيا جميع مخلوقاته التي في الأرض وعليها من الماء. فقد قال سبحانه في سورة النور الآية/٤٥: ﴿والله خلق كل دابة من ماء * فمنهم من يمشي على

بطنه * ومنهم من يمشي على رجلين * ومنهم من يمشي على أربع * يخلق الله مايشاء * ان الله على كل شيء قدير﴾.

وقد أخبرنا جل وعلا كيف خلق السموات والأرض. ومابينهما. وأنه بعلم صحيح ألا وهو الحق. وذلك في أيات كثيرة. أوضحُها ما قال في سورة الروم. وسورة الأحقاف ففي سورة الروم الأية/٨: : ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم * وماخلق الله السموات والأرض ومابينهما * الا بالحق * وأجل مسمىٰ * وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ وورد مثل ذلك قوله في سورة الأحقاف الأية/٣: ﴿ما خلقنا السموات والأرض ومابينهما الا بالحق * وأجل مسمىٰ والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾.

وقد أخبرنا أيضاً أنه خلق السموات والأرض لغاية وقصد. ليس للعب ولهو. تنزه الله عن هذا. فقد قال في سورة الأنبياء الأية/١٦: ﴿وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا * ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق﴾.

وقد أخبرنا وأعلمنا عن شيء. ربما فكرت فيه بعض النظريات الحديثة. وهو أن السماء والأرض كانتا معاً في سديم واحد. حدوثه من تفجر الشمس. وجاذبية قوية جداً بعدته الى مسافة أمكنته من أن يستقل عن جاذبية الشمس. ولله جل وعلا العلم الصحيح بكيفية ومتىٰ ومن أين كان التكوين ففي سورة الأنبياء الأية/٣٠: ﴿أولم يرالذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً * ففتقناهما * وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾.

كان الله ولم يكن شيء قبله ثم شاء أن يخلق خلقاً لغاية عظيمة. يعلمها وأرادها. فهيأ لها أسبابها. ثم بدأ التكوين. وقدر المقادير لكل شيء. وقد قال تعالىٰ في سورة الكهف الأية/١٠٩: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي * لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي * ولوجئنا بمثله مدداً﴾.

ان الأيات الكريمة التي سبقت وأوردناها تنير لنا انارة كاملة تكفي لنعرف أن القرآن الكريم قد أخبرنا بكروية الأرض تعريضاً صحيحا وترك لنا مهمة الوصول الكامل والايضاح الكامل ولكن ويالالأسف وقف من وجب عليه أن يَعْرَفَ ويُعَرفَ الناس حجر عثرة في طريق الوصول الى حقيقة ومعرفة ذلك. بل وكان حرباً على كل من قال ذلك أو أراد البحث والمعرفة.

لقد أخبرتنا تلك الأيات عن كروية الأرض. ودورانها. وجولة مياهها. وترتيب أرزاقها.

وتعلقها مع جاراتها في نظمها وتحركاتها. وبيان علو السماء وتكونها. وأن بدأها من الدخان والغازات. وان لم يخبر جل وعلا عن ماهية الدخان والغاز. ومنطلقه ومعرفة الانسان لكل هذا تأتي من مشيئة الله ان شاء عَرف وان شاء منع. فها هي عشرات الألوف من السنين تمر. وكأن الانسان لايزال بدائيا. حتى عصر النهضة العلمية الصحيحة التي لم تصل الى خمسمائة عام. فأعطت بمشيئة الله هذا الفيض العظيم من العلم العظيم. وماالانسان الا آلة في اظهاره والوصول إليه مع مشيئة الله. الذي جعل مابين السماء والأرض هذه الصغيرة الحجم الغالية الثمن الذي لايساوىٰ مع أعظم تلك الكواكب حجماً. فان الأرض أثمن وأغلىٰ لأن الله جعل الانسان يسكنها. ونقول مابين السماء والأرض. تلك النجوم والكواكب. وكأنها محطات ايصال وتوصيل وترابطٍ فيما بينها كلها وتجاذب فلو زالت احدىٰ تلك النجوم لحلت كارنة علمها عند ربي في فظاعتها. ولله ضبطها وترتيبها. كما هي عليه. حتى يأذن الله بالفكاك فيما بينها وقد خلق الله جل وعلا مخلوقاته على هذه الأرض منها ماهو مرئي مع بعضه. كالانسان والحيوان بمختلف أجناسه وأنواعه. ومنها مايَرَىٰ ولايُرَىٰ. كالملائكة والجن. ولابد للمؤمن. من تابعي الأديان الثلاث السماوية من الايمان بوجود الملائكة والجن. ولايحق لمؤمن أن ينكر وجودهما. فقد ذكرها الله في كتبه المنزلة. وحدث عنها الأنبياء والمرسلون.

وفي الحديث الذي رواه مسلم وأحمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «خُلقت الملائكة من نور. وخُلقت الجان من مارج من نار. وخلق أدم مما وصف لكم» أي من الماء والطين.

وقد خلقت الملائكة أولاً. ثم خلق الله الجن. وابليس منهم. لأنه رأىٰ أدم قبل أن تدب فيه الروح (هل خلق الله جل وعلا خلقاً بعقل وتفاهم على هذه الأرض قبل أدم؟) هل خلق الله جل وعلا على هذه الأرض مَنْ عمرها قبل الانسان الذي سماه تعالىٰ آدم. وأخبر أنه الأب الأول للانسان ؟ لقد كتبت مجلة المعرفة الكثير عن قدم من حفر الكهوف. ونقش الرسوم على جدرانها. في فرنسا وفي غيرها من بلاد أوروبا. وشمال وشرق روسيا. كثيراً عمن رسم وصور حتى وصاد. وصور صيده وذلك لأكثر من خمسين الف سنة. حتى أوصل الى مائتي الف سنة ويطالعنا التلفزيون اليوم بكثير من الرسوم التي يذكر تاريخها لعشرات الألوف من السنين فهل كان في الأرض منْ عمرها قبل الانسان كأن نقول مثلاً شبه الانسان أم هو الانسان في بداءته ؟ لقد وقف العلماء موقف الحيرة من وجود من عَمرَ الأرض قبل الانسان ؟ أم أن الانسان أول من عمرها ؟ وحتى الأن لم يثبت وجود انسان غير هذا الانسان. وحتى الآن أيضاً لم. يثبت تماماً متىٰ كان آدم الأب الأول للانسان.

ان ماورد في كتاب العهد القديم عن تحديد وجود آدم بالسنة الواحدة. لأيقبل في العصر الذي أوشك ان طال زمن البحث قليلاً. أن ينفي هذا التاريخ نفياً كاملاً ويظن أن هناك من يخفي حقائق الكشف والمعرفة. أو السكوت عن ايضاح تلك الحقائق وربما استدل العلماء المسلمون. دون أن يثبتوا أو يُبّتوا في هذا الأمر من أيات في كتاب الله عند مخاطبة الله جل وعلا لملائكته في أمر استخلاف آدم في الأرض ليعمرها. ثم استفسارهم. عن ماهية ذلك المستخلف. وماسيكون عليه. أنه كان مستخلفاً في الأرض كما هو الانسان. وأنه كان أكثر من الانسان. افساداً. وفساد نفس. وأن جل الله وعلا قد أهلكه. وأن الملائكة كانت تشاهد من أفعاله. ماجعلها مبغضة له.

ان هذه الأرض المؤهلة لسكنىٰ الانسان عليها. منذ ألاف. أو مئات ألوف السنين. ان لم نقل ملايينها. ربما رأت مثل هذا الانسان أو هذا المخلوق الذي يشبه الانسان بعقله. وطاقته. من تفكير. وكلام. وكل هذا بالحدث والتخمين. والله أعلم.

لقد ثبت وجود هياكل حيوانات متحجرة. وأنها كانت أضخم مما هي عليه حيوانات عصرنا هذا. ومثل انقراض تلك الحيوانات. ربما انقرض ذلك المخلوق الذي عمر الأرض قبل الانسان يقول الله تعالىٰ في كتابه العزيز مخبراً عن حديث تحدث به الى ملائكته قبل خلق آدم وذلك في سورة البقرة الأية/ ٣٠: ﴿واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة * قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء * ونحن نسبح بحمدك * ونقدس لك * قال اني أعلم مالاتعلمون﴾ هذه الأية الكريمة جعلت الحدث والتخمين في أمر هل كان يسكن الأرض ويعمرها قبل آدم الانسان الأول أي مخلوق أخر ؟ وأن لذلك المخلوق عقل وتفكير وغاية ؟ حتى قالت الملائكة لربهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ لأن الملائكة لاتعلم غيباً. ولاتقصد قصداً. انما هم مخلوقات طاعةٍ وعبادةٍ كلٌ حسب ماجعله الله فيه. فمن أين لها أن تعرف طبيعة من سيستخلف على الأرض حتى ذكرت فساده وسفكه للدماء ؟.

ربما كان قولهم هذا من قبيل الاستفسار عما سيكون عليه ذلك الخليفة. وربما كان لرؤيتهم من عمر الأرض فأفسد فيها وسفك الدماء ؟ فالملائكة وهم أعرف مخلوقات الله بربهم. وأكثر مخلوقات الله طاعة لربهم. فربما كان استفسارهم. أم سيترفع عن الفساد ؟ والله أعلم ان علم الغيب لله وحده. وان الملائكة لايعلمون الغيب. والملائكة أيضاً لايقولون بالظن. فيكون قولهم بالمشاهدة أو بالاخبار من الله.

فان كان قولهم باخبار فان الله أخبرهم ولم يخبرنا. وان كان قولهم عن مشاهدة. فيكون

ذلك المخلوق الذي. أفسد وسفك الدماء. قد انقرض. كتلك المخلوقات العظمىٰ التى انقرضت بمشيئة الله ليعمر الأرض هذا الانسان. الذي نال رضاء الله.

لقد كان رد الله جل وعلا للملائكة قوله تعالىٰ: ﴿اني أعلم مالا تعلمون﴾ هذا جواب استفسارهم وخلق الله آدم. وعلمه بعد أن أتم خلقه وأدبه من الكلام الى السلام. وأيده بمردود الكلام معرفة ومعنىٰ. وجعله يعرف لكل قولٍ قصده. ولكل شيء ماهيته. وكما قال تعالى في سورة الكهف الأية/ ٦٥: ﴿فوجدا عبداً من عبادنا أتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾.

بهذا ثقف الله آدم قبل اهباطه الى الأرض. وقدأعلمنا الله بما كان بقوله يتم ما في سورة البقره: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة. فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين﴾ لقد عرض جل وعلا المسميات على الملائكة وطلب اليهم ان يذكروا لكل شيء من المسميات ماهيته والله أعلم. فعجزت الملائكة عن معرفة ماهية أي شيء فان الملائكة تعرف مايعهد اليها فيه. فلا تحدث جديدا. ولاتقول بالظن.

لقد علم الله جل وعلا آدم أسماء المسميات كلها من ألفها الى يائها. وماهية الاشياء. ثم سأل الملائكة عن هذا الذي علمه لآدم. فعجزت الملائكة عن الاخبار عنها. وأقروا بعجزهم. ثم قال لآدم أخبرهم بأسمائهم فأخبرهم آدم بها فنزهوا الله جل وعلا. وعرفوا أن لله غاية في خلق آدم. واستخلافه في الأرض.

أراد الله جل وعلا جعل آدم وعقبه خلفاء في الأرض لتعمر بهم. وتلك مشيئة سامية شاءها قبل خلق آدم. وقد يتساءل متسائل. ماهو شأن الأرض هذاالكوكب الصغيرمن بين ملاين الكواكب التي جلها اكبر حجمابمرات ومرات. وقد يجاوب نفسه عندما يفكر بأن الله جعلها للإنسان مزرعة. وعمرها بآدم. ولم يجعل غيرها لتلك الغاية. وقد عرف الإنسان الآن حقيقة الكواكب والنجوم ووصل الى بعض منها كما علم خلو البعض من أي عامر لها كهذه الأرض. فهي الوحيدة عند علمنا التي تصلح لحياة هذا الإنسان أو ما يعرفه من حيوان.

وإنها أي الأرض بمعرفتها لمدعاة للإيمان بكل ما جاء في الكتب المنزلة. شرط صحة ما جاء فها هم أبناء آدم هذا المخلوق الضعيف. الذي يمكن لعود شجرة يابس أن يبقر بطنه أو لحجر صغيريقع أو يسقط عليه أن يميته. يدور الفضاء الفسيح. ويهبط على بعض تلك الأجرام الكبيرة ليعرف ما هي. وما هو تكوينها. وهل يمكن العيش عليها أم لا. فسبحان الله.

من هم الملائكة؟ وكيف هم؟ وخواص بعضهم؟

﴿واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة * قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾.

ذكرنا أن الملائكة خلقهم الله من النور. ولا يأكلون من طعام الإنسان أو أي شيء مادي يمكن أن يجعل لوناً أو شكلاً. فإذا وضعنا طعاماً مهما صفا لونه في اناء من زجاج صاف لاعكر فيه. فإن شكل الطعام ولونه سوف يُرىٰ للإنسان المترقب.

وأن الملائكة لهم خواصهم التي جعلها الله لهم. في الشكل واللون. والطعام. وطريقة الحياة والتكاثر. ومدة الحياة. ولانعرف عن هذا أي شيء في حياتنا هذه. ولم يخبرنا الله عن شيء من ذلك. انما أخبرنا بوجودهم. وخاصية بعض منهم فهذا جبريل الروح الأمين. قال عنه تعالى في سورة الشعراء الآية/١٩٣ : ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * وانه لفي زبر الأولين﴾ من هذا عرفنا أن جبريل ملك مقرب. كان يرسل من الله إلى الأنبياء، يبلغهم مطلب الرسالة. ويؤيد به الرسل. وأنه نزل بالقرآن الكريم، بأيات عند لزومها على رسول الله. وكان يأتيه على هيئة رجل في بعض الحالات. يراه الناس ولا يعرفونه. ويأتي في بعض الحالات فلا يراه سوى رسول الله ﷺ. ويأتيه في بعض حالات دون أن يراه كموصل الكهرباء حتى يتبلغ منه الرسالة كنقش في الصدر.

وقد أيد الله عيسى. بجبريل فهو الذي حمل بذرة عيسى ونفخها في فرج مريم العذراء فدخلت البذرة بالحلول. وثم من رحم مريم تكون المولود كما هي سنة الحمل ففي الآية/١٢ من سورة التحريم قوله تعالىٰ: ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها * فنفخنا فيه من روحنا * وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ وفي الآية/٢٥٣ من سورة البقرة يقول تعالىٰ: ﴿وأتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ وروح القدس هو جبريل.

وقد رآه محمد ﷺ مرتين بصورته التي خلقه الله عليها ففي سورة النجم يقول تعالىٰ في الآية/١ فما بعدها: ﴿والنجم اذا هوىٰ * ما ضل صاحبكم وما غوىٰ * وما ينطق عن الهوىٰ * ان هو الا وحي يوحىٰ * علمه شديد القوىٰ * ذو مرة فاستوىٰ * وهو بالأفق الأعلىٰ * ثم دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ الى عبده ما أوحىٰ * ما كذب الفؤاد ما رأىٰ * أفتمارونه على ما يرىٰ ★ ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهىٰ ★ عندها جنة المأوىٰ * اذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ * ما زاغ البصر وما طغىٰ ★ لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ﴾.

لقد ظن كثير من الناس أن محمداً رأىٰ ربه ولكن الأمر على غير ذلك. فإن الله أجل وأعظم من أن يرىٰ في هذه الحياة الدنيا وقد جاء في الحديث عن الشعبي أن كعب الأحبار لقي ابن عباس في عرفة. فسأله عن شيء فكبر فقال ابن عباس انا بنو هاشم. فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسىٰ. فكلم موسىٰ مرتين. ورآه محمد مرتين. قال مسروق. وهو من تلاميذ ابن مسعود. فدخلت على عائشة فقلت هل رأىٰ محمد ربه. فقالت لقد تكلمت بشيء وقَفَ له شعري. قلت رويداً ثم قرأت ﴿لقد رأىٰ من أيات ربه الكبرىٰ﴾ فقالت: أين تذهب بك. انما هو جبريل. من أخبرك أن محمداً رأىٰ ربه، أو كتم شيئاً مما أمر به. أو يعلم الخمس التي قال تعالى: ﴿ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث * ويعلم ما في الأرحام * وما تدري نفس ماذا تكسب غداً * وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ فقد اعظم الفرية، ولكنه رأىٰ جبريل. لم يره في صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهىٰ. ومرة في أجياد له ستمائة جناح قد سد الأفق.

تلك الملائكة. وملك الموت الموكل بقبض الأرواح. فقد قال تعالىٰ في سورة السجدة الأية/١٠: ﴿وقالوا ءاذا كنا تراباً ءانا لفي خلق جديد ؟ بل هم بلقاء ربهم كافرون * قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾ وهناك اسرافيل الذي لقم القرن. الذي متىٰ أذن الله له فنفخ في الصور كانت الساعة. ومات جميع الناس وكما قال تعالى في سورة الزمر الأية/٦٨: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض * إلا من شاء الله * ثم نفخ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون * وأشرقت الأرض بنور ربها * ووضع الكتاب * وجيء بالنبيين والشهداء * وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾.

وميكائيل وهو الموكل بأرزاق العباد. وذكره الله في الآية/٩٨ من سورة البقرة حيث قال: ﴿من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدىٰ وبشرىٰ للمؤمنين * من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوٌ للكافرين﴾.

وذكر حملة العرش. وفيهم كما مر في الحديث الذي رواه أبو داود عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش. أن مابين شحمة أذنيه إلى عاتقيه مسيرة سبعمائة عام» ويقول الله في سورة الحاقة الآية/١٦: ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها * ويحمل عرش ربك يومئذ فوقهم ثمانية * يومئذ تعرضون لاتخفىٰ منكم خافيه﴾.

وسيرىٰ الناس في الآخرة كلًّا من الملائكة والجن وقد قال تعالىٰ في سورة الزمر الآية/٧٥:

﴿وترىٰ الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾.

تذكر مجلة المعرفة في العدد الرابع لسنة ١٩٧١ تحت عنوان انسان ماقبل التاريخ ما يلي:

ومن الثابت أن هناك ما يدل على أن الإنسان كان يعيش على أرضنا من نحو نصف مليون سنة مضت. ففي عام ١٨٩٠ عثر في جاوة على جزء من جمجمة بشرية يعود تاريخها الى نصف مليون سنة تقريباً. وقد أطلق عليها علماء الأجناس (انسان جاوة) وأنه لمن المثير أن حجم هذه الجمجمة نحو نصف جمجمة الإنسان المعاصر العادي. ومع أنه لم يكن بجانبها أدوات ما في منطقة الكشف عنها فإن الإتجاه إلى أن (إنسان جاوه) ربما عرف كيف يصنعها.

وكشف في سنة ١٩٢٩ عن انسان بكين. عندما عثروا على بقايا من جمجمة يعود عمرها إلى ثلاث مائة ألف سنة بعد انسان جاوه إذ قد بلغ حجمها. ثلاثة أرباع حجم متوسط الجمجمة المعاصرة للإنسان البالغ العمر. كما كشفوا عن أدوات بدائية بالقرب من منطقة الكشف = وقد اكتشفت آثار وبقايا جماجم في أوروبا والجزائر وشمالي العراق وهذه الأخيرة قدر أنها لمائة ألف عام. وهي قريبة جداً من جمجمة الإنسان الحالي.

وقد قسم العلماء المختصون وجود الإنسان على الأرض من خلال ما وجدوا لثلاثة أحقاب. فكان انسان جاوه لأكثر من نصف مليون سنة. ثم انسان بكين لحوالي ثلاثمائة ألف سنة. حتى نزل الى حوالي ـ ٣٥ ـ ألف سنة أو ٢٨ ألف سنة وما دونها الى ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد وأنه صنع الإبرة ذات الثقب وخاط بها الجلود. وكان يلبس الجلود وخيوط وصلها منها منذ سبعين ألف سنة.

إذا فهل ان آدم الأب الأول لهذا الإنسان الحالي كان أباً لإنسان جاوه. أم لإنسان بكين. أم لإنسان شمال العراق ؟ أم أن آدم جاء في الحقب الأخير لثلاث وعشرين ألف سنة ؟.

لقد استعملت الأدوات ونقشت الرسوم على جوانب الكهوف منذ مئات الألوف من السنين. فهل كان آدم الأب الأول لجميع بني البشر. أم أنه الحقب الأخير ؟ علم هذا عند ربي وطالما أن هذا صحيح أي أنه كان يسكن الأرض بشر منذ نصف مليون سنة. فإن من استفسر من الملائكة عن المستخلف في الأرض. كان لمشاهدة الملائكة لذلك الإنسان الذي كان يسفك الدماء. ويفسد في الأرض ولنعد للآية الثلاثين من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿واذ قال ربك

للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة. قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال اني أعلم ما لا تعلمون﴾.

فمن هذا أن الملائكة وهم الذين لايذكر عن موتهم. انما في علمنا أنهم أحياء حياة الدنيا حتى اذا نفخ في الصور صعق من في السموات ومن في الأرض. إلا من شاء الله فأخره أو أنه كان في حياة بعد موت وعلم ذلك عند الله.

فالملائكة وقد شاهدوا الإنسان الأول. انسان جاوه، الذي أفسد وسفك الدماء ثم أهلكه الله. واستخلف انسان بكين تحت مراقبة ومشاهدة الملائكة. ثم أفسد وسفك الدماء. فأهلكه الله ثم أخبر الملائكة بعد فترة مرت بأنه سيستخلف على الأرض خليفة. فقالت الملائكة. أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء. فقال تعالى: ﴿اني أعلم ما لا تعلمون﴾ وذلك أنه خلق آدم. على عقل أوسع ثم نفخ فيه من روحه ليكتسب الصفة الأفضل. ويعمل العمل الأمثل.

وقد ذكر المفسرون قبل ظهورآثار انسان بكين أو انسان جاوه. أنه كان يسكن الأرض قبل آدم من يسمىٰ الجان أو الجن أو البن. فأفسد وسفك الدماء فأهلكه الله. ثم سكن الأرض أمم أخر. فأهلكهم الله بعد فسادهم. ثم أراد الله لآدم أن يعمر الأرض.

وخلق الله آدم وعلمه الأسماء وأسجد له الملائكة. وقد نال الشرف الأكبر لأنه صنعه الله بيده. ونفخ فيه من روحه. وليس النفخ من جبريل إنما القصد من روح العلي القدير. حيث أودع في الإنسان هذا العقل الواسع. وهذا الإبتكار البديع فاستحق الإنسان آن يستخلف في الأرض. وأن يعرف ما يعرفه سواه من دون الله. وملك الأرض وعرفت الملائكة لِمَ اختار الله الإنسان ليعمر الأرض.

لقد كان أسلافنا الأول يجهلون ما كُتِبَ صنعه على يد الإنسان. وأن نفخ الله فيه من روحه ليس عبثاً. ونحن شاهدنا ما صنع الإنسان ونحن قد عرفنا انسان جاوه وانسان بكين ترىٰ هل كان ايماننا أكثر أم كان ايمانهم أعمق ؟

آدم الأب الأول للبشر

ان آدم كان بالنسبة للبشر الأب الأول. وربما جاء بعد مستخلفٍ سابق في الأرض. وأنه أخفق في اكتساب رضاء الله. وكثر فساده فأهلكه الله.

ثم شاء خلق آدم فشرفه بأن خلقه بيده. ونفخ فيه من روحه. فكان العقل من حاصل

النفخ ثم علمه ماهية المسميات بعد علم مسماها. وزوده الحكمة مع ذلك العقل، فتميز الإنسان عن غيره من المخلوقات.

يقول جل القائل في سورة الرحمن الآية/٣٣: ﴿يا معشر الجن والأنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يرسل عليكما شواظ من نارٍ ونحاسٌ فلا تنتصران * فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ الآلاء هي النعم التي أسبغها الله على الإنسات خاصة. وأهمها نعمة العقل والعلم. اللذّين اذا استغلهما الإنسان لصالح الإنسانية وحسب. لوجد السعادة على الأرض في هذه الدنيا قبل الآخرة. وبهما السلطان المقصود من الله جل وعلا. أكان تفسير هذا للدنيا أو في الآخرة. وفيهما السلطان الذي يصل الإنسان بواسطته الى ما لا يصدقه عقل من لم ير هذا الذي نراه.

ان آلاف السنين التي لم نتمكن حتى الأن من تحديدها قد مرت على الإنسان وهو لا يملك السلطان الذي يرفعه الى ما وصل اليه من مخترعات واستغلال لذلك السلطان حتى هذا العصر القريب منا. فقد وصل الآن بمائة عام الى ما لايدركه بعشرات أو مئات أو آلاف الآلاف من الأعوام التي سبقت. فإذا فكر الإنسان بمليون عام مضت على جده الأول فقد يستكثرها ويستبعدها وله الحق بذلك فإن الإنسان يتعب فكره وجسمه من انتظار ساعة واحدة في انتظار شيء قد وُعِدَ به. والله جل وعلا يقول في سورة المعارج في أولها ﴿سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من الله ذي المعارج * تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة * فاصبر صبراً جميلاً * إنهم يرونه بعيداً * ونراه قريباً * يوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن * ولايسئل حميم حميماً﴾.

ربما ينام المرء في تعب ونعس وصحة في شبابه أربعاً وعشرين ساعة ويستيقظ فيظن أنه نام فترة وجيزة. فهذا العقل المفكر الحاسب المدقق هو الذي يتأثر بالزمن في الطول والقصر.

لقد استدل أهل العقول المؤمنة بقرب قيام يوم الدينونة من هذا الذي هم فيه فإن ملايين السنين قد مرت على هذا الكوكب مثلاً والناس في شبه ضياع حتى بدأ إستيقاظهم بهذا القلم الذي علم الله به الإنسان ما وصل اليه.

ان أول آية نزلت من القرآن الكريم على محمد ﷺ هي أول سورة القلم وهي قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

ثم بدأ في كل يوم يحقق بعض رغباته أو معطياته من هذا القلم، وان كان هناك من نحت وصور. واخترع الزجاج مثلاً ولم يقرأ ولم يكتب. فإن ملك العلم والمعرفة هو القلم الذي بدأ يضاعف المعرفة والصنع بِعَدٍ هندسيٍ بأن يضرب مثلاً واحد بخمسة. وخمسة بخمسة. وخمسة وعشرين بخمسة وعشرين وهلم جراً.

وكما قال تعالى في سورة طه الآية/١٥: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزىٰ كل نفس بما تسعىٰ﴾.

وكما قال الشاعر:

اذا تم شيء بــدا نقصـه   تـرقب زوالاً اذا قيل تم

ان سلطان العلم قد استخدم جبروت المادة، فنفذ مابين أقطار الأرض والكوامب التي هي ما بين السماء والأرض، يريد أن يكتشف مجهولها، ويتأكد من معلومها وهو الآن في بداية الطريق، ويريد أن يبتعد كثيراً ويكتشف أكثر، وهو في سباق مع الزمن، وربما وصل الى كثير مما يصبو اليه.

ولكن المعلوم من الآية الكريمة اذا فسرنا قصد الآية من الله في هذه الدنيا أن النجاح محدود وأن الإنسان سيوقف تجاربه واختباراته لأن الله جل وعلا يقول في تمامها أي الآيات التي في سورة الرحمن: ﴿يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا * لاتنفذون إلا بسلطان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران * فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ الانسان الآن يعمل ويجد وعمله مشكور، فالعلم نور، والنور خير من الظلام، والله جل وعلا قد استخلف الإنسان ليعمل في هذه الأرض على سطحها وفي جوفها ويطير ما بين السماء والأرض وهذا حلم الأجيال السالفة، وفعل الأجيال الحاضرة.

قرأت كتاب الملك سيف بن ذي يزن في صغري. . وكنت أعاود قراءته مرات ومرات، وكم كنت أقرأ عن السحرة وقتالهم أشد نفسي الى الكتاب كي لا أمنع عنه حتى تنتهي المعركة المختلقة طبعاً فهذه وتلك الحراب الملتهبة. والمردة يتراجمون بالنيران، والأسرة عليها الكهان، وجرار النحاس تحمل السحرة هذا كله كنت أعرف أنه سخافات تصورها كاتب منذ ألف عام بل ومائتي عام فوقها فنسج منها تلك القصة وأنا الآن أراها وأقرأ عنها.

التلفزيون يرينا كيف تخرج المدافع شهباً تتلاحق مع بعضها. ويرينا القنابل وهي تتفجر فتحدث ذلك الدخان الكثيف، ذاك بعض ما تخيل الكاتب.

وركبنا الطائرة وارتفعنا في الأجواء فانتقلنا من بلد الى بلد أبعد مما تصور الكاتب بكثير وكثير حتى ولو بحلمه. ورأينا ما لم يتصور ذاك الكاتب.

وهبط الإنسان على سطح القمر، على سطح ذاك الذي تصور المحب وجه الحبيب كهو كهذا الذي هبط الإنسان على سطحه ومشى عليه وداسه بأقدامه، ومضى الإنسان الى أبعد وأبعد طالما أن الله يسمح له بالمسيرة، فقد رأي أن القمر قريب فلا بد له من الأبعد، وسار نحو الأبعد.

ليت أن الإنسان يسمح ويتعاون مع أخيه الإنسان، ويترك الغاية المرذولة التي هي حب النفس والجبروت واستعباد الإنسان الآخر في عقله وأرضه وبيته وولده.

يقول جل وعلا في سورة الفرقان الآية/٢٠: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون﴾؟ لن يدع الإنسان الإنسان يعمل الخير حتى يقف له مانعاً وواعدا، ولربما أن الانسان يعمل الشر يظنه الخير فهذه جائزة نوبل هل هي خير أم نتيجة شر انها ولا شك تحمل وتجمع الغايتين الخير والشر. وكما قال تعالى في سورة الحديد الآية/٢٥: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ ومن يدري فلربما كان قيام الساعة على يد هذا الإنسان. بأمر الله يقول جل وعلا في الآية/٣١ من سورة المدثر: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾. وان من أهم جنود الله هذا الإنسان، أكان على مخلوقات أخرى أم على نفسه.

ويقول جل وعلا في الآية/٩٦ من سورة الصافات: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ وهو المادة التي تصنعون منها أصنامكم ونقول الآن، وأسلحتكم وأدوات علمكم.

لقد خلق الله جل وعلا آدم بيده. ونفخ فيه من روحه. وقد قال تعالى للملائكة قبل خلق آدم بما ذكر لنا في سورة الحجر الآية/٨٢: ﴿واذ قال ربك للملائكه اني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكه كلهم أجمعون * إلا ابليس * أبى أن يكون مع الساجدين﴾.

لقد أسجد الله جل وعلا الملائكه لآدم تكريماً لهذا الإنسان، وليكون منهم اقراراً بعجزهم عن الوصول الى ما وصل اليه، مع أن ذلك السجود كان لاختبار الملائكه بعد استفسارهم الذي كان قبل خلق آدم فاجتاز الملائكه الإختبار. وسقط الشيطان.

لقد رأى الله جل وعلا ابليس يطوف بآدم قبل أن ينفخ فيه الروح، مرات ومرات، كالفاحص وقد روى مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما صور الله آدم في الجنه

تركه ماشاء الله أن يتركه، فجعل ابليس يطوف به، ينظر ماهو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك».

ولذلك اختبر الله ابليس مع الملائكه فغلب عليه الكبر والحسد فأبى السجود، فكان أن طرده الله مما كان فيه من قرب. فطلب المهل. فأمهله الله لشخصه فقط بالحياة والبقاء حتى قيام الساعة حيث يموت. وكل هذا بتقدير الله تعالى ليكون العداء بين آدم وذريته. والشيطان وذريته وفيه أن يكون كلاهما محك اختبار للآخر وقد سقط الشيطان في الاختبار الأول عند أمر الله له بالسجود، ولم يثبت آدم لمكيدة الشيطان.

لسنا ندري هل على هذه الكواكب البعيدة التي نراها والتي لم ترها حتى اليوم مخلوق يعيش على المادة وأنه صنع منها أم لا ؟ وأن له عقل وتفكير وغاية كهذا الانسان.

لم يصل حتى الآن الى علم الإنسان الباحث علم شيء من ذلك، وإن لم ينفه لأنه لم يتصل حتى الآن إلا ببعض تلك الكواكب، ولم يتم فحصها إلا ما كان من القمر والشمس.

ففي الانسان سر كبير، لم يصل هو حتى الآن إليه، فان هذا الإنسان لم يخلق لكي يأكل ويشرب ويتلذذ كتلك الحيوانات، ثم يموت ويفنى.

لقد أعطي الانسان هذا الشكل الجميل وهذا العقل العظيم ليعيش أبداً تحت رعاية خالقه، وموجده، فلا يمكن لصاحب هذا العقل أن يعيش هذا العمر القصير كما تعيش هذه الحيوانات عشرات السنين يقضي معظمها بالآلام والأسقام. ثم يموت ويفنى.

فمن فكر وجد أن الأرض للانسان والعيش عليها انما هو، مرحلة اختبار كما ذكر لنا الله جل وعلا ذلك في كتابه المنزل ففي سورة هود الآية/٧: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام * وكان عرشه على الماء * ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ وآيات القرآن الكريم كثيرة في مثل هذا القصد.

فالإنسان أسمى من استعباده لبعضه. وأسمى من حيوانيته التي يتقمصها في حالات شهوته المحرمة، أو غضبه الحاقد. أو انتقامه المريع. أو حتى الوصول الى مأربه، فيخلع انسانيته. ويلبس صورة الوحشية التي يراها في الوحوش، أو سورة الغضب.

فمشيئة الله جل وعلا أن تكون الأرض التي هيأها كي يتسطيع الانسان العيش عليها فتكون له مزرعة اختبار، يتوالد عليها هذا الانسان وينمو ويتكاثر، ويكون نموه في جسم مادي

قد حوى المواد الدافعة، الى وجهة ما تنتج بكيميائيتها. أو فيزيائيتها، الى تفكير أو عمل في أحد الخطوط المرسومة، بتصوير غير مرئي، وان تلك المواد الدافعة، في حالات فرح تنتج شيئاً وفي حالات حزن تنتج شيئاً، وفي حالات غيرها تنتج شيئاً، وكل هذا يُتم المقدر من الله قبل خلق الانسان، فإن الانسان الذي كرمه الله بسجود ملائكته. بعد خلقه بيده. وميزه بالنفخ فيه من روحه عن جميع مخلوقاته، وخاصة تلك الحيوانات التي جعل الله أكثرها للإنسان طعماً، وهي التي بكلمة الله قال لها كوني فكانت، وأودعه السر العظيم، وهو الروح المنفوخ من الله جل وعلا.

ان البيئة التي يعيش فيها الانسان ومن الظروف التي تتواجد، مع القول أو الفعل، عند صدوره كالصحة والغنى. أو الفقر والمرض، والدافع المعاكس. وتقدير الله جل وعلا يكون الحادث من قول أو فعل. وللقول أو الفعل جزاؤه، والجزاء من جنس العمل، حيث يعرض على ميزان الشرع الذي جعله الله رادعاً أو مشجعاً. وقد نفخ الله في هذا الانسان العقل المميز. وكل ما في الانسان. من نعم.

حواء المرأة أم بني آدم

هي من عطاء الله، وذلك فيما قسم الله له بتقديره، أكانت النعمة في الجسم صحة أو شكلاً أو جمالاً في المنظر، او عقلاً، أو علماً، أو كانت في الرزق، أو البيئة والجماعة.

وأراد الله الخير للانسان وأمره به وكره له الشر ونهاه عنه، وجعل الموت نهاية العملين. بعد أن سجلهما. بعلم فوق علم الانسان الذي يسجل به وقد أخبرنا الله بهذا منذ أربعة عشر قرناً ففي سورة الجاثية الآية/٢٩: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾.

وقد عرف الانسان الباحث تسجيل الله جل وعلا ولكن الانسان الأخير. كأبيه الأول، يطمح وينسى وقد ذكرنا قول الله جل وعلا للملائكة بما جاء في الآية/٣٠ من سورة البقرة وما بعدها وسنعيد تلك الآيات: ﴿واذا قال ربك للملائكه إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالاتعلمون * وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم * قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال الم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ ثم خلق الله جل وعلا لآدم زوجه من أجزاء من أضلاعه، ففي

الآية الأولى من سورة النساء قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقو ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء * واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا﴾ وفي سورة الأعراف أيضاً قوله تعالى في الآية/٩٨: ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة * فمستقر ومستودع﴾ وربما قوله وخلق منها زوجها أي أن تكون من جنسه وخلقه.

آيات تدل على أن الله جل وعلا خلق الذكر أولاً، ثم خلق منه الأنثى، فالبعض يقول كما في كتاب العهد القديم بأن الله خلق المرأة حواء، من ضلع آدم، والبعض يفسر تلك الآيات على أن خلق المرأة من نفس المواد التي خلق منها الرجل، وعلى كل فقد حوى جسم المرأة جل ما حواه جسم الرجل، ومن كليهما يتم بعون الله واذنه تكوين المولود.
وباختلاف بعض أجزاء جسميهما. أعظم الدلائل على عظمة الخالق المبدع. مع أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق الناس، وفي ذلك قوله تعالى في سورة غافر الآية/٥٧: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس * ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾

وبالتفكير بالذكر والأنثى، وباشتراكهما في تقديم المواد الى معمل التوالد، وفي هيام كل منهما بالآخر، ثم سكونه إليه لآية عظيمة كما قال تعالى في سورة الروم/٢١: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعلْ بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.

وسكن آدم وحواء الجنة وعاشا عيش السعادة والبراءة يسكن اليها وتسكن اليه. ولم يعرفا بعضهما بغير ذلك، وقد مر معنا أن الله جل وعلا بعد أن خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه أمر الملائكة بالسجود فسجدوا إلا ابليس وكان من الجن أبى السجود لآدم، وقد اخبرنا الله جل وعلا عن ذلك في سور كثيرة ونذكر قوله تعالى في سورة الأعراف الآية/١١: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين﴾ [من هو ابليس؟] وفي الآية/ ٥٠ من سورة الكهف قوله تعالى: ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾.

لقد نظر ابليس الى آدم بعين الحسد لأول مرة عندما علم أن الله صنعه بيده، ثم زاد حسده عندما قال جل وعلا أنه سينفخ فيه من روحه. وأهم من هذا. أن يأمر الله الملائكة

بالسجود له. فلم يتسع جوف ابليس لتحمل تلك الكرامات التي أعطيت لمن يظن أنه أعظم منه شرفاً فإنه فضل النار على الطين. والله فضل الطين على النار، فلما أمر مع الملائكة بالسجود لآدم أبى السجود، ووقف يحاجج ربه، ويتكبر على آدم، فطرده الله جل وعلا، من رحمته. فقال بما أخبرنا الله من سورة الأعراف تتمة لما سبق: ﴿قال انظرني الى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين * قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين ايديهم. ومن خلفهم. وعن أيمانهم. وعن شمائلهم، ولاتجد أكثرهم شاكرين * قال اخرج منها مذؤماً مدحوراً لَمَنْ تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾.

واستحكم بغض آدم في قلب ابليس وبدأ يكيد له، وخاصة، عندما رأى آدم يعيش مع زوجته في رحاب الجنة، لا يخشى شيئاً، ولا يعرف المساءات، ولا المؤلمات، وقال الله تعالى: لآدم تتمة القصة ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوأتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾.

خبر عن الجنة

لقد حذر الله جل وعلا آدم من مكر ابليس وأخبر أنه عدو له ولزوجه، كما أخبرنا بذلك في سورة طه الآية/١١٧: ﴿فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك * فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى﴾.

لقد سكن آدم الجنة مع زوجته دهراً يعلمه الله اذ أن من سكن الجنة لا يعرف الهرم ولا يعرف تغير نفس أو جسم أو ملل أو سقم. فقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه».

وروى مسلم أيضاً عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينادي مناديا أهل الجنة: ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً.»

فاذا كان هذا حال الجنة فلن يعلم أحد مدة بقاء آدم في الجنة، ثم جاء ابليس، ولم يكن أهبط الى الأرض، فجعل يتحايل حتى دخل الجنة، هذا ظاهر القول من الناس، ولكن الله جل وعلا لم يخلق آدم ليسكن الجنة ويخلد فيها، فقد خلقه كما سبق ليكون خليفة في الأرض ولم يكن عيشه في الجنة الا ليتعلم ما لابد من تعلمه فهي مدرسة آدم، تلقى فيها عن ربه الكثير حتى

تم القدر، وحصل السبب، وهو عصيان آدم لربه حيث أكل من الشجرة وكان أكله سبب النزول الى الأرض، واستحكم العداء بين الانسان وعقبه وبين الشيطان وعقبه وهكذا حتى تحصل الخبرة ويعود الانسان الى المنشأ بعد الموت، وليجزى كل انسان بعمله فان للجنة أهلاً وللنار أهلاً، والجميع يطلبون ما خلقوا لأجله، فأهل النار يشترونها باموالهم وبعرقهم، وبجهدهم واجهاد أجسامهم، وأهل الجنة يحاربون أنفسهم، ويكبحون شهواتها ويشترونها أيضاً بعرقهم وجهدهم واجهاد أنفسهم، في سبيل فعل الخير، ومكافحة الشر.

وان الله جل وعلا جعل الإنسان طويل مدى الطفولة، فان الله حفظ آدم في الجنة حتى يتمكن من فهم مالابد منه، والأهم من كل هذا. ان الله جل وعلا قدر كل ما كان وحصل لآدم قبل أن يخلق آدم بكثير وكثير.

ففي حديث رواه مسلم عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: احتج آدم وموسى عند ربهما. قال موسى أنت آدم، الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته. وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك الى الأرض؟.

قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجياً، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟

قال موسى بأربعين عاماً. قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال: نعم. قال: أفتلومني على أن عملت عملاً، كتبه الله علي أن أعمله. قبل أن يخلقني بأربعين سنة. قال رسول الله فحج آدم موسى ﴿وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ الآية/٤٧ من سورة الحج.

(الشجرة وآدم)

ان الله جل وعلا أسكن آدم الجنة، وسمح له أن يأكل من جميع أثمارها الا شجرة بعينها. فقد طلب منه أن لا يقربها أو أن لا يأكل منها. وله في الجنة العيش الرغيد. والعمر المديد السعيد مع زوجته. وكلاهما نهيا عن الأكل من تلك الشجرة، ويقول تعالى في سورة البقرة في الآية/٣٥: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة. وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة، فتكونا من الظالمين﴾ ولكن آدم مع زوجته لم يستطيعا الثبات، تجاه اغراء الشيطان، فقد ذكر الله جل وعلا ما كان بينهما وبين الشيطان من محاورة وجدال وذلك كما مر في سورة الأعراف الآية/٢٠: ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماوري عنهما من سوأتهما * وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ لقد ذكر الشيطان هذا

لآدم ولحواء، ولكن آدم قال لحواء ألم تعلمي أن الله قد أخبرنا بأن هذا عدو لنا ؟ فقالت حواء لابليس أتقسم على هذا. فعرف أنه وصل الى طلبه. وأسرع باليمين وكما قال تعالى يتم القصة لنا: ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ فلما ذاقا الجشرة وأكلا منها ظهر المستور عنهما. وبدا لهما ما لم يعرفاه من قبل، ويذكر الله جل وعلا ذلك في تمام القصة ويقول: ﴿فدلاهما بغرور * فلما ذاقا الشجرة، بدت لهما سوأتهما * وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة * وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.

ماهي الشجرة التي نهى الله آدم عن الأكل منها ؟

لقد سكن آدم الجنة دهراً يعلمه الله فاذا رأى الشجرة تباعد عنها، فأتاه الشيطان عن طريق المرأة فرغبها وانطلت عليها حيلته، فجعلت تزين لآدم الأكل منها، وهو يرفض حتى تم القدر وأكلا من تلك الشجرة.

واختلف العلماء عن ماهية الشجرة، ونوعها، فَكُلٌّ قال برأي، وكتاب العهد العتيق يقول انها شجرة المعرفة، معرفة الخير من الشر، ويذكر الله الشجرة في القرآن الكريم وحسب (ونقول) بقولين الأول، ان تلك الشجرة تخالف معلوم شجر الجنة، فشجر الجنة لا يخرج طعامه من مخرج طعامنا في الدنيا، انما يخرج من الجسم عرقاً برائحة ذكية فقد روى مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون، ولا يمتحطون» قالوا فما بال الطعام ؟ قال: «جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النَّفْسَ» وعندما أكلا من الشجرة أراد المأكول منها الخروج كما هي عليه أطعمة الدنيا ولم يكن هناك مخرج فبدت في جسميهما آلام لم يعرفاها أبداً، وجعل ما في المعدة يطلب الخروج واشتد الألم وصار الطعام كالقيح في تنحية المخرج، وجعل يفتح لنفسه طريقاً، لأيام ذاقا فيها مرارة الألم، ونتيجة المعصية، وكان الشيطان يتلذذ بصراخهما، وعويلهما، وعرفا ذل النفس وكانا يستغيثان بالله، ولم يقصدا غيره، حتى تم للطعام الخروج في عمليه جراحية وعرفا ما هي العورة، وطلب الرجل المرأة، وعاتبه الله جل وعلا وتاب عليه ولكن بشرط هو كما قال تعالى في تمام القصة: ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين، قال فيها تحيون، وفيها تموتون، ومنها تخرجون﴾.

وهكذا كانت الخطيئة المقدرة من الله تعالى لتؤدي الأغراض الآتية وهي أولاً اعمار الأرض بآدم وعقبه، ثانياً: العداء بين ابليس وعقبه، وآدم وعقبه، ليكون الخير بمثل بساطة آدم

والصالح من ذريته، والشر ويمثله الشيطان والفاسد من ذرية آدم، وبتصارع الخير والشر يتم اعمار الأرض حسب مقدر الله قبل خلق آدم.

يقول تعالى في سورة هود الآية/١١٨ : ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجِنةِ والناس أجمعين﴾.

والخير والشر دائماً في صراع، وبذلك يتم اعمار الأرض، فإن الله جل وعلا قد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقها، ومنها أن آدم سيعمر الأرض، وان اعمارها يكون بكل شيء وضده، لسبب يعلمه جل وعلا فقط ونحن نتحدث بالتخمين فنقول ليصل هذا الانسان بغيرته ودفاعه عن نفسه، وبغاياته حتى وبشهواته، وفي سبيلها الى صنع المسميات التي أراها الله لآدم والملائكة.

وفي الحديث الذي رواه الترمذي. وأبو داوود وأحمد عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال: «ان أول ما خلق الله القلم. فقال اكتب فقال ما أكتب قال أكتب ما كان وما هو كائن الى الأبد».

«من هو الشيطان؟»

اذاً فالخطيئة مقدرة قبل أن تكون. وان ابليس قدر له أن يرفض السجود لآدم قبل أن يخلق آدم، وقبل أن يؤمر بالسجود لآدم.

ولنذكر ونتحدث عن ابليس وهو الشيطان الأول وربما هو من شياطين قدماء وقدماء يقول جل وعلا في سورة الكهف الآية/٥٠ : ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه، أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو. بئس للظالمين بدلا﴾.

اذاً فابليس من الجن، وذكرهم الله في جميع كتبه المنزلة. وانهم خلقوا من النار. فقد قال في سورة الرحمن الآية/١٤ : ﴿خلق الانسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار﴾ والملائكة والجن لا يمكن للانسان العادي أن يراهم في الحياة الدنيا هذه وقد قال في سورة الأعراف عن ابليس وفصيلته الآية/٢٧ : ﴿انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم * انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون﴾ ولا نستغرب هذا فإن الكثير من المخلوقات ترىٰ ليلاً ولا ترىٰ نهاراً. حسب تكوينه، ولكل مخلوق خواص يتميز بها.

لقد عاش آدم وحواء في الجنة عمر العسل فلا كدٌّ ولاتعب. ولاضنك ولاهم ولاحزن. ولا أولاد في حب بريء لاتشوبه شائبة. حتى دخل حياتهما ابليس الذي غرر حواء التي بدورها قادت زوجها الى ذواق الشجرة ثم أكلا منها. فتغير عليهما المضغ. وتغير على المعدة الهضم. وكانت الأمعاء التي لم تخرج الطعام من قبل تُسَرِبُ الطعام رويداً رويداً بآلام لم يعرفاها من قبل لأيام حتى نجحت العملية بعد آلام قاسية. وعرفا العورة وعرفا عيبها وقد دنسا أرض الجنة التي لاتعرف الدنس. ولايمكن أن تقبله.

وكان الشيطان يرقبهما ويخرج لسانه لهما امعاناً في التشفي والكيد لهما وهما في حالة لاتسمح لهما حتى في الكلام. وندما حيث لاينفع الندم. وكان الدرس قاسياً.

لقد كان الله ينظر الى مُقَدَرِهِ، وهو يعلم كل شيء. فالله جل وعلا يحب الإنسان الطيب ولكنه يخرجه من الرحم في تعب وألم. ويخرجه من الدنيا في تعب وألم.

وكان آدم وحواء يستغيثان بربهما طوال مدة العملية. ويعرفان أن الإنقاذ عند الله. واستجاب الله بعد تمام العملية ويقول تعالى في سورة الأعراف/٢٢: ﴿وناداهما ربهما ألَمْ أنهكما عن تلكما الشجرة. وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾.

ذاك العتاب من الله. وتمام القَدَرِ من الله للإهباط. وهداية القول لآدم كانت من الله. وأخبرنا تعالى عن هذا بقوله في سورة البقرة الآية/٣٧: ﴿فتلقىٰ آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾.

ان الله جل وعلا يعلم مُقَدَّرَهُ. فقبل التوبة من آدم. وشرط الإهباط المقدر الذي لا يعرفه ابليس ولا يعرف سر هذا الحسد الذي يجول في صدره. ويحيك به المؤامرات ضد هذا الرجل المادي المرئي البسيط المتقلب القلب في يومه وليله. الذي يلقي جسده في لحظة واحدة بجميع ما يحويه من مادة عندما تخرج الروح وتترك الجسد المادي. فهي هناك في مكان يعلمه الله.

ترى أين الجنة

لقد عرفنا الأرض وأبعادها. وعرفنا أن البشر منذ خلق آدم حتى يومنا هذا وحتى تقوم الساعة لو خرجوا دفعة واحدة واجتمعوا على صعيد واحد كما دلت الكتب السماوية وأحاديث الرسول ﷺ لما استطاع أحدهم أن يجد مكاناً لقدمه ولو مدت الأرض كبساط.

ويقول جل القائل في سورة آل عمران الآية/١٣٣ : ﴿وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ كما قال أيضاً في سورة الحديد الآية/٢٠ : ﴿وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، أعدت للذين أمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

اذاً فالجنة أعظم مما يمكن أن تستوعبه الأرض بملايين المرات. هذا اذا عرفنا أن جسم الإنسان في الآخرة سيكون بحجم جسم آدم ستون ذراعاً، وحواء بأربعين ذراعاً وقد وردت الأخبار بذلك وعمر كل واحد ولو كان سقطاً أو شيخاً هرماً ثلاثون عاماً. فأين الأرض من الجنة. ؟

الحية دابة من دواب الأرض. تسعىٰ لعيشها كما يسعىٰ كل من على الأرض من حشرات وهوام ووحوش، وهذا الإنسان سيد الأرض وقد عاشت على الأرض قبل الإنسان بكثير من الزمن ولها أنواع كثيرة تأكل من حشرات الأرض وطيورها وكل ما تستطيع بلعه وهضمه. وتدافع عن نفسها بكل ما جعل الله فيها من قوة دفاع، وتبث سمها فيمن يمكنها أن تقتله. والحشران السامة كثيرة كما هو معلوم. ويعادي الحية كل من يخاف على ولده ونفسه منها فالطير الجارح ما يكاد يرىٰ حية حتى ينقض عليها من الجو فيحملها مهما كانت ويرتفع بها ويلقيها، فإذا كانت ثقيلة المحمل يضربها بمخلبيه حتى يجعلها قطعاً ويأكلها. وجميع الطيور تعاديها وتقتلها ان استطاعت.

وأما ذوو الناب من الثعالب وأبناء آوى والقطط فلا تتركها أبداً. ويذكر أن بقر الوحش حتى ولو كان مطروداً يقف ليقتل الحية بأظلافه.

ان الإنسان ليعلم خطر الحية ويبغضها ومع ذلك يعلم أن الحية لاتقصده بشر الا اذا قصد شرها فنفسه تكره رؤيتها لما أدخل في روعه منذ الصغر بوجوب قتلها فما هي قصتها مع حواء يا ترىٰ ؟

الإهباط من الجنة كان مقدراً قبل خلق آدم

كان الإهباط من الجنة بتقدير الله السابق قبل خلق الإنسان. لأن الإنسان لم يخلق ليعيش في الجنة حتى يؤدي دوره في الحياة على الأرض. فيصنع ما سيصنع ويتم دوره ثم ينتقل الى حياة أخرى وأماكن أخرى يشتريها في حياته الدنيا. وفي حياته الدنيا يخطط لها بلا ريب.

يقول جل القائل في سورة عبس في الآية/١٦ وما بعدها: ﴿قُتِلَ الإنسان ما أكفره * من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره * ثم اذا شاء أنشره * كلا لما يقض ما أمره﴾.

ان خلق الله لآدم واسكانه الجنة في بدء حياته. وأمر الملائكة بالسجود له. والنفخ فيه من روح الله لأن هذا الإنسان أضعف المخلوقات في صغره، وثانياً ليكون تلميذ الله في بدء حياة هذا الإنسان الأول. ثالثاً لتكريمه ورفعه الى ما يستحق من اكرام ورابعاً حتى يتمكن الشيطان جهداً من النيل منه ويتمكن العداء الذي يكون سبب رجولة الإنسان. ومعرفة عدوه. ويعرف الجنة ويشتاق اليها وكثير من الأسباب ذاك الذي سبب الإهباط الى دار الإختبار. فلا خطيئة ولا مُخطيء الا والقدر من الله سبق ليتم الله ما أراد.

الإهباط الى الأرض بسبب الخطيئة التي قدرها الله ليعرف آدم زوجته حواء فينجبا الأبناء الذكور والإناث وليتكاثر الجميع على هذه الأرض دار الإختبار. فلا حاجة للفداء أبداً. لأن الله جل وعلا يقول: ﴿اذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان ما لها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحىٰ لها * يومئذ يصير الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾.

فأبناء آدم هم الذين يصنعون تلك المخترعات التي أراد الله لهم صنعها وهي التي أراد أن تكون لحاجة هي التي أراد الله لهم أن يصنعوها يباهي الله بذلك الملائكة.

والأرض دار الخبرة والإختبار. الجوع إلى طلب أي شيء من الطعام. والطعام يحتاج الى العمل والعمل يحتاج الى الحركة والتعب. والكسل يثبط همة الإنسان، ولذلك يسعىٰ الإنسان الى الوصول الى الطعام بأقل جهد ممكن، والآخر يسعىٰ الى نفس الشيء ويكون النزاع على شيء يسميه المسمي الطاغوت.

النفس تشتهي كل لذيذ وممتع. وكل نفس تشتهي ذلك. ولا يوجد تكافؤ في جمال الشيء ولذته حتى والمتعة فيه، والجميع يسعىٰ للحصول عليه. على نفس الشيء فيكون النزاع. على شيء يمكن تسميته الطاغوت.

المال الجمال التسلط. المال بأنواعه من نساء كما في الماضي وحتى في الحاضر. والبنين والذهب والفضة والخيل والقصور والبساتين وكما قال تعالى في سورة آل عمران الآية/١٤: ﴿زُيِّنَ للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ ثم يقول تعالى لرسوله قل لهم وأخبرهم عن الأفضل وقل هذا يتابع فيه: ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها. وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾.

ان ما عند الله من متاع ولذائذ أفضل بكثير من متع الدنيا فهذه متع لاتدوم. ولايمكن دوامها، أما المتع التي عند الله للمتقين من عباده فتلك متع دائمة. يرافقها رضاء الله فلا تتغير ولا تتبدل. والنساء في الآخرة لايحضن ولا يتسخن ولا يبلن ولا يتغوطن ولا يتمخطن ولاينفلن كما مر في الحديث. فمتع الدنيا كما قال لبيد بن ربيعة:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

إلا نعيم الجنة فإنه يدوم كما قال عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

وبكى آدم لفراق الجنة. وبكت حواء ولم يطل الأمر حتى نسي آدم الجنة ونسيت قبله حواء. ورضيا بمتع الدنيا حتى وبالجهد في الحصول عليها. واستمر عيش الدنيا. وجعلا يسعيان لنعيم يستعيضان به عن نعيم الآخرة. ومن وصية الله لآدم وأبنائه تتمة القصة في سورة الأعراف ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما. ليريهما سوأتهما. انه يراكم هو وقبيلته من حيث لاترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون﴾

ولكن الأنانية لم تَرْضَ بالمقسوم. ولم ترضَ بما يصل اليها صاحبها بالطريق السوي. فخاصم الحقّ صاحبُها ليرضيها. وبعد الخبرة تبين لنا أن الأنانية مع كل فرد. ومع كل جماعة. وقل من لاتوجد الأنانية فيه بل توجد ولكن صاحبها يتغلب عليها بالعدل من نفسه لنفسه ومع الناس. وهؤلاء أهل الصلاح والإصلاح. ومنهم الأنبياء والصديقون.

الجنة. بل الجنان التي جعلها الله. بل خلقها الله كثيرة يتميز بعضها عن بعض. فهناك جنة عدن وهناك الفراديس. وكما قال ﷺ: «اذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى». ولنحدث عن الجنة بما أخبر الله وأخبر رسوله. ومعنىٰ الجنة الأرض المغطاة بالشجر. يقول جل وعلا في سورة آل عمران الآية/١٣٢: ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون * وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ ثم نذكر بعض وصفها من قوله تعالىٰ في سورة الرعد الآية/٣٥: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبىٰ الذين اتقوا وعقبىٰ الكافرين النار﴾.

ثم يذكر لنا جل وعلا ماءها فيقول في سورة محمد ﷺ الآية/١٥: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير أسن. وأنهار من لبن لم يتغير طعمه. وأنهار من خمر لذة للشاربين. وأنهار من عسل مصفىً ولهم فيها من كل الثمرات. ومغفرة من ربهم. كمن هو خالد في النار وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعائهم﴾؟.

الجنة فوق الوصف فما وصفت يرى أهلها الأكثر كما قال تعالى في سورة ق الآية/٣١: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد * هذا ما توعدون لكل أوّاب حفيظ * من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب * ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود * لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد﴾.

ان جميع الكتب المنزلة تذكر أن الإنسان الصالح خلق لغير هذه الأرض. فهذه الأرض وقد عرفنا أبعادها لاتتسع لسكنىٰ مواليد مائتي عام يعيشون دون موت أحد منهم. فكيف بمواليد عشرات الألوف من السنين، وسيعيش الإنسان بجسمه لامحالة. وذلك الجسم كجسم آدم الأب الأول والمرأة بجسم حواء المرأة الأولىٰ. وان أكثر من مائتي آية في القرآن الكريم تذكر هذا كناية وتصريحاً. ولنذكر آية منها في سورة الواقعة الآية/٤٧: ﴿وكانوا يقولون ءاذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءانا لمبعوثون أو أباؤنا الأولون قل ان الأولين والأخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ وفي سورة مريم الآية/٦٦: ﴿ويقول الإنسان ءاذا ما مت لسوف أخرج حياً★ أو يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾.

آدم خليفة الله في أرضه أو مستخلفه أو الإنسان وبذوره

نزل آدم الى الأرض ونظر اليها فرأىٰ الأشجار والورود والأزهار. هذا وان لم يكن لما كان في الجنة مساوياً فقد رغب إليه وطلبه اذا لم يأتِ اليه. فإن ثمر الجنة لايحتاج الصعود اليه فالجنة كما قال تعالىٰ في سورة هل آتى الآية/١٤: ﴿ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً﴾ وفي سورة الحاقة الآية/١٨: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه * انب ظننت اني ملاق حسابيه * فهو في عيشة راضيه * في جنة عالية * قطوفها دانية * كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ لقد صعد إلىٰ الشجر يطلب الثمر. ولم يجد جميع الشجر الذي كان يراه في الجنة. وقنع بما وجد وفكر بأن يصنع جنة وجنات كما كان يرىٰ. وكان المطر على الأرض أكثر مما هو في أيامنا هذه والمياه كثيرة، وهذا بعد أن تأكد أن العودة الى الجنة في الحياة هذه لن تكون. ولم يكن رأىٰ ميتاً من حيوان أو سواه ولم يعرف كيف هو الموت.

وبدأ العمل ولكن الثمر لم يدم والأوراق في أكثر الشجر لم تدم. فقد انتهىٰ أمر العنب والتين. وبدء يبحث عن طعام جديد فالجنة التي كان فيها غير الجنان التي رأىٰ.

الأرض قد خصها الله بعيش المخلوق المادي على سطحها. وهيأ له منها سبل عيشه. وكانت الجنة لآدم مدرسة رأىٰ فيها ما حوله فأعجبه. ولما نزل الى الأرض فكر أن يصنع مثل الذي رأىٰ. وبدء العمل بإلهام الله ليعمر الأرض بقدر الله الذي خلق الإنسان بحسبه.

كان آدم في الجنة وكانت ذريته بصلبه بذوراً. لم تدب فيها الحياة. ولكنها شعرت بما كان. وعرفت أنها من خلق الله ويقول جل وعلا في سورة الأعراف الآية/١٧٢: ﴿واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى. شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين﴾ كان آدم يمثل ذريته حياً قائماً. وكانت ذريته في الصلب. وبالإحساس والشعور الغيبي. أحست الذرية بالمحيط الذي كانت فيه، أو عاشت فيه فترة من الزمن.

لقد استخرج الله ذرية آدم من صلبه. وجعلها أمامه ثم سألها جُملة. ألست ربكم ؟ وأجابت بالتصديق وصلها السؤال بالإحساس، وردت الجواب بالإحساس. وكيف وصلها السؤال أجابت بمثل ما وصل اليها والأمر هذا يسير فنحن نضع الراديو في غرفة مغلقة تماماً ويصل الينا الصوت تماماً.

روىٰ الإمام أحمد عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان[٣٨] يوم عرفة. فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها. فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلىٰ شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين﴾. ورواه أيضاً النسائي في كتاب التفسير.

هاهو الإنسان يعرف أنه لم يكن شيئاً ثم كان. ويشهد أنه مخلوق. ويعرف أنه عاجز وضعيف ومع ذلك يبحث ويطلب أن يرىٰ ربه والله جل وعلا لايُرى في الحياة الدنيا فقوانين خلق الإنسان تقف حائلاً بين الإنسان وبين شيء قريب منه جداً ولايمكن له أن يراه.

الإنسان يريد أن يرىٰ ربه الذي خلقه رغم ايمانه بالرسل وقرائته الكتب المنزلة من ربه فهذا ابراهيم الذي أنقذه الله من النار وجعلها عليه برداً وسلاماً يسأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتىٰ

(٣٨) نعمان جبل يصل منه الماء إلى عرفة.

ففي سورة البقرة الآية/٢٥٩ : ﴿واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتىٰ. قال أولم تؤمن ؟ قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي * قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ وهذا موسى طلب الى الله الرؤيا فلما تجلى الله للجبل تدكدك الجبل. وطلب بنو اسرائيل رؤية الله جهرة. وصنع الناس الأصنام والتماثيل لما يعتقدونه الهاً لهم رغم نهي الله للناس عن صنع تلك التماثيل. والنصارى رغم ايمانهم بكتاب العهد القديم. أقروا صنع التماثيل لقديسيهم حتى ومن اعتقد منهم بألوهية عيسىٰ عليه السلام صنع تمثال عيسىٰ ومريم فهو يريد أن يرىٰ الله مجسداً.

لقد تأكد الإنسان العاقل أن لكل شيء صانعاً. فهو يصنع بعقله ويرى صنعه الذي صنعه. فيعرف نفسه أنه من صنع صانع. بل ويعلم العاقل أن صنعه كان من نتاج عقله وانما جسمه أداة صنع وحسب.

اذا جلس الإنسان وفكر بحجمه ونظر الى هذا الذي صنع من فن في البناء وفن في الرسم والجسر وهذه المخترعات الحديثه بجميع أنواعها. وفكر أين عقله الصانع ؟.

لابد أن يكون جوابه انه معي ولا يمكنني أن أراه. ويعلم أن هذا الكون الواسع الكبير له صانع والصانع في هذا الكون فكيف يُرىٰ صانع الكون ؟ وصانع صنعتي في ملمس يدي ولا أراه ؟.

وتمسك آدم بالحياة ورغب اليها رغم علمه بأفضلية الجنة. ولو استطاع أن يدفع الموت عنه لدفعه وأبعده. ففي حديث رواه الترمزي. وصححه الحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح على ظهره. فسقط كل نسمة خالقها الى يوم القيامة. وجعل بين عيني كل انسان وبيصاً من نور ثم عرضهم على آدم. فقال أي رب من هؤلاء ؟ قال ذريتك. فرأىٰ رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه. قال أي رب من هذا؟ قال ابنك داود. قال أي رب كم جعلت عمره ؟ قال ستين عاماً. قال رب زده من عمري أربعين سنة. قال رسول الله. فلما انقضىٰ عمر آدم الا أربعين وجاءه ملك الموت. فقال آدم أو لم يبق من عمري أربعون. قال ألم تعطها أبنك داود فجحد آدم وجحدت ذريته. ونسي آدم وأكل من الشجرة. فنسيت ذريته. وأخطأ آدم وأخطأت ذريته».

الأرض مرزعة يتوالد عليها الإنسان. ينزل من بطن أمه عاريا. ثم يكسىٰ. ينزل من بطن أمه جائعاً فيطعم. ينزل من بطن أمه لايعرف شيئاً فيتعلم مايزمه. ثم يتعلم مالايلزمه. ويبدأ

الفعل حسب ماتعلم أو حسب الذي فكر به. ويكون فاعل خير أو فاعل شر. أولا يقصد هذا ولا ذاك. ولكن يفعل المقدر عليه. أو المقدر له. شاء أم أبىٰ.

ان المقدر ربما كان لأفراد. أو لجماعات. ربما لفرد. ربما لأمة. وقد قال تعالىٰ في سورة الأعراف الآية/١٤٩: ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا. ومن بعد ماجئتنا * قال عسىٰ ربكم أن يهلك عدوكم. ويستخلفكم في الأرض. فينظر كيف تعملون﴾.

ولكل أمة أجل تعيشه بعزٍ ومنعة. وربما استعبدت غيرها من الأمم. وتحضرت وحضرت. وربما استعبدت. فعاشت أجلاً في الذل والصغار. حتى تمر فترة المقدر وربما يرىٰ المصلحون أمتهم تنهار أخلاقها ويحاولون الإصلاح. ولكنهم لايستطيعون الإصلاح. فهذا أشعياء ينظر الى بني اسرائيل. تنهار أخلاقهم. فيصرخ ويصرخ ولايجدي صراخه شيئاً. ولم يجد صراخ أنبياء بني اسرائيل. ويذهب مجد سليمان. ويستعبد الإسرائيليون ثانية. ويقول تعالىٰ في سور كثيرة من القرآن الكريم ومنها في سورة الحجر الآية/٤: ﴿وماأهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم * ماتسبق من أمة أجلها. ومايستأخرون﴾.

الأرض دار اختبار لهذا الإنسان الذي خلقه الله بيده. ونفخ فيه من روحه. وأسجد له الملائكة وأسكنه الجنة كمدرسة. ثم جعله يعمر الأرض تلك التي خصها الله لاختباره من بين ملايين الكواكب. ليتوالد عليها. وليفعل الخير والشر. وقد عَرَّفَه جزاء الخير. وعرفه جزاء الشر. ثم أراه الورد وبذوره. وأراه الشوك وبذوره. وعرفه نفع هذا وضرر هذا.

ثم يموت الإنسان ليخلفه ولده. ويموت الولد ليخلفه ولده وهكذا حتى تمر جميع بذور هذا الإنسان بمراحل الإختبار تلك. وينتهي دور الجميع. ثم يكون البعث والحساب. ويقرر سكنىٰ كل واحد في المكان الذي بناه في حياته الدنيا. ويخرج الناس كلهم من آدم وحواء. حتى يجتمعوا الى آخر بذرة من بذور الإنسان. التي كانت في يوم في صلب آدم. وأستودعت فترة في رحم حواء. وأنتقلت في الأصلاب.

يقول جل القائل في سورة الحج الآية/٥: ﴿ياأيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب. ثم من نطفة. ثم من علقة. ثم من مضغة مخلقة. وغير مخلقة. لنبين لكم ونقر في الأرحام مانشاء الىٰ أجل مسمىٰ. ثم نخرجكم طفلاً. ثم ليبلغوا أشدكم. ومنكم من يُتَوفَّىٰ. ومنكم من يُرَدُّ الى أرذل العمر. لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً. وترىٰ الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء أهتزت وربت. وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ ثم يتم البيان بالأية السادسة ومابعدها: ﴿ذلك بأن الله هو الحق. وأنه يحيي الموتىٰ وأنه على كل شيء قدير * وأن الساعة

أتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ يبعث الإنسان في جسم آدم وكان طوله ستين ذراعاً. ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة قال قال: رسول الله ﷺ: «خلق الله أدم على صورته طوله ستون ذراعاً. فلما خلقه قال أذهب فسلم على أولئك النفر. وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع مايُحَيُّونك. فإنها تحيتك. وتحية ذريتك. فذهب فقال السلام عليكم. فقالوا السلام عليك ورحمة الله. قال فزادوه ورحمة الله قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم. وطوله ستون ذراعاً. فلم يزل الخلق ينقص حتى الأن». ثم يكون بعث الناس من موتهم بعمر لايتجاوز الخامسة والثلاثين الذكر والأنثىٰ الصغير والكبير حتى السقط الذي تما في بطن أمه أربعة أشهر. وقيل أن طول المرأة سيكون أربعين ذراعاً ثم يكون الحساب وينتهي في يوم مقداره خمسون ألف سنة. هو يوم واحد على صعيد واحد. يتم الحساب. فكم يكون مقدار عيش الدنيا ؟.

ثم يكون الجزاء من عمل خيراً جوزي بالخير وكما قال تعالىٰ في سورة الزمر الأية/٧٣: ﴿وسيق الذين أتقوا ربهم الى الجنة زمراً. حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها. وقال لهم خزنتها سلام عليكم. طبتم فادخلوها خالدين * وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ ومن عمل الشر. جوزي بمثله في الأية/٧٢: ﴿قيل أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها. فَبِئْسَ مثوىٰ المتكبرين﴾.

لقد نزل آدم الى الأرض. وذكر أنه أهبط بأرض. وأهبطت حواء بأرض. وجعل يبحث عنها وتبحث عنه حتى التقيا هناك في أرض عرفة في جبل الرحمة. وكان اللقاء حاراً. ونسيا العتاب ثم شكيا لبعضهما مرارة الفراق. ولم يفترقا بعد حتى الموت.

كانت الأرض آنذاك بكراً على الأقل ألاف السنين. وعيشه ذاك طبعاً قبل التاريخ والتأريخ. ونسي آدم كل شيء عن الجنة. وبقيت بأفكاره كحلم. وبدأ يبتكر بعض ماراىٰ في الجنة وَأُنْسِيَه أبتكاراً. فإذا سأل سائل كيف ينسىٰ. يكون الجواب من الذهول. وتغير المحيط فالأرض عامرة بالوحوش من مختلف أنواعها وكان يعيش بينها بحراسة الله. وكان أقوىٰ جميع تلك الوحوش جسماً. وساد عليها بعقله. وأستمرأ آدم العيش على هذه الأرض. ولم يعد يرىٰ الملائكة ولا الجن وبدأ يعيش بقوانين حياة هي غير تلك التي في الجنة.

لقد كان آدم أول نبي وليس بمرسل ففي الحديث الذي رواه أحمد عن أبي ذر قال قلت يارسول الله أي الأنبياء كان أول ؟ قال: «آدم» قلت يارسول الله ونبي كان ؟ قال: «نعم نبي مكلم» قلت يارسول الله كم المرسلون ؟ قال: «ثلثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً».

لقد سكن آدم الجنة واستطاب العيش لأنسه بزوجته التي عرفها ربما قبيل الهبوط بعد الأكل من الشجرة وربما بعد الإهباط والإجتماع. وولدت له الأبناء من ذكور واناث. وللضرورة لزم زواج الأخ لأخته. وذكروا أن الولادة كانت توائم ذكراً وانثىٰ. وليس في هذا ضرورة فربما كان البطن هذا بذكر والأخر بأنثىٰ والله أعلم أي ذلك كان.

ولم يكن هناك مايعكر عيش آدم. فالأرض لاينازعه عليها منازع والماء كذلك. والثمر يطلبه حيث يوجد. وسَيرّ معه أولاده حسب مايتلقىٰ من توجيه ربه. ولم يكن حقد ولابغضاء ولاخصام. الا مايحصل بين آدم وأولاده من جهة. وبين بعض الوحوش من جهة ثانية لأن سبب الخلاف لم يكن معروفاً أنذاك. ولامعرفة لهم بالشر وأدواته. وربما بدأت بعض الحيوانات الضعيفة تأنس به. وتحتمي به من شر أكلتها. وقد هيأ الله أسباب العيش الكريمة على هذه الأرض من ثمر ونبات. حسب العيش البدائي فإن آدم لم يزرع ولم يحرث الأرض. ولم يذعن له الثور.

قصة قابيل وأخيه هابيل

ترىٰ هل كان آدم أول من مات على هذه الأرض والجواب لا ـ لأن ابنه هابيل قد مات قبله لأسباب قالوا عنها بالتخمين. وهي قريبة من العقل. فقد ذكروا أن توأم هابيل لم تكن جميلة كتوأم قابيل. أو أن قابيل كان أكبر سناً من هابيل ورأىٰ أمه وهي تلد بأخته توأم هابيل ورأىٰ عليها الدماء فكرهها. ولم يقبل البدل مع أخيه فيأخذ هذا توأم ذاك وذاك يتزوج توأم هذا. وهذا تشريع الله لآدم في حينه وقد مات هابيل قبل والديه. ولهابيل وقابيل قصة في كتاب الله وكتاب العهد القديم. وقد جاء في كتاب الله في سورة المائدة قول الله تعالىٰ في الآية/٢٧: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الأخر. قال لأقتلنك. قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك. اني أخاف الله رب العالمين * اني أريد أن تبوء بإثمي واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين * فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال ياويلتىٰ أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي. فأصبح من النادمين * من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أوفساد في الأرض. فكأنما قتل الناس جميعاً. ومن أحياها. فكأنما أحيا الناس جميعاً. ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات. ثم ان كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾.

والقصة كذلك في كتاب العهد القديم. وهي أوسع من هذا ولكن لم يرد للغراب ذكر. وفي

ذكر الغراب ودفنه لأخيه دليل على أن قابيل لم ير دفن ميت. فهابيل أول ميت على الأرض ويالالأسف كان موته قتلاً. والأشد أسفاً أن يقتل ظلماً. والأمَرُّ من ذلك أن يكون الظالم أخوه وكما قال الشاعر «وظلم ذوي القربىٰ أشد مضاضة على النفس من ضرب الحسام المهند» وكما روىٰ الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتقتل نفس ظلماً الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها. لأنه أول من سن القتل».

لقد نال الشيطان أولىٰ أمنياته من آدم. وعكر عليه عيشه قبل أن يفارق الدنيا. ولم يدر أنه لم يفلح لأن القدر كان هذا. وصبر آدم لفقد ابنه. ونال الأجر. على صبره. وزادت اللعنة على أبليس أضعافاً. وماالحياة الدنيا الا متاع الغرور.

كان هذا أول فوز للشيطان على آدم خارج الجنة. فأحرق قلب آدم وحواء على ولديهما. أحدهما بموته. والأخر بموت انسانيته. وخسر قابيل قلوب اخوته لأنهم لم يعودوا يرون فيه أخاً لهم كما هو الأخ. فعاش منبوذاً مكروهاً محتقراً في قلوب الجميع.

ومات آدم بعد ذلك وماتت حواء. ولاندري أيهما مات قبل صاحبه. وقد خلفا الأبناء من ذكور واناث. ويقال بأن آدم عاش على الأرض ألف عام. وفي كتاب العهد القديم عاش تسعمائة عام وثلاثين عاماً. وعلم ذلك عند ربي. وقد سبق الحديث بأنه عاش ألفاً.

ان آدم لم يحب الموت ولو استطاع لدفعه. وأوصىٰ أولاده بما أوصاه الله وأوصاهم ففي سورة الأعراف كما مر معنا قوله تعالىٰ: ﴿يابني آدم لايفتننكم الشيطان. كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوأتهما. انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم. انا جعلنا الشياطين أولياء الذين لأيؤمنون﴾.

لقد حصل بين قابيل وهو الأخ الأكبر وبين هابيل الأخ الأصغر تضارب مصلحة. فمن قائل وهو ماعليه الناس ان الله جعل لآدم شرعة وهي أن يزوج ابنة البطن الأول لإبن البطن الثاني. وابنة البطن الثاني لمولود البطن الأول. ويظهر أن أخت قابيل كانت أجمل في عيني أخيها من شقيقة هابيل. فلم يقبل بذلك التبادل. فطلب اليهما آدم أن يقربا قرباناً يحتكمان فيه الى الله. وقربا قربانهما مما حصلا عليه من ثمر أوصيد. وقد ذكر أنه من الضأن لهابيل. ومن المزروعات لقابيل. ولكن هذا لم يكن في ذلك العهد والله أعلم. وتقبل الله من هابيل اذ نزلت نار من الأعلى وأخذت قربان هابيل ولم تأخذ قربان قابيل. فتوعد هذا أخاه. ولكن أخاه جعل يعظه. وينهاه عن الشر ولم يزده الا تمادياً في بغيه. وصبر الصغير. ونفذ قابيل ماوعد أخاه اذ تركه نائماً ليس عنده أحد فأخذ حجراً رضخ به رأسه فأماته. فحمله خوفاً عليه من الوحوش التي شمت

الرائحة فقصدته. ولم يكن رأىٰ ميتاً يدفن. وطال حمله والوحوش تتبعه ويخشىٰ عليه منها حتى بعث الله غراباً يحمل أخاً له ميتاً فجاء الى أرض سهله فبحث في الأرض حفرة وارىٰ فيها أخاه فقال قابيل: ﴿ياويلتىٰ أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين﴾ لقد خسر القاتل الباغي دنياه المضيئة كما خسر آخرته.

وفي نتيجة ذلك يقول جل وعلا: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض. فكأنما قتل الناس جميعاً. ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات. ثم ان كثيراً منهم من بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾.

ان وصية الله لأبناء آدم كما مر في آية الأعراف قوله تعالىٰ: ﴿يابني آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوأتهما. انه يراكم هو وقبيلته من حيث لاترونهم. انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون﴾.

الإنسان يرىٰ في دنياه ويسمع ويحس ويتذوق ويشم بحسب قوانين الحياة التي جعلها الله له يعيش بها في حدود حاجته. ولكن بعض المخلوقات. على الأرض ترىٰ وتبصر ليلاً ولا ترىٰ ولاتبصر نهاراً. كالخفاش والبوم والقنفذ والكثير من مخلوقات الله.

والملائكة خلقهم الله من النور. يتشكل حسبما يشاء الله له أن يتشكل بروحه على بذرته التي لانعرف عنها شيئاً. ولا يمكن للإنسان أن يراهم حسب قوانين عيشه كما قلنا. والجان خلقهم الله من مارج من نار. وهو الذي يخرج مع لهبها. وله خاصيته كذلك كالملائكة يرىٰ ولا يُرىٰ. يتشكل حسب خواصه المقدرة له. ولا يراهم الناس العاديون. وربما رآهم بل ورآهم الأنبياء والمرسلون بسبب من الله وخاصية فيهم ولكن بأوقات محدودة بمشيئة الله. وربما توجد مخلوقات نراها نحن وترانا، وترىٰ الملائكة وترىٰ الجان أيضاً.

لقد كان اهباط آدم وحواء وابليس إلى الأرض. ونظن أن الجن كانوا على الأرض قبل أن يصير اهباط آدم وابليس. انما كان ابليس يمكنه الصعود الى الأعلىٰ حيث يشاء ثم منع من ذلك بعد هبوط الثلاثة. وبدأ التطاحن على الأرض بين الخير والشر بين الطاعة ثم عكسها لتعمر الأرض بالحب والبغض ـ والأمن والخوف. والعدل والظلم. والقوة والضعف. والجمال والقبح. والغنىٰ والفقر. والوفاء والغدر. والعلم والجهل. والتسامح والحقد. وهكذا بالشيء وضده يتم اعمار الأرض والوصول الى الغاية المرجوة بل المقدرة من هذا. وهو ما كان وما يكون.

كان النكل على آدم وحواء مراً. وسألا اخوة هابيل عن أخيهما فلم يعرفوا أين غاب فقد

كانت الأرض خالية الا من الوحوش بجميع أنواعها. وسألا أخاه فأنكر علمه به. ولكن سحنته فضحته وعرفت الحقيقة والقصة. وأصبح قابيل منبوذاً من الجميع. وكرهه حتى والداه وجميع أبناء آدم وأبناءهم. واعتبروه كتلك الوحوش التي يرونها كل يوم يقتل بعضها بعضاً ويأكل بعضها بعضاً. ويرون حالة المغلوب وصراخه بين يدي الوحش الأقوى. فعاش قابيل مع زوجته منبوذاً في رحاب الشياطين.

الناس لم تعرف الزرع في القرون الأولى أوالأحقاب الأولى من وجود الإنسان على الأرض وكان الإنسان يعيش على ثمار الأشجار التي يجدها و على النبات الذي يستطيبه أو يستسيغه أما الصيد فربما قلد به الوحوش ففعل مثلهم فأكل اللحم نيئاً.

حياة الإنسان في بدئها على الأرض

وربما استأنس الضأن بالإنسان مبكراً حتى يحتمي به من شر الذئاب التي يقتل أحدها العشرات من الضأن كأنه يحقد عليها. ورضي الإنسان منها وأرضاها وجعل يأخذ منها حاجته ويحمي بقيتها لربما كان الضأن كالغزلان في سرعة الجري فلاطفه الإنسان حتى استأنس به تماماً.

ترى بماذا ستر الإنسان جسمه وعورته لابد أن هذا كان بورق الشجر أولاً. ولكن ورق الشجر لايدوم. فكان شعر الرأس أول ساتر بعد ورق الشجر. ثم الأعشاب والحشائش حتى استعمل الشعر والصوف.

ان الشعر والصوف أقرب شيء الى لإنسان فالصوف اذا مرت عليه سنة ولم يجز فإنه يتناثر بنفسه والشعر كذلك فلبده الإنسان أو جعله خيوطاً في وقت مبكر. وكم مضى عليه من الدهر حتى استطاع النسيج لاندري ربما لآلاف السنين أما التلبيد فهو أقرب الى الفطرة.

لقد نسي آدم كل ما رأى في الجنة من عمل. أو أنه لم ير الا الأشجار والأطيار وما شابه وعلى أية حال فإن الوحدة والضياع اللذين لقيهما بعد النزول ورؤيه الوحوش الضارية وصراعها وأكلها لبعضها كل هذا قد أنساه كل ما رأى في الجنة وأصبح يحتاج الى كل شيء ولكن لم يستطع أن يفعل شيئاً لأنه لايجد الكيفية ولا الممارسة. أو لم يفكربصنع شيء.

ووجد الكهف فأواه مع عائلته أو بعضها وبدء البحث عن الكهوف وظلال الصخور فإن البرد يؤلم الإنسان مهما كان الإنسان جباراً. أما الحر فإن ظلال الأشجار كفيل بالحماية منه.

وتباعد أبناء آدم عن بعضهم لسبب طلب الطعام والمأوى. وربما مشى كل صغير مع والديه حتى تزوج وصار له من الصغار ما يؤنسه ويتمكن معه من حماية الأسرة.

العدو دائماً هو المعلم لعدوه على ابتكار أسباب الحماية والتدرج الى الأفضل وابن آدم بقي في جماعات طالما هو بحاجة الى الحماية من الوحوش الكاسرة.

ويدأ التدرج عند الإنسان بتوسيع اللغة وتطويرها لقرون بعد قرون أمماً صغيرة وكثيرة تنتشر في كل ناحية من الأرض. وبدأت اللغات بعد أن كانت لغة واحدة تتعدد.

ان كلام آدم على الأرض غير الذي كان في الجنة أو ربما أنسي الكلام وبدأ الكلام من جديد مع أسرته وأولاده فحاجتهم على الأرض غير حاجتهم وحاجاتهم في الجنة. وبدأ استنتاج الكلام حسب طلبه فيما بين الناس وتوسعوا فيه. ويتباعد الناس كما أسلفنا بدأت الأمم وتعددت اللغات وكلما طال الزمن وتباعدت الناس صعب التفاهم. واحتاجوا الى من يترجم لهم.

فمثلاً كان العرب في قلب بلادهم أهل لغة غنية بالألفاظ والمفردات وذلك لقدمها العميق بعهود سحيقة وكانت بلادهم مغلقة من جميع جوانبهاوغنية بمائها في واحاتها. وكانت جميع جوانب بلاد العرب غابات كثيفة لايمكن العيش فيها حتى ويصعب عيش الوحوش فيها، وكثيرة الثلوج.

كانت بلاد العرب كثيرة الأمطار. وذات أنهار دائمة الجريان حتى عهد الطوفان. وحدث بعد الطوفان أن تغير نظام الأرض وتغيرت الأجواء. وأصبحت بلاد العرب جلها صحارىٰ.

وروىٰ الإمام مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتقوم الساعة حتى تعود بلاد العرب جنات وأنهاراً».

ثم بدأ الطوفان بفترة قد لاتزيد عن قرن أو قرون قليلة يحدث الجفاف ويكثر وربما تتابع لسنوات فترك بعض الناس يتتبعون منابت الشجر في أطراف البلاد ويتوسعون فيما بين الغابات ليجدوا أخرين من أمم أخرىٰ يفعلون كفعلهم فيحدث القتال فيما بينهم أو التفاهم أو يتسلط قوم على قوم وبعد قرن أو أقل من ذلك تتغير لغة الطرفين لاختلاطهما أو لتعاملهما. ويصير التباعد عن اللغة الأم. وبعد فترة آخرى من السنين تصير المحول في الصحراء فتخرج موجات أخرى لتصل الى ما وصلت اليه الموجات الأولىٰ التي غيرت في لغتها فتختلط معها وتطور لغتها الى لغة آخرىٰ تحوي كلمات من اللغة الأم، وكلمات من لغات الأمم الأخرىٰ التي خالطنها.

ان مئات الكلمات المشتركة بين كل من اللغة الآرامية واللغة الكلدانية واللغة العيلامية والأكادية والعبرانية والحبشية واللغة الأم اللغة العربية.

ومن هذا ومثله تعددت اللغات فلا شيء ولا دخل لبابل في تبلبل الألسن وما ذاك القول الا من خيال الكاتب الذي جعل الله يخاف من أبناء آدم فبلبل الألسن وفرق الأمم، وصدق الناس في الماضي فهل يحق لهم التصديق اليوم ؟ وهذا هو الإنسان يرود الفضاء من كوكب الى كوكب.

ترىٰ ماهو حال الله وقد رفع الناس بنيانهم أكثر من ثلاث مئات من الأمتار. وصعدوا في الجو بطائراتهم الحربية آلاف الأمتار. وأطلقوا المركبات الفضائية والأقمار الصناعية. والصواريخ عابرة القارات. ترىٰ أين عقول أولئك الذين يقرؤون هذا ويقدسونه. لقد أنزلوا الرب الى الأرض ونظر فعل الناس فخاف منهم ففرقهم. ومن ثم بلبل السنتهم فصاروا بلغات كثيرة فلم يعد يخشاهم. أفٍ لتلك العقول ان من تتبع مجلة المعرفة. وجد الصحيح من عيش الإنسان ببدئه. وحتى الأن نرىٰ في الصحراء والأصح منذ نصف قرن من الزمن من لايعرف الخبز. ومن لايشرب الماء في السنة مرة أو مرات. بل يعيش على الحليب. ولا يأكل الا القليل. ولا يستأنس بغير أهله. أو معارفه الأقربين. ولايعرف أدوات الحياة الا تلك التي يدافع بها عن نفسه. أو تلك التي تستر جسمه. ولا يكاد المرء يفهم من كلامه الا النزر اليسير.

لقد تعددت اللغات في القرون الأولىٰ، لوجود الإنسان على الأرض لأن مطلوب العيش كان يوجب التباعد. يبحث عن الصيد ويبحث عن الثمر والفاكهة. وحتى عن الأعشاب والنباتات ليأكل من كل ما تصل اليه يده. ويستطيع أن يأكله. وهذا لايوجد في مكان واحد. ويعيش عليه شعب. فكل أسرة أو بطن من الناس يمشي وينتقل سوية حتى يحمي نفسه من الوحوش الكثيرة في تلك العصور السحيقة.

واستعمل الصوف. من جلود الضأن والماعز وبدأ يستر بها نفسه. ويستعملها لدفئه وهذا قبل استئناس الضأن. فقد كان الإنسان يصطاده قبل استئناسه. واستأنس وأخذ منه اللحم والصوف. وبعد ذلك أخذ منه الحليب. وربما كان يرضعه كصغاره حتى استعمل الإناء وعرف كيف يحلب.

اللهجة تتغير بين قرية وجارتها. بل بين حي وحي. في المدينة أو القرية الكبيرة وكلما تباعد الناس عن بعضهم صعب وعسر التفاهم. وخاصة حينما كان الإتصال صعب المنال.

ثم تتغير الكلمات تماماً وتصبح اللهجة لغة. وتتكاثر الشعوب ومن هذا تكاثرت الشعوب منذ القرون الأولىٰ، ولربما كان آدم وحواء على قيد الحياة. ولايمكن ان نؤكد استعمال آدم الحبوب الا أن يأكلها من نبتها وشجرها، أي أنه لم يزرع ويحصد. ومرت قرون على هذا يعلمها الله حتى زرع الناس الحبوب. وحصدوها وجمعوا حبها وادخروه.

ومرت قرون حتى بنىٰ الإنسان بيتاً. وجمع فيه أسرته. واحتمى به من الحر والبرد. ومن الوحش. ومن المعلوم والمؤكد أن الإنسان احتمىٰ بالبحيرات في ليله بل ونهاره من الوحوش الكثيرة الكاسرة. فهذه الذئاب في عصرنا هذا تتجمع بالمئات في أيام الشتاء الكثيرة الثلج وتهاجم القرىٰ. رغم وجود الأسلحة الفتاكة. وقد هاجمت القطر البرية الحديدية. تثب على نوافذ القطار. والقطار يحصدها حصداً. ففي سنة ألف وتسعمائة وسبعة وعشرين هاجمت الذئاب قطار الشرق السريع في أرض تركيا.

لم يكن تجمع الإنسان في السابق الآ لحماية نفسه من الوحوش. ولم يكن الإنسان على الإنسان خطراً، حتى تنازع معه على حدود الأرض.

لقد تاه الإنسان آلاف السنين. ولانخطيء عندما نقول عشرات الألوف من السنين فهذه افريقيا مثلاً، أو أمريكا قبل عام ألف وأربعمائة وخمسين عاماً. من كان يعرف عنها شيئاً ؟ ثم وجدت الآثار ولم يعرف الناس عنها. أو تعرف هي عن الناس شيئاً حتى حصل التعارف على تلك الطرق التعسفية ان الآية الأولىٰ من سورة الدهر تذكر الناس بأمر البحث عن هل ضاع الإنسان على الأرض بعد وجوده ؟ يقول تعالىٰ: ﴿هل أتىٰ على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ الإنسان هو آدم لم يقصد الله غيره عند هذا السؤال. وهل ضاع الإنسان بعد هبوط آدم الى الأرض. فإن آدم عليه السلام قد عَرفَّهُ الله كل مايجب. واراه كل ماسيصنعه أولاده. كما نرىٰ نحن اليوم تلفزة. وسأل الملائكة عن تلك المشاهد فعجزت الملائكة وفتح بصيرة آدم. ليذكر المسميات من تلك المشاهد وخرج آدم ظافراً.

وبعد الإهباط نسي آدم كل مارأىٰ. للأهوال العظيمة التي رأىٰ فيها بعد ونسي الجنة مع عيشها. ولم يبق منها ومن مشاهدها سوىٰ تلك التي شد اليها برباط الأنس. ودار الأرض يبحث عنها، حتى وجدها ونسي كل شيء. أي حواء.

وبدأ آدم الحياة من جديد. حسبما تقتضيه الحياة الجديدة. وكان كل عمل بدأ من ستر العورة يعتبر ابتكاراً. حتى الكلام ليس هو الكلام الأول. ولم تكن لآدم لغة خاصة به انما كلامه. غمغمة يبتكرها وتبتكرها حواء. وكان كلامه في الجنة بالإحساس. أو بلغة شاءها الله له عطاءً في الجنة حتى اذا هبط انسيها.

ليس هناك أسباب أو مبررات لوجود لغة كاملة لآدم. وفي عصر آدم بدأ ابتكار الكلام وكل من ترك آدم من أحفاده. جعل يبتكر لنفسه كلاماً. وكانت اللغات في القرون الأولى من حياة

الإنسان على الأرض. فقد كانت حاجة آدم مع بنيه مائة كلمة. وتباعد أولاده أو أولادهم وتوسعوا بالكلام لحاجتهم اليه وطال البعد وضاعت المائة كلمة بين ألف.

هل أتىٰ على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؟

البركان قد وجد على الأرض قبل الانسان بمئات الملايين من السنين، ولا ندري هل رآه الانسان عند هبوطه أم بعد ذلك بكثير ؟ وهل استعمل النار بعد هبوطه بقليل أم بعد ذلك بكثير؟ ان التفريق في الاجابة بين القليل والكثير يأتي بالظن والظن كما قال ﷺ: «القول بالظن أكذب الحديث».

ولكن لابد ان الانسان رأى البركان في القرون الأولى لحياته على الأرض، وأنه رأى النار وهي تشتعل من الصواعق أو من احتكاك أنواعٍ من الأشجار ببعضها، وأنه اشتم رائحة اللحم المشوي من احتراق لحم الحيوان في احتراقه في تلك النيران الملتهبة، دون أن يكون هناك من يفكر أو يستطيع أن يطفئها.

لم يكن الحصول على النار بالأمر الهين، فقد مرت على الإنسان عشرات القرون حتى استطاع أن يصل الى طريقة يشعل فيها النار وهي احتكاك الأخشاب اليابسة ببعضها، ثم من أحجار الصوان مع بعض أقطان النبات كالشيح وغيرها فقد رأى الشرر يتطاير بضرب حجر منها على أخرى، وطبعاً كل هذا لم يأت الا بالصدف حتى صار العلم والمعرفة قواعداً فأعطى العلم بعضه لبعض دفعاً ولكن ببطء شديد.

لم يكن الأمن مستتباً بين الناس بكلمة غاضبة أو مغضبة تشعل نار الحرب بين أبناء العم خلاف على فتاة قد يتسبب بهلاك قبيلة أو قبيلتين، فهذا رجل تعجبه مكانته في أهله، وتعجبه قوة جسمه فيجلس في حفل يمد رجليه بين الناس، ويقول من يستطع أن يضرب رجلي؟ فيقوم رجل آخر من قبيلة أخرى، يظن أن قومه في عز ومنعة كهذا الذي يمدد رجله، فاذا تركه يفخر ولا يرد عليه، انما يثبت قوله اذا سكت على تحديه فيخترط سيفه ويضرب الرجل الممدودة فيقطعها، وتشعل نار الحرب بين القبيلتين حتى يتفانيا، وهذا ومثله كثير وكثير جداً. ولن تمر سنة في قبيلة دون قتل عشرات من أفرادها.

الدولة بدء حضارة الانسان. ووجوده الحضاري

وكانت الدولة وهي الرباط المفقود للأمن والحضارة، وهي سبب معرفة الإنسان لنفسه ووجوده بعد ضياع لايعرف أمده، آلاف السنين أم عشرات الآلاف من السنين، أو مئات الآلاف من السنين حتى وملايينها فالعلم في هذا عند الله وحده.

ولكن بعض ما وصل علمه أن الضياع لايقل عن عشرات الألوف من السنين، والله جل وعلا يسأل الناس هل عندهم العلم عن الأحقاب التي ضاع فيها الإنسان؟ أو هل لهم أن يسألوا أنفسهم عن تلك الأحقاب فيقول تعالى في سورة الدهر: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ ؟ و(الحين) ليس له. أولها حدود فقد تكون ليوم أو لأيام أو لسنين أو لملايينها والأحقاب كذلك والأيام حتى كذلك وان كانت تحتاج الى اضافة. فقد قال تعالى: ﴿وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ وذلك في سورة الحج الآية/٤٧ وكذلك في سورة السجدة الآية/٥: ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ وقال أيضاً عن يوم الحساب في سورة المعارج في الآية/٤: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ فاليوم ربما يشمل أياماً وسنين وقروناً وأحقاباً والحقب كذلك فالله جل وعلا يقول في سور كثيرة ومنها سورة هود الآية/٦: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ وفي سورة الحديد الآية/٥: ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى العرش، يعلم ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ أيام ستة ترى ما هي تلك الأيام ؟.

يذكر جل وعلا أن اليوم عنده كألف سنة مما نعد، ويذكر يوماً مقداره خمسون ألف سنة فهل خلق السموات والأرض في ستة ألاف سنة مما نعد ؟.

ربما كان أمره بالتكوين في ستة آلاف سنة، أو في ثلثمائة ألف مع أنه كما جاء في سورة (يس) قوله وفي الآية/٨١: ﴿انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ ولكنه قال في سورة الروم الآية/٧ وسورة الأحقاف الآية/٢: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ فالأجل ستة أيام والحق في علمه الذي علم بعضه الإنسان.

لقد قال بعض المفسرين ان اليوم هو حقبة من الزمن تمتد ماشاء الله من السنين ثم يأتي بعدها حقبة أخرى تمتد ماشاء الله من السنين، وهكذا حتى تمر الأيام الستة. والعلم الصحيح لله تعالى.

لقد وجد الانسان نفسه بوجود الدولة، حتى ولو لم تكن الدولة عادلة، فانها تلزم لمعرفة الانسان نفسه والدولة عندها بدء التاريخ والدوله عندها بدء الحضارة، وعندها بدء التجارة الواسعة، وكانت عامة التجارة تبادل السلع أولها بين الناس (خذ) و (هات) الأخذ والعطاء في تفاهم على المقدار.

واحتاج الناس للمراسلة بالطلب والإعلام عن المرسل فجعلوا يرسمون الأشياء التي يريدونها أو التي يُعَرِّفُونَ بها المُرْسَلَ مع آخرين في قوافل من الحيوانات المستخدمة في نقل السلع مع رجال يستخدمون التحميل والتنزيل والحراسة حتى يوصلوها ويرجعوا ببدلها.

وبدأ الناس بالكتابة الأولى فيما يتفق عليه التجار فيما بينهم كما هي الشيفرة اليوم، ثم كانت الخطوط ليتعلمها الجميع من التجار، والكهنة وقواد الجيوش، وغيرهم، فكان الخط الهيروغليفي والمسماري، وتطورت خطوط الأمم والشعوب كما تطورت وتعددت اللغات.

العبادة

كان آدم عليه السلام يعبد الله وهو أول نبي لنفسه وأسرته، ولما تفرقت الناس من بعده فلا كتاب ولا معرفة بل عبد كل واحد ما أحب ورغب مع التصور أن الله في السماء وتلك هي الفطرة.

ولما صارت الدولة أرادت أن تجمع الناس على عبادة واحدة، فقد كانت لكل فخذ أو عشيرة اله تعبده، ويحدث في ذلك تخاصم العشائر مع بعضها، وكانت الحروب الأولى بين الناس لأسباب تافهة، ولكن الخلاف على العبادات أمر عظيم لايزال حتى في أيامنا هذه. أيام النور والمعرفة، وقد جمعت الدولة جميع من تحت حكمها في وعلى عبادة إله واحد، هو معبود القبيلة المتسلطة، وبطل الخصام في شعب. ولكن هذا صار في الأمم والشعوب والدول، فجعلوا حرب الدين سبباً للتوسع وتهيأ الناس لعبادة الأصنام، ومن الغريب أن يعبد الناس الأصنام. وآدم لايزال على قيد الحياة فهذا ادريس وقد كان في عهد آدم طيلة ثلاثمائة عام الا قليلا، وسعى لارشاد الناس وليردهم الى عبادة الله أليس هذا بغريب ؟ ترى ألم ير ادريس آدم عليهما السلام.

وبدأت الأعياد تتكاثر وتجمع الناس في قرى ومدن صغيرة. وربما سوروا حول قراهم ومدنهم ليردوا غائلة الوحوش عنهم، أو لربما غائلة بعضهم عن بعض، وكانت الأعياد أول جرثوم الفاحشة يتزين الناس ويتجمعون بزينتهم الرجال والنساء، وتدوم الأعياد ليومين ولأيام في رقص وشرب، ولا ندري أكان الخمر هذا في تلك العصور السحيقة أم لم يكن ؟.

وظهر في الناس أبطال ربما كانت بطولة أولئك في صراع الوحوش، وصيدها، وهذا كثير نرى صورة الملك يصطاد أسداً، فمثلاً صور الآشوريون غلغامش يهصر أسداً. وكثرت صور الأبطال ومن الحكماء من الناس كما نسمع أو نرى صور عشتار في كثير من آثار لبنان. وفي مصر تماثيل ايزس. وأوزوس وحوريس، وغير ذلك كثير. ثم عبدت تلك الصور، وسموها آلهة فمنها

للشمس وللنجم وللبحر، وللريح وللحرب، وللخصب وللحصاد، وتناسىٰ الناس ربهم، وتباعد الناس في جميع أنحاء الأرض وكما قال تعالى في سورة المؤمنون الآية/٧٩: ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون﴾ ويذكر ذلك أيضاً في سورة الملك الآية/٢٤: ﴿قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون﴾.

ربما كان آدم خلقه الله ليبدأ مسيرة جديدة هي غير التي كان فيه انسان العصر الحجري القديم وربما كان ذلك قد عمر الأرض قبل آدم وذريته، وبدأ آدم العصر الحجري المتوسط أو الحديث.

وذلك بعد العصور الجليدية التي يتعذر فيها عيش هذا الانسان الآدمي، واستعمل الانسان النار والنار موجودة منذ كون الله الأرض ففي البراكين معلوم النار وهي تنادي لرؤيتها من عشرات الأميال. واستعمل الإنسان النار وشوى اللحم. وبعض الخضار والفواكه ولم يطبخ الا بعد آلاف السنين حتى استطاع صنع الآنية. وطبعاً لم يهتد الى الخبز الا بعد ذلك ومن أراد التثبت فليراجع مجلة المعرفة. تلك التي جمعت الآثار وأخذت الأخبار الموثوقة، ولكنها تظن. أو أنها تؤكد أن الانسان هذا من سلالة انسان بكين. وانسان جاوه، ولا نسير بهذا الا أننا ننظر الى الانسان الأب الأول أنه كان منذ سبعين ألف سنة، ثم سكن الأرض. ومات آدم بعد أن ولد البنين والبنات وتاه أولاده بعد قرون أو بعد آلاف من السنين.

وحدثت زلازل. وتغيرات كثيرة في الأرض. وشاهدها الانسان هذا وذاق منها المر والمرار. ولبس الجلد. ومشى عارياً. وضاع الانسان دهراً طويلاً يقول جل القائل في الآية الأولى من سورة الدهر: ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا﴾.

ونظن أن الانسان بعد هبوط آدم ضاع على هذه الأرض. وان الانسان أقوى مما هو عليه الآن فقد رأيت بعيني في سنة ألف وتسعمائة وست وأربعين للميلاد قبراً في طريق حفر بداخل قرية، وكانت ساق الميت بطول متر وخمس سنتمترات، فقد أمسك به أطولنا ونصبه بجانبه فكان لآخر حقوه، ولم يكن يهمنا شيء من هذا لنحرص على البحث في أمره، وأصبح القبر في وسط الطريق.

وان سبب الضياع هو تفرق الناس كل واحد مع البطن الذي لا تزيد القرابة فيه عن خمسة أجداد، وتم هذا الأمر عشرات الألوف من السنين ان لم يكن أكثر حتى كانت الدولة، وبدا ضم البطون الى عشيرة فقبيلة، ثم كانت الدولة.

لقد وجد الانسان نفسه في الدولة، التي ضمنت له الأمن، وبحث عن الأعْرَفِ وتبنت الصالح من الأمور، وبدأ بذلك أول الحضارات، التي جعلت تتطور، وأخذت الدول من الشرق بعض حضارات الدول أو الشعوب من الغرب وصار التبادل، وعرف الانسان نفسه، وبنى المدن.

ان الانسان قد عرف نفسه انساناً متكاملاً في جسمه. وأخذ نقلاً عن أسلافه تاريخ من سبقه وأخذ عن معلميه بيان الطريق الواجب سلوكها. ليصل الى حقيقة وسبب وجوده. ثم وكيف ومن هو الموجد. لأن تلك الأسئلة لابد من طرحها على نفسه أو على أخيه من بني الانسان.

جاءت المعرفة أولاً من آدم لأبنائه لأن آدم أخذ العلم عن ربه، وذلك الخبر بما قد عرفنا الله على ألسنة رسله. وفي كتبه. ولا يقر لكتاب خالف العقل السليم. أنه أنزل من الله. ولنبحث عن هذا بدءاً من القرآن الكريم. لأنه الكتاب الأحدث عهداً والأثبت نقلاً من غيره، وقد خاطب الله فيه أهل العقول في أكثر من ستة عشر مرة بصريح القول ولفظ يا أولي الألباب، ومرات بأولي الأبصار والبصائر.

وَذكَرَ بالعلم وأهله بالكثير من الآيات للزوم العقل للعلم والعلم للعقل. وساءل في ذلك بقوله في سورة الزمر الآية/ ٩: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾ كما يقول في الآية/١٧ وبعدها من سورة الزمر: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها، وأنابوا الى الله لهم البشرىٰ فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ من هذا نذكر أن العلم وليد العقل. فالعقل أرشد اليه. أو أرشد اليه فعمل به.

الذين يعلمون خبروا الأمر وعلموه. ولكن نسائل أنفسنا. هل خالفوا العقل. أم سلكوا طريق رشده؟

والجواب ان الأمر بين. وذلك أن الله جل وعلا خلق الانسان. وجعل له السمع والبصر لما لابد منه ليبصر الأشياء التي فيها سبب حياته، ويسمع الأصوات التي فيها سبب مرشداته. ولا يزيد مقدار السمع والبصر عن حدود مستلزماته. ففي الزيادة عرفنا الضرر، وفي النقص عرفنا الضرر.

فلو أبصر بعض الناس في الليل كما يبصر الناس في النهار، لكان ضرره على الناس شديداً. ولو سمع كبعض المخلوقات عشرة أضعاف ما هو عليه لأصاب الناس منه البلاء. وكذلك الشم. واللمس. والذوق. والعلم بالحدث ففي زيادتها البلاء للناس، علاوة على ضرره هو. بما يذهب عنه لذاذة العيش. وطيب الاستقرار.

اذاً فالعقل السليم جعل الله فيه ميزان الأمور، ليعرف السليم فيها من السقيم. والصواب من الخطأ وقد نوه الله بذلك في قوله بسورة يونس الآية/٣٥: ﴿قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق، قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمنْ لا يَهِدي الا أن يُهْدَىٰ فما لكم كيف تحكمون ؟﴾.

الماء يأخذ مجراه فيهدي الى المنخفض من الأرض، والعقل السليم يهدي الى طريق الصواب فلا يضل صاحبه ولا يضل. ومن العجب أن ترى الكثيرين من أهل العقول يرضون الضلال ويقرونه فيضلون به الآخرين. واذا تتبعت سبب هذا وجدته كقول المشركين بما ذكر الله في سورة الزخرف الآية/٢٣: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها. انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون﴾.

فالعقل يقول ان آدم كان الأب الأول للانسان، وانه بعمل موجد أوجد، وان موجده موجد كل شيء ولكن متى كان فهذا لا يعرف. ولا يمكن أن يعرف. أكان لمليون عام أو لملايين.

وهاهو العلم يكد لمعرفة هذا. وقد دحض العلم ما كتب الكاتب عن تاريخ التكوين، فالكاتب قد صنع التاريخ ولكنه قد أخطأ في الصنع والتقدير كما أخطأ في كل حساباته. فبينتُ له افتراءاته ولكل قاريء.

الإهباط وأسبابه

ان الله جل وعلا لم يرسل رسولا معتوها. أو مجنونا. أو مجرماً. انما أرسل الرسل من أهل العقول السليمة ولم نسمع برسول صحيح الرسالة أنه استغل رسالة ربه لصالح نفسه. بل ان كلام الرسل لأقوامهم بما ذكر الله: ﴿وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين﴾

وكل مرسل عاش عيش من أرسل اليهم، ومات ولم يخلف أو يؤرث مالاً انما ورث العلم، وعقله السليم يرشده ويمنعه من استغلال الآخرين.

وكما مر فان الله يدل على العقل بأنه يبين ويوضح ما استعجم على الناس فهمه من كلام الله، ولكن بعض الناس استغلوا اختصار القول في الكتب المنزلة، فجعلوا يفسرونها

حسب رغباتهم. فوصلوا بذلك الى غاية الشيطان، وكانت الأنبياء الكذبة. واتباع الأنبياء الكذبة، أو محورو اهداف الرسالات. أو من يستغل للعيش الهنيء المريء. وقد ذكر الله وأخبر عن مستغلي الرسالات السماوية من اليهود وغيرهم فقال في سورة البقرة، الآية/٧٦: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم. ثم يقولون هذا من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلا. فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾.

ثم ذكر الله جل وعلا من عرف الضلال وتابعه، حيث ضل وأضل وذلك في سورة المائدة الآية/٧٦: ﴿قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق. ولا تتبعوا أهواء قوم، قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾ وهذا يعني اياكم وتلك الخرافات والأساطير قد وضعها من ضل بها وأضل فليفكر القارىء هل يمكن هذا ؟ وهل يعقل هذا ؟ وهل يقدس هذا ؟ وهل يحق لي أن أقتل أو أقتل على مثل هذا ؟ ثم ومن علم هذا؟ فاذا نسبناه لله تعالى: فان الله لا يخطىء. وهذا كله تقريباً من الخطأ.

لقد ذكر كتاب العهد القديم ان آدم وحواء قد أكلا من شجرة المعرفة. فصار يعرف الخير والشر. فلو قال ان أكله أودع فيه العقل لأصاب من جهة وأخطأ من أخرى، ولكنه في هذا أخطأ تماماً.

لقد عَرفّ الله آدم اسم كل مسمى قبل أن يأكل من الشجرة، فلم يكن آدم في أول خلقه من الأنعام، وقد أوصل الله العقل اليه بنفخة من روحه، بعد أن سواه بيده وأمر الملائكة بالسجود له، وذلك في مكان ما ليس على الأرض وقد اخبرنا الله جل وعلا عن ذلك بآيات كثيرة منها في سورة الحجر الآية/٣٨: ﴿وإذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من صلصال من حماء مسنون * فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * الا ابليس ابى أن يكون مع الساجدين﴾.

ويقول أيضاً في سورة الأعراف الآية/١١: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك أن تسجد اذ أمرتك. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين * قال انظرني إلى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين * قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين * قال اخرج منها مذءوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾.

ان النفخ من روح الله في آدم كان العقل والمعرفة. فإن الروح في الإنسان تتساوىٰ كما هي جميع المخلوقات الحية الأخرىٰ. ولكن التفاضل حصل من العقل والمعرفة تتأتى من العقل. فما شأن الشجرة وقد ذكر الكاتب هذه المعرفة قبل أكل آدم من الشجرة حيث قال في الإصحاح الثاني من سفر التكوين/١٩ وجبل الرب الإله من الأرض كل الحيوانات البرية وكل طيور السماء. فأحضرها الى آدم ليرىٰ ما يدعوها. وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها/٢٠ فدعا آدم باسم جميع البهائم. وطيور السماء وحيوانات البرية/.

وكانت الشجرة بتقدير الله للخطيئة. حتى يرىٰ الرجل والمرأة ويعرفا ماهي العورة. وتعطي سبب الإهباط. وكان هذا فالتقدير من الله كان قبل خلق آدم. لأن آدم وعقبه خلقوا في حياتهم الدنيا لإعمار الأرض قبل سكنىٰ الجنة. وهل يكون العطاء الا جزاءً.

ونتابع من سورة الأعراف قصة آدم في الجنة وَلِمَ أهبط منها في الآية/١٩: ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سواتهما وقال مانهاكم ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما من الناصحين * فدلهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين★ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾.

تلك قصة آدم في خلقه وتكريمه واسكانه الجنة وحسد ابليس له. واهباط الجميع إلى الأرض وقد تاب آدم واعتذر وعصىٰ ابليس واستكبر. وصار كلاهما لعدوه سبب البلاء. وقبل الله توبة آدم.

فما هي الحية وما شأنها مع الإنسان. فالحية لاتقوم مقام الشيطان. والعداء ليس بين الحية والإنسان ليس بين الحية وحواء وحسب. فعداء الحية مع كل قادر على قتلها ليدفع ضررها عن نفسه وأولاده كجنس الهر بأنواعه الأليفة والمتوحشة. تقتلها وتسحق اذا استطاعت رأسها. وجميع الطيور الجارحة. وحتى الدجاج وحمار الوحش وبقره. والإنسان كغيره يقتلها ليتقي شرها.

لقد لقيت فكرة من ألف قصتها رواجاً في عصور سابقة مظلمة. وحافظ عليها التقديس حتى وصلت الى عصرنا هذا فهل نؤجر على تركها مقدسة نضل بها أبناءنا. ونحن نعرف بطلانها.

تحدثنا عن شجرة معرفة الخير والشر وكما ذكرنا فقد اختلف العلماء في ماهيتها. وكما ذكرنا سابقاً نأخذ من حديث كتاب الله المهيمن على الكتب المنزلة استنتاجاً. أنها شجرة تغاير جميع شجر الجنة. فإن شجر الجنة يخرج ثمره من الجسم رشحاً. وذلك من حديث رسول الله ﷺ كما مر معنا. وأما طعام تلك الشجرة فمخرجه كما هو مخرج طعام أهل الأرض. ولم يعرف آدم ذلك وزوجته حتى أكلا وبدأت آلام المعدة والأمعاء. لأنه أول طعام يحتاج الخروج من ذلك المخرج. واشتد الألم وبدأ الصراخ وكانت الإستغاثة وسر الشيطان سروراً عظيماً.

شجرة الحياة غير شجرة المعرفة

ولكن بقيت عندنا قصة شجرة الحياة التي ذكرت في الإصحاح الثالث من سفر التكوين كما يلي/٢٢ وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا/ترىٰ من هم وكم هم/عارفاً الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا الى الأبد/٢٣ فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها/٢٤ فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم. ولهيب سيف متقلبْ لحراسة طريق شجرة الحياة// ترىٰ أين السيف المتلهب المتقلب ؟.

شجرة الحياة أمرها عظيم وهي في وسط جنة عدن وتحرس من قبل الملائكة. وزيادة سيف يلتهب ويتقلب. فمن قرب نحوها قطعه السيف. وهذا غريب وغريب جداً أن يخاف الله من الإنسان. يخاف من عيشه الأبدي كما خاف من معرفته الخير والشر. فيقصيه لذلك عن الجنة!.

أيها الإنسان أيها القارىء أليس هذا بغريب؟ لقد عرفنا الأرض وخبرناها تماماً فلم نرىٰ السيف المتقلب. ولم نر جنة عدن لأن الجنة ليست على الأرض فالأرض لاتتسع لسكنىٰ مواليد ألف سنة من بني الإنسان. فكيف بمئات الألوف من السنين أو ملايينها؟

يقول جل وعلا في سورة آل عمران الآية/١٣٣: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ فالجنة ليست على الأرض.

والأنهار الأربعة التي تتفرع عن جنة عدن واسم الأول منها فيشون الذي يحيط أرض الحويلة صاحبة الذهب الجيد والمقل وحجر الجزع «ترىٰ هل هي جنوب افريقيا. والله جل وعلا يحتاج الذهب» والثاني جيحون وأظنه نهر النيل. والثالث حداقل أي نهر دجلة. والرابع الفرات. ولكن نهر جيحون في تركيا. ترىٰ لِمَ لم يذكر النهر المقدس.

إن الكاتب لم يذكر أنهار الهند ولا أنهار الصين. ولا أنهار شرقي روسيا. ونسي أنهار أوروبا.

ثم نسي نهر دي لابلاتا والأمازون ونهر المسيسبي وغيرها. ولا شك أبداً أنه لم يكن يعرف عن تلك الأنهار شيئاً. فلا حول ولاقوة الا بالله.

ان الله أراد الإنسان أن يتعلم ويتعرف على كل شيء. وذكر في سورة الروم الآية/٢٢ قوله: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لأيات للعالِمين﴾ الباحثين في سورة العنكبوت الآية/٤٣: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالِمونَ﴾ وقد حث الله الإنسان على طلب العلم ومدح العلم وأهله ففي سورة الأنبياء الأية/٧ يقول: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وأول سورة أنزلت على محمد ﷺ سورة القلم. وهي أول قرآن نزل عليه وهي قوله ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

إن الإنسان سيعيش في الآخرة بجسم حياة أبدية لاموت فيها. وما حياة الإنسان على هذه الأرض الا للخبرة لخبرة هذا الإنسان وابتلائه وقد قال تعالى في سورة تبارك الآية/١-٢: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾.

الله موجد الكون

روىٰ البخاري عن عمران بن حصين قال: كنت عند رسول الله ﷺ اذ جاءه قوم من بني تميم فقال ﷺ: «اقبلوا البشرىٰ يا بني تميم» قالوا بشرتنا أعطنا فدخل أناس من أهل اليمن فقال «اقبلوا البشرىٰ يا أهل اليمن. اذا لم يقبلها بنو تميم» قالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين. ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله. وكان عرشه على الماء. ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء» ثم جاء رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت. فانطلقت اطلبها وأيم الله لوددت أنها ذهبت ولم أقم».

وروىٰ الترمذي عن أبي رزين العقيلي. قال: قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال: «كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وخلق عرشه على ماء».

وعن عظمة الله جل وعلا قال ﷺ بما روىٰ مسلم عن أبي موسىٰ الأشعري قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله لاينام. ولا ينبغي له أن ينام. يخفض القسط ويرفعه. يُرفع اليه عمل الليل قبل النهار. وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ اليه بصره من خلقه».

خلق السماوات والأرض. وأرزاق الخلق على الأرض

أما خلق الله للسموات والأرض فلم يأت عنه أي حديث أبين وأوضح مما جاء في كتاب الله ففي سورة السجدة فصلت قوله تعالى في الآية/٩: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين. وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها. وقدَّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين * ثم استوىٰ إلىٰ السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً ؟ قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين. وأوحىٰ في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾

خلق الأرض والجبال بعد خلق الأرض. وقدر الأرزاق في الأرض ثم استوىٰ الى السماء وكانت دخاناً وكلمها مع الأرض وما بينهما هل تأتيا بطاعة أم بالإكراه ؟ فأجابتا بل بالطاعة. فجعل سبع سموات.

من هذا والعلم عند الله أن الأرض والسماء وما بينهما كانوا جميعاً بسديم واحد لايعلم حدوده الا الله فلما قسم ذلك ورتبه وقد جعل الفضاء بما عليه من صفاء. ورتب كل مجموعة كما قدر وشاء.

يقول تعالى في سورة الأنبياء الآية/٣٠: ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون * وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون * وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون * وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾.

ونذكر قول رسول الله ﷺ ونُذَكِرُ به وقد رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماء والأرض بخمسين ألف سنة قال وكان عرشه على الماء».

ونترك التفسير في كل هذا الذي هو قليل من كثير الى القارىء العالم المدقق. والهداية من الله.

الله موجد الكون في كتاب العهد العتيق

سفر التكوين الإصحاح الأول/١ في البدء خلق الله السموات والأرض/٢ وكانت الأرض خالية وخربة. وعلى وجه الغمر ظلمة. وروح الله يرف على وجه الماء/٣ وقال الله ليكن نور فكان نور/٤ ورأى الله النور أنه حسن. وفصل الله بين النور والظلمة/٥ ودعا الله النور

نهاراً. والظلمة دعاها ليلاً وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً/٦ وقال الله ليكن جلد في وسط المياه. وليكن فاصلاً بين مياه ومياه/٧ فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد وكان كذلك/٨ ودعا الله الجلد سماء فكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً/٩ وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد ولتظهر اليابسة. وكان كذلك/١٠ ودعا الله اليابسة أرضاً ومجتمع المياه دعاه بحاراً. ورأىٰ الله ذلك أنه حسن/١١ وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً. وشجراً ذا ثمر يحمل ثمراً كجنسه بزره فيه على الأرض. وكان كذلك/١٢ فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً ويبزر بزراً كجنسه. وشجراً يحمل ثمراً بزره فيه كجنسه. ورأىٰ الله ذلك أنه حسن/١٣ وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً/١٤ وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين الليل والنهار. وتكون لآيات وأوقات. وأيام وسنين/١٥ وتكون أنواراً في جلد السماء لتنير علىٰ الأرض وكان كذلك/١٦ فعمل الله النورين العظيمين. النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل. والنجوم/١٧ وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض/١٨ ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة. ورأى الله ذلك أنه حسن/١٩ وكان مساء وكان صباح يوماً رابعاً/٢٠ وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية. وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء/٢١ فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه. ورأى الله ذلك أنه حسن/٢٢ وباركها الله وقال اثمري واكثري واملأي المياه في البحار وليكثر الطير على الأرض/٢٣ وكان مساء وكان صباح يوماً خامساً/٢٤ وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها وكان كذلك/٢٥ فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها ورأى الله ذلك أنه حسن/٢٦ وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم. وعلى الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض/٢٧ فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه ذكراً وأنثىٰ خلقهم/٢٨ وباركهم وقال لهم اثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها. وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء. وعلى كل حيوان يدب على الأرض/٢٩ وقال الله اني أعطيتكم كل بقل يبزر بزراً على وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر يبزر بزراً لكم يكون طعاماً/٣٠ ولكل حيوان الأرض. وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاماً وكان كذلك/٣١ ورأىٰ الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً. وكان مساء وكان صباح يوماً سادساً

الإصحاح الثاني من سفر التكوين/١ فأكملت السموات والأرض وكل جندها/٢

وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع أعماله الذي عمل/٣ وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً خلق آدم وشجرة الحياة وشجرة المعرفة وخلق الجنة وسكانها/٤ هذه مبادىء السموات والأرض حين خلقت. يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات/٥ كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض. وكل عشب البرية لم ينبت بعد لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض. ولاكان انسان ليعمل على الأرض/٦ ثم كان ضباب يطلع على وجه الأرض ويسقى جميع وجه الأرض/٧ وجبل الرب الاله آدم تراباً من الأرض. ونفخ في أنفه نسيمة حياة فصار آدم نفساً حية/٨ وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبله/٩ وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل. وشجرة الحياة وسط الجنة. وشجرة معرفة الخير والشر/١٠ وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس/١١ اسم الواحد فيشون وهو محيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب/١٢ وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع/١٣ واسم النهر الثاني جيحون هو المحيط بجميع أرض كوش/١٤ واسم النهر الرابع حِدّاقل وهو الجاري شرقي آشور والنهر الرابع الفرات/١٥ وأخذ الرب الإله آدم فوضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها/١٦ وأوصىٰ الرب الإله آدم قائلاً من شجر الجنة تأكل أكلًا/١٧ وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت/١٨ وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده. فأصنع له معيناً نظيره/١٩ وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها الى آدم ليرىٰ ماذا يدعوها. وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها/٢٠ فدعا آدم بأسماء جميع البهائم. وطيور السماء. وجميع الحيوانات البرية. وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره/٢١ فأوقع الرب الإله على آدم سباتاً فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً/

أخي القاريء هل نتناقش معك في هذين الإصحاحين أم نترك لك وحدك القراءة والتفكير حتى تناقش في نفسك وضميرك هذا على أن تكون محايداً وعالماً ولو ببعض الحقائق التي أظهر العلم. وستكون الدهشة أعظم عندما تصل الى حساب السنين التي مرت على بدء خلق آدم حتى يومنا هذا وهي خمسة آلاف وسبعمائة وستين عاماً.

ولاتدهش اذا قرأت عن مكان الجنة. وعن شجرة الحياة هذه. وعن شجرة المعرفة. وكيف صار آدم العامل في الجنة والحافظ لها أيضاً وسعتها كم هي في التقدير ياترىٰ.

والأنهار تلك وهي نهر النيل ونهر الفرات ونهر جيحون. وأظن نهر دجله. ترىٰ هل كان على

الأرض أنهار غيرها؟ أما الذهب الجيد الذي ذكره الرب الإله في أرض الحويلة فلا ندري حاجة الإله في ذكره. ان في كل جزء من مائة جزء مما يمكن للعقل أن يأخذ به وما بقي منه انما هو نسيج كاتب بنىٰ قبة على حبة فكان هذا الذي نسبه لله العلي القدير بجملته. وجعل خلق آدم والمخلوقات الأخرىٰ بفترة واحدة متداخلة وجعل تاريخ هذا الخلق كما نعرف. مع أن تلك المخلوقات والنباتات تعدىٰ زمن صنعها مئات الملايين من السنين. وبنى دولة على هذا وساعده على بنائها أهل العقول باسم الدين. ولنعد الى الإصحاح الثاني من سفر التكوين.

يقول جل القائل في سورة النساء الآية/٨٢: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ أي ليدققوا وليفكروا وليفسروا هذا الكتاب. فلو كان موضوعاً أو من كلام الناس لوجدوا فيه الكثير من الأغلاط والمغالطات وقال أيضاً في سورة محمد ﷺ في الآية/٢٤ ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾.

ترىٰ يقول جل وعلا متسائلاً هل قلوبهم مغلقة ومقفلة فلا يعرفون الخطأمن الصواب. والحق من الباطل، وقد أخبر جل وعلا أن الحق اذا جاء أخرس الباطل ففي سورة الإسراء الآية/ ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ وكما قال جل وعلا في خلق السموات والأرض يقارن مع خلق الناس في سورة غافر الآية/٥٧: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾.

وقال أيضاً عن خلق الإنسان في سورة الحج الآية/٥: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونُقرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمىً ثم لنخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفىٰ ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً وترىٰ الأرض هامدة. فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج﴾.

هذه الأطوار التي تتطورها البذرة التي تنتقل من الصلب نطفة الى الرحم. ثم تصير علقة ثم تصير مضغة. هل قدر الله لها أن تعيش وترىٰ الدنيا أم لا. فالمخلقة تثبت وغير المخلقة لا تثبت. اذا فالمخلقة تقر في الرحم الى الأجل المسمىٰ بقدر الله لستة أشهر أو لسبعة أو لثمانية أو لتسع من الأشهر وهي التامة للحمل وربما لأكثر من ذلك ثم يخرج المولود طفلاً بإذن الله ويكون المولود ذكراً أو أنثىٰ أو التوأم أو التوائم كما شاء الله. ثم ينمو وينمو ويترعرع حتى يبلغ أشده. ومن أولئك من يموت طفلاً أو غلاماً يافعاً أو شاباً. ومن أولئك المواليد من يرد الى أرذل العمر فينسىٰ من ماضيه الكثير أو يختلط العقل.

وشبه جل وعلا الإنسان بالنبات فأكمل ﴿وترىٰ الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ فالإنسان شجرة ولكنها تمشي. وجعل الله الماء أصل الحياة فإذا نزل المطر على الأرض. أو ماء النهر على أرض جافة وكانت مهيأة لامتصاص الماء استقبلته عند وصوله وامتصته برغبة وانتثلت عن بعضها وربت. وانْتَشَتْ بذور الأعشاب والنبات وانفلقت الحبة وأخرجت بامتصاص الماء والمواد المنحلة من التراب في الماء ساقها حتىٰ ارتفعت الى مستوىٰ الأرض فاخضرت وأبهجت الناظر ويقول تعالى في سورة الأنبياء الآية/٣٠: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾.

لقد مر معنا الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة وهو كما قال: قال رسول الله ﷺ: «مابين النفختين أربعون» قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهراً ؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة ؟ قال: أبيت. «ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل. وليس من الإنسان شيء لايبلىٰ الا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة».

لنعد الآن الى الإصحاح الثاني من سفر التكوين في كتاب العهد العتيق. وكيف بنى الله حواء أم البشر الأولى.

وبنىٰ الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها الى آدم/٢٣ فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعىٰ امراة لأنها من امرءٍ أخذت/٢٤ لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويتعلق بامرأته ويكونان جسداً واحداً/ ٢٥ وكانا كلاهما عريانان آدم وامرأته وهما لايخجلان.

الإصحاح الثالث

/١ وكانت الحية أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة أحقاً قال الله لاتأكلا من كل شجر الجنة/٢ فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل/٣ وأما ثمر الشجرة الباقي وسط الجنة فقال الله لاتأكلا منه ولا تمساها لئلا تموتا/٤ فقالت الحية للمرأة لن تموتا/٥ بل الله عالم أنه يوم تأكلان منها تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر/٦ فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وان الشجرة شهية المنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل/٧ فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق التين وصنعا لأنفسهما مآزر/٨ وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبئا آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة/ ٩ فنادىٰ الرب الإله آدم وقال

له أين أنت/١٠ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت/١١ فقال من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها/١٢ فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت/١٣ فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت فقالت المرأة الحية غرتني فأكلت/١٤ فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك/١٥ واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه/١٦ وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك/١٧ وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك/١٨ وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل/١٩ بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود الى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب والى التراب تعود/٢٠ ودعى آدم امرأته حواء لأنها أم كل حي/٢١ وصنع الرب لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما/٢٢ وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار واحداً منا عارفاً الخير والشر ولعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويحيا الى الأبد/٢٣ فأخرجه الرب من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها/٢٤ فطرد الإنسان وأقام شرقية جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة.

ذكرنا أول ماعرفناه في بدء التكوين في كتاب الله القرآن الكريم. إلى انتهاء الطوفان ونبي الله نوح عليه السلام. وذكرنا الطوفان الذي سجله السوماريون في بدء الألف الثالثة قبل الميلاد. في ملحمة شعرية تسمى ملحمة جلجامش. وهي تماماً كما جاء وذكر في كتاب العهد العتيق ولكن التاريخ لم يتطابق مع كتاب العهد العتيق. فقد سبقه بحوالي ألفي عام. ثم ذكرنا ماجاء عن الطوفان في كتاب الله القرآن. ونظن أنه لابأس أن نورد التاريخ الذي ذكر في كتاب العهد القديم. لأن القرآن لم يذكر تاريخاً أو يحدد عهداً.

الإصحاح الخامس من سفر التكوين

/١ هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله/٢ ذكراً وأنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خلق/٣ وعاش آدم مائة وثلاثين سنة. وولد ولداً على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثاً/٤ وكانت أيام آدم بعدما ولد شيثاً ثمانمائة سنة وولد بنين وبنات/٥ فكانت كل أيام آدم تسعمائة وثلاثين سنة ومات/٦ وعاش شيث مائة وخمس سنين وولد أنوش/٧ وعاش شيث بعدما ولد أنوش ثمانمائة وسبع سنين وولد بنين وبنات ومات/٨ فكانت كل أيام شيث تسعمائة واثني عشرة سنة/٩ وعاش أنوش تسعين سنة وولد قينان/١٠ وعاش أنوش بعدما ولد

قينان ثمانمائة وخمس عشرة سنة/١١ فكانت كل أيام أنوش تسعمائة وخمس سنين.

/١٢ وعاش قينان سبعين سنة وولد مهلائيل/١٣ وعاش قينان بعدما ولد مهلائيل ثمانمائة وأربعين سنة/١٤ فكانت كل أيام قينان تسعمائة وعشر سنين.

/١٥ وعاش مهلائيل خمساً وستين سنة وولد يارد/١٦ وعاش مهلائيل بعدما ولد يارد ثمانمائة وثلاثين سنة وولد بنين وبنات/١٧ فكانت كل أيام مهلائيل ثمانمائة وخمس وتسعون سنة.

/١٨ وعاش يارد مائة واثنتين وستين سنة وولد أخنوخ/١٩ وعاش يارد بعدما ولد أخنوخ ثمانمائة سنة وولد بنين وبنات/٢٠ فكانت كل أيام يارد تسعمائة واثنتان وستون سنة.

/٢١ وعاش أخنوخ خمساً وستين سنة وولد متوشالح/٢٢ وعاش أخنوخ بعدما ولد متوشالح ثلاثمائة سنة وولد بنين وبنات/٢٣ فكانت كل أيام أخنوخ ثلاثمائة وخمس وستون سنة/٢٤ وسار مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه/٢٥ وعاش متوشالح مائة وسبعاً وثمانين سنة وولد لامك/٢٦ وعاش متوشالح بعدما ولد لامك سبعمائة واثنتين وثمانين سنة وولد بنين وبنات/٢٧ وكانت كل أيام متوشالح تسعمائة وتسع وتسعون سنة ومات/٢٨ وعاش لامك مائة واثنتين وثمانين سنة وولد ابناً/٢٩ ودعا اسمه نوحاً. قائلاً هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا. من قبل الأرض التي لعنها الرب/٣٠ وعاش لامك من بعد ما ولد نوحاً خمس مائة وخمساً وتسعين سنة وولد بنين وبنات/٣١ فكانت كل أيام لامك سبع مائة وسبع وسبعون سنة/٣٢.

وكان نوحاً ابن خمسمائة سنة وولد ساماً وحاماً ويافث/ وكان الطوفان بعد ذلك بمئة عام.

فمن هذا تبين لنا أن الطوفان حصل بعد خلق آدم بألف وستمائة وست وخمسين سنة عاش منها آدم تسعمائة وثلاثين عاماً فيكون الطوفان بعد موت آدم بسبعمائة وست وعشرين سنة فقط لا غير وهي سنة ألفين ومائة وأربعة قبل الميلاد وهي بعد استكمال الكتابة بمئتي عام. وهي السنة التي كتبت فيها ملحمة جلجامش. وذكر فيها الطوفان نقلاً وكان «أوتونافيستيم» وهو نوح في ملحمة جلجامش أحد أجداد جلجامش.

وبعد ألف وستمائة وست وخمسين سنة من خلق آدم حصل الطوفان. وبعد انتهائه بسنتين ولدت زوجة سام فهذه مواليد أبناء سام حتى ولادة ابراهيم.

بعد سنتين ولد لسام أرفكشاد/١١ وعاش سام بعد ولادة أرفكشاد خمسمائة سنة ومات/١٢ وعاش أرفكشاد خمساً وثلاثين سنة وولد شالح/١٣ وعاش أرفكشاد بعدما ولد شالح أربعمائة

وثلاث سنين وولد بنين وبنات ومات/١٤ وعاش شالح ثلاثين سنة وولد عابر/١٥ وعاش شالح بعدما ولد عابر أربعمائة وثلاث سنين وولد بنين وبنات.

/١٦ وعاش عابر أربعاً وثلاثين سنة وولد فالج/١٧ وعاش عابر بعدما ولد فالج أربعمائة وثلاثين سنة وولد بنين وبنات/١٨ وعاش فالج ثلاثين سنة وولد رعو/١٩ وعاش فالج بعدما ولد رعو مائتين وتسع سنين وولد بنين وبنات/٢٠ وعاش رعو اثنتين وثلاثين سنة وولد سروج/٢١ وعاش رعو بعدما ولد سروج مائتين وسبع سنين وولد بنين وبنات/٢٢ وعاش سروج ثلاثين سنة وولد ناحور/٢٣ وعاش سروج بعدما ولد ناحور مائتي سنة وولد بنين وبنات/٢٤ وعاش ناحور تسعاً وعشرين سنة وولد تارح/٢٥ وعاش ناحور بعدما ولد تارح مائة وعشرين سنة وولد بنين وبنات. وعاش تارح سبعين سنة وولد ابرام. وناحور. وهاران.

ومن هذا أيها القاريء الكريم نجد أن ابراهيم ولد في سنة ألفين ومائة وثلاث وعشرين لخلق آدم. وأن ابراهيم ولد بعد الطوفان بمئتين واثنتين وتسعين عاماً ومن أراد التأكد عليه بأن يحسب كما ورد في كتاب العهد القديم ونذكر القاريء أيضاً بأن جميع أجداد ابراهيم العشرة وفيهم نوح وسام وأرفكشاد وشالح وعابر وفالج ورعو وسروج وناحور. كل هؤلاء أحياء عند ولادة ابراهيم فانتبه أيها القاريء الكريم واحسب تماماً. أن عشرة أباء ابراهيم كانوا على قيد الحياة عند ولادته. وكلهم عاشوا في عيشه وأن جميع ما على البسيطة كما ذكر كتاب العهد القديم كانوا أبناء نوح. وصار لإبراهيم ثلاثمائة من العبيد وسام جدهم الأكبر على قيد الحياة لأن سام عاش بعد الطوفان خمسمائة عام. وأنه مات بعد موت ابراهيم بثلاث وثلاثين سنة. وهل تذكر التوراة هذا ؟ وهل يخطيء الرب في حسابه ؟.

نحن نذكر هذه الأشياء أولاً: لا يجب أن ننسب إلى الله ما ليس منه كما قال تعالى في سورة البقرة الآية/٧٨: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني. وان هم الا يظنون * فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾.

٢: ان في نَسْبِ هذا الى الله يصبح مقدساً. ويخاصم عليه الناس. ويقاتلون ويقتلون ويقتلون عليه.

٣: على أساس هذا وأمثاله جعلوا مدارس التبشير في بلاد المسلمين. يستغلون الإستعمار وفقر المسلمين وضعفهم ليخرجوا أبناء الناس من النور إلى الظلمات.

والأمر الرابع استغلال هذا في عصرنا لصالح الصهيونية. وكله كما نرىٰ لصالحها كما أنها تسير على هديه. وتحث على العمل على ماذكر فيه. وينسىٰ بذلك أو يترك الضمير.

نحن لانكفر بالتوراة وأنها من الله أنزلت على موسىٰ. وضمن حدود التشريع الصحيح الذي يدعو الى احترام الإنسان ضمن حدود الدين. والتوافق مع الإنسانية في حقوقها والآن هذا هو المكتوب في كتاب العهد العتيق من قبل ميلاد عيسى على ثلاثة مراحل في القرن الأول قبل الميلاد. والقرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد. والأسبق الذي كتب بعد الرجوع من السبي مباشرة. وكله أو جله كتب بالحدث والتخمين. لأن الأشوريين أحرقوا جميع كتب اليهود وأنهم فتشوا عليها تفتيشاً تاماً ثلاث مرات. ولم يبق الا المتناقل على ألسنة الناس. وهذا من الناس يضيف شيئاً. وذاك من الناس يحذف شيئاً.

جنة عدن

لقد مرّ معنا آخر الإصحاح الثالث من سفر التكوين بعد ان طرد الله جل وعلا آدم منها. أن الله حدث نفسه بهذه الكلمات فقال/٢٢ وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا للأبد/٢٣ فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها/٢٤ فطرد الانسان. وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم. ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة.

جنة عدن تلك التي ذكرها الكتاب ودل أنها على الأرض. حتى وأنها في عدن من أرض اليمن وان لم يتم بها التصريح الكامل فقد قال أنها هناك بما جاء في الاصحاح الثاني السابق/٨ وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقاً: لقد دل أن الجنة في عدن في أقصى اليمن. فهل أخبر الرب عن أنها هناك حقيقة ؟ وأن عدن وما حولها من جميع بلاد اليمن حتى والأرض كلها تتسع للمؤمنين الذين يدخلهم الله الجنة ؟.

ولنفرض أن اليهود وحدهم هم الذين يدخلون الجنة في أجسادهم وطبعاً جميع أجيالهم. ولن يبخلوا على ابراهيم ومحبيه في الدخول. فأين يكون الناس في الجنة من مؤمني ألاف السنين ؟.

لابد لمن آمن بهذا القول واعتقده أن يبحث عن جنة عدن في أقصى اليمن هناك وما عليهم الا التغلب على الكروبيم ودخول الجنة وفي وسطها سيجدون شجرة الحياة فيأكلون منها ويطعمون من أحبوا وتكون الحياة الى الأبد. ولا حاجة لهم بطعام أو دواء. فان شجرة المعرفة لكل شيء في متناول أيديهم وشجرة الحياة في متناول أيديهم والكروبيم قلة.

وأما اللهيب الذي يخرج من السيف المتقلب فيمكن لهذه الدبابات العظيمة أن لا تسأل عنه ولا عن لهبه. ولربما لأولئك الداخلين حق البيع من ثمار شجرة المعرفة ويستغلونها استغلالاً فاحشاً. وأما ثمار شجرة الحياة فأظنهم لا يبيعون منها لأحد. إلا لمن يريدونه خادماً لهم فيشتري منها طعاماً أو ذواقاً بنفسه ويبقى لهم عبداً طوال حياته. وسبحان الله انهم في زماننا هذا كثرة ويشترون هذا بالوعد.

الناس اليوم يحاولون الحصول على حياة أبدية دائمة لاموت فيها، فبعضهم يفكر أنها تكون بتجديد الدم كل فترة وبعضهم يسعى لتجديد الخلايا كلها، وبعضهم يقول بالتبريد في درجة برودة معينة.

إن هذا وذاك كله لايعطي الفائدة المطلوبة، فالفائدة المطلوبة انما هي الشباب الدائم والصحة الدائمة وكل هذا لا يعطي شبابا وصحة فما عليهم الا أن يبحثوا هناك عن شجرة الحياة فيتم لهم ما يريدون أولاً معرفة الخير والشر من شجرة المعرفة ثانياً الحياة الأبدية. والأهم من كل هذا أن أولئك كلهم سيصبحون آلهة يتحكمون في هذا الكون الواسع بدون هذه الوساطات المستخدمة.

انما الانسان من بدء وعى ... مبدأ الموت وأعياه الحيل
خلق الانسان للموت ومن ... شك في هذا على جهل نزل
لاحياة في شباب ذاهب ... انها موت ولو طال الأجل
ان يعش أكثر من هذا نرى ... عيشه مراً وصار في خلل
ان في الموت حياة واللذي ... صنع الموت لاحياءٍ أجَلْ
فاطلب الأخرى ففيها المبتغى ... وبها البقاء من رب عمل
يصنع الانسان يحيا مطلقا ... في قوانين يراها فعدل

الحياة الدنيا لها نواميس حياة لايمكن تجاوزها من الانسان. وللحياة الأخرى نواميس حياة لا يمكننا في الحياة الدنيا أن نصل اليها فالمؤمنون يقرون بوجود الملائكة ولا يرونهم. وكذلك بوجود الجن ولا يرونهم.

وفي الحيوان ما يثبت هذا فان لليل حيوانات تسعى لغذائها وأمور عيشها وتنام نهاراً. وللنهار كما نرى مخلوقات تسعى لأمور عيشها والانسان منها. وفي السمع أيضاً عبرة لمن شاء أن يعتبر وفي الشم عبرة لمن أراد أن يعتبر.

والآن عندما وصل العلم الى تلك الاشعات بأنواعها فلا غرابة في وجود المخلوقات التي لايمكننا رؤيتها وهي قريبة منا فقوانين الحياة الدنيا يكتشفها يوم بعد يوم، وكله بفضل الله.

يقول جل وعلا في سورة الأنبياء الآية/٣٥: ﴿كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾.

والآية التي قبلها يقول فيها: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد. أفإن مت فهم الخالدون ؟﴾.

بذور بني الانسان خلقها جل وعلا عندما خلق آدم وجعلها بذوراً في صلبه. وهي أصغر من أن ترى لأنها داخل الحيوان المنوي وهو لا يرى بالعين المجردة والبذرة فيه جزء من آلاف أجزائه، وكانت جميع بذور بني الإنسان في صلب آدم ثم انتقلت منه لأبنائه. وتنتقل منهم لأبنائهم. وهكذا حتى تقوم الساعة وكذلك حواء مع بناتها وقد كتب الموت في هذه الحياة الدنيا على الجميع. وكتبت الحياة الأخرى أيضاً للجميع، ففي الحياة الدنيا خلقهم جل وعلا لإعمار الأرض، قدراً كتبه الله قبل خلق آدم، وفي الحياة الأخرى سوف يعمرون الدار الأخرى ومن هذه الدنيا يتزودون للأخرى، الداران قد تعلقتا ببعضهما. وخطا الانسان الأول لغاية من الله هي هذه الحياة على الأرض فلا فداء ولا اعتداء.

ونعيد الحديث الذي رواه مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون. ولا يتفلون ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام ؟ قال جشأ ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس».

وروى مسلم أيضا عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم، ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه» كما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينادي مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً. وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً».

يبعث الناس جميعاً في يوم واحد. ولحظة واحدة. طول الرجل ستون ذراعاً. والمرأة أربعون ذراعاً. حفاة. عراة. غرلاً والأرض كلها سهلة قد مهدت كما قال تعالى في سورة طه الآية/١٠٣: ﴿يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً * نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوماً﴾ وفي سورة المؤمن الآية/١١٢: ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين﴾ ويكون الحشر والحساب في يوم مقداره خمسون ألف سنة ويجزى كل بفعله.

المعلم الحكيم ادريس عليه السلام

لقد عاش آدم بعد الهبوط من الجنة إلى الأرض تسعمائة وثلاثين عاماً بما ذكر كتاب العهد العتيق. ثم ولدت له حواء شيئاً بعد أولاد كثيرين منهم قابيل. وهابيل ولكن الكتاب أخذ بمولد شيث لأن نسب ابراهيم يرجع إليه حسب ما أورد الكتاب ونحن الآن نقدم جدولاً بمواليد أبناء آدم فرع شيث خليفة لآآدم لنحصل على قصد وبيان من الكتاب فهذا آدم الأب الأول نبدأ الآن به.

كان لآدم عندما ولد له شيث من العمر مائة وثلاثون عاماً (١٣٠) وعاش بعدها معها ٩٣٠.

وكان لشيث لما ولد أنوش مائة وخمس سنين (١٠٥) وعاش عمراً قدره ٩١٢.

وكان لأنوش لما ولد قينان تسعون سنة (٩٠) وعاش عمراً قدره ٩٠٥.

وكان لقينان لما ولد مهلئيل سبعون سنة (٠٧٠) وعاش عمراً قدره ٩١٠.

وكان لمهلئيل لما ولد يارد خمس وستون سنة (٠٦٥) وعاش عمراً قدره ٨٩٥.

وكان ليارد لما ولد أخنوخ مئة واثنان وستون سنة (١٦٢) وعاش عمراً قدره ٩٦٢.

وكان لأخنوخ خمس وستون وولد له متوشالح (٠٦٥) وعاش عمراً قدره ٣٦٥.

وكان لمتوشالح لما ولد لامك مائة وسبعة وثمانين سنة (١٨٧) وعاش عمراً قدره ٩٦٩.

وكان للامك لما ولد له نوح مائة واثنتان وثمانون (١٨٢) وعاش عمراً قدره ٧٧٧.

من هذا نرى أن مولد نوح كان بعد موت آدم بمائة وست وعشرين سنة وإن جميع آبائه قد رأوا آدم وعاصروه رجالاً وان آخرهم لامك كان له من العمر ست وخمسون عاماً عند موت آدم ففكر أيها القارىء.

ان آدم بإيمان المسلم كان نبياً صنعه الله بيده وكلمه بعد أن نفخ فيه من روحه. وأسجد له ملائكته وسكن الجنة وبإيمان المسيحي واليهودي كما في الكتاب صنعه الله بيده وكلمه. وصنع له ستاراً وأقمصة من الجلد ألبسها اياها، إذا فهذا آدم بين أبنائه يعيش معهم أسرة واحدة فما بالهم يقول عنهم الرب بعد قليل انه حزن لخلقه اياهم ! سبحان الله هل هذا هو العالم خلال ألف

وستمائة عام من خلق أبيهم الأول آدم يريد الرب فناءهم أي سكان العالم آنذاك مع البهائم ودبابات الأرض وطيور السماء ؟.

وعبد الناس الأصنام ودنسوا الأرض في عهد آدم فأرسل الله اليهم ادريس النبي، وهو أخنوخ ومولده كان في سنة ستمائة واثنتين وعشرين عاماً لمولد آدم أي لعيش آدم على الأرض وقد عاش معه ثلثمائة وثمانية أعوام ثم رفع ادريس الى السماء، أي أخنوخ فانظر أيها القارىء.

إن رحمة الله وسعت كل شيء، وقد ضاع الناس من بعد آدم دهراً طويلاً يعلمه الله، كم هو من السنين لايدري فلا كتابة ولا تأريخ وكان خبر الله عنه كما مر معنا سؤال الله للناس ليتعرفوا كم مضى على الانسان في عيشه على الأرض من زمن لا يعرف فيه نفسه فقال في سورة الدهر: ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا﴾ ؟ فيا معشر بني الإنسان لقد تفتحت بالعلم قلوبكم، ووجب عليكم أن تعرفوا تاريخكم. ومن أين جئتم فاعملوا وقدموا جهدكم لتكشفوا المخبوء من سركم فالعلم قد كشف عن بصيرتكم.

نبي الله ادريس عليه السلام

لقد أرسل الله الى الناس أول نبي عرفنا الله به. وأوحى اليه ليعلم الناس أمور دينهم بعد أن تنكبوا الطريق السوي وعبدوا الأصنام. وادريس قد ذكره الله جل وعلا في القرآن الكريم في سورة مريم بقوله في الآية/٥٦: ﴿واذكر في الكتاب ادريس إنه كان صديقاً نبياً * رفعناه مكاناً علياً﴾ وقد ذكر في حديث المعراج وانه في السماء الرابعة. وذكر في كتاب العهد القديم انه الحفيد السادس لآدم عليه السلام وهذا بما جاء في الاصحاح الخامس من سفر التكوين/٢١ وعاش أخنوخ خمساً وستين سنة وولد متوشالح/٢٢ وسار أخنوخ مع الله بعدما ولد متوشالح ثلاثمائة سنة وولد بنين وبنات/٢٣ فكانت كل أيام أخنوخ ثلاثمائة وخمسة وستين سنة. وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه// ثم أولد متوشالح ابن ادريس ولداً سماه لامك وهو والد نوح.

وقد تحدث الناس بعد ذلك عن ادريس كثيراً. وذكروه بأسماء شتى منها (هرمس) وذكروه باسم هرمس الهرامسة وقد ذكره البعض أنه من حكماء مصر الأقدمين، وأنه أول من خط بالقلم. وأنه أول من خاط الثياب. وأنه أول من تكلم بالحكمة. وأنه أول من حارب الكفرة، وأنه أول من بنى بناءً.

والبعض يقول أنه ولد في بلاد اليونان، وأنه كان أحد أبطال حرب طروادة، وبعضهم يقول أنه الخضر، وكل هذه الأقوال لا تستند الى أية حقيقة، وما هي الا استنباطات خاطئة أو ذات

أغراض، ولم يرد عنه سوى تلك الآيتين اللتي في سورة مريم وحديث كتاب العهد العتيق.

وحقيقة أمره أنه كان قبل الطوفان بعشرات القرون بعثه الله لارشاد الناس بعد ضياع طال أمده، وأراد الله انتهاء ذلك العهد فأرسل ادريس أو بعثه نبياً، والأنبياء كثيرون جداً منهم الذين ذكرهم الله في القرآن ومنهم من لم يذكر، وقد قال تعالى في سورة فاطر/٢٤: ﴿وان من أمة الا خلا فيها نذير﴾.

فبدأ يعلم الناس ويرشدهم. فصدقه قوم وكذبه آخرون، فربما أنه حارب من عصى بمن آمن. وربما طردهم من أرض الخصب وأقام على ذلك سنيناً. ثم مات منزوياً. أو أنه رفع الى السماء. وحديث. . المعراج يذكر أن رسول الله ﷺ رآه في السماء الرابعة. ولكن الحديث يذكر أن محمداً ﷺ رأى عيسى في السماء ويحيى وهرون وموسى، وابراهيم وآدم وعلم ذلك عند ربي أكان ذلك بالروح وهو الأقرب الى النفس أم بالروح والجسم.

وقد ورد حديث خرافي في تفسير الخازن أن ادريس عليه السلام كان أعبد الناس في عصره، وكان يرفع الى الله من عمله الصالح بقدر عمل أهل الأرض كلهم، وعند افتتان هاروت وماروت أتيا الى ادريس يسألانه الشفاعة لهما عند الله ليرجعا الى السماء، فسأل الله لهما، فقال خيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا عن عذاب الآخرة يعذبان في بابل حتى تقوم الساعة. والله أعلم بكل هذا.

وقد ذكر الله ادريس في سورة الأنبياء أيضاً في الآية/٨٥: ﴿واسماعيل وادريس. وذا الكفل كل من الصابرين ورفع ادريس عليه السلام وهل كان رفعه استخلاصه من أذى الناس، أم كان رفعه حياً وبجسمه الى السماء. أم أن الله ذكر رفعه بعلو مكانته والعلم الصحيح الى الخالق﴾.

بدء دعوة نوح عليه السلام

وعاش الناس بعد رفع ادريس دهراً طويلاً فعاد الناس الى عبادة الأصنام. والافساد في الأرض وكثر الظلم والبغي، واستعبد القوي الضعيف. وارتفعت أصوات المظلومين.

فارسل الله جل وعلا نوحاً الى الناس يذكرهم بربهم وخالقهم. ويأمرون بالمعروف، و ينهاهم عن المنكر. ويأمرهم بانصاف بعضهم بعضاً. وأن يرحم بعضهم بعضاً. وأن يحطموا الأصنام تلك التي يعبدون، والتي سموها بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان. وأخبرنا الله عن أسماء تلك الأصنام في كتابه بسورة نوح الآية/٢٣: ﴿وقالوا لاتذرون آلهتكم ولا تذرون وداً ولا سواعاً ولا يغوث ولا يعوق ونسراً﴾ ومن هذا يتبين أن لهم أصناماً أخرى غير هذه الخمسة.

أما السادة في الناس فلم ينظروا الا الى حاضرهم الذي هم عليه أجسام عامرة، وأموال وافرة، وأراض واسعة فترف القوم وعيشهم الهني ومتعهم التي يشتهون في متناول أيديهم، فرفضوا الانصياع الى مطلب الرسالة وكان التشريع الأول الى نوح:

سبق التشريـع إلى نـوح لِـيُبـلِّغَ ذاك فـعـاصـاه
مَنْ شـاءَ العَيْشَ بِلَذَّاتٍ كَـرِهَ الـتشْرِيـعَ فـعـاداه

وكذبه قومه وعادوه وصبر نوح على تكذيبهم. ودأب على وعظهم في محافلهم وتقديم النصائح لهم لقرونٍ وهم في غيهم ولذائذهم التي تفسد مجتمعهم، وتحطم أخلاقهم، ولم يتوقف نوح عن دعوته، واصر عليها، ولم يرجعوا عن غيرهم وتكذيبهم وأصروا على الرفض.

ويخبرنا جل وعلا عن المدة التي قضاها نوح يدعو بها قومه وينذرهم، وهي طوال أيام عمره فقال في سورة العنكبوت الآية/١٤: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون * فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾.

إن عمر نوح عليه السلام لم يذكر أنه كان لأحد، وإن كان كتاب العهد العتيق قد ذكروا أعماراً لآباء نوح فيهم من هو أكثر عمراً مثل يارد وانه عاش تسعمائة واثنتين وستين عاماً. وإن متوشالح عاش تسعمائة وتسعة وستين عاماً ولربما كان ذلك في القديم لصفاء الأجواء، وطيب المناخ وقلة الجراثيم أو لفقدها، وللأجسام العامرة التي كانوا يتمتعون بها والله أعلم.

ومن الغريب أن يأتي في كتاب العهد القديم أن عمر الدهر كله من خلق آدم الى يومنا هذا لم يتجاوز ستة أضعاف عمر نوح عليه السلام، فيكون عمر آدم مع عمر متوشالح مع عمر نوح يساوي الفين وستمائة وسبع سنين ومئات الأجيال تعيش بقية عمر الدهر فسبحان الله.

وطال عمر نوح ولايزال في دعوته. ولم يزداد القوم الا بعداً فشكى أمره لربه، فاخبره وهو العليم الخبير أنه لن يؤمن من قومك الا هؤلاء الضعفاء الذين أمنوا من قبل، فاصنع لك سفينة تحمل عليها أهلك ومن آمن معك.

كان نوح يدعو الناس ويرغبهم، ويخبرهم بما عند الله من خير في الدنيا، وما عند الله من خير في الآخرة، ولكنهم لم يتغيروا الى طاعة أو يقبلوا بها فقد طالت الدعوة ولم يروا شيئاً يعكر حياتهم اللهم الا أن محولاً تعاقبت في آخر عمر نوح في الدعوة فلم يأبهوا لها ولم يأخذوا فيها عبرة.

ويبدأ نوح بعد الترغيب الذي لم يُجْدِ معهم نفعاً يحذرهم وينذرهم، ولكن دعاة الانحلال كانوا أقرب الى قلوب الناس، وقد فسدت القلوب أفسدها سوء التربية وكثرة الأموال. وقد عمرت نواديهم بكل ما يرغب في الفساد والفاحشة وكما قال:

ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أي مفسده

وكما ذكر جل وعلا أنه بقي في الدعوة مدة عمره ألف سنة الا خمسين عاما حتى أخبره الله جل وعلا في سورة هود الأية/ ٣٦: ﴿و أوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾.

لقد أوحى الله إلى نوح بأن يصنع السفينة بهداية الله و ارشاده. وجعل قومه يسخرون منه. ولاندري سبب سخريتهم أهو التمادي في التكذيب. أم لأنهم لم يروا أمطارا منذ سنين أم لسبب آخر ؟.

لربما كان صنع السفينة على الأرض اليابسة وليست في حوض بجانب البحر حتى وليس هناك بحر فجعل القوم يمرون عليه وهو يصنعها ويتندَّرُون بفعله.

يقول تعالى في القرآن الكريم بعشرات الآيات أن الهداية منه و منها قوله تعالى في سورة هود الأية/١١٧: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾.

ويقول في سورة الزمر الأية/٣٦: ﴿أليس الله بكاف عبده و يخوفونك بالذين من دونه. ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ؟﴾.

ويقول جل القائل في سورة الأنعام الأية/١١٢: ﴿و كذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. ولو شاء ربك ما فعلوه. فذرهم وما يفترون﴾.

فبعض قوم نوح سادة قد استكبروا على الأخرين وملكوا أمرهم فمنعوهم عن الايمان بما جاء به نوح. و كما قال تعالى في سورة سبأ الأية/٣١: ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ لظالمون موقوفون عند ربهم. يرجع بعضهم إلى بعض القول. يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنينْ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا. أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾.

وعلى كل حال فقد كان استهزاء قوم نوح بصنع السفينة انما هو تكذيبا لرسول ربهم ورسالته ؟ ولم يذكر كتاب العهد العتيق رسالة نوح في قومه إنما جاء هذا عنه في الاصحاح من سفر التكوين/٨ و أما نوح فوجد نعمة في عيني الرب) ولكنه ذكر أن الناس قد فعلوا الشر. وأن الناس قد فسد طريقهم فقال لنوح اصنع لك سفينة من خشب جفر. تجعل الفلك مساكن وتطليه من خارج ومن داخل بالقار. ويقول تعالى في سورة هود الآية /٣٧ ويتم القول السابق في نفس السورة: ﴿ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه. قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾.

لقد سلط الله جل وعلا الجفاف على قوم نوح. وبقوا في غيهم وأخبرهم رسولهم بأن ايمانهم واستغفارهم يكون سببا لسقياهم. وذلك في قوله تعالى في سورة نوح الآية/١٠: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ فرفضوا عرضه هذا. وقالوا له بما أخبرنا الله في سورة هود الآية/٣٢: ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا. فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾.
لقد طال عمر نوح. ونفذ صبره فقال كما في سورة نوح الآية/٢٦: ﴿وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك. ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾.

لقد كانت السفينة بدائية الصنع. وخشبها بتمامه لم يشذب. ولم تقم على حوض. فلما أزدادوا سخرية قال لهم: ﴿من يهزأ يهزأ آخرا﴾ وتم صنع السفينة كالقرية العظيمة. وجمع فيها من حيوانات قومه من التي تعيش فيها خشية انقراضها. وذلك بأمر الله تعالى حيث قال له بما أخبر في سورة هود الآية/٤٠: ﴿حتى إذا جاء أمرنا. وفار التنور. قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين. وأهلك إلا من سبق عليه القول. ومن آمن ومآآمن معه إلا قليل﴾.

لقد حمل معه من الحيوانات التي في منطقة الطوفان من كل جنس زوجين اثنين. وجعل له علامة بدء الطوفان. أن يفور تنور بينه بالماء وربماكان على الصخر فيكون فجر الماء منه آية. وبدأ هذا التنور في فورانه ويتابع القول: ﴿وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها. ومرساها. إن ربي لغفور رحيم﴾ ويقول تعالىٰ في سورة القمر الآية/٩: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وأزدجر * فدعا ربه أني مغلوب فأنتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيوناً فالتقىٰ الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر * ولقد تركناها آية فهل من مدكر﴾.

ثم ذكر الله جل وعلا حالة الأرض آنذاك في سورة هود الآية/٤٢: ﴿وهي تجري بهم في

موج كالجبال ونادىٰ نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولاتكن مع الكافرين * قال سأوي إلى جبل يعصمنى من الماء. قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم. وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ وأنهىٰ الطوفان المهمة وقال تعالىٰ في سورة هود الآية/٤٤: ﴿وقيل ياأرض ابلعي ماءك. وياسماء أقلعي. وغيض الماء. واستوت على الجودي. وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾.

وبعد أن أتم الله المشيئة استوت السفينة على جبل الجودي. شمال شرقي بلاد الشام. ونزل نوح ومن معه عن متن السفينة. وبقيت على رأس الجبل ألاف السنين. ويقول الله جل وعلا عنها كما مر في سورة العنكبوت: ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة. وجعلناها آية للعالمين﴾.

ونزل نوح مع من كان معه. ويذكرهم جل وعلا بأنهم قلائل فقد قال كما مر: ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ ولكن مرافقيه لم يلدوا. فقد قال تعالىٰ كما في سورة الصافات الآية/٧٧: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾.

لقد كان أحد أبناء نوح في معزل عن أبيه. وربما كان بينهما جفاء. فلما ارتفعت المياه نادىٰ الوالد ابنه. ليركب معه السفينة. فقال الولد. سأرتقي على جبلٍ أستعصم به من الماء. وألح الوالد على ولده. ولكن الولد لم يؤمن بكلام أبيه. وارتفعت المياه. وحالت بينهما. ولما غاض الماء نادىٰ نوح ربه. أي رب ان ابني من أهلي. ويقصد أن الله وعده بالنجاة مع أهله. وهذا من الأهل. فقال تعالىٰ عن ذلك في سورة هود الآية/٤٥: ﴿ونادىٰ نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي. وأن وعدك الحق. وأنت أحكم الحاكمين * قال يانوح إنه ليس من اهلك. انه عمل غير صالح. فلا تسألن ماليس لك به علم. اني أعظك أن تكون من الجاهلين * قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين★.

لقد مرت حادثة الطوفان على نوح ومن معه كرحلة طويلة شاقة. آلمهم فيها ماصار إليه الناس من فناء. وقد تأثر نوح على ولده حتى سمع من الله ماجعله ينساه.

وقد قال البعض من المفسرين أو قرأ البعض ﴿إنه عَمِلَ غَيْرَ صَالحٍ﴾ وقال البعض أو قرأ ﴿انه عَمَلٌ غَيْرُ صَالحٍ﴾ وعلم ذلك عند الله. وقد أخبرنا الله أن احدىٰ نساء نوح قد خانته ولاندري ماهي خيانتها كما كانت على ذلك امرأة لوط. فقد جاء في كتاب الله في سورة التحريم الآية/١٠: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح. وامرأة لوط. كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين. فخانتاهما. فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً. وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ ومن هذا لاندري ماهي الخيانة التي خانتها امرأة نوح ولانخوض بالظن. وقال تعالىٰ لنوح كما في

سورة هود الآية/٤٨: ﴿قيل يانوح اهبط بسلام منا. وبركات عليك. وعلى أمم ممن معك. وأمم سنمتعهم. ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾.

لقد فار التنور بالماء. وأسرع نوح. ومن أمن معه إلى السفينة الموقرة بحاجة من سيعلو متنها ومعهم المخلوقات التي أُمِرّ بحملها. وأنبثق الماء من الأرض. وانهمر المطر من السماء. واشتدت حرارة الشمس على القطبين أو على قطب منهما. فذاب الجليد. وارتفعت مياه البحار الى منسوب عال. وأصبحت الأمواج كالجبال الشامخة. مما يرعب المطمئن ببيته وذكر المؤمنون أهلهم. وتأسفوا على حالهم وكفرهم.

وتناسىٰ الناس لذائذ أيامهم. وذهلوا عن أهليهم وأموالهم ولم يستطع أحد من القوم أن يلتقي بأخيه. وصاح البعض ياقومي. وغابت ساعة اللوم... وظن البعض عصمتهم كأن الأمر في النوم... فحلم الحالمين مضىٰ. وحلت ساعة السوم... فموت بعد تعذيب أقض مضاجع القوم... وصارت قصة تتلىٰ. بتاريخ على الدوم.

لقد ذكروا أن أبناء نوح الذين ركبوا معه السفينة ثلاثة. أكبرهم سام. وحام ويافث وكأن من ركب مع نوح من المؤمنين لم ينجبوا أولاداً. أو أنهم كانوا عجزة. أو أنهم بلازوجات والله أعلم أي ذلك كان. وقد ذكر كتاب العهد العتيق أن لكل واحد من أبناء نوح ذريةٍ وقالوا: أن ساماً والد العرب. وأولهم قحطان. ثم أرم. وعيلام. وأشور. ولود. وأرفكشاد فقحطان بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح. ولقحطان أخ اسمه فالج.

وذكروا أن فالج هو الجد الخامس لإبراهيم عليه السلام. وأن نوح هو الجد العاشر لإبراهيم وأن مابين الرجلين مأتين وتسعين عاماً. وأن سام بن نوح قد عاش بعد الطوفان خمسمائة عام. وأن نوحاً عاش بعد الطوفان. ثلاثمائة وخمسين عاماً. وهذا بعيد عن الواقع جداً. حتى وذكروه من التوراة. ولكن الله لايخطيء في حسابه.

ثم قالوا: ان حاماً هو والد الكنعانيين. وأهل مصر. وأهل الساحل السوري. والحثيين وجميع سكان فلسطين وماحولها. وجزائر البحر القريبة من الساحل السوري. أما أبناء يافث فهم الجنس الأصفر. والمغولي. والآري. وهكذا قسموا الناس على الأرض لأبناء نوح. وعلم ذلك الى الله. وقد قال رسول الله ﷺ: «كلكم لآدم. وآدم من تراب» والأهم والأعظم أنهم قالوا هذا ونسبوه الى التوراة. فقد جاء في الإصحاح التاسع من سفر التكوين مايلي/٢٠ وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً/٢١ وشرب من الخمر وسكر. وتعرىٰ داخل خبائه/٢٢ فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه. وأخبر أخويه خارجاً/٢٣ فأخذ سام ويافث الرداء. ووضعاه على أكتافهما

ومشيا الى الوراء. وسترا عورة أبيهما. ووجهاهما الى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما/ ٢٤ فلما استيقظ نوح من نومه عرف مافعل معه ابنه الصغير/ ٢٥ فقال ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته. /٥٦ وقال مبارك الرب اله سام. وليكن كنعان عبداً لهم/ ٢٧ ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام. وليكن كنعان عبداً لهم. وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة/ ٢٩ فكانت كل أيام نوح تسعمائة وخمسين عاماً ومات.

فهل هذا صحيح بنسبته إلى الله والله يقول في التوراة. لايؤخذ الأبناء بجريرة الآباء. ولنعد الآن لذكر الطوفان، فكتاب العهد القديم يقول أن الطوفان كان في عهد نوح. وأن نوحاً كان الحفيد العاشر لآدم. وأنه كان الحفيد الثالث لأخنوخ لإدريس عليه السلام فإنه نوح بن لامك بن شالح بن أخنوخ فمن هذا يذكر الكتاب ان الطوفان كان في السنة كمايلي: ألف وستمائة وست وخمسين لبدء تكوين آدم الأب الأول للبشر. فإذا حسمنا منها عمر آدم يكون الطوفان بعد موت آدم بسبعمائة عام ويكون الطوفان في السنة وهي ألفان ومائة وأربع سنوات قبل الميلاد. فهل هذا صحيح ؟.

إن الطوفان لم يحدد أبداً إلا في كتاب العهد القديم. وثبت أنه لم يكن في هذا العهد طوفان قضىٰ على سكان الأرض أو على جزء منها. فإن هذا الطوفان المزعوم تحديده قد جاء في زمن التأريخ المعلوم. الذي أثبتته دراسة الآثار. وان كان من ضمن تلك الآثار ذكر للطوفان أيضاً. ولم يحدد فيه عهد الطوفان. لأن الطوفان قبل بدء التاريخ. فالطوفان أما أنه قد شمل الأرض. أو أنه أصاب جزءاً منها. وعلم ذلك عند ربي. والأصح أن لكل جزء على الأرض طوفاناً بتواريخ متفاوتة. ولكن الطوفان الذي كان في عهد نوح قد سبق التاريخ سبقاً بعيداً.

الطوفان وكيف هو

لقد أراد الله جل وعلا أن يغسل أدران وآثام الناس الذين ملؤوا جانباً من الأرض بآثامهم وبغيهم وسفكهم لدماء بعضهم. والبغي يجمع الآثام بجميع أنواعها. فأمر الأرض أن تقترب من الشمس قليلاً بأحد محوريها. فأقتربت الأرض من الشمس. وارتفعت حرارة ذلك القطب وذاب جليده. كما ارتفعت حرارة الأرض المعتدلة. وفاض الماء. وطفىٰ على الأرض. وعلا بخار الماء. وارتفع بخاراً. وتشبع الجو بالبخار وصار الجو الى آلاف الأمتار بحراً للحرارة الشديدة. وأمتلأ جوف الأرض بالماء. وقذف الماء بشكل أنهار من جوانب الأرض كلها الى الجانب المعني والمقصود بالطوفان. وهطل المطر بشكل لم يكن في يوم مثله على جميع ذلك الجانب كنهر ينزل من السماء. والتقىٰ الماء المنصب من الأعلى مع الماء المقذوف من جوف الأرض وتغطىٰ نصف

الأرض الشمالي أو الشرقي أو هذا الجزء المتوسط من الأرض الذي منه وفيه منشأ التاريخ المدون. وهو الشرق الأوسط. ويشمل أيضاً منطقة البحر الأبيض أو شماليه وشرقيه فقط ومايسمىٰ بأسيا الصغرىٰ. وعلا الماء فوق الجبال.

وانعدمت الأصوات بعد صخبها المرعب وعلت الأمواج كالجبال العظيمة. وانعدم الهول لعظم الهول. ولايرىٰ بعد إلا الماء والسماء المغطاة بالسحب. ويقول تعالىٰ في سورة النور الآية/٤٠: ﴿أو كظلمات في بحر لجيٍّ يغشاه موج من فوقه موج. من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض. اذا أخرج يده لم يكد يراها﴾.

البحر جميل ويحبه الكثيرون ويذهبون لرؤيته والتمتع بمرآه والبواخر والطيور منها مايمخر عبابه ومنها مايطير فوقه يطلب رزقه. ومن الناس من يركبون البحر في مراكب نزهة يتمتعون بمرأىٰ السماء والماء. هاربين من صخب المجتمعات يستجمون.

أما أن تكون الأرض عامرة بالإنسان. والبنيان والأشجار والجبال وكل مايؤنس من حيوان ومرغوب فيه وفجأة ينعدم كل هذا وتصبح الدنيا كلها ماءً. ومع الرياح الدافعة جبالاً. وليت الإنسان في جوف الماء لهان أمره ولم ير هول تلك الحال.

لقد تساوىٰ الحي والميت فلا حول له ولاقوة. أكان هذا في جسمه أم كان هذا في عقله فقد صار المرء لايملك من أمر نفسه شيئاً. وكان الطوفان الذي أنذر به نوح قومه. فالطوفان أعطىٰ به الله دعوة نوح على قومه حقها حيث قال بما ذكر الله في سورة نوح الآية/٢٦: ﴿وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾.

ويقول جل وعلا في سورة يوسف الآية/١١٠: ﴿حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجيَ مَنْ نشاء ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾.

إن مئات الأعوام قد مرت على نوح وهو يدعو قومه. وهم يرفضون دعوته ويهينونه ويؤذونه. وترىٰ ألم ييئس ؟ ويقول تعالىٰ: ﴿حتى اذا استيأس الرسل﴾.

ترىٰ هل كان الطوفان شاملاً للأرض كلها أم لجزء منها ؟.

ترىٰ هل كان الطوفان بأرض مخصوصة. أم كان الطوفان قد شمل جميع الكرة الأرضية ؟ وهل ذاب جليد القطبين أم ذاب جليد قطب واحد وهو الأقرب للأرض المخصوصة. والأقرب هو القطب الشمالي. وربما كان ذاك وحده.

لقد عرفنا أن الطوفان قد شمل أرض الشرق الأوسط. وتأكدنا من هذا. لأسباب أولها أن الله جل وعلا قال في سورة هود في الآية/٤٤: ﴿وقيل ياأرض ابلعي ماءك. وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضىٰ الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ فالله جل وعلا ذكر جبل الجودي وهو في أعالي بلاد الرافدين.

وأما كتاب العهد العتيق فيقول أن سفينة نوح قد رست على جبل أرارات وهي قريبة من بعض فمن هذين عرفنا أن الطوفان قد شمل وكان في هذه الأرض.

متىٰ أوجد الله الإنسان ؟ ومتى كان الطوفان؟.

لقد مر معنا أن علماء الآثار قد اكتشفوا جمجمة انسان في أندنوسيا في جزيرة جاوة. وأن حجمها على النصف من جمجمة الإنسان الحالي وذلك كما ذكرت مجلة المعرفة في عام (١٨٩٠) واكتشفوا أيضاً في الصين في منطقة بكين جمجمة انسان حجمها ثلاثة أرباع حجم جمجمة الإنسان الحالي. وقدروا أن حياة صاحب الجمجمة التي في جاوة كانت منذ نصف مليون سنة الى ستمائة وخمسين ألف سنة. أما انسان بكين وهذه تسمية صاحب الجمجمة فتعود حياة صاحبها إلى مايقرب من ثلاثمائة ألف سنة. وهي بعد انسان جاوة بثلاثمائة ألف سنة.

ومن هذ نقول: اذا كان هؤلاء الذين سكنوا جاوة من أكثر من نصف مليون سنة من أبناء آدم. فآدم في حقبة بعد هذين الإنسانين وليس هذين من أبناء آدم فإنماهم من مخلوق غير الإنسان. ويكون آدم في آخر حقبة قدرها العلماء منذ ثلاثين ألف عام وعلم ذلك عند ربي. وان هذا في قرب من العقل. فآدم ربما كان قبل ذلك بكثير. وهذا من تاريخ الآثار التي وجدت في كثير من الكهوف في أوروبا والجزائر وشمالي العراق. والأمر في البيان يعود الى الله إن شاء عرف بكشوف نطلع فيها على الثابت الصحيح والمقنع.

إن ماجاء في كتاب العهد العتيق قد عارضه علم الآثار معارضة تامة في تأريخه وتحديداته التي أبعدت الكتاب عن الحقيقة بعداً كاملاً. فتلك الآثار التي وجدت في أرض مصر وتلك التي وجدت مابين النهرين. وهذا تل حلف جانب الفرات. فآثارها كلها تثبت أن وجود الناس كان قبل ماذكر من بدء تكوين آدم بكثير وكثير. فهلا أعاد النظر من آمن بما ذكر فيه ليتحقق من الأمر الثابت الصحيح فبالتأكيد ان الله لايخطيء ولايمكن أن يخطيء.

كان الطوفان في عهد سبق التاريخ. وأستأصل الطوفان قوم نوح. وهذا لا شك فيه أما أنه قد شمل الأرض جميعها في وقت واحد. فهذا لم يثبته شيء عن كتاب منزل أو حديث نبي

مرسل. انما ورد في كتاب العهد القديم. لم يذكره ابراهيم ولم يذكره موسى. ولم يرد ذكر بيانه عن عيسى. ولم يرد من محمدﷺ أي خبر يؤيد غرق الأرض دفعة واحدة. ونورد الآن ماجاء في القرآن الكريم بخبر الطوفان ففي سورة الأعراف الآية/٥٩ قوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه. فقال ياقوم اعبدوا الله. مالكم من إله غيره. اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ ففي هذه الآية دليل ثابت على أن نوحاً أرسل إلى قومه خاصة.

وجاء أيضاً في سورة هود الآية/٢٥: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه اني لكم نذير مبين﴾ ان الله قد أرسل نوحاً إلى قومه. ودلت الآيات على وجود أقوام آخرين. وفي سورة المؤمنون الآية/٢٣: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه. ما هذا الا بشر مثلكم﴾ وكل هذا يؤكد أن نوحاً أرسل من الله إلى قومه خاصة. والذين كفروا من قومه هم الذين خاطبوه. وقد جاء في سورة العنكبوت مايثبت هذا ففي الآية/١٤: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون * فأنجيناه وأصحاب السفينة. وجعلناها آية للعالمين﴾ وفي سورة نوح الدليل التام بأنه أرسل إلى قومه من بين غيرهم فقد قال تعالى/١: ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه. أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ كل هذا يثبت أن قوم نوح هم المقصودون بدعوته وبانذاره لهم بالطوفان.

فاذا قال قائل أن نوحاً قال في الآية/٢٦ من سورة نوح: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ فانه يقصد الأرض التي يسكنها قومه. حتى ولو قصد الأرض بأكملها. لم يلزم ربه بفناء العالم. فان محمداً ﷺ دعا على أقوام أربعين يوماً. وأسلم القوم بعد ذلك. والآية التي بعد هذه تجيب على القول: ﴿إنك ان تذرهم يضلوا عبادك. ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ لقد تأكد من ضلالهم وأنهم سيضلون الأقوام الأخرى.

وقد ذكر الله قوم نوح ؟ في القرآن الكريم أربعة عشر مرة كقوله: ﴿وقوم نوح من قبل كانوا هم أظلم وأطغى﴾ إلى تمام أربعة عشر مرة. وفي سورة الاسراء يقول تعالى الآية/١٥: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾.

فالطوفان إذاً لم يشمل الأرض دفعة واحدة. بل شمل آسيا الصغرى. والشرق الأوسط وبلاد مابين النهرين. وربما كان البحر الأبيض بحيرات ومستنقعات يسكن البشر جوانبها. ولانحد منطقة الطوفان. فعلمها عند الله. فقد كان الطوفان فيما قبل التاريخ المدون. ولم يشمل جميع الأرض. ولكل أرض طوفانها الرهيب «قصة الطوفان في ملحمة (جلجامش) السومري»

وقد تبين لجميع من تتبع قصة الطوفان أنه ليس كما حدده كاتب كتاب العهد العتيق وان هذا السفر ليس من التوراة حتى ولا سفر الخروج. ولا الجانب الأكبر من الأسفار الثلاثة الأخرى واليكم بصحة هذا القول ففي ملحمة غلغامش التي كتبت قبل الألف الثالث للميلاد وهي تتحدث عن الطوفان السابق لعصرها وتتكلم تماماً بأكثر ما جاء في حديث طوفان نوح وهذا منه تقول القصيدة أن الناس قد امتنعوا عن تقديم الضحايا للآلهة. فانزعج هؤلاء واجتمعوا وقرروا فناء الناس. ولكن الهاً من تلك الألهة أفضت بسر الألهة الى نبات القصب ليخبر ابن (أوبارادود) ويحثه على صنع سفينة يجمع عليها من جميع أصناف المخلوقات. ويتهيأ لركوبها عندما يرى الماء يملأ الأرض. فبنى(أوتونافيسيتم) تلك السفينة. وصعد اليها مع أسرته والحيوانات التي أراد انقاذها. وفعل هذا. وهطلت الأمطار الغزيرة ستة أيام بلياليها. فحدث منها ذلك الطوفان الهائل. وأهلك جميع الناس. وفي اليوم السابع توقف هطول المطر ورست السفينة على جبل (نزير) وأطلق (أوتونافيسيتم حمامة فعادت اليه في اليوم التالي لأنها لم تجد مكاناً تهبط عليه. وبعد مدة أخرى. أطلق عقاباً. فذهب ولم يعد فعلم أن المياه قد غاضت فتقدم بأضحية كبرى الى الألهة. التي اجتمعت حول رائحة اللحم تتلذذ بها قصة الطوفان في كتاب العهد العتيق وتماماً نفس هذه القصة وردت في كتاب العهد العتيق إلا أن الملحمة تذكر الألهة أما في كتاب العهد العتيق يذكر الله الذي غضب لعمل الشر في الناس. وليس لعدم تقديم الضحايا ولكنه يعود فيذكر في أخرها هذا/ ٢٠ وبنى نوح مذبحاً للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة. وأصعد محرقات على المذبح/ ٢١ فتنسم الله الرب رائحة الرضى وهذه قصة الطوفان في كتاب العهد العتيق الاصحاح السادس والسابع والثامن من سفر التكوين/ ١ وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض. وولد لهم بنات /٢ أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسناوات. فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا/٣ فقال الرب لا يدين روحي في الانسان الى الأبدلزيضانه. هو بشر وتكون أيامه. مئة وعشرين سنة/ ٤ كان في الأرض طغاة في تلك الأيام. وبعد ذلك أيضاً اذ دخل بنوا الله على بنات الناس. وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة. الذين منذ الدهر لهم اسم/ ٥ ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الارض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم/٦ فحزن الرب أنه عمل الانسان في الأرض. وتأسف في قلبه/ ٧ فقال الرب امحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم/٨ وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب/ ٩ هذه مواليد نوح. كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله. وسار نوح مع الله/ ١٠ وولد نوح ثلاثة بنين ساماً وحاماً ويافثاً/ ١١ وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلماً/ ١٢ ورأى الله الأرض فاذا هي قد فسدت. اذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض/ ١٣ فقال الله لنوح نهاية كل

البشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم. فها أنا مهلكهم مع الأرض/١٤ اصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر تجعل الفلك مساكن. وتطليه من داخل ومن خارج بالقار/١٥ وهكذا تصنعه. ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعاً عرضه وثلاثين ذراعاً ارتفاعه/١٦ وتصنع ؟ للفلك وتكمله الى حد ذراع من فوق. وتصنع باب الفلك في جانبه مساكن سفليه ومتوسطة وعلوية تجعله. /١٧ منها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك. كل جسد فيه روح حيوة من تحت السماء. كل ما في الأرض يموت/١٨ ولكن اقيم عهدي معك. فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك/١٩ ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل الى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكراً وانثى/٢٠ من الطيور كاجناسها ومن البهائم كاجناسها ومن كل دبابات الأرض كاجناسها. اثنين من كل تدخل اليك لاستبقائها. /٢١ وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك. فيكون لك ولها طعماً/٢٢ ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله هكذا فعل.

/٢ من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وانثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وانثى/٣ ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وانثى. لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض/٤ لأني بعد سبعة أيام أيضاً أمطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة وامحو عن وجه الأرض كل قائم عملته/٥ ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب. /٦ ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الأرض/٧ فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه الى الفلك من وجه مياه الطوفان/٨ ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن كل الطيور وكل ما يدب على الأرض/٩ دخل اثنان اثنان الى الفلك ذكراً وانثى. كما أمر اللهنوحاً/١٠ وحدث بعد السبعة الأيام أن مياه الطوفان صارت على الأض/١١ في سنة ست مئة من حيوة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء/١٢ وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة/١٣ في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافت بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معم الى الفلك/١٤ هم وكل الوحوش كاجناسها وكل البهائم كأجناسها وكل الدبابات التي تدب على الأرض كأجناسها وكل الطيوركأجناسها كل عصفور كل ذي جناح/١٥ ودخلت الى نوح الى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حيوة/١٦ والداخلات دخلت ذكراًوانثى من كل ذي جسد كما أمره الله. وأغلق الرب عليه/١٧ وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض/١٨ وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض. فكان الفلك يسير على وجه المياه/١٩ وتعاظمت المياه كثيراً حداً على الأرض. فتغطت

جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء/٢٠ خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع تعاظمت المياه. فتغطت الجبال/٢١ فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس. /٢٢ كل ما في أنفه نسمة روح حيوة من كل اليابسة مات/٢٣ فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض. الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء. فانمحت من الأرض. وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط/٢٤ وتعاظمت المياه على الأرض مئة وخمسين يوما.

/١ثم ذكر الله نوحاً وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك. وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه. /٢

/٣ ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً. وبعد مئة وخمسين يوماً نقصت المياه. /٤ واستقر الفلك في الشهر السابع عشر من الشهر على جبال ارارات. /٥ وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً الى الشهر العاشر وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال/٦ وحدث من بعد أربعين يوماً أن نوحاً فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها/٧ وأرسل الغراب. فخرج متردداً حتى نشفت المياه عن لأرض/٨ ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض/٩فلم تجد الحمامة مقراً لرجلها فرجعت إليه إلى الفلك. لأن مياهاً كانت على وجه كل الأرض فمد يده وأخذها وأدخلها عنده الى الفلك/١٠ فلبث أيضاً سبعة أيام أُخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك/١١ فأتت اليه الحمامة عند المساء واذا ورقة زيتون خضراء في فمها فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض/١٢ فلبث أيضاً سبعة أيام أُخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع اليه أيضاً/١٣ وكان في السنة الواحدة والست مئة في الشهر الأول في أول الشهر ان المياه نشفت عن الأرض فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد نشفت/١٤ وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الأرض/١٥ وكلم الله نوحاً قائلاً/١٦ اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك/١٧ وكل الحيوانات التي معك لتتوالد في الأرض/١٨ وخرج نوح ومن معه/١٩ وكل الحيوانات والدبابات وكل الطيور وكل ما يدب على الأرض خرجت من الفلك/٢٠ وبنى نوح مذبحاً للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح/٢١ فتنسم الرب رائحة الرضى وقال الرب في قلبه لاأعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ولا أعود أميت كل حي كما فعلت/٢٢مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لاتزال.

ومن المقارنة مع قصة جلجامش يكون الطوفان في الألف الرابعة قبل الميلاد. وفي كتاب العهد العتيق يكون الطوفان في سنة ألف وتسعمائة وثمانية وعشرين قبل الميلاد. وتلك الآثار بين يدي العلماء. والحقيقة أن الطوفان قد سبق التاريخ بألاف السنين. وأن قصته في ملحمة جلجامش والسومريين انما هي بالسماع. لأن الطوفان قد قضىٰ على الفواحش وعبادة الأصنام. وقد طال الفصل بين نوح والسومريين وعبد الناس الأصنام ثانية وفعلوا الفواحش. وبغوا في الأرض. وكان السومريون أصلح حالاً. ثم ذكروا هذا وهم يعبدون الأصنام. وذكروا الطوفان في بلادهم.

ومن هذا والعلم الصحيح لله وحده أن عدة طوفانات قد مرت في عهد أبناء آدم ففي كل أرض طوفان. فيقضي على الكثير من الناس في موطن الفيضانات الكثيرة. وأهم تلك هو طوفان نوح الذي قضىٰ على قومه تماماً. وعلى أرض واسعة تجاور أرض قوم نوح كبلاد الشام وجزيرة العرب مع آسيا الصغرىٰ وبلاد الرافدين. وهي مركز الطوفان لقد حمل نوح في سفينته الجمل والغنم التي في تلك الأرض والبقر والماعز. وبعض الحيوانات التي تعيش في منطقة الطوفان لأن لكل أرض حيواناتها وطيورها. وقد تبين لنا أن قصة الطوفان قد نقلها مؤرخ كتاب العهد العتيق عن ملحمة غلغامش التي سبقت نزول التوراة بألفي عام على الأقل. كما أن الطوفان ربما سبقها بآلاف السنين. ولحمها المؤرخ مع التوراة التي هي أجزاء من الأسفار الثلاثة العدد. لاو. بين. التثنية ليس الا.

لقد بقي مئات الأمم يعيشون على الأرض من بعد الطوفان. فالأسود لم يركب الفلك ولم يركبه الأصفر. وان أبناء نوح الثلاثة. ذكرها الكاتب أو نقلها عن غيره ودرج عليها الناس. وخاصة عندما نالت التقديس. وتابعها علماء اليهود. ثم علماء النصارىٰ ثم علماء المسلمين. وليس عند أحد الدليل الذي يثبت هذا. وكما قال ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب».

كيف يأخذ الناس كلمة من نوح دعاها على حام ابنه فصار أولاده بلون أسود والحثيون ليسوا ذوي بشرة سوداء. وجعلهم من أبناء حام. وكيف صار الأسود أسود لقرن واحد أو قرنين من بعد نوح. فإلى التفكير السليم وهذا العرق الأصفر قد صار على ما هو عليه كذلك في فترة وجيزة فالطوفان كما مر معنا لألف وتسعمائة عام قبل الميلاد. وكان مصرايم ابن حام بن نوح قبل نوح بألفي عام على الأقل. ومن شاء أن يراجع فليفعل. فتلك مراجع الآثار وهذا كتاب العهد العتيق.

التاريخ هو دليل الخبر عن القديم في خط الدهر الثابت المسيرة باتجاه واحد. المشير إلىٰ كل مطلوب بسهم واللفظ فيه أو الأشارة بمحسوس أو ملموس يعرف الشيء عن ثقة بقدر المستطاع أو ظن بنظرية مقاربة وربما يصل التاريخ إلى طالبه مكذوباً لأن المؤرخ أراد هذا وعرف كيف يُزوِرُ ويمكن هذا. ولكن حالة واحدة ربما تُعجز المزور وهي الأثر الدال على الطلب والحقيقة. ولابد للحقيقه أن تظهر في يوم واذا تعددت المطاليب لمعرفة شيء وجب الأخذ بكل خيط يوصل إلىٰ مذكور في سبيل المعرفة. فمن الأقوال المتناقلة مع قرب العهد. ولا نقول الأساطير. وثم تقارب اللغات في ألفاظها. إلىٰ الشبه في الخلق والتقاسيم. إلى العادات والتقاليد في أنماط الحياة. حتى وإلىٰ الخُلُقِ في الأفعال والمفعولات فكل هذا يؤخذ به. ولكنه يفتقر إلىٰ عنصري الفتاريخ، وهما الكتابة والأثر.

أما الكتابة فقد جاءت متأخرة جداً بالنسبة للأثر. وجاء علم الآثار متأخراً عن بدء الكتابة، والأثر هو الدال الوحيد على القديم القديم الذي سبق التأريخ الكتابي وكأنه يتكلم ليدل على بعض جوانب الحياة التي مرت على خط هذا الدهر الطويل الذي لا يعرف بدؤه ولم ولن يعرف آخره وقد ضم كل مطلوب ولو لم نعرفه ونعرف طلبه. لأننا لم نمسك الخيط الذي يوصلنا إليه.

فالساميون مثلاً بحسب كل ما ذكرنا نجد أنهم ينتمون إلىٰ أب واحد، كان في أرض وكثر نسله فيها وتوسع في أرضه. ومات في مكان منها، وكثر نماء نسله، وضاقت الأرض عليهم فجعلوا يتوسعون رويداً رويداً، ولما منعوا من التوسع جعلوا يخرجون من أرضهم على شكل موجات عارمة تذهب ولا تعود، واذا عادت يكون الرجوع لبعض منها، ولا تخرج الموجات الا بضغط واضح.

فلنذكر ساماً الأب الأول كان يسكن الصحراء العربية أو ما جاورها من بلاد الحجاز ونجد أو الخليج وهذا لأن البلاد التي كانت تجاور تلك المنازل كانت غابات متصلة كثيرة الأشجار يتعذر العيش فيها، فالعهود تلك كانت مطيرة، أمطارها كثيرة وأرضها خصبة تسد الغابات كامل أرضها.

لربما كان البحر الأبيض أيضاً والبحر الأحمر بحيرات متباعدة وسهول خصبة، والخليج العربي أوسع وأعمق إلىٰ الداخل أكثر فأكثر حتى وربما وصل إلىٰ أرض الجزيرة في سوريا في الشمال وهذا ليس بالحدث والتخمين فمما يذكر أن البر مع نهر دجلة قد اكتسب من العصر العباسي إلىٰ يومنا هذا كثيراً من الخليج وهذا مع التأكيد.

وقد ذكر الباحثون أن أوروبا كانت منذ عشرة آلاف سنة تتجلد أكثر أيام السنة ولا ينتهي الثلج حتى يعود من جديد فيتكاثر عليه ولا يكاد يذوب.

واذا كان هذا فان مضيق جبل طارق لم يكن قد فتح وان أفريقيا تتصل بأوروبا عنده، ولم يكن هناك من يؤرخ ولم تكن الدولة متوسعة ومتسلطة الا في قبائل وقبائل تختلط ثم تتقلب إلى غالب ومغلوب في سنوات قليلة. وهكذا.

من هذا سكن سام الأب الأول تلك الأرض لدفئها ولشمسها وجفاف مناخها. وقربها من الغابات العامرة بالوحوش والكثيرة اللحم، فكان يفيد من الصحراء، ويستفيد من الغابات والعلم الصحيح بكل هذا لله وحده.

ترى هل كان مضيق باب المندب مضيقاً ؟ أم كانت قارة آسيا من جزيرة العرب هنا تتصل بأفريقيا ولم لا ؟ فالانهدامات كانت أكثر مما عليه الآن كما هو معلوم، فربما كان البحر الأحمر مغلقاً تماماً قبل الطوفان من الجنوب ومن الشمال، أو أنه لم تكن فيه سوى بحيرات، وسهول، وان الانهدام أثناء الطوفان جعل في أرضه ذلك الانخفاض المريع، وربما كان لقوم نوح مسكناً.

إذا كثرت الأمطار في أرض كثرت زلازلها، وكثرت الانهدامات في جوف أرضها، وقد مرت عصور قريبة من عهدنا هذا بالنسبة لبدء الخلق ولم نعرف ما جرى فيها، فقول الله جل وعلا في أول سورة الدهر: ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا﴾ ربما هو ضياع الانسان والزمن الذي عاش فيه ذلك الأمد الذي يعلمه الله وحسب.

فهذه الأحجار السوداء في أرض حوران في سهولها وجبالها دلت على براكين كانت في يوم تقذف حممها، وتبعد الانسان والوحش من الدنو منها، فلا علم حتى الآن كم بقيت تقذف الحمم من زمن ولا علم حتى الآن متى خمدت بالتحديد.

إن الطوفان الذي ذكره الله في كتبه، وقص لنا عن نجاة نوح عليه السلام مع من آمن معه قد أنهى حقبة من الدهر وبدأ حقبة ، لقد كانت الأرض قبل الطوفان على شيء وشكل، وصارت بعد الطوفان على شيء وشكل.

فبالانهدامات التي جرت في أثنائه، وبالرسوبات التي حدثت من جرائه غَيَّرَ الله الكثير من معالم الأرض، وأبدل أمما بأمم، فهذه حقبة من الزمن بالنسبة لانسان ما بعد الطوفان أهم الحقب المعاقبة من قبلها لأن الانسان ربما كان الطوفان سبباً ليقظته من جديد ليعود من ضياع طال أمده عشرات الألوف من السنين.

ولنعد الآن إلىٰ المعروف بين الناس على أنه كان، وهو التاريخ المنقول سماعاً، ثم كتابة اذ أن خبر الأثر لم يؤخذ به بين الناس حتى اليوم، وذاك أن نوحاً عليه السلام قد صار بعد الطوفان أباً للبشر ثانية، وأن أبناءه ثلاثة وهم سام وهو الأكبر، ثم يافث وهو الأوسط. وحام وهو الأصغر، وقد أخذ الناس بهذا مستسلمين لخبره، ولنبدأ الحديث عن الأخ الأكبر أولاً.

هل كان سام أبو العرب؟ أم كان نوح ينطق العربية ؟

وبدأ الحقب يتغير في أوروبا. وبدء المناخ يتغير شرقي البحر الأبيض، وبدأت الأمطار تقل. وجاءت سنون جافة وعم الجدب الصحراء العربية. وطالت فترته فأهلك الأنعام وأهلك الناس. وخرجت الموجة الأولى من الناس إلىٰ تلك الأرض الكثيرة الغابات والوحوش فعاش الناس لأول مرة في تلك الغابات التي بدأت ت تنحسر بفعل الحرائق. والجفاف.

وجاء أقوام آخرون من الشرق من صحراء ايران. وتقابل الفريقان وجهاً لوجه، ونتصور أنهم تراؤوا وتباعدوا لفترات طويلة يتحاشون بعضهم، واختلط الجانبان اما بعد قتال أو بحالات سلم وتزاوج، وعلم هذا إلى الله.

متى كان هذا الذي نتحدث عنه وهو خروج أول موجة بشرية من الصحراء العربية إلىٰ الهلال الخصيب ؟ ويظن هذا أو يجب أن يكون بعد زوال العهد المطير في شرقي البحر الأبيض، وربما كان قبل ظهور المدنية المصرية وذلك في الألف الخامسة أو السادسة قبل الميلاد. وربما يكون أبكر من ذلك.

وصار الخارجون من الصحراء يأخذون من كلام الذين اختلطوا معهم، ويعطونهم من كلامهم، وشكلوا لأنفسهم لغة جديدة، هكذا كلما اشتد الجفاف وضاقت الحياة على الناس خرجوا إلىٰ البلاد المجاورة وامتدوا في جوانبها يخدمون من سبقهم، ويحالفونهم على من هو أبعد منهم ثم يكون الاستقرار، وينسون من أين جاؤوا لأنهم جاؤوا من أرض القلة والفقر.

فإلىٰ العراق وما بين نهريه وصل الأكاديون ثم غيرهم من البابليين الأوائل والكلدانيين والآشوريين وإلىٰ بلاد الشام وصلت موجات صغيرة جعلت تختلط بمن سبقها حتى خرجت الموجة الكبرى واستقرت في شرقي بلاد الشام والجنوب الشرقي وبنوا دمشق وهم الآراميون، والحورانيون وأصلهم من عشيرة واحدة، وامتدوا إلىٰ الجبال المشرفة على دمشق، ثم امتدوا إلىٰ الشمال ووصل بعضهم إلىٰ أطراف العراق المتصلة ببلاد الشام، ومشارف حلب، وجاوروا الحثيين ولم يحصل أي قتال واسع بين الحثيين والآراميين.

واختلط القوم في كثير من حدودهما، وكذلك الفينيقيون لم ينقل عنهم أنهم حاربوا الحثيين أو الآراميين حتى أن أمراء الساحل كانوا يصيدون في شرقي دمشق ويعيشون جنباً إلىٰ جنب مع بعضهم، كأنهم شعب واحد.

العرب في مصر في الزمن الغابر

وجاءت موجات من داخل البلاد العربية لتجتاز سيناء وتدخل الحدود المصرية بطلب من بعض امراء مصر الذين يقاتل بعضهم بعضاً وذلك في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد فاستعان بهم فأعانوه وكثروا، وتسلطوا على مصر الشمالية كلها إلىٰ أكثر من خمسمائة سنة، وذاب أكثرهم في الشعب المصري لأنهم لم يتميزوا بعبادات أو عادات أو عصبية عن المصريين بعكس بعض من دخل في عهدهم إلىٰ مصر كالاسرائيليين، ومن صاهرهم.

ويظن الدكتور نجيب ميخائيل ابراهيم أن العرب من اليمن دخلوا افريقيا من باب المندب وامتدوا مع ساحل البحر الأحمر. والمحيط الهندي في شرقي افريقيا. واختلطوا مع الزنوج والسود. وان من سار مع البحر الأحمر، وصل إلىٰ بلاد النوبة، وسار مع النيل شمالاً، وكانوا في كثرة وسلاح جديد، وأصبحوا أمراء الجنوب المصري، وان أقدم السلالات المصرية ربما كانت من بلاد اليمن، وأنهم أدخلوا عبادات إلىٰ الجنوب المصري كما أوصل الأكاديون مثلها إلىٰ بلاد الرافدين، وقد تغيرت الأسماء، ولكن هدفها واحد.

لقد حكم العرب البدو مصر في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد، وداموا في حكم مصر أكثر من خمسمائة عام، وفي عصرهم هذا ذهب ابراهيم عليه السلام إلىٰ مصر ، ومن هناك جاء بهاجر الفتاة المصرية، التي كانت من سبي الجنوب المصري، ومن السلالات الحاكمة في الجنوب، وهي أم اسماعيل بكر ابراهيم ويظن أن ستة أسر من الهكسوس وذلك مسماهم الأجنبي قد ملكوا مصر تلك القرون الخمسة أو الستة.

ومما ذكرنا عن الساميين ربما كانت لغة نوح هي العربية التي توزعت وتفرعت عنها جميع اللغات السامية فيما بعد، وقلب الجزيرة العربية هي معقل اللغة التي كان يتكلم بها سام بن نوح، وهي باقية على ما هي عليه من آلاف السنين حتى عصرنا هذا لم تتبدل الا بكلمات بسيطة لا تتعدى خمسة بالمئة من جميع مجاوري البلاد العربية، وهذا لا يمكن في أي بلد من بلاد العالم، أو لغة من جميع لغات العالم أن يكون فيها محافظة لآلاف السنين كاللغة العربية، ويوجد حديث ضعيف أن رسول الله ﷺ قال: «أحب العرب لثلاث، لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة في الجنة عربي» والله أعلم بكل ذلك.

سكان الصحراء. والجراد. صنوان

الصحراء هي موطن الجراد تضع أنثىٰ الجراد بيوضها في رمال الصحراء حيث تدخل نصفها الأسفل في الرمل ونصفها الأعلى خارجه. وتموت على بيضها الذي ينقف بعد مدة حسب الطقس ليخرج بكثرة لايحصىٰ عدداً. فتراه يقفز خطوة خطوة حتى اذا وعىٰ واشتد جسمه ونما جناحه اجتمع إلىٰ بعضه وكأن له قيادة. فطار مع حرارة الجو إلىٰ أعلى لا يتأخر منه الا من عجز عن الطيران وهو أقل من واحد في الألف حتىٰ يرىٰ الطعام فلا يمنعه من ذلك شيء.

واذا طار الجراد يحجب الشمس عن الناظر اليها لكثرته. فلا غرابة في أن يقول المرء سحابة من جراد وربما كان امتداده لعشرات الكيلو مترات في عرض كيلو متر أو أكثر فإذا نزل إلىٰ الأرض وأمسىٰ فيها لا يترك الا التراب والحجر ولربما أكل منها.

الجراد هذا اذا أطال القيام بأرض لسبب يمنعه من أن يطير يأكل بعد ورق الشجر لحائه ولربما أكل كل من لا يستطيع الذب عن نفسه. ودفع تلك المخلوقات القاضمة.

والصحراء يعيش فيها أهلها طالما أنهم يستطيعون العيش فيها. فعلى قبضة تمر ورشفات حليب أو ماء يمضي أحدهم يومه. لا يتأفف ولايتبرم من عيشه. حتى اذا كان عام خصب وكثرت معطيات الله فيه لايأكل الا ما يسد الرمق. ويرىٰ جسمه في صحة لأسباب أهمها الحمية هذه عن تنوع الطعام وثانياً المناخ الطيب في الصحراء. هواء عليل يذهب بسلام ويأتي عنه بديل. لاعكر فيه ولا متنفس انما هو جديد على جديد. وفي الصحراء لايسكن الميل المربع الا بضعة عشر انساناً. لذا يكثر نسلهم. وتقل أمراضهم. فينجبون صحاح الأجسام فصحاء الكلام. الصبور على الألم، والتعب والجوع، ولا يرضون عن أرضهم بديلاً الا اذا لم يجد ما يقتات به.

المحول في الصحراء حتى وغيرها تقضي على الماشية قبل الانسان، فيأكل الانسان منها ما يؤكل حتى اذا لم يجد منها شيئاً يخرج إلىٰ البيداء من حوله فيجد جلود حيوانات قد ماتت منذ أمد فيأخذ تلك الجلود فيحمسها على النار في محمس ثم يدقها. ويلتهمها مع اسرته قبضة فقبضة ويشرب عليها الماء يقتات عليها إلىٰ ماشاء الله.

فاذا لم يجد ما يقتات به وطال عليه الأمد خرج بأهله وماله، ولا يترك في الأرض الا العاجز عن الخروج أو المستغني، أو المظلوم الذي يكره الخروج مع ظالمه.

ويسير الصحراوي. أو البدائي إلىٰ حيث يجد ممسك الحياة من عشب أو صيد أو طعام مهما

كان نوعه انما هو سبيل حياة، وعند وصولهم إلىٰ أرض العشب والمرعى يخرج إليهم أهل الأرض فأما أن تكون بينهم حرب أو يكون بينهم السلم. ثم يأتي اليهم المغلوب والمغبون من أهل الأرض يحالفهم ويتسعين بهم على خصومه فيرضى بهذا ويسكن الأرض ويتسطيبها. وربما وصل بعد ذلك إلىٰ حكمها كما جرى في مصر أو في بلاد الصين من قبل المغول حتى والهند أيضاً.

الاسرائيليون كان دخولهم إلىٰ مصر في عهد الرعاة العرب. في آخر عهدهم لقد ملك الرعاة العرب مصر الشمالية أولاً وامتدوا بعد حروب إلىٰ الصعيد الأعلى وفي القرن الثالث أو الرابع لحكمهم في مصر دخل ابراهيم عليه السلام مصر لجفاف حصل في أرض كنعان، وكانت مصر آنذاك مفتوحة لكل غريب يريد دخولها، لأن في ذلك مكاثرة على أهل مصر.

ولكن ابراهيم لم يستقر في مصر، ورجع ابراهيم عليه السلام مع زوجته، ومعه هاجر التي أعطاها ملك مصر إلىٰ سارة التي أعطتها بدورها إلىٰ ابراهيم ليتسراها فولدت له اسماعيل ابن ابراهيم البكر وبعد قرابة قرنين من الزمن كان دخول ابناء يعقوب إلىٰ مصر لأن يوسف بن يعقوب عليهما السلام قد باعه اخوته إلىٰ تجار من العرب الذين بدورهم باعوه إلىٰ عزيز مصر أي مدير شرطتها أو وزير داخليتها تقريباً، ولكن يوسف صار بعد أمور كثيرة عزيزاً لمصر. وكان هذا في عهد الملوك الرعاة ومسماهم (الهكسوس) وربما كان مسماهم هذا من مكتشفي آثار مصر المخبوئة.

وبنى الاسرائيلون الدور والمساكن في مصر أو أنهم ظلوا في الخيام، وربما أن البعض بنى والبعض ظل في الخيام، والظن الأقوى أنهم بنوا.

ولكن الأمر جاء عكس هذا لأن الأقباط بعد موت يوسف، استطاعوا الاستيلاء على حكم بلادهم، وجعلوا ينظرون إلىٰ كل غريب نظرة ريبة، وخافوا تعاون الغرباء ثانية واجتماعهم على واحد، فيتسطيعون بذلك حكم مصر ثانية، فاستعبدوا كل غريب، وكانت جالية بني اسرائيل أقوى الجاليات لما كان لها من عز في عهد يوسف. فاستعبدهم الأقباط مع غيرهم واستخدموهم في البناء والزراعة. والصناعة ومنعوهم من الخروج من أرض مصر.

الاستعباد يجعل المستعبد يشتهي الحرية ولا يستطيع الوصول اليها، ويريد الكرامة ولكنه لا يحصل عليها، فيصير ذليلاً مهاناً.

لقد عاش الاسرائيليون في مصر أكثر من قرن بقليل وهم يقولون أكثر من أربعة قرون ولكن الحساب هذا الذي نقول انما هو من كتابهم وحسب ورود الأعمار بدءاً من ابراهيم واسحق

ويعقوب ولاوي، ويوكابد ابنة لاوي، وموسى ابن يوكابد.

والآن نتحدث عن أقدم من أخبر الله عنهم في القرآن الكريم وأنهم قبل عهد ابراهيم وكانوا قبل ابراهيم بأمد طويل ولم يذكر كتاب العهد العتيق عنهم شيئاً انما آثارهم تدل عليهم وان كانت لم تستخلص فيها النتائج بعد.

وأقدم هؤلاء هم أمة عاد، أو قبيلة عاد. وذكر الله لنا عنهم أخباراً ماضية وذكر لنا منازلهم وعيَّنها فقال عنها في سورة الأحقاف الآية/٢١: ﴿واذكر أخا عاد اذ نذر قومة بالأحقاف﴾ وذكرهم شعيب لقومه في سورة هود الآية/٨٩: ﴿وياقوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعيد﴾.

أمة عاد. أم قبيلة عاد. وهي من ذكر الله من الأقوام في القرآن بعد الطوفان الربع الخالي جنوبي بلاد العرب، وتحده اليمن جنوباً وغرباً، وعمان شرقاً، ومن الشمال المملكة العربية والأحقاف كانت بينه وبين اليمن. وقد نشأت من بعد الطوفان قبيلة عربية اجتمعت على رجل منها وكونت شبه دولة. ربماكانت قبل التاريخ أو مع بدئه اذ أنها كانت أمية لاتعرف القراءة والكتابة. أو أن الكتابة لم تكن تعرف أنذاك. أو أنها لم تصل اليها.

وهي أول من ذكر التاريخ القرآني من العرب. وهي أقدم من عهد ابراهيم بقرون. أو بآلاف من السنين. فقد ذكرها جل وعلا في القرآن الكريم بأنها كانت عاد الأولى. فهل أراد بأنها كانت أولىٰ ثم خرجت عاد ثانية. أم أنها الأولىٰ في العرب دولة فقد قال في سورة النجم الآية/٥٠: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولىٰ وثمود فما أبقىٰ﴾.

ويذكر من ذكر قبيلة عاد أنها أقدم من ذكر من العرب. وقد أخبرنا جل وعلا أن موسىٰ أخبر قومه عن فناء قوم عاد وثمود وذلك في سورة ابراهيم الآية/٩ ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به★ وانا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾.

وذكر شعيب لعاد وثمود يثبت أن ثمود كانت قبل عهد لوط ولوط في عهد ابراهيم كما هو معلوم والقرآن يذكر هذا عن شعيب وشعيب كان في عصر يسبق عصر موسى وعهد يوسف فيسبق عهد موسى بحوالي قرن من الزمن والله أعلم.

فقوم عاد والله أعلم أنهم كانوا في أول عهد الجفاف، بعد انقضاء العهد المطير. ولا بُعْدَ بينهم وبين عهد سام بن نوح عليه السلام، فسام بن نوح كان الجد الأول للقرب بعد نوح لأن

العرب هم الأصل لجميع الشعوب السامية، وان المنشأ الأول للجميع كان في قلب الجزيرة العربية، وأن الربع الخالي لم يكن على ما هو عليه اليوم، بل كانت فيه واحات كثيرة فيها الماء وفيها الشجر وقال ﷺ بما روي: «لاتقوم الساعة حتى تعود بلاد العرب جنات وأنهاراً».

وربما كان هذا في العهد المطير وفي قرون من بعده، وقد نمت قبيلة عاد نمواً مطرداً في أجسام عامرة لمناخها الصحي. ولاتزال أجسامهم رغم مضي آلاف السنين مضرب المثل في العرب قبل الاسلام حتى يومنا هذا. فيقولون عن الرجل الطويل القامة العامر الجسم كأنه من بقايا قوم عاد.

وذكروا عنهم أنه كان لهم ملك يقال له شداد بن عاد. أو لقمان بن عاد أو عاد بن شداد. وأنه ملك الأرض في عصره حتى وأوصلوه حدود الصين وهذا يذكر مثله في تاريخ الفرس. ولكن العرب لم تكن لهم في السابق معرفة بالكتابة وفي سورة غافر الآية/٣١ يقول مؤمن آل فرعون: ﴿وقال الذي آمن ياقوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾.

ترى هل كانت قبيلة عاد بدوية أم حضرية؟

ان قبيلة عاد هم أهل اللغة العربية القديمة التي أخذت عن نوح وأبنائه الذين تفرقوا بما قال كتاب العهد العتيق في جميع أنحاء العالم براً وبحراً. وكل مكتشف وباحث يذعن لهذا ليس مقتنعاً انما اذعاناً. وتراهم يبحثون عن أساس اللغات السامية ضمن مقال الكتاب. ولكنهم لا يريدون حتى الآن البحث المغاير كأنما هم في خوف من الالحاد.

إن الطوفان كان قبل التاريخ ووصل إلىٰ الناس سماعاً عن آباء وأجداد وذكره الله في الكتب السماوية انذاراً واخباراً، لم يحدد فيه تاريخاً ولم يذكر فيه أسماء ولم يحدده على الأرض كلها انما قال: ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلىٰ قومه﴾ وكلما ذكر نوح في القرآن في رسالته كان القول كهذا. وفي سورة العنكبوت مثلاً قوله تعالىٰ في الآية/١٥: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلىٰ قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ وكل خبر يذكر نوحاً في قومه فقط.

ان سام الولد الأكبر إلىٰ نوح هو الوالد الأكبر للعرب من بعد نوح ولغته لغة أبيه. والعرب يسكنون أرضاً منذ القديم القديم هي الجزيرة العربية وصحرائها ربما كانت قبل الطوفان إما بحراً وإما عامرة ذات ماء وأشجار في تربة خصبة. وربما كان الفرات يدخلها وإن لم يتحدث أحد بهذا.

وبعد الطوفان استقر بها سام بن نوح إذا كان هذا مسماه الصحيح أو الوالد الأكبر للعرب من بعد الطوفان وكثر نسله لمئات السنين وتصحرت الأرض وجعل أبناؤها يخرجون منها في موجات متلاحقة إلى الأراضي المجاورة في جميع الاتجاهات فإلى العراق وبلاد الشام ومصر والحبشة وبعض الجزر والساحل الأفريقي. ونقلوا بذلك إلى المهجر لغتهم التي اختلطت باللغات المجاورة. وكونت بذلك مع مر السنين لغة خاصة. وتخرج بعد قرن أو قرون موجات أخرى لتكون لغة أخرى خاصة لأن الذين اختلطوا بهم غير اللذين اختلط بهم من خرج في الموجات السابقة.

إن الدليل الواضح البين في أن اللغة العربية هي الأم لجميع اللغات السامية اشتراكها جميعاً بكلمات عربية واضحة وان حرفها أو تعجيم لفظها انما يأتي من التباعد والجفاء. فمئات الكلمات تأتي في ترويها بلفظ عربي فلنذكر من الكتب التي تدرس في الجامعة السورية مثلاً كتاب (المدخل إلى اللغة السريانية) إلى الدكتور أحمد رحيم هبو هذا الذي يعطينا علم الاشتراك في المنبع والمورد لتلك الأمم وان لم تشترك في الحدود كالعراق ومصر والعراق والحبشة فبهذا نستدل على أن النبع هو المورد من الصحراء العربية. ومن الصحراء تلك يمكن أن يخرج منها الكلام مع الانسان ولا يمكن أن يعود اليها فالخروج مضمون والدخول غير مضمون. وتلك الكلمات كلها من قلب اللغة العربية ومن قلب الصحراء ومن بعد الطوفان ومن بعد التصحر.

أما العبرية فانها لغة قد حصلت مجدداً ويُعرف بدؤها. وكيف بدأت ومن أين جاءت. ولا يحق لأحد انكار ذلك فابراهيم والد الأمة جاء إلى فلسطين بمفرده ليس عنده لغة خاصة إلا أنها آرامية من هناك من أور الكلدان فاختلط مع الحثيين في المسكن في أرض حبرون وكان يكلمهم بدون ترجمان وعاش ابنه اسحق أيضاً في تلك الأرض ثم يعقوب وأولاده يتكلمون لغة أهل الأرض مع لغتهم ثم دخلوا مصر واختلطوا مع العرب هناك والأقباط وخرجوا من مصر باللغة العبرانية التي هي مزيج من جميع تلك اللغات وفي فلسطين وأرض سيناء قد اختلطوا مع العرب وكانت اللغة العبرية.

واليكم جدولاً مختصراً عن الاشتراك بين هذه الأمم باللغة الأم وهي بلا شك اللغة العربية

عربي شمالي	عبري	سرياني	أثيوبي	أكادي
ذا ـ هذا	ذه	هباتا	ذي	بابلي ـ
ذه ـ هذه	ذوت	هاذي	ذا	آشوري
ذلك	مهو	هو	زكو	أنُّو
تلك	مهي	هاي	إنتكوا	أنينو
أولاء هؤلاء	إله	هالين	إلمو	ألو
أنا	أنوخي ـ	إنا	أنا	ألونو
أنت	أني	اتْ	أنتَ	أناكو
أنت	أنا	أتْ	أنتِ	أنا
هو	أت	هو	وإتو	أتى
هي	هو	هي	يأتي	شو
نحن	هي	خننْ	نحن	شي
أنتم	أنحن.	أتون	إنتمو	نيفو
أنتن	نحن	أتين	أنتن	أتن
هم	أتم	هنون	إمونتو	أتِن
هن	أتن	هنين	إمانتو	شُنُّ
مَن	هِم	مَن	منوّ	شنا
ما ـ ماذا	هِن	ما ـ مانا	منت	منو
كيف	مي	أيكنا	-	حنو
أين	ما ـ مانا	أتيكا	-	-
كم	أيخ	كما	-	-
واحد	أين	حد	أحد	-
أثنان	كما	ترين	كلئي	أشتين
ثلاث	إحد	ثلاث	شلاش	شنا
أربع	اشنيم	أربع	أربع	شلش
خمس	شالوش	خمش	خمس	إربا

ست	أربع	شتَ	سسو	خمْش
سبع	خَمِش	شبع	سبو	شش
ثمان	شِش	تماني	سماني	سبي
تسع	شبع	تشع	تسعو	سَمان
عشر	شمونة	غسر	عشرو	تشي
عشرون	تشع	عسرين	عشرا	إشر
رأس	عسر	ريشا	رأس	إشرا
يد	عسريم	أيدا	أد	رشو
فم	دوش	بوماً	إف	إدو
أذن	يد	إذنا	إذن	بو
أنف	يه	أبي	أنف	أزنو
سن	أوزن	شنا	سن	إبو
أب	أف	أبا	أب	شنو
أم	شن	إما	أم	أبو
أخ	أب	إحنا	إخو	أحو
إبن	إم	بْرا	بن	أخو
بعل	أخ	بَعْلاً	بعل	بنو
	بن			بيكو
	بَعَل			

وأقدم تلك الأمم وأمها الأمة العربية العاربة. وأقدم جماعة مذكورة من العرب وعرفها القرآن الكريم هي قبيلة أو دولة عاد. وان كانت الدول أنذاك غير ما هي عليه الدول التي بعدها.

وتكلم الناس حسب ما أورد كتاب العهد العتيق أن عاداً هو الحفيد الثالث أو الرابع لسام بن نوح وان كان ذكر يقطان قد ورد في كتاب العهد العتيق بأنه يقطان بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح وأن يقطان أباً لحضرموت. ونسبة عاد إلى حضرموت أقرب ان صحت

تلك المسميات. ويقول تعالى في كتابه العزيز في سورة الفجر الآية/٦: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد * ارم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾.

ان للآية تفسيران أو ثلاثة أولاً: ارم ذات العماد المدينة ذات الأعمدة التي ليس لها من قبلها مثل. وقد ذكرت بعض الكتب التي يمكن ان تأخذ معترفاً به أو لا تأخذ منها كتاب الأغاني. وألف ليلة وليلة. وجلُ كتب التاريخ. ان ارم ذات العماد مدينة عظيمة ليس لها في عصرها ما يماثلها في المدن حتى وذكر البعض مكانها وانها في قلب الصحراء العربية الربع الخالي. وذكروا قصتها وذلك أن شداد بن عاد أو عاد بن شداد بعد أن تملك الغرب الذي يليه اندفع إلىٰ الشرق المعروف آنذاك ففتح البلاد. وقتل وسبىٰ ونهب الأموال ثم عاد إلىٰ بلاده راجعاً وقد رأى في الشرق قصوراً ومعابد أعجبته. فأحب أن يبني في قلب الصحراء التي لم تكن كما هي عليه اليوم مدينة على غرار تلك القصور والمعابد. وتفوقها جمالاً وعظمة. فجاء معه بكثير من البناة والمهندسين الذي صنعوا تلك القصور. وأوصلهم إلىٰ احدى واحات الصحراء. وقدم إليهم جميع ما يحتاجون إليه في البناء. فبدؤا العمل وأتموه في سنوات كثيرة وصارت تلك المدينة من أجمل وأعظم المدن في العالم أنذاك بل أعظمها كلها للأية الكريمة.

وأراد النقلة اليها مع خاصته ورجاله الأوفياء وفعل فلما قرب منها ورآها من بعد أدركه الهلاك بعواصف شديدة لم ير لها ما يماثلها فدمدم الله عليهم وأهلكهم ردماً بالرمال. ولم ينج منهم ومنها من يخبر عنها وغطت الرمال المدينة ورُدِمَتِ الواحة فلم يظهر لها أثر. وقد ذكروا عنها أوصافاً لا تصدق عن بنائها ومائها.

وسموا رجلاً في عهد معاوية بن أبي سفيان وذكروه عبد الله بن أبي قلابة. وأنه أضاع إبلا له في أرض قريبة من تلك الصحراء فجعل يبحث عنها ودخل الصحراء فأقام أياماً ونفذ منه الماء وأشرف على الهلاك. فعاد أدراجه وقد رأى الموت من العطش حتى اذا وضح النهار.

في يوم صافٍ بعد زوابع شديدة. أبصر من بعيد. أو عن بعد لمعاناً شديداً فقصد ذلك اللمعان. ووصل إلىٰ مدينة ذات أسوار منيعة. ورأى أبوابها مفتحة ولها أبراج عظيمة وليس عندها من يحرسها أويغلق أبوابها فدخلها فوجد الماء. يجري في مجار بشوارعها. فشرب وملأ أسقيته ولم يجد في المدينة من يسأله عن حالها. وعن اسمها. وخرج منها سالماً حتى وصل إلىٰ أهله ثم حدث الناس عنها فأرسله أمير منطقته إلىٰ معاوية حيث أخبره عن الذي رأىٰ وسمع معاوية الخبر واشتف صدقه من الرجل. وسأل العلماء فأخبروه عن ارم ذات العماد. فأرسل مع الرجل

رجالاً وزودهم بحاجتهم حتىٰ دخلوا الصحراء ولم يجدوا شيئاً. وعادوا بخفي حنين بعد أن أشرفوا ثانية على الهلاك.

وقد قال البعض أنها كشفت لساعات أو ليوم أو لأيام ثم غطتها العواصف والله أعلم بهذا ولم يحدث غير ذلك الرجل عن أمرها.

والتفسير الثاني ارم الأصل لكل من رفع عمود البيت من الأدم أو الوبر أو الشعر. فقد كان الناس يسكنون الكهوف. أو بجوانب الصخور وتحت الأشجار حتى بدأت قبيلة عاد في نصب الخيام وجعلت تظعن في طلب الصيد والمرعىٰ.

والثالث أن ارم هو لقب القبيلة أو كل قبيلة ذات أصل وقاعدة من بعد نوح وأن عاداً من ولد أرام بن سام بن نوح. وأن جميع أبناء سام قد عاشوا في بدئهم في قلب الجزيرة العربية حتى أطراف الهلال الخصيب وذلك في الألف الرابعة أو الخامسة قبل الميلاد والله أعلم حتى بدأت الهجرات إلىٰ الشرق والشمال والغرب وتعددت لغات القوم.

لقد كان نبي الله نوح يعبد الله وحده ولايشرك به. وكان أولاده وأولادهم على مثل ما هو عليه لأجيال علمها عند ربي. وبدءت البدع ترفع رأسها واحدة بعد أخرىٰ ثم بدأ تصوير القادة والأبطال من جديد. وعادت الأصنام لتعبد. وعادت أصنام قوم نوح. وهي ود. وسواع. ويغوث. ويعوق. ونسراً. وظهرت اللات والعزىٰ ومناة ويظن الناس أنها أصنام عربية وحسب. ولكنها كانت منذ القديم تعبد من بعد سام بن نوح وقد اكتشف العالم العراقي ناجي الأصيل تماثيل اللات والعزىٰ ومناة. في آثار الحضر البلد القديم في العراق وذلك في سنة ألف وتسعمائة وأربعة وخمسين ميلادية. ويعود صنعها إلىٰ ما قبل الميلاد وهي من الفن اليوناني العربي.

وفي القديم كما هو اليوم وقف أناس في وجه صانعي التماثيل ووقف آخرون يدافعون عن التماثيل وصنعها. ووقف البسطاء مع صانعي التماثيل بقلوب بسيطة ونوايا طيبة حتى تغلب صانعو التماثيل وصنعت وبدأت الإحتفالات والأعياد تقام عندها من جديد. وقد قدسها الناس. ثم عبدها البعض ونذرت لها النذور. ثم الهت من الجميع بعد أن طال الأمد وتلك حالة البدع في كل زمان ومكان. تبدأ من لاشيء ثم تصبح شيء. ثم تصير الشيء كله. وتصير من صلب الدين. ويعسر اقتلاعها.

وانتشرت عبادة الأصنام في كل بقاع الأرض. وكثرت الآلهة المصنوعة. وعادت من جديد لكل عنصر من عناصر الحياة إله. ولكل تفكير تتصوره مخيلة المفكر جعلوا إلهاً وجميع تلك

يراها الله ويراقبها ويدع الناس على ما هم عليه حتى يكثر البغي فمتى كثر البغي. تصاعدت أصوات المظلومين. أرسل الله الرسل. وأنذر البغاة والطغاة وطالب بتوحيده. وكل نبي ورسول يطلب توحيد الله بأمر من الله. وكما قال ﷺ: «أفضل ما قلت وقال النبيون من قبلي لا إله إلا الله» وتلك هي كلمة التوحيد ولها أصولها. وغاياتها. تمنع البغي. وتوقف الشر. وترجع الأمور إلى جوهرها. لااله الا الله. توقف التجبر عند حده. تذكر المتجبر بأن الألوهية لله وحده. فالكبرياء لله. والعظمة كذلك لله وحده. الانسان من لحم ودم قد خلق من التراب. وإلى التراب يعود. والبقاء للخالق. وان الله ربما ترك الظالم يتمادى قليلاً. ثم إذا أخذه لم يفلته. وربما أخذه بظالم أشد ظلماً منه. وكما قال بعضهم إن الله يسلط الظالم على المستحقين. فاذا اقتص منهم سلط عليه الأظلم. حتى يقوم العدل. وكما قال تعالى في سورة الرعد الآية/١١: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ومن هذا أرسل الله إلى عاد القبيلة العربية الأولى في فجر التاريخ أو قبله من ينذرهم ويردهم عن البغي. لأنهم تجبروا. وبغوا وقد قال لهم رسولهم كما في سورة الشعراء الآية/١٣٠: ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾.

يقول جل القائل في سورة سبأ الآية/٣: ﴿عالم الغيب لا يغرب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ فالله جل وعلا يعلم كل شيء من أفعال مخلوقاته. وكلهم يسيرون حسب مقدره لا يخرمون عنه شيئاً. فهو يعلم الذرة وما هو دون الذرة.

لقد خلق الله الانسان وجبله من تراب الأرض. لا نقول جبل كل انسان طيناً وصنعه منه كما تصنع الجرار أو التماثيل فالله جل يقول في سورة النور الآية/٤٥: ﴿والله خلق كل دابة من ماء. فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾.

ولكن هذا الماء الذي خلق الله الانسان منه بدءاً في النطفة ثم في الغذاء في رحم الأم. ثم في حليبها ثم في طعامه والماء هذا ينقل معه محلول التراب الذي يجمع جميع أصناف المعادن الموجودة في الأرض. وتدخل الجسم مع الطعام تزيد أنواع منها وتنقص حسب نوع الطعام حتى ويتولد في الجسم الكهرباء. وأشياء لم يصل العلم إلى معرفتها حتى الآن.

ان تركيب المخلوق عرف الانسان منه الكثير ولكن بقي الكثير. فربما شجرة ارتفاعها مائة متر تمتص الماء من جذورها وترفعه إلى مائة متر رغم عسر طريقها في المواد المكونة لجسم الشجرة.

ولذا ان الله جل وعلا خلق الانسان ويعلم منه وعنه كل شيء. فكان تقدير الله أعظم من أن يغلب. ثم ترك الله الانسان يهيم مع شهوته وهو يحمل العقل الناهي عن تصرفات السوء. ولكن الشهوات ذات سلطة أمرها قوي. يعسر على ضعيف الارادة مخالفتها.

لقد أرسل الله جل وعلا رسله إلىٰ الناس ليمدوا العقل بهدي موضح يظهر الخطأ. ويبدي الصواب فمن شاء قبل وأذعن بطاعة الرسل. ومن شاء عاند وكفر وكما قال تعالىٰ في سورة الكهف الآية /٢٩: ﴿قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن. ومن شاء فليكفر﴾.

وقال يبين جزاء المؤمن في الآخرة وحظه فيها. ويبين جزاء الكافر في الآخرة وحظه منها وذلك في أكثر من مائة آيه ومنها مثلها قوله تعالى في سورة الطور الآيات/٩: ﴿يوم تمور السماء موراً * وتسير الجبال سيراً * فويل يومئذ للمكذبين * الذين هم في خوض يلعبون .* يوم يدعون إلىٰ نار جهنم دعاً * هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون؟ * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ هذا وعيد الكفرة أهل الظلم ثم يشرح شيئاً عن مكان أهل الايمان والعمل الصالح. يرغب الناس إلى فعل الخير مع الايمان فيقول في نفس السورة المتابعة: ﴿إن المتقين في جنات ونعيم * فاكهين بما أتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم * كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون * متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين * والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امريء بما كسب رهين﴾.

﴿وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون * يتنازعون فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيم * ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون﴾.

خلق الله الانسان لخير الانسان. وجعل الحياة الدنيا لهذا الانسان حياة اختبار يرجع بعد الاختبار إلىٰ ربه وقد علمنا كيف نقول هذا عند المصيبة فننال أجرها وذلك في سورة البقرة الآية/١٥٥: ﴿الذين اذ أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون﴾.

تفرق الناس على وجه الارض عندما تكاثروا وجعلوا يطلبون العيش في كل سبيل. وتعددت اللغات بسبب البعد وكانت قبيلة عاد أغنى شعوب الأرض بعد الطوفان وهم خميرة العرب. وقال تعالىٰ عنهم وعن مساكنهم في سورة الأحقاف الآية /٢١ وقد مرت معنا من قبل موجزة: ﴿واذكر أخاً عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾.

وأخبرنا جل وعلا باسم الرسول المرسل إلىٰ أمة عاد فقال في سورة هود الآية/٥٠: ﴿وإلىٰ عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾

وفي سورة الشعراء قوله تعالىٰ في الآية/١٢٣: ﴿كذبت عاد المرسلين * إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون﴾ لقد أرسل الله هوداً إلىٰ شعب عاد وكانت تسكن الأحقاف كما مر معنا في قرىً بناؤها كما كان عليه البناء في المراحل الأولى لقدم ذلك العهد. وابتدعت بيوتاً من الجلد والوبر المنسوج والشعر المنسوج ورفعوا عمدها. ويظن أنهم أول من فعل ذلك من البدو. وبسطوا سلطانهم على جميع العرب. وامتدوا إلىٰ غيرهم. وكانوا أهل سطوة وجبروت.

النبي لشعبه كأب رحيم ودود. وتلك كانت دعوة هود أبوة. واخلاص. لا يألو الجهد في نصحهم. وهديهم ولكنهم رفضوا هديه ونصحه وقالوا له في سورة هود الآية/٥٣: ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة. وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك. وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾.

لقد نسبوا دعوته إلىٰ الجنون. وأن جنونه في ظنهم قد جاء من فعل أحد الألهة التي كانوا يعبدونها وهذا كثير في عصرنا هذا الذي نعيش فيه مع اولئك الذين يعبدون الأولياء والصالحين من حيث لايشعرون. لايفرقون بين الحب والاحترام. وبين الشرك. مع العلم أنهم يعرفون أن الرياء شرك. وأن من أقسم بغير الله فقد أشرك. ومن نذر لغير الله فقد أشرك. ومن ذبح لغير الله فقد أشرك. ومع هذا يقولون عمن لا يفعل هذا أو ينكره ناقص الإيمان وأنه لايؤمن بعلم الباطن أو حتى ينسبونه إلىٰ معاداة أولياء الله. فإذا أصابت هذا المرء مصيبة جعلوا يتقولون عليه الأقاويل. ويقولون انه لايحب الولي فلاناً فجاءه في نومه وفعل به ماترون من شلل في جسمه جزئياً أو تاماً مع العلم أنهم يعرفون أولئك الذين يحتلون البلاد لايتورعون عن هدم المساجد وتدنيس أماكن العبادة. وقبور الأولياء ولا ينالهم شيئاً من الأذى.

ها نحن ننظر الصهاينة يحتلون المسجد الأقصىٰ ويدخلونه بأحذيتهم ويضربون المصلين في حرمه حتى ويذبحونهم وقومنا كما قلت:

لئن فكرت أن أشكو زماني   فما شكوىٰ الزمان هو المراد
ولكن أشتكي أهلي وقومي   إلىٰ ما كان قبل الوحي عادوا

وجعل نبي الله هود يدعوهم إلىٰ توحيد الله ونبذ عبادة الأصنام. ويعرفهم ويذكرهم بنعم الله على خلقه وخاصة الإنسان. ويبين لهم كيف يصنع الخير لهم فمن المرعىٰ إلىٰ الأنعام

إلىٰ اللبن. فالعشب بلونه الأخضر يعطي اللبن بلونه الأبيض. وأن الأصنام التي نعبدها انما هي من صنع أيدينا. فكيف نعبد هذا الذي نجعل له الشكل بأيدينا. وتلك بيانات جميع المرسلين حتى بيانات جميع المصلحين في كل عصر وكل أمة. لاتستثنى بذلك أمة.

وطال الفصل بين المرسل والمرسل اليهم. ولم يزدد القوم الا تمادياً في غيهم. وانصرافاً عن الدعوة. وكلما هم خلف المترفين من زعمائهم يحتفلون بالتوافه ويكثرون الأعياد. وقد تعلقت الأثام بالأعياد وتفنن سدنة الأصنام في ابراز محاسن الأصنام. وبركات أعيادها واستمرأ القوم فواحشهم. وما تعطي فعلها من لذائذ.

لقد كان القوم أهل ابل وماشية من الغنم والماعز والبقر. وكلها تتعلق بما يعطي الله من السماء من ماء. فأمسكت السماء قطرها والأرض نبتها. وهزلت الأنعام. وجف الضرع. وركض القوم إلىٰ سادنهم. الذي كان يأخذ السمين من النعم. والأطيب والأجود من الثمر. وقالوا أيها السادن ياخادم الألهة والمتكلم باسمها. ألا ترىٰ إلىٰ الإبل والشاة كيف اصبحت وقد أطبق جلدها على عظمها. لم يبق لها ضرع. ولم يبق بها لحم. فإذا ذبحت فعظمها أزرق ولحمها محرق. وريحها مرهق هلا سألت لنا الآله تنزل لنا الغيث من السماء وترفع عنا الكرب والبلاء.

وجاء هود نبي الله يذكر القوم بحالهم، وكيف يصير الأمر بعد انذارهم. فنظروا إلىٰ السادن ليجيب ليرد القول على هود فقال السادن يتكلم بلسان زعماء القوم وسادتهم كما في سورة الأعراف الآية/٦٦: ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين﴾.

فتأثر هود من ذلك واجاب: ﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾.

لقد ضحك القوم من دعوته. وأنبوه عليها وسفهوا رأيه. وقالوا له كما ذكر الله تعالىٰ في سورة الشعراء الآية/٣٦: ﴿وقالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين * إن هذا إلا خلق الأولين * وما نحن بمعذبين﴾ ذكروا له أن أباءهم كانوا على هذا وأنهم يقتفون آثار الأوائل. وكما قال تعالىٰ عن مثلهم في سورة البقرة الآية/١٧٠: ﴿واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا. أولو كان أباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾.

واشتد القحط. ولم ينتفعوا من دعاء السادن. وهلكت أنعامهم الا قليلاً. وتلفت أشجارهم ولم تغن قوتهم في ذلك فتيلاً. وبقوا على اصرارهم فجاءهم هود إلىٰ احتفال كانوا فيه وقال بما

أخبر الله في سورة هود الآية/٥٢: ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً. ويزدكم قوة إلىٰ قوتكم. ولا تتولوا مجرمين﴾ أي لاتطيعوا هؤلاء المجرمين.

لقد آمن البعض برسالة هود ولكنهم قلة بين الأكثرين. ولم يقبل القوم نصح نبيهم. وساروا خلف مجرميهم وظلوا على وعد السادن المتكلم بلسان آلهتهم. وكان يعدهم بأن الأمطار سوف تهطل وأن الآلهة سوف تنظر اليهم. ولكن الأمر زاد عن وعده لعام وأعوام. حتى أكلوا الميتة والحشرات وكل ما لم يكونوا آكليه من قبل. ولم يعودوا عن غيهم وكان قول هود في أول دعوته بما ذكر الله في سورة الشعراء الآية/١٢٥: ﴿اني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين * أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * واذا بطشستم بطشتم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين★ وجنات وعيون * اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾.

كل هذا كان لهم مما يدل على وجود الأنهار والينابيع في منطقة الأحقاف وما حولها فهم في شجر وثمر. ونعم وأنعام. وقوة وبطش. ولكنهم ظنوا أن هذا من عطاء الآلهة ومشوا خلف السادن وقالوا كما في سورة الأحقاف الآية/٢٢: ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا. فإتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ وفي سورة الأعراف الآية/٧٠: ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده. ونذر ماكان يعبد آباؤنا. فآتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين﴾.

ومضى القوم إلى سادتهم بطلب المطر فخرج مع القوم الى ساحة نصبهم واستسقوا وظهر السحاب ورأوه واستبشروا وقد اعتزلهم هود والذين آمنوا معه ويقول جل وعلا عن ذلك في سورة الأحقاف الآية/٢٤: ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ وأجابهم هاتف من السحاب أو ممن كان يعدهم ويعظهم ويسفهونه: ﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ وفي سورة الحاقة الآية/٦: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية﴾.

لقد هلكت أمة عاد وغابت عن مسرح الصحراء العربية الكبرى وجنوبها وما حولها تلك القوة العاتية التي ملأت الجزيرة العربية كلها رعبا وهلعا واقتلعتها رياح هاتية أقوى من عتو الظالمين وكانت الحسوم.

إنا نسمع بالأعاصير تصنع الشيء الكثير ولكن شدتها لم تصل إلىٰ درجة أن تهلك أمة بأكملها بالحسم إلا ما كان من قوم هود تلك الأمة الباغية التي لم تستجب لصوت العدل والايمان وذهبت مثلا في قوة أجسام أفرادها وجبروت بطشها كما ذهبت طريقة إهلاكها مثلا إذ كان بريح سخرها الله عليها سبع ليال وثمانية أيام حسوما وسميت بالحسوم لحسم الأمر الذي طال من جبروت عاد ولا تزال حتى يومنا هذا تسمى تلك الأيام بالحسوم وصارت العبرة في هلاك القوم بذكرى لتلك الأيام التي تمر كل سنة وتذكر بالحسوم ومرت الأيام بعد هلاك القوم وتباعد الناس عن تلك الحادثة وبدؤا يشكون في أمرها وواقعتها حتى تناسوها وأصبحت أثار القوم كاثار غيرهم كما تناسوا سبب الطوفان من قبل وقد انتقل هود النبي ومن امن معه إلىٰ أرض أخرى غير الأحقاف وذابوا مع القبائل الأخرى وانتهى أمر عاد وكما قال تعالىٰ في سورة هود الآية/٥٩: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه ونجيناهم من عذاب غليظ﴾.

ومضت الأيام لتؤلف الدهر كأوراق كتاب تطوى ولكن لا رجعة لها في الدنيا هذه ولها يوم لا بد أن تفتح فيه ثانية والدهر امتداد مستقيم لاعيب فيه والأحداث تمر فيه وتحدث عليه فتلون النقطة التي تمر عليه بلون ما عملت أو بصبغتها من خير أو شر حمراء أم سوداء أم بيضاء فالأسود مكرب والأحمر مجرم والأبيض مرغوب والأخضر محبوب وهلم جرا حتى ينتهي الكتاب ويصير الحدث الأكبر فناء كل مخلوق ثم يكون الحدث الأعظم بعث كل مخلوق وكما قال تعالىٰ في سورة الكهف الآية/٤٧: ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم تغادر منهم أحداً * وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعداً * ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا﴾.

كل أمة لها ماض وحاضر وصلت اليه لونت في ماضيها وتلون في حاضرها أما المستقبل فلم يلون بعد فكل أمة مضت لونت لمحة وجودها على هذا الامتداد في مسيرة الدهر وسيعود ليتبين للجميع الجميع من الأمم السابقة والأمم اللاحقة تلوين كل أمة وهكذا يكون لكل فرد من بني الانسان.

إن الله جل وعلا لم يخلق الناس بشكل واحد أو جسم واحد ولم يرزف الناس رزقا متساويا هذا مع ذاك وذاك مع هذا ولم يعش زيد ويتمتع في عيشه كعمرو وفي هذا سر عظيم ودليل حساب لا بد منه ففي هذا الخلق ابتلاء كل واحد بما أعطي من جمال وقبح من فقر وغنى من قوة وضعف وكما قال تعالىٰ في سورة الفرقان الآية/٢٠: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون؟﴾.

وفي سورة الأنبياء الآية/٣٥: ﴿كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾.

إذاً فالدهر باق في سيرة أو في مكانه حتى نراه ثانية أو نحن نمر عليه ثانية وربما نمر عليه في رجوع ومما روى محمد بن اسحق عن هلاك قوم عاد قال: كانت قبيلة عاد تسكن اليمن بين عمان وحضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي أعطاهم الله وكانوا أهل أوثان يعبدونها من دون الله فأرسل الله إليهم هودا من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا فأمرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه إلها غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم أناس وهم يسير يكتمون ايمانهم فلما عتت عاد وكذبوا نبيهم وأكثروا في الأرض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية عبثا بغير نفع كلمهم هود بهذا كما أخبر الله في سورة الشعراء الآية/١٢٨: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون قالوا ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون﴾ والآيات الثلاث هذه من سورة هود جاءت في سياق القصة تتم الآيات التي قبلها من سورة الشعراء.

قال محمد بن اسحق فلما أبوا إلا الكفر أمسك الله عليهم القطر ثلاث سنوات فيما يزعمون حتى أجهدهم ذلك قال وكان الناس إذا أجهدهم أمر في ذلك الزمان وطلبوا من الله الفرج إنما يطلبونه في حرمه ومكان بيته وكان معروفا عند أهل ذلك الزمان وبه العماليق مقيمون وهم من أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان سيدهم انذاك رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت له أم من قوم عاد واسمها جلهذة ابنه الخبيري.

قال فبعثت عاد وفدا قريبا من سبعين رجلا إلى الحرم ليستسقوا لهم عند الحرم فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فنزلوا عليه فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وكانوا قد وصلوا إليه في شهر فلما طال مقامهم عنده وأخذته شفقة على قومه واستحيا منهم أن يأمرهم بالانصراف عمل شعرا يعرض لهم بالانصراف وأمر القينتين أن تغنياهم به فقال:

ألا ياقيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يصبحنا غماما
فيسقى أرض عاد إن عادا ... قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو ... به الشيخ الكبير ولا الغلاما

وقـد كانت نسـاؤهم بخير فقد أمست نساؤهم غيامى
وإن الوحش تأتيهم جهاراً ولا تخشى لعـاديٍّ سهـامـا
وأنتم هـاهنا فيـها اشتهيتم نهاركمـوا وليلكم التـامـا
فقبح وفدكم من وفد قوم ولا يلقى التحية والسلامـا

قال فعند ذلك تنبه القوم لما جاؤا به فنهضوا إلىٰ الحرم ودعوا لقومهم فدعا داعيهم قيل بن عنز فأنشأ الله سحابات ثلاث بيضاء وسوداء وحمراء ثم ناداه مناد من السماء أن اختر لقومك من هذا السحاب فقال اخترت هذه السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء فناداه مناد أن اخترت رماداً رمدداً لا تبقي من عاد أحداً لا والداً تترك ولا ولد إلا جعلته همداً إلا بني الوذية المهندا وبنو الوذية بطن من عاد يقيمون بمكة فلم يصبهم ما أصاب قومهم قال وهم من بقوا من أنسالهم وذراريهم عاد الآخرة قال: وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من النقمة إلىٰ عاد حتى تخرج اليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا: هذا عارض ممطرنا ويقول: جل وعلا في سورة الأحقاف في الآية/٢٤: ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ وذهبت عاد وانتهى أمرها وتلك هي الأمم وكذلك الأفراد من هذه الأرض بين الكواكب يعمر الانسان الآخرة بشِقَّيْها النعيم والجحيم فأعمالنا تسجل علينا وبين يدي الله.

سوف نمثل الدور الذي مثلناه أو فعلناه قبلاً. ليحكم لكل واحد أين منزله كما قال تعالىٰ في سورة الواقعة/٥١: ﴿ثم انكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالؤن منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم * هذا نزلهم يوم الدين﴾.

ونحن معشر الأمم نسجل مقدورنا في صحيفته البيضاء التي وُجِدْنَا بسيرها حتى ننهي الذي لنا أو علينا. فنذهب ويثبت فعلنا بتسجيله ليعاد في يوم. وتأتي أمة أخرىٰ تسجل مقدورها. حتى نهاية أمر الناس. وسينتهون يوماً لامحالة.

فالأمة وكأنها تقف على خط هذا الدهر تتلفت يميناً وشمالاً إلىٰ مدة محدودة ثم تذوب وتفنىٰ وهكذا. فأين الروم. وأين دولتهم ؟.

والدهر من أمر الله عرفنا بُعد الزمن فيه بدوران الكواكب وحدوث الليل والنهار. ومسيرة المجموعات الشمسية. وتذكر الماضي! فمنا العيب ان نذكر عيوب وفضل الله ان تذكر فضول.

لقد فنيت عاد بالريح الصرصر العاتية. وتناقلت الأمم خبر مصيرها. واستقام الناس أو مَنْ بلغهم الخبر وسببه لسنين أو لعقود أو لقرون ثم تناسته الناس. ومن هؤلاء قبيلة عربية أخرىٰ. عرفت الأمر تماماً ووعته حتى إذا تباعد عصره. نسيت كغيرها خبره.

لقد نمت قبيلة ثمود وكثرت واعتزت من بعد ذهاب قبيلة عاد بقرن أو أكثر أو أقل وموطنها شمالي الحجاز. تحدها من الشمال بلاد الشام. وهي من قبل عصر إبراهيم بحسب ماورد في القرآن الكريم فقد أخبرنا تعالىٰ في سورة هود قول شعيب لقومه الآية/٨٩: ﴿وياقوم لايجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح. أو قوم هود. أو قوم صالح. وماقوم لوط منكم ببعيد﴾ وكان عصر شعيب مابين موسىٰ وابراهيم. ويظن أنه في عصر وجود بني اسرائيل في مصر أوفي عهدٍ أبكر. ولانلتفت لقول ان مدين من أبناءابراهيم.

ولم يذكر طوال عصر الإسرائيلين في فلسطين شعب ثمود. ولكن أمر شعب ثمود قد ذكر في آثارالكلدان والأشور وفي كتابات سرجون (٧١٥) قبل الميلاد يخبر عن سابق وجودهم. وربما عاصروا قبائل الكلدانيين والآشوريين عند خروجهم وهجرتهم من قلب الجزيرة العربية إلىٰ بلاد الرافدين قبل الألف الثالثة التي سبقت الميلاد. وقد ذكرهم الله كثيراً مع قبيلة عاد لأن أخبار قوم عاد رغم بعد مدىٰ الخبر كان العرب يتناقلونه. ويضيفون عليه الأساطير كما هو مذكور في تاريخ ابن جرير الطبري وغيره.

وذلك عندما يذكر وقد عاد إلىٰ مكة المكرمة. والأشعار التي قيلت آنذاك وأنهم عند بيت الله الحرام. ولم يكن آنذاك ابراهيم ولم يبن البيت الحرام.

شعب ثمود الأمة العربية الثانية من بعد قبيلة عاد

وكانت ديار ثمود في طريق قوافل قريش إلىٰ بلاد الشام. يعرفونها. ويسمعون أخبارها نقلاً عن الآباء والأجداد. وقد سكنت البلاد ثانية ثم أقفرت لمرات ومرات. وجدد الحفر في الصخر وتوسع الأقوام فيه. ولكن الشعب الذي أرسل الله اليه نبيه صالحاً كان في عصر سابق.

لقد كانت قبيلة أو شعب ثمود تسير على نهج طيب تسمع أخبار قوم عاد ومصيرهم حتى ظهرت البدع وكثر مروجوها. وتفنن محبو الفنون في التحديث والتجديد في أمور الدين. كما فعل وبدأ من سبق وبدأ التماثيل حول الأصنام التي سموها تماثيل لصالحيهم وأبطالهم. ومن ثم رافق التماثيل رفع الصوت بالغناء. الذي ذكروه مديحاً في حب الصالحين والأبطال. ثم أدخلت عليه الموسيقىٰ بفن جميل وذوق رفيع. وصارت التماثيل همزة وصل بينهم وبين الله. وطال الفصل وسكت المعارضون وأصبحت التماثيل شركاء لله بأمر واقع. وكثرت الأعياد. وكثرت

الإحتفالات. واختلط الجنسان على خمر وزمر. وظهر البغي. وتسلط الأقوىٰ. وكثر الظلم. وارتفع أنين المظلومين. ووصل إلىٰ حيث المنتهىٰ. فأرسل الله جل وعلا صالحاً إلىٰ شعب ثمود. يطلب اليهم التوحيد وعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام. ورد المظالم بارجاع الحقوق إلىٰ أهلها. والترفع عن المشينات التي سادت المجتمع الثمودي كما ساهم الكلدانيون والآشوريون.

ولكن القوم قد كثر مالهم. واتسع مجالهم. وفسدت أحوالهم. وقد بدأ الشيطان المسيرة من جديد وأرسل وادخل أعوانه في البيوت. وشاركهم في الأموال والأولاد. ووعد وغرر. ولعب بالعقول والأهواء. وزين كل لهو ولذبذ. ورغب في كل ممنوع. ولم يترك حراماً. أو نهياً. انما أحل كل شيء لطالبه. حيث تشتهي النفس. وتوجد اللذة.

ووقف المترفهون يدافعون عن مكاسب الأباء والأجداد. فتلك اللأت والعزىٰ وذاك سواع أو نسر... وتلك مناة قد مثلت جمال الجسم منتصراً... وفي الأعياد قد ظهرت: حياة توجب النظرا.

ففي الدنيا ترىٰ خمراً... وللأخرىٰ نرىٰ أثراً... فعش دنياك في خمر... تصل أخراك مقتدراً.

ورفض الزعماء والمترفعون دعوة نبي الله صالح. وواقفوه وجادلوه. وأنبوه. وقرعوه. وهو في صبر على كل قول منهم وقد أخبرنا جل وعلا عن بعض ماكان منهم وذلك في سورة الشعراء الآية/١٤١: ﴿كذبت ثمود المرسلين * إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون * اني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وماأسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين * أتتركون فيما هاهنا أمنين * في جنات وعيون * وزروع ونخل طلعها هضيم * وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾.

ولكن القوم رفضوا دعوة النبي. وأصروا على ماهم عليه. من عبادة الأصنام. وارتكاب الأثام والفواحش. وزين لهم الخمر كل رذيلة. وصغر عليهم كل كبيرة. وساروا خلف غُوّاتهم ومسرفيهم وجاهروا بالفاحشة. وأجمعوا على تحليلها. ولم يؤمن بدعوة صالح إلا القليل. فاجتمع بهم أهلهم ومن يعرفهم وسألوهم. هل صحيح أن صالحاً مرسل من الله. فقال لهم أولئك المؤمنون. نحن نؤمن برسالته من ربه وأنه ليس بكاذب. فكذب السائلون من سألوا. ويخبرنا الله عن هذا في سورة الأعراف الآية/٧٤: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً. فاذكروا آلاء الله ولاتعثوا في الأرض مفسدين * قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم.

أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه ؟ قالوا إنا بماأرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾.

وطال جدال القوم مع صالح. وقالوا له لولا أهلك لأمتناك رجماً. فقال أتخشون أهلي ولا تخشون الله ؟ واجتمع بعضهم بتحريض أخرين يريدون قتله ولكن الله عصمه من جميع تآمرهم.

ويخبرنا عن تهديدهم لنبيهم في سورة النمل الآية/٤٩ : ﴿قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم نقول لوليه ماشهدنا مهلك أهله. وانا لصادقون * ومكروا مكراً. ومكرنا مكراً وهم لايشعرون﴾.

واجتمع القوم كماهي عادة من أُرْسِلَ اليهم يطلبون الآية. ولكن الآية تكون سبباً لهلاك المكذبين والآية تأتي كإنذار إما الإيمان والتصديق وإما الهلاك ويقول تعالىٰ في سورة الإسراء الآية/٥٩ : ﴿ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون. وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها. وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ ويخبرنا تعالىٰ في سورة المائدة. حيث طلب الحواريون من عيسىٰ مائدة من الله كيف يكون عقاب من كذب بالآية بعد أن طلبها وذلك في الآية/١١٢ : ﴿إذ قال الحواريون ياعيسىٰ بن مريم. هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها. وتطمئن قلوبنا. ونعلم أن قد صدقتنا. ونكون عليها من الشاهدين★ قال عيسىٰ بن مريم. اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا. وآية منك وأرزقنا وأنت خير الرازقين★ قال الله إني منزلها عليكم. فمن يكفر بعد منك. فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾.

وهكذا وقف الملأ من قوم صالح يطلبون الآية. وقد أفحمهم بالسؤال فلم يوفقوا بأسئلتهم. ولم يوفقوا بالجواب على أسئلته. فطلبوا الآية وأصروا على الطلب.

ان كل رسالة من الله تكون لخير هذا الإنسان في دنياه قبل آخرته. ولكن المنتفعين من الشعب والذين يمتصون خيراته. ويسيطرون على مقدراته تتملكهم الأنانية. في حب ذاتهم ولن يكون هذا إلا على حساب الأخرين. فالمرابون يعيشون حياة النعيم في ترف ولذة عيش. وبلوغ هدف ونيل وطر. دون تعب ولانصب. ولايخشون خسارة ولاسغب. لن يتركوا كل هذا لمطلب الرسالة حيث المساواة في ظل العدل. وحيث الصدقة على الفقير. والمساواة في المجالس وفي العبادات.

والقوي يأخذ ابنة أو زوجة الضعيف. والغني يأكل الأرض ويملك الضرع. ولايخشىٰ الفقر والفقير يخدمه بلقمة العيش. والنفرة في الجيش. ولاعليه هو سوىٰ المحافظة على دوام العهد. وبقاء كل شيء على ماهو عليه.

وطلبو الآية وكانت الآية ناقة عجيبة. هي في الشكل كغيرها. ولكنها كما هي آية تأكل عن مئآت الإبل وتشرب عن مئآتها. وتعطي اللبن عن المئآت تلك. وكما قال تعالىٰ في سورة الشعراء الآية/ ١٥٠: ﴿فاتقوا الله وأطيعون * ولاتطيعوا أمرالمسرفين * الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون * قالوا إنما أنت من المسحرين * ماأنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين * قال هذه ناقة لها شرب. ولكم شرب يوم معلوم★ ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾

ان طلب الآية من صالح بقصد اعجازه. وليست الغاية للتأكد من النبوة والإرسال. لأنهم رأوا الآية. وبقوا على تكذيبهم. وكانت آية عظيمة لو وجدت في عصرنا لأمن عليها الكثير وهي ناقة تكون معمل حليب يصنعه ويقدمه مستساغاً لطالبيه بلا ثمن.

انها تأكل العشب الكثير. وتشرب الماء الغزير. ويتحول هذا كله في ساعات قلائل إلىٰ حليب. ومع هذا أصر القوم على تكذيبهم. وأزعجهم وجود الناقة. وخاصة أولئك الموسرون أصحاب النعم. فقد استغنىٰ التجار. والفقراء عن حليبهم. فقد كانت للمؤمنين وللفقراء سبيل عيش. ورضوا بها وقنعوا. وأحبوا بقاءها ودوامها. ولكن هذا قد أضر بأصحاب النعم فجعلوا يتآمرون على عقرهاواجتمعت زعامتهم إلىٰ تسعة رجال وكانوا أشقىٰ القوم. ويقول تعالىٰ في سورة الشمس الآية/١١: ﴿كذبت ثمود بطغواها * إذ انبعث أشقاها * فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها * فكذبوه * فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها * ولايخاف عقباها﴾.

وكان القوم قد طلبوا من صالح أن يأتيهم بالعذاب الذي يهددهم به وأنهم لايخشونه وقد أخبرنا عن قولهم هذا ربنا جل وعلا وذلك في سورة الأعراف الآية/٧٧: ﴿فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين * فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾.

لقد هلك القوم ونظر اليهم صالح والذين آمنوا معه. وتأثروا على هلاك قومهم. ويتم الله جل وعلا لنا الآية الأخرىٰ بقوله: ﴿فتولىٰ عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين﴾.

لقد ذكرت التفاسير في هلاك ثمود أقوالاً كما ذكرت عن هلاك عاد أقوالاً ولم يذكرهاالقرآن ولاذكرها رسول الله. فكما ذكرت عن وفد عاد إلىٰ بيت الله الحرام. ولم يكن بني بيت الله الحرام. لأن عاداً كانت قبل ابراهيم بدهر طويل. وكذلك قبيلة ثمود قبل ابراهيم وان بقي من ثمود أقوام إلىٰ عهد ابراهيم ومن بعده وانها لم ترد على لسانه أو لسان بنيه مقالة تشعر بهم. ولاطوال عهد بني اسرائيل في أرض فلسطين. وقد ذكروا الأدوميين وأرض ثمود بجوار أرض الأدوميين. ونظن أن الأدوميين من بقايا المؤمنين من شعب ثمود وعلم هذا عند ربي.

لقد مر معنا ماذكر الله من قول شعيب النبي يحذر قومه مغبة تكذيب رسالته وذلك في سورة هود الأية/ ٨٩: ﴿ويقول لايجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح أو قوم هود. أو قوم صالح. وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ ان قول شعيب يثبت أن لوطاً كان من قبله. وأن شعب ثمود الأول كانوا قبل لوط. وكان لوط في عهد ابراهيم. وأقرب تلك الأقوام إلىٰ عصر شعيب كان عهد لوط. وكان شعيب في عهد يعقوب والله أعلم.

والعرب لم تثبت أي تاريخ لها من قبل الإسلام ولوكان مضيه أقل من ثلثمائة عام لأنها أمة أمية ومن كان منهم يكتب ويقرأ إنما كان في كتابته وتعليمه تبعاً للأمم الأخرىٰ. فلم يؤلف للعرب أي كتاب قبل كتاب الله القرأن. وأن شعب ثمود إنما كان قبل ميلاد عيسىٰ بحوالي ألفي عام.

ونأتي الأن ببعض ماذكرت التفاسير منها تفسير ابن كثير والخازن وغيرهما وكان عصرهما يمكن تصديق ذلك فيه لعدم توفر الأدلة المانعة وهي أولاً معرفة الزمن التاريخي لتسلسل تلك الأحداث. ثانياً ماأظهر العلم من معارف. روىٰ الإمام أحمد عن جابر قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر ـ مساكن ثمود ـ قال: «لاتسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت ـ يعني الناقة ـ ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها. وكانت تشرب ماءهم يوماً. ويشربون لبنها يوماً. فعقروها فأخذتهم صيحة أخمدالله مَنْ تحت أديم السماء منهم الا رجلاً واحداً كان في حرم الله». فقالوا من هو يارسول الله قال: «أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ماأصاب قومه».

ومن الطريف أن نتابع من تفسير ابن كثير هذا وذاك كأسطورة مسلية وقوله هذا لم يعزه إلىٰ أحد ويبدأ بالآية/ ٧٤ من سورة الأعراف: ﴿وإلىٰ ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدو الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾ وكانوا هم الذين سألوا الآية. واقترحوا عليه بأن يخرج

لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم. وهي صخرة منفردة يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عشراء تمخض. فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلىٰ سؤالهم ليؤمنن به وليتبعنه. فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت تلك الصخرة وانصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنينها بين جنبيها كما سألوا فعند ذلك أمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره. وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد. والحباب صاحب أوثانهم. ورباب بن صعر بن جلهس. وكان الجندع بن عمرو بن غنم صديق يقال له شهاب بن خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراس. وكان من أشراف ثمود ومن أفاضلها أراد أن يسلم أيضاً فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم. فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال له مهوش بن عثمل بن الرميل رحمه الله:

وكانت عصبة من أل عمرو ... إلىٰ دين النبي دعوا شهاباً
عـزيـز ثمـود كلهم جميعـاً ... فَهَمَ بأن يجيب فلو أجابا
لأصبح صالح فينا عـزيزاً ... ومـاعدلـوا بصاحبهم ذؤابـاً
ولكن الغواة من آل حجر ... تـولوا بعـد رشدهم ذيـابا

وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها يوماً وتدعه لهم يوماً وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحلبونها فيملاؤن ما شاؤا من أوعيتهم وأوانيهم كما قال في الآية الأخرىٰ في سورة القمر الآية/٢٨: ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾ وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لأنها كانت تتضلع من الماء. وكانت على ماذكر خلقاً هائلاً رائعاً اذا مرت بأنعامهم نفرت أنعامهم منها. فلما طال عليهم ذلك واشتد تكذيبهم لصالح عليه السلام عزموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم. فيقال أنهم اتفقوا كلهم على قتلها.

قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى النساء في خدورهن حتى والصبيان قلت: هذا هو الظاهر لقوله تعالىٰ ـ هذا قول قتادة ـ: ﴿فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها﴾ آخر سورة الشمس وقال في سورة الإسراء الآية/٩٩: ﴿ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ومانرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ فأسند القاتل ذلك على مجموع القبيلة والله أعلم ومساق هذه القصة إلىٰ قتاده.

أما أبو جعفر بن جرير يذكر أن سبب قتل الناقة امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم

وكانت من أشد الناس عداوة لصالح وامرأة أخرى اسمها صدقة كانتا يجعلان لمن يلتزم بقتل الناقة المال الجزيل ودعت صدقة بن عم لها يقال له مصدع بن المهرج فأجابها ورضي بها ودعت عنيزة سالف بن قدار وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا يزعمون أنه كان ولد زنية وقالت له أعطيك أي بناتي شئت إن عقرت الناقة فانطلق سالف ومصدع وجمعا حولها تمام تسعة من الفواة ويقول تعالىٰ في سورة النمل عنهم الآية/٤٨ : ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ ونكتفي من ثلث الطريق.

وعلى هذا أورد القوم ما لا يصدق اليوم رحمهم الله فالعرب انذاك أقوالهم وأسماؤهم ليست هذه والله أعلم.

ابراهيم عليه السلام

الكلدانيون والاشوريون والاراميون وغيرهم من الذين سبقوهم في الخروج من الجزيرة العربية. كالاكاديين ثم العيلاميين. كلهم من أبناء سام بن نوح عليه السلام كما ذكر كتاب العهد القديم. وابناء سام كما ذكر الكتاب ففي سفر التكوين الاصحاح العاشر جاء هذا/٢٢ بنو سام عيلام. اشور. ارفكشاد. لود. ارام وفي افضل الاراء أن سام بن نوح عليه السلام. هو جد العرب الاكبر وأن موطنه كان في قلب الجزيرة العربية في القرون السحيقة حيث كانت تلك الارض خير مكان لسكن الانسان في ذلك الحقب لكثرة الامطار والدفء. وبقي هذا الاف السنين حيث قلت الامطار. وامكن الناس ان يسكنوا اراضي الهلال الخصيب. وحصل جفاف في الجزيرة لقلة امطارها. وظهرت الصحارى. وهذا بعد الطوفان بقرون وقرون.

وهاجر اشور مع ابنائه. ويمكن أن نقول وكلدان اكبر ابناء اشور. أو أنه اخوه وعلم ذلك عند الله. ثم دخل هؤلاء قلب الغابات الكثيفة حتى وصلوا نهر الفرات ومن هناك ارتفعوا مع نهر دجلة. لان هناك من سبقهم من اخوتهم واسلافهم. وربما كان اشور هذا من ابناء اشور بن سام بعد سام بقرون كثيرة والتقوا ايضا مع من هاجر من صحراء ايران وغيرها.

والتقى الناس وصار التطاحن على السلطة والتسلط. وبني الكلدان مدينتهم تلك التي سميت بأور الكلدان وكان أن ابراهيم وُلد في تلك المدينة أو في ريفها. ولم يذكر كتاب العهد العتيق نسبة ابراهيم إلىٰ الكلدان أو إلىٰ آشور. أو إلىٰ البابليين أو الاكاديين. أو العيلاميين. حتى ولا الاراميين إنما ذكر قبل اور الكلدان سبب وصول الناس إلىٰ تلك الارض من بعد الطوفان وذلك في اول الاصحاح الحادي عشر من سفر التكوين وإليك به ١/ وكانت الارض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة/٢ وحدث في ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة في ارض شنعار وسكنوا

هناك/٣ وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لبنًا ونشوه شيا. فكان لهم اللبن مكان الحجر. وكان لهم الحمر مكان الطين/٤ وقالوا هلم نبني لانفسنا مدينة وبرجاً رأسه في السماء. ونصنع لانفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الارض /٥ فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو أدم يبنوهما/٦ وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل. والان لا يمتنع عليهم كل ما ينوون ان يعملوه/٧ هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض/٨. فبددهم الرب من هناك على وجه كل الارض //

هذا الذي كتبه الكاتب وهذا تقدير الله عندهم. وقد كان بين هؤلاء والذين بددهم الله جميع ابناء نوح مع نوح ايضا وجميع آباء ابراهيم. فمولد ابراهيم من بعد الطوفان بمضي مائتين وتسعين عاماً وكانت أور الكلدان التي ولد فيها ابراهيم مدينة كبيرة ويسكنها الناس. وهذا طبعا بعد خروج الكلدانيين من الجزيرة العربية حوالي ألف وستمائة قبل الميلاد ولقد مر معنا نسب ابراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابرين شالح بن أرفكشاد بن سام ابن نوح عليه السلام. ٢٧ وهذه موالد تارح. ابراهيم وناحور. و هاران. وولد هاران لوطاً/٢٨

ومات هاران قبل تارح ابيه في ارض ميلاده في أور الكلدانيين/٢٩ واتخذ ابراهيم وناحور لانفسهما امراتين. اسم امراة ابراهيم ساراي. واسم امراة ناحور ملكة بنت هاران. أبي ملكة وأبي يسكه/٣٠.

وكانت ساراي عاقرا ليس لها ولد/٣١ واخذ تارح ابراهيم ابنه ولوطاً بن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة ابراهيم ابنه.

فخرجوا معا من اور الكلدان ليذهبوا إلىٰ ارض كنعان. فأتوا إلىٰ حاران واقاموا هناك /٣٢ وكانت ايام تارح مائتين وخمس سنين ومات تارح في حاران.

من هذا نتبين أن الذي خرج من أور الكلدان إلىٰ ارض كنعان ليس ابراهيم انما هو أبوه تارح. ثم نذكر تتمة ذلك من الاصحاح الثاني عشر من سفر التكوين/١ وقال الرب لابرام اذهب من ارضك وعشيرتك ومن بيت ابيك إلىٰ الارض التي أريك/٢ فأجعلك أمة عظيمة. وأباركك واعظم اسمك وتكون بركة/٣ وابارك مباركيك ولاعنك العنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الارض /٤ فذهب ابرام وذهب معه لوط. وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران/٥ فأخذ ابرام ساراي امرأته ولوطا ابن اخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا في حاران. والنفوس التي امتلكا في حاران وخرجوا ليذهبوا إلىٰ ارض كنعان فأتوا إلىٰ ارض كنعان/٦ واجتاز ابرام في الارض إلىٰ شكيم إلىٰ بلوطة مورا. وكان الكنعانيون حينئذ في الارض/٧ و ظهر الرب

لابرام وقال لنسلك اعطي هذه الارض. فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له/٨ ثم نقل من هناك إلىٰ الجبل شرقي بيت ايل ونصب خيمته. وله بيت ايل من المغرب وعاي من المشرق فبنى هناك مذبحا للرب ودعا باسم الرب/٩ ثم ارتحل ابرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب.

من هنا بدأت قصة الارض من هذا الذي كتب الكاتب في عهد المكابيين وقد أخرج تارح من أور الكلدانيين ولم يذكرعن ابراهيم شيئاً مع قومه. أو عن تكسير الاصنام أو عن القائه في النار ونجاته منها حتى ولم يذكر السبب الذي أخرج ابراهيم من أورالكلدان. إذاً ما هو السبب الذي أعطى الله به أرض كنعان إلىٰ ابراهيم ؟ ماذا كان يعبد ابراهيم وأبوه تارح ؟ وأين كان آباء ابراهيم عندما خرج من أورالكلدان ؟ ترى أين كان سام ابن نوح يسكن أنذاك لانه مات بعد موت ابراهيم بخمس وثلاثين سنة ؟ ترى ألم يزر ابراهيم جده ساما ولو مرة واحدة ؟ ترى ماذا كان يعبد سام حينئذ. لقد ذكروا عن هذا أنه التوراة. والتوراة كلام الله فهل حدث الله هذا وكتبه ؟

لقد مات نوح النبي الذي جعل الله الطوفان في عصره ولابراهيم من العمر سبعون عاماً فأين كان نوح يسكن ياترى ولم لم يزره ابراهيم مع أبائه يأخذ منه رأيه ويخدم جده الاكبر أو يقدم له من يخدمه من تلك النفوس التي كان ابراهيم ممتلكها. ان أشدالمصائب سكوت أهل العقول على الاباطيل. وأشد منها أن يسخروا عقولهم في خدمتها ولنا عودة إلىٰ الحديث عن حياة ابراهيم في كتاب العهد العتيق.

تفكير ابراهيم بخالقه

ونحن نأخذ من القرآن الكريم المحاورة التي جرت بين ابراهيم وأبيه بعد أن عرف حالة قومه مع الكواكب والاصنام. وكان القوم يعبدون الاصنام والنجوم. ويجعلون الاصنام في تفكيرهم أنها تمثل النجوم على الارض. ولكل وجه من وجوه الحياة إله. ولكل عناصر الطبيعة آلهة.

ولما وعى ابراهيم على ما هم عليه من عبادة. جعل يفكر ويختار من تلك الكواكب الهاً يعبده ويطلب الحاجات منه. فرأى كوكباً أعجبه لمعانه. فقال هذا جدير بأن أعبده. ولم يطل التفكير في هذا اذ طلع القمر فخفت لمعان الوكب.

في ليلة ظلماء صافية الاجواء جلس ابراهيم الصغير يفكر. لقد أراه أبوه نجماً. وأشار له إلىٰ آخر كوكب رأه يبرق سناه هل هو المشتري أم زحل أم الزهرة. هذا إله كذا وذاك إله كذا. وهذا الصنم يمثل هذه. وذاك يمثل تلك. ولكن كل هذا لم يوضح له الرب الخالق فمن هو وأين هو ؟

الكواكب كثيرة فأيها يعبد. ورأى كوكباً أعجبه لمعانه. فقال هذا أقوى تلك الكواكب سأتخذه رباً. وطلع القمر وهو يحملق في ربه الكوكب فاذا بلمعانه يخفت واحتجب ضوؤه. فالقمر أعظم نورا بكثير من جميع الكواكب. إذاً هذا يجب أن يكون الرب الذي يعبد بحق. فترك التفكير بتأليه الكوكب. واتخذ القمر الها.

لم ينم ابراهيم ليلته وهو يناجي القمر بأوصافه. والائه ونعمائه. يمدحه ويمجده ويبدأ يسأله. وقبل أن يجيب على أي سؤال طلع الفجر وأضاء الأفق بياض سبق طلوع الشمس ولم ينطق القمر ببنت شفة. وبهت ضوء ونور القمر وبزغت الشمس وهرب القمر فان ضوء الشمس قد غلب نور القمر وكسفه. وتأمله ابراهيم فاذا به قد اضمحل تماماً. وأذعن للشمس بالطاعة فقال ابراهيم هذا هو الرب الأكبر الذي يغلب جميع الألهة. فسأعبد هذا.

ونام ابراهيم لسهاده الليل كله ولم يستيقظ الا والشمس قد أذنت بالمغيب فجعل يتأملها حتى أحتجبت فرفع رأسه إلىٰ السماء فراى الكواكب وقد بدات ترسل لمعانها كاليوم الذي مضى بليله. فعاد بتفكيره إلىٰ تساوي الجميع في طاعة واحدة. ومسير واحد لم يتغير وراقب الليالي مع أيامها. فالكواكب والقمر والشمس والليل والنهار. وهو والناس والمخلوقات كلهافي نظره تسير في مهمة واحدة تبدأ وتقوى ثم تضعف وتنتهي. وبعضها يعود وبعضها لا يعود فمن يسيِّر الجميع ومن يدبر الجميع ومن يملك أمر الجميع ؟ انه ولا شك واحد بيده الأمر يدبره ويفصل آياته. إنه الواحد الذي يدير أمر الجميع فتوجه اليه. وتبرأ من الجميع من كل مايعبد قومه ويخبرنا جل وعلا بعض هذا في سورة الأنعام الآية/٧٤: ﴿واذ قال ابراهيم لأبيه أزر أتتخذ أصناماً آلهة. اني أراك وقومك في ضلال مبين * وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين * فلما جن عليه الليل رأىٰ كوكباً قال هذا ربي. فلماأفل قال لا أحب الأفلين * فلما رأىٰ القمر بازغاً قال هذا ربي. فلما أفل. قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأىٰ الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر. فلما أفلت. قال ياقوم اني بريء مماتشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً ومماأنا من المشركين﴾.

وفي اليوم التالي وقف بجانب صنم والده ودفعه فسقط على الأرض. ودفع الآخر فسقط. فنهض والده اليه يؤنبه ويهدده بعقاب الآلهة. وأنها ترمي بالبرص وبالجنون وكذا وكذا ولكن ابراهيم صار يقابله بالإبتسام وَرَكْلِ تلك الآلهة. وقال ياأبت ان هذا من وحي الشيطان. وان الله هو الذي أعطىٰ كل شيء وصفه وماديته. وهذه الأصنام من مادة قد خلقها الله أكانت من التراب طيناً نشويه وقد خلقه الله والنار التي نشوي بها قد خلقها الله.

أما ان كان من حجر فبالإزميل يصنعه الصانع. يضرب على الإزميل ليلقي منه نتفاً. ثم ينهي الصانع عمله وقد صنع تمثالاً بيده ثم يسجد له ويعبده ويسأله مطالبه. ياأبت اني راقبت النجوم والكواكب والشمس والقمر. فرأيتها كلها مسخرة يدير أمرها مدير. تاتمر بأمره طائعة. ولاتتعدىٰ خط أمره. ونحن كماهي نسير وفق مُقَدّرِ الله حتى نسجد له آخر الأمر بالرضىٰ أو الإكراه. نعود إليه بعد الموت ليحدد لنا عيشاً أبدياً كل حسب عمله.

وقد أخبرنا الله جل وعلا عن بعض المحاورة بين ابراهيم وأبيه في سورة مريم الآية/٤١: ﴿واذكر في الكتاب ابراهيم. إنه كان صديقاً نبياً * اذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد. مالايسمع ولايبصر. ولايغني عنك شيئاً * ياأبت إني قد جاءني من العلم مالم يأتك. فأتبعني أهدك صراطاً سوياً * ياأبت لاتعبد الشيطان. إن الشيطان كان للرحمن عصياً* ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن. فتكون للشيطان ولياً﴾ فأجابه والده بقوله كما أخبر الله: ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي ياابراهيم. لئن لم تنته لأرجمنك وأهجرني ملياً﴾ فقال له ابراهيم كما أخبر الله: ﴿سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربي عسىٰ أن لاأكون بدعاء ربي شقياً﴾.

وطال الجدال بين ابراهيم وتارح. أوأزر. وكان أزر يشرح لإبراهيم ماهية الكواكب كما كانوا يعتقدون وكانت لهم مدارس تدرس الدين. ويقوم كهانهم على أمرها وقد أظهرت الحفريات ألوحاً من الآجر تحوي الذي كان يدرس هناك في عصر ابراهيم وماقبله.

كان ابراهيم وآزر في مناظرة لم يستطع أحدهما فيها اقناع الأخر. وانتهىٰ الأمر بعدم رضا آزر عن ابنه وسمع الناس أن ابراهيم يحتقر آلهتهم ولايقدسها. فأجتمعوُا اليه وجعلوا يؤنبونه ويبينون له عاقبة انكاره للآلهة فقال لهم بماأخبر الله في سورة العنكبوت الآية/١٧: ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً. وتخلقون إفكاً. إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق. واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾ وطالت المراجعات بينهم وبينه حتى حطم آلهتهم تلك التي يعبدون. فقالوا جوابهم على كل ماقال ووعظ يخبر الله في سورة العنكبوت الآية/٢٤: ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض. ويلعن بعضكم بعضاً. ومأوواكم النار ومالكم من ناصرين﴾.

وجاء عيدهم. ويظن أنه عيد النيروز الذي يحتفل فيه الإيرانيون حتى اليوم. وكان عادة القوم أن يخرجوا في ذلك العيد إلىٰ خارج المدينة إلىٰ مكان مقدس عندهم في الهواء الطلق وهو أول فصل الربيع وتكون الأرض قد زهت بأزهار الربيع. فيمضون يوماً أو أكثر في ذلك المكان

على خمر وزمر. ونهي وأمر. وقد طلب أهل ابراهيم منه أن يحضر ذلك العيد فادعىٰ المرض. فذهبوا وتركوه بعد الحاحهم واصراره.

وكان القوم اذا أرادو الذهاب لمثل هذا العيد يجعلون طعاماً كثيراً أمام آلهتهم في المعبد الكبير فإذا رجعوا من عيدهم وجدوه مقدساً. فيبيعونه للموسرين لشفاء الأمراض بجميع أنواعها حتى العقم. وهذا يكون بثمن باهظ. ويترقب الأغنياء العيد حتى يحصلوا عليه.

لقد مضىٰ القوم ورجع ابراهيم إلىٰ ذلك المعبد يحمل في يده فأساً ودخل إلىٰ مقر الآلهة ووجد الطعام أمامهم فسألهم لمَ لاتأكلون الطعام هذا ؟ فلم يتكلم منهم أحد. وأعاد السؤال فلم يجبه أحد. فرفع الفأس وأهوىٰ بها على أحدهم فأبان يده. والآخر والآخر حتى جعلهم كلهم قطعاً. وقطع احدىٰ يدي كبيرهم ورجله وشوه أكثر جسده ولكنه علق الفأس على يد كبيرهم الأخرىٰ ومضىٰ وتركهم أشلاء معركة حامية الوطيس.

وجاء القوم من عيدهم بعد رقص ولعب وغناء وطبل وزمر قد اختلط الجنسان في عبادتهم وعادوا ولايزالون في نشوتهم. وقد جاء الكهنة في مقدمتهم يرتلون ويصدحون حتى دخلوا المعبد فرأوا الأمر المذهل. وماذا رأوا.

لقد رأوا مالايتوقعون أبداً. آلهة محطمة ؟ كيف من فعل هذا ؟ أمر غريب يحدث الآلهة تحطم ؟ ومن يحطم الآلهة الآلهة التي تحفظ الناس من الأسواء تحطم ؟.

واستغاث الكهنة. وجاء الناس وغص المعبد بجمهور الناس وعُرف الأمر. وشاع الخبر. وبدأ التساؤل. وتهامس الناس وقال بعضهم أنه سمع ابراهيم يتوعد الآلهة. وقال آخر كذلك وطلبوا ابراهيم فأحضروه وسألوه أأنت فعلت هذا بالآلهة ؟ أأنت كسرت وحطمت الآلهة ؟ وانهالت على ابراهيم الأسئلة.

فقال انظروا إلىٰ هذا الذي يحمل الفأس أليس هو الفاعل ؟ قالوا ولكنه هو أيضاً قد كسر وقطع. فقال انه هو الذي فعل لأنه غضب منهم فقد أرادوا أكل الطعام بلااذن منه. قالوا ولكنهم لايفعلون هذا. قال سلوهم علهم يخبرونكم عن الفاعل. قالوا ولكنهم لاينطقون. اذاً فلم تعبدونهم ؟.

قالوا وماشأنك أنت بهذا فقال لهم كما أخبرنا تعالىٰ في سورة الأنبياء الآية/٦٧: ﴿أفٍ لكم ولماتعبدون من دون الله أفلا تَعْقِلُون * قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم﴾.

وأجمع القوم على محاكمته وجعلوا القضاة من الكهنة. فسألوه ألا تخشىٰ الآلهة ؟ قال كيف أخشىٰ أصنامكم وأنتم لاتخشون الله ؟ ويخبرنا تعالىٰ عن هذا في سورة الأنعام الآية/٨٠: ﴿وحاجّهُ قومه قال أتحاجُّونّي في الله وقد هداني ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون. وكيف أخاف ماأشركتم. ولاتخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطاناً. فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون * الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون * وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾.

كانت محاكمتهم صُورية إنما جعلت للتمويه بحكم عادل وحكموا على ابراهيم بالموت حرقاً. ونادوا بجمع الأحطاب تقرباً إلىٰ الآلهة. وانتقاماً من الذي قد حطمها. وجمعت الأحطاب إلىٰ يوم عينوه وتقاطر الناس في ذلك اليوم إلىٰ حيث جمعوا الأحطاب وأشعلت النار واشتد ضرامها وعظم حرها. وجيء بإبراهيم وقد غلت يداه وشدت رجلاه. وهو صابر محتسب والقي في منجنيق كما ذكر. وذهب الدخان وأصبحت الأخشاب كلها جمراً.

ولربما جعلوا ابراهيم مشدوداً إلىٰ الأخشاب فوق الأحطاب الأخرى ثم أضرمت النار. وعلا لهيبها واشتد حرها مع الدخان وصارت النار تذيب الحديد وقد تباعد الناس عنها حتى إذا ذهب الدخان وانقطع وصار الحطب كله جمراً نظر الناس إلىٰ تلك النار فرأوا عجباً وجعلوا يمسحون أعينهم ويعيدون النظر ويكررونه.

إن الأمر أعجب من أن يصدق هذا ابراهيم يجلس محلول الكتاف يبتسم غبطة وانتصاراً. فقد أحرقت النار كتافه. ولابأس أن نقول وأذابت حديد قيوده. ثم قام يمشي وسط النار حتى أتىٰ نحو زعامتهم وقادتهم بين عجب الناس وذهولهم حتى ورعب الكهنة وغمغمتهم وعجبهم.

لقد خرج ابراهيم من النار ظافراً ويخبرنا جل وعلا عن قصته تلك في ايجاز بكتابه في سورة الأنبياء الآية/٥١: ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * اذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون * قالوا وجدنا أباءنا لها عابدين * قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين * قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين * قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين★ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين * فجعلهم جذاذاً الاكبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون★ قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين * قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يقال له ابراهيم * قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون * قالوا، ءأنت فعلت هذا بألهتنا ياابراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم

لعلهم ينطقون * فرجعوا إلىٰ أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون * قال أفتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيئاً ولايضركم * أفٍ لكم ولِمَا تعبدون من دون الله أفلا تعقلون * قالوا حرقوه وانصروا ألهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم * وأرادوا به كيداً فجعلناهم الآخسرين﴾.

وذكر الله تلك القصة في سورة الصافات وهي أكثر اختصاراً في الآية/٨٣: ﴿وإن من شيعته لإبراهيم. إذ جاء ربه بقلب سليم * إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون * أئفكاً آلهة دون الله تريدون * فماظنكم برب العالمين * فنظر نظرة في النجوم * فقال اني سقيم * فتولوا عنه مدبرين * فراغ إلىٰ آلهتهم فقال ألاتأكلون * مالكم لاتنطقون * فراغ عليهم ضرباً باليمين * فأقبلوا اليه يزفون * قال أتعبدون ماتنحتون * والله خلقكم وماتعملون * قالوا ابنوا له بنياناً فالقوه في الجحيم * فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين﴾.

وجيء بإبراهيم إلىٰ الملك الذي جعل يسأله عن حاله. فأخبره بنبوته ودعاه إلىٰ عبادة الله وحده. وترك عبادة الأصنام. فقال الملك ومن هو الإله الذي تريد منا عبادته. قال ابراهيم ان ربي هو الذي يحيي ويميت. قال الملك ولكني أنا أحيي وأميت. قال ابراهيم وكيف هذا؟ فأمر الملك فجيء له برجلين قد استحقا الموت لجرم فعلاه. وأقرع الملك بينهما للموت وللعفو. فقتل الملك من جاءت منيته بالقرعة وأطلق الآخر. وقال: لقد أمت هذا وأحييت هذا.

فقال ابراهيم وطبعاً لم يقنعه فعل الملك انما أراد أن يوقفه عند حده ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب. فأصابت الملك بهتة وأفحم. ثم طلب من ابراهيم مغادرة البلاد فخرج إلىٰ المنفىٰ وأبدله الله بأهل غير أولئك ويخبرنا جل وعلا عن هذا في سورة البقرة الآية/٢٥٨: ﴿ألم ترَ إلىٰ الذي حاجّ ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك. إذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت. قال أنا أحيي وأميت. قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب. فبهت الذي كفر. والله لايهدي القوم الظالمين﴾.

خروج إبراهيم من أرض قومه إلى أرض كنعان

وخشي الملك أن يتبع الناس ابراهيم فأمره بترك بلاده والذهاب إلىٰ أي أرض يريد ثم تركه يأخذ ماشاء من بيت أبيه فخرج ابراهيم مع بعض صحبه وفيهم ابن أخيه لوط أو ابن عمه. وابنة عمه سارای كما يسمونها. وبعض من أمن معه أثنان أو ثلاثة أو خمسة.

وجلس في يوم وهو في طريقه نحو بلاد الشام على أكمة يفكر واتجه بتفكيره إلىٰ احياء من

مات. فرفع طرفه إلىٰ السماء يخاطب ربه. ويسأله رب لو أريتني كيف تحيي الموتىٰ. فأوحي إليه ربه سائلاً. أو لم تؤمن. فقال بلىٰ يارب ولكن أريد أن أزداد إطمئناناً. فأوحىٰ إليه أن أحضر أربعة من الطير واجعلها بعد ذبحها أربعة أجزاء. واجعل جزءاً من كل منها مع الأجزاء الثلاثة الآخرىٰ فتصير أربعة أجزاء كلها. ووزعها على أربعة جبال ثم ادعها اليك. فأخذ ابراهيم طيراً من أربعة أصناف الطير فذبحها وخلطها مع بعضها ثم جعلها على أربعة جبال متباعدة وناداها. وإذا بها تقبل إليه كما هي قبل أن تذبح. فسبح الله وعلم أن الله عزيز حكيم وفي هذا يخبرنا جل وعلا في سورة البقرة عنها في الآية/ ٢٦٠: ﴿وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتىٰ. قال أولم تؤمن قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي. قال فخذ أربعة من الطير. فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم أدعهن يأتينك سعياً. واعلم أن الله عزيز حكيم﴾.

وتلخص قصة ابراهيم مع قومه والتي لم يذكر منها شيء في كتاب العهد العتيق. وقد ذكر الكتاب أن ابراهيم عندما ترك بلاده كان له من العمرخمس وسبعون سنة. ولم يذكر كتاب العهد سوىٰ كلمات ذكرناها في أول الباب.

لقد ولد ابراهيم في أرض الكلدانيين من أحد بطونهم من والد معروف من سراتهم. وتربىٰ في نعمة سابغة. حتى وعىٰ مايدور حوله. وقد راقب أحوال قومه. وقد كانوا يعيشون في ظل قوانين أخذت عن أسلافهم. كقوانين حمورابي التي وجدت في تلك البلاد وكان في القرن الثامن عشر قبل الميلاد. يسبق عصر ابراهيم بقرن أو قرنين من الزمن بل ثلاثة قرون. لربما كانت تلك القوانين من شرائع بعض الأنبياء والمرسلين التي لم يخبرنا جل وعلا عنها بشيء فقد قال في سورة فاطر/ ٢٤: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ وقال أيضاً في سورة النساء الآية/ ١٦١: ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك. ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً﴾.

أرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب تحوي الشرائع للأمم بما يوافق عصرها. وبيئتها ولكنها كلها تحوي توحيد الخالق، واحترام الانسان، والوصايا التي وردت في جميع الكتب المنزلة ويسير الناس عليها. ولكن الشيطان يسعى فَيُحَوِلُ الوجهة السليمة إلىٰ الوجهة الفاسدة على يد شياطين الانسان، ويؤيدهم دائماً السذج وبسطاء القلوب، فيتم الانحراف تدريجياً وَهَلُمَ جرا، فتنقلب مفاهيم التوحيد، ويثبت الشرك، ويضحك الشيطان.

إن القلوب الراقصة والعقول الناقصة، لاترى الحياة الا ضاحكة مستهترة، فلا قِيَمَ ولا استقامة، بل خروج على القواعد، وذوبان في هيام الروح من جسد متهاسك إلىٰ مائعات اللذائذ، التي تعقبها قروح الأفئدة، وسيلان الروح قيحاً، والعقول هواءً.

ويدس الشرك مع هذه الحالات قليلاً قليلاً رغم حذر المتحذر، ويقظة المستيقظ، وتبدأ عبادة الشمس والقمر، والنجوم، وتماثيل الرجال الذين ملكو اجادوا، أم عدلوا، ولم تنج أمة من هذا ابداً، وكلما تباعدت الأيام عن نقطة الإرسال، كلما ملأت صحائفها البدع، والمفتريات تسمى البدع الحسنة، ترضاها الناس ،ثم يتخذونها ديناً.

ومن هذا يرسل الله رسولاً. أو يبعث نبياً، أما برسالة جديدة وتشريع، واما بتذكير الناس بتشريع سابق يطالبهم بالعودة إليه، ينفي عنه المحدثات، ويبعد الخرافات والخزعبلات حتى يستقيم الأمر من جديد، إذا قدر له أن يستقيم إلىٰ أمد مقدر.

وأرسل الله ابراهيم، فبلغ الرسالة، وذكر بما سبق من مقومات، وكان له صحف أنزلها الله عليه بوحي لم يكتب، فقد قال تعالىٰ في سورة آخر آية من سورة سبح: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى﴾ وفي سورة النجم الآية/٣٦: ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى، وابراهيم الذي وفى * أن لا تزر وازرة وزر أخرى★ وأن ليس للانسان إلا ما سعى★ وأن سعيه سوف يرى★ ثم يجزاه الجزاء الأوفى★ وأن إلىٰ ربك المنتهى﴾.

ودخل ابراهيم بلاد الشام مع صحبه، يرعى الماشية ويطعم الطعام ويهدي إلىٰ الخير، فأحبه الناس وأكرموه، ولم يمنعوه من الرعي والاقامة، حتى وصل أرض فلسطين، فاتخذها له مقراً.

دخول ابراهيم إلىٰ أرض مصر

كانت سارة زوجة ابراهيم عاقراً وكانت أصغر منه بعشرين عاما وذلك بما ذكر كتاب العهد العتيق، وذكر أنها أخته لأبيه، ولم تلد له ولداً وفي الصحيح أنها ابنة عمه، فإذا قالوا ان سفر التكوين من التوراة، فان التوراة المكتوبة بيد موسى عليه السلام تحرم هذا حتى وأكثر من ذلك ففي سفر التثنية الاصحاح السابع والعشرين جاء هذا/٢٢ ملعون من يضطجع مع اخته بنت أبيه أو بنت أمه.

ومن العجب عندهم أنه جاء في الاصحاح العشرين من سفر التكوين هذا/ (فقال ابراهيم - لأبي مالك ملك جرار - اني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتة فيقتلوني لأجل امرأتي/١٢ وبالحقيقة أيضاً انها أختي ابنة أبي. غير انها ليست ابنه أمي، فصارت لي زوجة/١٣ وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي أني قلت لها هذا معروفك الذي تصنعين الى، في كل مكان نأتي إليه قولي عني هو أخي).

هذا هو ابراهيم الذي هداه الله لكي يخرج إلىٰ الأرض الطيبة يقول حسب الذي كتبوا (أتاهني الله من بيت أبي) ولما استقر في فلسطين صار في الأرض جوع، فذهب إلىٰ مصر مع ابن أخيه وزوجته العاقر سارة، وقد رأى المصريون زوجته، وكانت من الجمال بمكان عظيم رغم بلوغها الستين من العمر، فوصفوها لملك مصر، وسألوا عنها ابراهيم فقال هي أختي.

وفي حديث متفق عليه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات اثنتين منها في ذات الله قوله - إني سقيم - وقوله - بل فعله كبيرهم هذا - وقال بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فارسل إليه فسأله عنها قال هي أختي، فأتىٰ سارة فقال لها إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك. فإن سألك فأخبريه أنك أختي. فإنك اختي في الاسلام، ليس على وجه هذه الأرض مؤمن مسلم غيري وغيرك، فأرسل إليها فأتي بها وقام ابراهيم يصلي فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، وفي روايه فغط، فقال لها ادع الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال ادع الله لي ولاأضرك فدعت الله فأطلق، فدعا بعض حجبته، فقال إنك لم تأتني بانسان انما أتيتني بشيطان فأخدمها هاجر. قال: أبو هريرة تلك أمكم يابني ماء السماء».

ولما كانت سارة عاقراً وهبت هاجر جاريتها تلك إلىٰ ابراهيم يتسراها فحملت منه وأنجبت اسماعيل ابن ابراهيم البكر.

ولنرجع إلىٰ كتاب العهد العتيق، نذكر حادثة سارة مع ملك مصر وذلك في الاصحاح الثاني عشر من سفر التكوين/ ١٠ وحدث جوع في الأرض فانحدر ابراهيم إلىٰ مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً/ ١١ وحدث لما قرب أن يدخل مصراً أنه قال لساراي امرأته اني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، ١٢ فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقوك/ ١٣ قولي انك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك/ ١٤ فحدث لما دخل ابراهيم إلىٰ مصر أن المصريين رأوا المرأة حسنة جداً/ ١٥ ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلىٰ بيت فرعون/ ٦ فصنع إلىٰ ابراهيم خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء، وأتن وجمال/ ١٧ فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة ابراهيم/ ٨ فدعا فرعون ابرام وقال ما هذا الذي صنعت بي، لماذا لم تخبرني أنها امرأتك/ ١٩ لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي، والآن هي ذي امرأتك خذها واذهب/ ٢٠ فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان معه)

وهكذا رجع ابراهيم ومعه من الأموال الشيء الكثير وعاد إلىٰ أرض كنعان ومضى وقت طويل وهو ينعم بتلك الخيرات فلم يذكر الكتاب عنه أوله أي عمل يستوجب الزيادة عن غيره، انما ذكره للعمل من أجل الدنيا وأنه تسرى، ثم قصص أخرى سوف نوردها تدل على التناقض التام في حياة ابراهيم عليه السلام ففي الاصحاح العشرين جاء هذا وفي سفر التكوين أيضاً.

وانتقل ابراهيم من هناك إلىٰ أرض الجنوب، وسكن بين قادش وشور، وتغرب في جرار/٢ وقال ابراهيم عن سارة انها أختي، فارسل أبي مالك ملك جرار وأخذ سارة/٣ فجاء الله إلىٰ أبيمالك في حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فانها متزوجة ببعل/٤ ولكن لم يكن أبو مالك قد اقترب اليها، فقال ياسيد أأمة بارة تقتل/٥ ألم يقل لي هو أنها أختي، وهي أيضاً نفسها قالت هو أخي، بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا/٦ فقال له الله في الحلم أنا أيضا علمت هذا بسلامة قلبك فعلت هذا، وأنا أيضاً أمسكتك عن أن تخطيء الي، لذلك لم أدعك تمسها/٧ فالآن رد امرأة الرجل فانه نبي فيصلي لأجلك فتحيا، وان كنت لست تردها، فاعلم أنك موتاً تموت أنت وكل من لك.

/٨ فبكر أبو مالك في الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام بكل مسامعهم فخاف الرجال جداً/٩ ثم دعا أبيمالك ابراهيم وقال له مإذا فعلت بنا، وبمإذا أخطأت اليك حتى جلبت علي وعلى مملكتي خطية عظيمة أعمالاً لاتعمل عملت بي/١٠ وقال أبيمالك لابراهيم مإذا رأيت حتى عملت هذا؟/١١ فقال ابراهيم إني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتة، فيقتلونني لأجل امرأتي/١٢ والحقيقة أيضا هي اختي ابنة أبي، غير أنها ليست ابنة أمي، فصارت لي زوجة/١٣ وحدث أني لما أتاهني الله من بيت أبي أني قلت لها هذا معروفك الذي تصنعين الي في كل مكان نأتي إليه قولي عني هو أخي/١٤ فأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وعبيداً واماءً، وأعطاهم لابراهيم، ورد إليه سارة امرأته/١٥ وقال ابيمالك هوذا أرضي اسكن فيما حسن في عينك/١٦ وقال لسارة اني قد أعطيت أخاك ألفاً من الفضة ها هو لك غطاء عين من جهة كل ماعندك وعند كل واحد فأنصفت/١٧ فصلى ابراهيم الى الله فشفى الله ابيمالك وامرأته وجواريه فولدن/١٨ لأن الرب قد أغلق كل رحم ببيت أبيمالك بسبب سارة//

وفي الاصحاح السادس والعشرين صارت قصة كهذه أو قريباً منها مع اسحق ورفقا زوجته، ومع أبيمالك ملك الفلسطينيين، ولا ندري مإذا نكتب عن مثل هذا، ومإذا يفعل به أهل العقول الكبيرة الذين يفتتحون مدارس التبشير في البلاد الاسلامية يستغلون الفقر والاستعمار ويخرجون بعض أطفالها من النور إلىٰ هذا الظلام الدامس.

لقد كانت سارة قبل أن تلد اسحق في الثمانين من عمرها قد أعطت كما مر معنا جاريتها هاجر لابراهيم يتسراها فولدت له اسماعيل فلما رأت هذا سارة أخذتها غيرة شديدة فطلبت من ابراهيم أن يبعد هاجر وابنها وأصرت على هذا وهي سيدتها فاستخار ابراهيم ربه، وأخذ هاجر وابنها معه على ناقته يهتدي بهدي الله ليوم أو أيام حتى وصل إلىٰ أرض مكة المكرمة، ودخل بين جبالها حتى وجد فسحة صغيرة، قد حوت الرمال الناعمة من مجرى سيل عريض، فنزل فيها، وجلس مع اسرته الصغيرة على تلك الرمال، ونظر إلىٰ تلك الجبال ساهماً.

لقد أطاع ابراهيم زوجته سارة في أمر هاجر وابنها، لأنها كانت جارتها، وكان حب سارة يطغى عليه، وكان أمر الله وخيرته.

جلس ابراهيم مع تلك الأسرة الصغيرة ساعات قليلة، واتكأ على مرفقه على الرمال اللينة وربما حبى الطفل يتعلق على أبيه والأم تنظر إلىٰ ابنها، وليس لها فيما يمكنها الوصول إليه والاعتزاز به سوى هذا الطفل فهو أثمن شيء عندها حتى من نفسها، انها تذكر حرباً بين جنوبي مصر وشماليها بين الرعاة العرب الذين دخلوا مصر لمساعدة بعض امراء الشمال على بعض امراء الجنوب، وأنها كانت تعتز بالأمراء من أهلها، ثم انتصر أهل الشمال وسبيت هاجر، وأصبحت في قصور أهل الشمال، وأهداها ملك الشمال إلىٰ سارة تلك المرأة ذات الجمال الساحر، والنفس المعتزة . .

واصبحت سيدتها سارة، ولم تهنها لأنها كانت تخشى التأنيب والتقريع، فكانت تخدم السيدة بنشاط وطاعة عمياء، وأهدتها السيدة إلىٰ زوجها ابراهيم، ورضي الهدية، ولكن هاجر حملت، فغضبت السيدة، وجعلت تهينها وكانت تتحمل الاهانة في نفس أبية أذلتها لحملها حتى ولدت، فجن جنون لسيدة ولم تحتمل الأمر وغلبتها الغيرة، فكم رأت من السعادة وزوجها الشيخ يتكىء أمامها والطفل يعلو صدره، كانت سعادة تتمناها لو دامت.

وفي كتاب العهد العتيق يحصل بعض الخلاف حول هذه النقطة فقد جاء في الاصحاح السادس عشر من سفر التكوين ما يلي/١ وأما ساراي امرأة ابرام فلم تلد له وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر/٢ فقالت ساراي لابرام هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة، ادخل على جاريتي لعلي أرزق منها بني فسمع ابرام لقول ساراي/٣ فأخذت ساراي امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة ابرام في أرض كنعان وأعطتها لابرام رجلها زوجة له/٤ فدخل على هاجر فحبلت، ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها/٥ فقالت ساراي لابرام ظلمي عليك، أنا دفعت جاريتي إلىٰ حضنك، فلما رأت أنها حبلت صغرت في

عينيها يقضي الرب بيني وبينك/٦ فقال ابرام لساراي هو ذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينيك، فاذلتها ساراي فهربت من وجهها/٧ فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية، على العين التي في طريق شور/٨ وقال ياهاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين، فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي/٩ فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها/ و قال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة/١١ وقال لها ملاك الرب هاأنت حبلى فتلدين ابناً، وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك/١٢ وانه يكون انساناً وحشياً، يده على كل واحد ويد كل واحد عليه. وأمام جميع اخوته يسكن/١٣ فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت ايل رئي، لأنها قالت هنا أيضاً رايت بعد رؤية/١٤ لذلك دعيت البئر بئر لحي رئي هاهي بين قادش وبارد/١٥ فولدت هاجر لابرام ابناً. ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسمعيل/٦١ وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسمعيل لابرام.

هذا الذي جاء في خبر المعاملة ما بين سارة والجارية هاجر التي دفعتها لزوجها حتى تلد له ولداً يحيى ذكره، ثم ان ابراهيم بعد أن جلس مع اسرته الصغيرة تلك الساعات القلائل، أو نام ليلة ، أخذ زمام راحلته، ومشى دون أن ينظر خلفه، ولم تجسر أن تسأله هاجر عن وجهته، وعلمت أنه سيتركها دون أن يعود، فنادته عن بعد قائلة:

إلى من تتركنا ياابراهيم ؟ فلم يلتفت، ولم يستطع الجواب، فالغصة في حلقه، فنادته ثانية، وثالثة، ولما لم يجب قالت، الله أمرك بهذا؟ فهز راسه أسئ، فظنته الموافقة وربما كانت تلك الحقيقة، فقالت اذاً، لن يضيعنا، وجلست بجانب ابنها تنظر إلى الرجل التي تقدر فيه دينه وخلقه، يبتعد عنهم بخطى متثاقلة حتى حجبته الجبال.

لقد آمنت المراة على ايمانه. وكانت تعرف أنه نبي، وأنه يستخير الله في كل أعمال ونظرت حولها إلى جبال ذات صخور سوداء قد عرتها الأمطار ذات الهطل الشديد من التراب حتى والأشجار، إلا الشجرة التي جذرها بين الصخور، فلا ماء ولا شجر، ولا أنيس ولا دابة تدب الا الوزغ الذي يدخل ويخرج بين شقوق تلك الصخور. التي صارت ملساء تآكلت نتؤاتها من وقع الأمطار الغزيرة الانصباب، مع قلتها وندرتة سقوطها.

وفي كتاب العهد العتيق جاء أمر هاجر وابنها وذلك في الاصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين مايلي:

وافتقد الرب سارة كما قال. وفعل الرب لسارة كما تكلم/٢ فحبلت سارة وولد لابراهيم ابناً في شيخوخته. في الوقت الذي تكلم الله عنه/٣ ودعا ابراهيم اسم ابنه المولود له الذي ولدته له سارة اسحق/٤ وختن ابراهيم اسحق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله/٥ وكان ابراهيم ابن مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه/٦ وقالت سارة قد صنع الي الله ضحكاً كل من يسمع يضحك لي/٧ وقالت من قال لابراهيم سارة ترضع بنين. حتى ولدت ابناً في شيخوخته/٨ فكبر الولد وفطم. وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحق/٩ ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمزح/١٠ فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق/١١ فقبح الكلام جداً في عيني ابراهيم لسبب ابنه/١٢ فقال الله لابراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة اسمع بقولها لأنه باسحق يدعى لك نسل/١٣ وبابن الجارية أيضاً سأجعله أمةً لأنه نسلك/١٤ فبكر ابراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما هاجراً واضعاً اياهما على كتفها والولد وصرفها، فمضت وتاهت في بئر السبع/١٥ ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الأشجار/١٦ ومضت وجلست مقابلة بعيداً نحو رمية قوس لأنها قالت لا أنظر موت الولد، فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت/١٧ فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك ياهاجر، لا تخافي لأن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو. /١٨ قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة ماءً وسقت الغلام/٢٠ وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس/٢١ وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر.

هذا الذي ورد في كتاب العهد العتيق، مع أن الكعبة التي بناها ابراهيم مع اسماعيل ابنه في مكة المكرمة عرفتها القبائل العربية التي آمن أوائلها برسالة اسماعيل. وتناقلوا كيفية العبادة عنها رؤية عين ومتابعة حتى عصر الاسلام، الذي نفا عنها كل شرك، وأقر الذي كان في عهد ابراهيم واسماعيل. وقد جاء في الآية/١٨ من القول قومي احملي الغلام، وشدي يدك به/ والغلام في السادسة عشرة حسب قول الكتاب، فقد ذكر الكاتب أن ابراهيم عند ولادة اسماعيل في السادسة والثمانين من عمره، وعند ولادة اسحق كما جاء في الاصحاح الحادي والعشرين٥ وكان ابراهيم بن مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه/ سفر التكوين.

وفي الاصحاح السادس عشر سفر التكوين/١٥ فولدت هاجر لابرام ابناً ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل/١٦ وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لابرام وعندما طرد اسماعيل وأمه من حضرة سارة كان اسحق قد فطم بعد سنتين على الأقل كما

قد جاء في الاصحاح الحادي والعشرين/٨ فكبر الولد وفطم، وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحق/٩ ورأت سارة ابن هاجر المصرية يمزح/١٠ فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق//

فمن هذا كان الغلام اسماعيل يزيد عمره عن السادسة عشر، وعليه أن يحمل امه لا أن تحمله أمه، وإذا كان سفر التكوين من التوراة فان الله لا يتكلم بالأباطيل، وهذا قد كتب بالحدث والنقل المتناقل بالخطأ فمكة منزل اسماعيل واسماعيل قبل فطامه، عند طرد امه من زوجة أبيه، وقد تزوج اسماعيل من عربية، والا لسكن مصر مع أمه المصرية، وزوجته المصرية ولذاب في المجتمع المصري، وقد انصهر في المجتمع العربي.

لم يكن ابراهيم بالرجل الذي يترك الغريب يضام فكيف يترك ولده وأم ولده في ذلك الضيم المريع؟ فالأمر إذا من الله هداية وتقديراً حتى يكون إسماعيل أباً لقريش. وليكون أباً لأكرم الرسل على الله. ولتبنىٰ قبل هذا الكعبة الغراء. وليتحقق قول الله لموسىٰ كما جاء في التوراة في الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية/١٥ يقيم لك الرب إلهك نبياًمن وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون/١٦ حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الإجتماع قائلاً. لا أعود أسمع صوت الرب إلهي. ولا أرىٰ هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت/١٧ قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا/١٨ أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك. واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل مماأوصيه به/١٩ ويكون أن الإنسان الذي لايسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه.

وكانت ولادة محمد في مكة المكرمة في منزل أبيه لايبعد عن بئر زمزم الذي استخرجه جبريل لإسماعيل سوىٰ مئتي متر تقريباً. صلىٰ الله عليهم جميعاً.

إن التوراة كلام الله إلىٰ موسى أملاها الله عليه في لوحين من حجر أو من جلد أو من قماش لايخطيء الله بما يقول. ولايشذ من قول إلىٰ قول. فها هو الكاتب يذكر في الإصحاح الحادي والعشرين/١٤ فبكر ابراهيم صباحاً فأخذ خبزاً وماء وأعطاهما لهاجر واضعاً اياهما على كتفها والولد وصرفها فمضت وتاهت في برية بئر سبع/١٥ ولما فرغ الماء من القربة. طرحت الولد تحت احدىٰ الأشجار/١٦// فهذا واضح وصريح بأن الولد حملته على كتفها مع الخبز والماء. وهذا أيضاً صريح القول. طرحت الولد تحت احدىٰ الأشجار. فهو يحمل الدليل الكافي بأنه كان رضيعاً بينما ذكر أولاً أنه فوق السادسة عشره! ان الله لايخطيء فيما هو منه. ولكن الخطأفي نسبة الشيء إليه سبحانه وتعالىٰ عن ترهاتهم.

ومضىٰ ابراهيم لم يلتفت حتى صار عن بعد فرفع طرفه إلىٰ السماء يدعو ربه شفقة على أسرته الصغيرة وقال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم. ربنا ليقيموا الصلاة. فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم. وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾

ففي هذه الآية الكريمة دليلان لأمرين أولاً إن ترك ابراهيم لأسرته في هذا المكان الموحش كان بوحي من الله ثانياً إن البيت الحرام كان في السابق قبل ابراهيم، وقد هدم أو جرفته السيول. وابتعد الناس عن موقعه. أي أنه كان قبل الطوفان وأن أمره قد خفي حتى أظهره الله لإبراهيم. وقد جاء في القرآن الكريم في سورة الحج الآية/٢٦: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لاتشرك بي شيئاً. وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾.

فمن هذا يظن أن البيت الحرام كان وجرفه سيل عظيم. لأن بناءه وسط السيل حتى اليوم. أو أن طوفان نوح قد آتىٰ عليه لفساد الناس كما هو معلوم قبل الطوفان. وقد ذكرنا أن سام بن نوح. أو أن نوحاً نفسه ربما كان يقطن تلك الأرض. وان نظرة بعض علماء علم الأجناس تقول بأن الناس من الساميين جاؤوا من قلب الجزيرة العربية. فالمؤرخ (بارتون) يقول أن الهجرات السامية يجب أن تكون من الجزيرة العربية إلىٰ البلاد المجاورة، ولم يقبل العكس. ففي الألف الرابعة قبل الميلاد حصلت أول الهجرات إلىٰ سورية وتمام الهلال الخصيب اذ خرج الساميون من هناك إلىٰ بلاد الرافدين أيضاً شمالي الهلال الخصيب. وأن قسماً آخر قد حل في وادي النيل. وتعلموا الزراعة من سكانه وعاشوا معاً. وفي سنة ألفين وتسعمائة قبل الميلاد تقريباً قدم الكنعانيون. وسكنوا موانىء البحر الأبيض. وفي بلاد الرافدين كانت أسرة (أغاده) سنة (٢٨٤٥) قبل الميلاد. وأول سلالة بابلية كانت في السنة (٢١٠٥) قبل الميلاد. وهجرة الأراميين إلىٰ ضواحي دمشق كانت في سنة (١٥٠٠) قبل الميلاد. وقد أيد (سبرنجر) الألماني و(شرايدر) و(بنكلر) و(رايت) و(ماير) و(موركان) و(فانسان) أن الجزيرة العربية هي منشأ العرق السامي. ومن هذا كانت اللغة العربية هي أم اللغات السامية كلها. ولايزال العرب في قلب الجزيرة حتى يومنا هذا يتكلمون لغتهم الخالصة الغنية بالمترادفات وذات القواعد الرتيبة. والمشتقات الثابتة.

ونقول أن البيت أراد الله اظهاره على يد ابراهيم واسماعيل. وقد أمضى اسماعيل حياته في مكة المكرمة يزور والده كل عام بعد أن استقر وضعه في أهله واطمأن إلىٰ عيشهم.

وصارت هاجر مع ابنها ترود ما حولها مع الصغير تحمله، وتضمه إلىٰ صدرها تأنس به وتفرح له حتى فني الماء الذي في قربتها. وكانت ولا تزال أرض مكة ذات حرارة شديدة. تحتاج

الماء الكثير لتبريد داخل الجسم. ونفذ الطعام أيضاً. وصار الولد يطلب الرضاع، ولكن ثدي هاجر قد جف أيضاً اذ لا زاد ولا ماء.

واشتد طلب اسماعيل للرضاع. ومضى اليوم الأول لنفاذ الزاد والماء والثاني. وجعلت هاجر حسب حالة البداوة تلتقط وتصطاد بعض الزواحف. ولكن الصغير يريد الحليب أو الماء وقد نفذ الماء وفقد الحليب. وآلمها الأمر، وأشاحت بوجهها عن وجه الصغير حتى لا ترىٰ عبوسه وبكاءه. وهطلت دموعها لهول الأمر عندها، ورأت في موت الطفل موتها وفي موتها موت الطفل. فجعلت تضمه اليها ولو استطاعت لأدخلته داخل جسمها.

الجبال العالية تحجب الرؤية عن موضع جلوس هاجر وابنها. من جميع الجهات حولها ومع هذا صارت تحمل الطفل وتدور به في جوانب تلك الفسحة التي كانت تسرح فيها قبل يومين أو ثلاثة، حيث كانت ترى ابراهيم متكئاً واسماعيل يتعلق على صدره. وبكت حتى جف دمعها. حيث رأت اسماعيل وكأنه يعالج الموت. فقامت كالمجنونة لم تعد تنظر إلىٰ الصبي انما صعدت على أقرب جبل إليها تصيح وتستغيث. وتتلفت حولهاعلها تجد من يغيث. ولما لم تجد أحداً انحدرت عن تلك الصخرات، وانطلقت نحو الشمال الشرقي ومشت قليلاً ثم هرولت قليلاً وعادت تمشي وارتقت على صخرات تبعد عن الصخرات الأولى أكثر من ثلثمائة متر ثم جعلت تلفت نظرها إلىٰ اليمين والشمال إلىٰ الجهات الأربع تنادي وتستغيث هل من مغيث هل من مغيث، هل من مجيب، هل من سامع فيرد لهفة اللهفان فلم تجد أحداً.

وعادت هاجر أدراجها وكانت تمر على بعد خمسين أو ستين متراً عن مكان ابنها فلا تطيق النظر إلىٰ جهته أو الخبر عنه حتى تجد المغيث، ولما حاذته هرولت وصعدت إلىٰ الصخرات الأُولى.

وأعتلت الصخرات تنادي وتستغيث وتنصت علها تسمع صوتاً، فلم تر أو تسمع أحداً أو شيئاً انما أصداء الصخور، والتفتت حواليها ونظرت نحو الصبي فسمعت نشيجه، فنزلت ومشت نحو المرتفع الثاني مرة أخرى حتى إذا وصلت إليه وصعدت عليه نادت واستغاثت وأنصتت ولم تجد شيئاً وهكذا انصتت ثانية بعد نداء ولم تسمع أحداً ثم نزلت ومشت ثالثة إلىٰ الجنوب الغربي تهرول حين تصل بمحاذات ولدها وصعدت وجعلت تنادي حتى كادت أن تنفطر مرارتها تأثراً وان يبح صوتها لكثرة رفع صوتها ثم اتجهت إلىٰ الشمال الشرقي مرة رابعة وارتفعت على الصخرات تستغيث بربها وتجهش بكاءً خوفاً على ولدها وانصتت واذ بها، وكأنها تسمع صوتاً تجاه ولدها.

لقد سمي الجبل الصغير الأول الذي صعدت عليه بـ(الصفا) والجبل الصغير الثاني بـ(المروة) وقد مشت أربع مرات من الصفا إلى المروة، وثلاث مرات من المروة إلى الصفا وجاءها الغوث وهي تنظر وتستغيث على صخرات المروة.

لقد سمعت صوتاً يصدر من وجهة ولدها ولكنه ليس بصوته، فأصاخت السمع ومدت بصرها نحو الصغير، ورأت انساناً عند الصغير فأقبلت مسرعة لترى جبريل وقد غمز الأرض بعقبه وانبثق الماء فاندفعت نحو الماء تحوطه خشية ضياعه، ثم أخذت الصغير بين يديها تسقيه وتشرب حتى أروته وارتوت وكانت بفضل الله الحياة المقدرة بعد يأس من الحياة.

كان الماء عذباً مستساغاً شراباً حتى وغذاءً. وربما أنه لا يماثل أبداً وقد سمي الماء فيما بعد (زمزم) لاحاطة ام اسماعيل حوله خوف ضياعه وحتى تملأ قربتها ويقول ﷺ: «رحم الله ام اسماعيل لو تركته لكان ماءً معيناً».

وجلست عند الماء تشرب وتسقي ولدها لأيام، حتى مرت إحدى قبائل العرب بجوار ذلك المكان فرؤوا الطير في تلك الأجواء، فقالت شيوخهم ان للطير شأناً فاما انه يحوم على أشلاء أو أنه يحوم على ماء، ولانعلم في هذا المكان أي ماء، فارسلوا رجلاً أو رجلين يخبرا لهم ذلك الأمر فعادوا بخبر الماء، فجاءت القبيلة إلى هاجر تستسمح منها في شرب الماء فشرطت وأذنت شرطت عليهم أولاً، أن الماء لابنها ، وثانياً: أن يعطوها شياهاً تحلبها فرضي القوم ونزلوا عندها.

جرهم قبيلة عربية عاربة بادت قبيلة جرهم قبل الاسلام بقرون، وكانت في عصر ابراهيم في فجر نموها قد انقسمت عن قبيلة أكبر، وكانت بداوة ترتحل في طلب الماء والمرعى لمواشيها ولم تكن ذات استقرار حتى مرت في أرض مكة فنزلت عندها وأعطوا إلى هاجر شياها تحلبها وتعيش عليها مع ولدها ونصبت خيمة مثلهم حتى إذا وعا ابنها، اسماعيل تزوج امرأة منهم، قال: ثم انه بدا لابراهيم ﷺ فقال لأهله: إني مطلع تركتي، قال: فجاء فسلم، فقال : أين اسماعيل ؟ قالت امرأته، ذهب يصيد، قال، قولي له إذا جاء: غير عتبه بابك، فلما أخبرته، قال: أنت ذاك فاذهبي إلى أهلك، قال: ثم إنه بدا لابراهيم فقال: إني مطلع تركتي، قال: فجاء فقال: أين اسماعيل ؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد، فقالت، ألا تنزل فتطعم وتشرب ؟ فقال: ماطعامكم، وما شرابكم ؟ قالت: طعامنا اللحم، وشرابنا الماء، قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم، قال: فقال أبو القاسم عليه السلام(بركة بدعوة ابراهيم) قال: ثم انه بدا لابراهيم عليه السلام فقال لأهله: إني مطلع تركتي، فجاء فوافق اسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلاً له، فقال: ياسماعيل، إن ربك عز وجل أمرني أن أبني له بيتاً، فقال: أطع ربك عز وجل،

قال: انه قد أمرني أن تعينني عليه، فقال باذن الله أفعل ـ أو كما قال ـ قال: فقام فجعل ابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة، ويقولان: (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) قال: حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة، فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان: (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) هكذا رواه من هذين الوجهين في كتاب الأنبياء.

ومما ورد أن ابراهيم عليه السلام لما قدم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس فكلمه وقال: ياابراهيم اجعل البناء على ظلي أو قال على قدري ولا تزد ولا تنقص.

قال ابن جرير: أن رجلاً قام إلىٰ علي رضي الله عنه فقال: ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الأرض؟ فقال علي: لا، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام ابراهيم، ومن دخله كان آمناً، وان شئت أنبأتك كيف بني: ان الله أوحى لابراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض فضاق ابراهيم بذلك ذرعاً فأرسل الله السكينة وهي ريح خجوج ولها رأسان فاتبع احدهما صاحبه حتى انتهت إلىٰ مكة فتطوت على موضع البيت كطي الحجفة، وأمر ابراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فبنى ابراهيم وبقي الحجر، فذهب الغلام يبغي شيئاً فقال ابراهيم: لا، ابغني حجراً كما أمرك فانطلق الغلام يبغي حجراً فأتىٰ به فوجده قد بنى الحجر الأسود في مكانه قال: ياأبتي من أتاك بهذا الحجر ؟ فقال: أتاني به من لم يتكل على بنائك جاء به جبريل عليه السلام من السماء فأتماه.

كانت هاجر ذات خلق ودين آمنت مع ابراهيم بما آمن به، وصبرت على تعنت السيدة سارة صبراً حميداً ثم صبرت على تهجيرها صبراً مجيداً، ولم تكن غيرة سارة من هاجر من جهة واحدة، بل جاءت أيضاً من ناحية خلق هاجر، وكما قدمنا أيضاً أن هاجر ربما كانت من سلالة أمراء الجنوب المصري وقد سباها الهكسوس في حربهم مع أمراء الجنوب، فهي قبطية فكيف يستعبدها الأقباط ؟.

لقد أهديت كما ذكر من ملك مصر الهكسوسي إلىٰ سارة عندما أخذها من ابراهيم ثم أعادها إليه مع تلك الفتاة، وهي مصرية ذكرها الكاتب مرات ومرات.

لقد صار لهاجر خيمة تأوي اليها وشياه تحلبها، وجيرة تأنس بها وعرفت الحرية من جديد وعاشت مكرمة، يرعى لها القوم شياهها، وَيُقدرُونَ خُلُقَهَا، وكثر عندهم اللحم واللبن، وزارهم ابراهيم، فرأى ما أثلج صدره، وأفرح قلبه، فهذه الناس، وهذا الماء، وهذا اللحم واللبن. شيء ولم يكن شي، فسبحان الذي أعطى من لا شيء شيئاً.

وصار ابراهيم يزور أهله على فترات في السنة أو السنتين، يطمئن على ولده، كما هي حالة الوالد، وعرفه اسماعيل واحترمه وقدره بتعليم أمه، حتى صار لاسماعيل من العمر أكثر من اثنتي عشر عاماً، فزارهم ابراهيم لقصد مرواه أن ابراهيم رأى في نومه أن الله يأمره بذبح ابنه البكر، فجاء لتنفيذ الطلب، الذي رآه فرضاً عليه.

لقد ذكر في كتاب العهد العتيق أن الذبيح اسحق، ولكن القرائن تثبت أن الذبيح اسماعيل، واليك هي أولاً أن الناس في القرون السحيقة كانوا يقدمون القرابين من كل شيء البكر حتى وكتاب العهد نفسه يثبت هذا ، ثانياً أنهم يذكرون في ذلك الكتاب ما نصه في الاصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين هذا/ وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن ابراهيم. فقال له يابراهيم، فقال هاأنذا/٢ فقال خذ ابنك (وحيدك) الذي تحبه اسحق واذهب إلىٰ أرض المريا، واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك/٣ فبكر ابراهيم صباحاً وشد على حماره، وأخذ اثنين من غلمانه معه/.

لم يكن اسحق وحيداً لأبيه، فان قيل أن اسماعيل ابن جارية فهذا مردود على القائل لأن الولد من صلب ابراهيم بشهادة الكتاب، وليس للمرأة شأن في هذا، ثم ان الله لا ينظر لابن السيدة ويترك ابن الجارية، فالجميع عيال الله: ثالثاً، ان المكان الذي أراد ابراهيم أن يذبح فيه اسماعيل، وفداه الله فيه لم يزل من ذلك العهد يفدي فيه الناس أنفسهم، بالاضاحي إلىٰ اليوم رغم مرور قرابة ثلاث الاف وخمسمائة عام تقريباً، والثالثة أنهم لم يذكروا لسارة أي خبر كاستشارة واختبار أو اعتراض، حتى ولو بعد مرور الحادثة بسلام، مع ان ابراهيم لايمكنه تجاوز رايها بخلاف هاجر المملوكة التي دل تهجيرها على أن لا رأي لها في أمر نفسها أو ولدها.

واخيراً ان ملايين الأضاحي التي تمر وتذبح في كل عام منذ خمس وثلاثين قرناً تشهد أن الذبيح اسماعيل، والدليل الفعلي يقدم على الكلام الفارغ.

وكان اسماعيل وحيداً لأبيه، والكتاب يشهد ولم يكن اسحق وحيد أبيه. ولكن القوم يسرقون المكرمات، كما فعل يعقوب فقد اشترى بما افتروا البكورية من أخيه عيسو بملء بطنه من طعام. وهذا من العيوب الكبيرة لكلا الأخوين. هذا ساوم أخاه وهو بحالة جوع. وذاك باع بكوريته بملء بطنه.

ثم عاد فلبس جلد الماعز ليسرق دعوة أبيه اسحق التي يريد أن يعطيها لأخيه عيسو. ومن عجب أن الناس ضحكوا لهذا ورضوا به. وانه لكذب ويدعونه في التوراة كأنهم يضحكون على الله قبل الناس. وا أسفاً على عقول البلهاء. والبسطاء. حتى والمغرضين.

واستقبل اسماعيل أباه ورحب به. وجلسا معاً يتحدثان حتى بل كلاهما شوقه من الآخر. فقال ابراهيم لإسماعيل. هيا بنا نتحادث في الخلاء في أمر واجب سأحدثك عنه فقام اسماعيل يمشي بين يدي أبيه حتى ابتعدا عن خيمة أم اسماعيل واذا بشيخ يقف لهما في الطريق فمشى بجانب ابراهيم كأنه يريد محادثته فتأخر اسماعيل حيث لايسمع حديثهما وتكلم الشيخ الغريب وقال لابراهيم إلىٰ أين تقصد أيها الشيخ فقال ابراهيم لحاجة لنا وأشار بيده إلىٰ الأمام فأعاد السؤال فقال ابراهيم وزجره ماشأنك معنا فقال: انك تريد أن تذبح هذا الغلام بزعم أن ربك قد امرك بهذا فعرفه ابراهيم وطرده لأنه ابليس فظهر ثانية لاسماعيل. وقال إلىٰ أين أنت ذاهب يااسماعيل قال أسير مع أبي إلىٰ حيث يريد قال أتعرف ماذا يريد ؟ قال إنه يزعم ان ربه أمره بذبحك تقرباً فأخذ اسماعيل حصاً من الأرض. وحصبه بسبع حصيات. وهو يقول اذهب ياشيطان ولكن الشيطان لم ييئس فلحقه ثانية على بعد مائة متر تقريباً. وأعاد عليه القول الأول فحصبه اسماعيل. ولكنه لحقه بعد مائتي متر أخرى وهو يقول يااسماعيل أهرب فان أباك سيذبحك فقال اسماعيل ان الوالد لايصنع شيئا الا لخير الولد. وحصبه الثالثة ولحق اسماعيل بأبيه.

وقعد الوالد وولده فقال ابراهيم يابني. إن طاعة الله واجبة على خلقه. وكلنا إلىٰ ربنا راجعون. يابني لقد أمرني ربي بذبحك فماذا ترى ؟ فلم يبطيء اسماعيل وقال ياأبت افعل ما أمرك الله به ولكن هون الخبر على أمي فليس لها غيري.

ويذكر أن الشيطان لما يئس من أن يفتن ابراهيم أو اسماعيل. كر راجعاً إلىٰ هاجر وقال لها أتدرين أين ذهب ابراهيم باسماعيل ؟ قالت لا: قال: زعم أن الله قد أمره بذبحه. قالت ومن أخبرك ؟ قال: قد علمت. قالت أظنك الشيطان أغرب عن وجهي أنه والده يفعل به ماشاء وطردته طرداً لأن خبره يوجب ذلك.

وأضجع إبراهيم ولده يريد أن ينفذ ماأُمر. وانهمرت دموعه على وجه اسماعيل ورجفت يداه فقال له اسماعيل ياأبت اجعل وجهي إلىٰ الأرض لكيلا تغلبك الشفقة. ففعل ورفع يده لينزل بها مع السكين بعد ان مسح دموعه عن وجهه فسمع صوتاً من الأعلى أوقف حركة يده ورفع بصره إلىٰ مصدر الصوت ليرى في الأفق رجلاً مهيبا يحمل كبشا. ويورد جل وعلا لنا خبر ذلك في سورة الصافات الآية/١٠٣: ﴿قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين وقال إني ذاهب إلىٰ ربي سيهدين * رب هب لي من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترىٰ ؟ قال

ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن ياابراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم﴾.

نعم لقد كان الذبح عظيماً فملايين الكباش والبقر والابل والماعز تنحر كل عام هناك حيث كان ابراهيم وحيث أضجع ولده يريده قرباناً لرب العالمين

وقد اجتاز ابراهيم مرحلة الاختبار اجتيازاً ناجحاً. واجتاز اسماعيل كذلك تلك المرحلة حيث قال: ﴿ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين﴾.

لقد أكد جل وعلا اجتيازهما الامتحان بتفوق حيث قال: ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ إنه لبلاء ظاهر قل ان يصمد له إلا ذوو العزم المتين. وكان الكبش أبيض أقرن أملح ضحى بمثله رسول الله ﷺ. وصارت سنة الذبح حتى يومنا هذا من جميع تلك الاصناف الضأن بنوعيه والابل والبقر مئات الألوف منها تضحى كل عام تطعم أكثرها إلى الفقراء والمعوزين.

ورجع ابراهيم مع اسماعيل إلى هاجر المرأة الصبور الشكور. وكانت على أحر من الجمر بعد سماعها الخبر من الشيطان. فقرت عينها بابنها.

ومضى ابراهيم إلى أهله الأخرين فأمضى مدة عاد بعدهاإلى أرض مكة بخبر آخر ألا وهو بناء البيت الحرام.

وكان اسماعيل في سن البلوغ عندماجاء ابراهيم إلى مكة يقصد أن يبني مع ابنه البيت واستقبل اسماعيل أباه وأستأنس به وعلم منه القصد من الزيارة. وأذعن لأبيه بالمساعدة وبدآ في بناء البيت بقرب بئر زمزم. وكان ابراهيم معلم البناء واسماعيل يقدم الآحجار لأبيه ويناوله اياها

وجعلا الحجر الآسود في ركنه الجنوبي الشرقي على ارتفاع متر تقريباً عن الأرض. وقد أثرت أقدام ابراهيم في الحجر الذي كان يقف عليه لما أعتلى البناء. ليرتفع عن الأرض كما هي الاسقالة اليوم ليطول أعلى البناء

وبقي الحجر هذا بجانب جدار الكعبة الشرقي حتى كثر الناس وهم يلمسون الحجر بأيديهم يتمسحون به ويبركون بموضع أقدام ابراهيم حتى كادوا يطمسونه. فنقل حديثاً إلى أبعد مما هو عليه في السابق بضعة أمتار ليسمح للطائفين حول البيت بالمرور دون أن يضيق عليهم. وقد جعل في قفص من الزجاج يراه الناس دون أن يلمسوه

وذكر تعالىٰ في سورة البقرة الآية/١٢٥: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً. واتخذوا من مقام ابراهيم مصلىٰ وعهدنا إلىٰ ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع والسجود * وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً أمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر. قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلىٰ عذاب النار وبئس المصير * وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك. ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة. ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

لقد طلب ابراهيم لأهله وذريته الأمن. والرزق من الثمر البعيد عنهم وليست لديهم أية أنواع من شجرها لفقد الماء آنذاك فقد كان قوله السابق: ﴿رب اجعل هذا بلداً أمناً. وارزق أهله من الثمرات﴾ وفي سورة ابراهيم الآية/٣٧: ﴿ربنا إني أسْكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم. ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم. وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ وأجابه الله جل وعلا علىٰ ذلك مشترطاً كما اشترط على الحواريين في أمر المائدة حينما قالوا: ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾.

الكعبة أول بيت بني لله وحده

وقال: ﴿قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلىٰ عذاب النار وبئس المصير﴾.

بنىٰ ابراهيم البيت مع اسماعيل وهو أول بيت بني لله تعالىٰ خالصاً لم يداخله الشرك أو تدخل إليه الأصنام وقد قال جل القائل في سورة آل عمران: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىٰ للعالمين * فيه آيات بينات مقام ابراهبم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ الآية/٩٦.

لقد كان في العالم آنذاك معابد تضم الأصنام التي يعبدونها كالتي في مصر وغيرها ولكنها ليست لله والكعبة بيت لله وحده وبعدها كان المسجد الأقصىٰ ففي حديث رواه الامام أحمد عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال: «المسجد الحرام». قلت ثم أي ؟ قال: «المسجد الأقصىٰ». قلت كم بينهما ؟ قال: «أربعون سنة» قلت ثم أي ؟ قال: «حيث أدركتك الصلاة فصلي فكلها مسجد» ورواه البخاري ومسلم.

وبعد أن أتما بناء البيت دعوا الله جل وعلا بما ذكر الله في سورة البقرة: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

ومما يذكر في تفسير الآية الكريمة من سورة الحج: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود. وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾.

قال ابن عباس قال جل وعلا لإبراهيم أذن للناس بالحج. قال يارب كيف أبلغ الناس وصوتي لايصل اليهم؟ قال ناد وعلينا البلاغ. فقام ابراهيم على جبل أبي قبيس وقال أيها الناس ان ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه فبلغ الله جل وعلا كل مخلوق في أصلاب آبائه. فلباه كل من كتب له أن يحج إلىٰ يوم القيامة يقول لبيك اللهم لبيك والله أعلم.

كان أول من حج ابراهيم واسماعيل. ثم الأهل ومن تابع من جيران البيت. كقبيلة جرهم ومن حل فيهم عند الماء والأمن ثم حج الناس من قبائل العرب العاربة آنذاك. وصار كل الناس في تلك الأصقاع علىٰ ملة ابراهيم واسماعيل.

وفي حديث رواه مسلم عن ابن عباس قال: «سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال: «أي واد هذا؟» فقالوا وادي الأزرق فقال: «كأني أنظر الىٰ موسىٰ فذكر من لونه وشعره شيئاً. واضعاً اصبعيه في أذنيه له جُوّار إلىٰ الله بالتلبية ماراً بهذا الوادي». قال ثم سرنا حتىٰ أتينا علىٰ ثنية فقال: «أي ثنية هذه؟» قالوا هرشىٰ أو لفت فقال: «كأني أنظر الىٰ يونس علىٰ ناقة حمراء عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة ماراً بهذا الوادي ملبياً»

أول من حج ابراهيم واسماعيل.

لقد حج ابراهيم وربما حج اسحق ويعقوب أو ربما زار اسحق أخاه اسماعيل ويعقوب أبناء عمه فاعتمرا أو حجا.

لأن ابراهيم فعل هذا. ولن يكونا قاطعا رحم فلا يزوران اسماعيل الأخ الأكبر. والابن البكر لشيخها ابراهيم ولم يثبت مؤرخو كتاب العهد القديم حج أحد من اليهود.

إن اليهود لايقرون ديناً من عند الله غير دينهم. مع أن دينهم ليس لغيرهم بل هو لهم ديناً وقومية وكأن الله لم يخلق غيرهم. أو أن الناس خلقوا لخدمتهم. حتى واذا فعلت الأمم معهم معروفاً يكون عند معتقدهم واجب الأمم اتجاههم.

إن موسىٰ قد حج عندما كان في أرض مدين فإن أهل مدين كانوا يحجون لأن جميع العرب عاربة أو مستعربة مشوا على دين ابراهيم واسماعيل حتى عهد النصرانية فتنصر بعضهم تبعاً للرومان.

وظهرت اللات والعزىٰ ومناة وماشابه في عبادات تدمر وماحول الفرات ثم انتقلت إلىٰ مكة قبل تحكم المسيحية في بلاد الشام وتدمر وماحول الفرات. فصار أهل مكة يعبدون الأصنام مع دين ابراهيم واسماعيل ودخل الشرك الأرض الطيبة.

وفي سورة القصص الآية/٢٧ يقول تعالىٰ مخبراً بعض ماكان من تعاقد موسىٰ مع الشيخ المديني والد زوجته: ﴿إني أريد أن أنكحك إحدىٰ ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك. وماأريد أن أشق عليك. ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾.

إن في هذا بياناً أن موسم الحج كان بدءاً للسنة عندهم. وأنهم كانوا تبعاً لإسماعيل في دينه. وأن مدين كانت قبيلة عربية. ونسبها القوم إلىٰ مدين ابن ابراهيم. مع العلم أنه لم يكن آخر عمر ابراهيم ليبعد عن زمن شباب موسىٰ أكثر من مئة وخمسين عاماً.

التعريف بلوط النبي عليه السلام

لقد ذكر نبي الله لوط في القرآن الكريم سبع وعشرون مرة. وذكر أنه نبي. وأنه قد أرسل إلى قوم قد انفردوا بفاحشة. قد اختصوا بها في مجموعهم عن بني الدنيا. وهي كما قال عنهم جل وعلا في سورة العنكبوت الآية/٢٨: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين * أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر﴾.

هذا بعض ما كان من قوم لوط وخزيهم بفاحشتهم المنحطة. ولوط كما ذكر في كتاب العهد العتيق أنه لوط بن هاران بن تارح بن ناحور. وأن هاران هو ابن تارح أخو إبراهيم فلوط بن أخي إبراهيم آمن مع إبراهيم وخرج معه إلى بلاد الشام. ولما كثرت مواشيهما تباعدا فسكن لوط أرض سدوم. وهي مدينة صارت بعد فاجعتها في قلب البحر الميت من أرض فلسطين ويذكر تعالى إيمان لوط في سورة العنكبوت الآية/٢٦: ﴿فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم﴾ فمدن قوم لوط وهي خمسة مدن والعاصمة لهم هي مدينة سدوم والمدن تلك إما أن تكون مواقعها تحت البحر أو على جانبه. وقد خسفت بها الأرض. فصار عاليها سافلها. وذلك حسب وصف الله لها في سورة هود الآية/٨٢: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود * مسومة عند ربك وماهي من الظالمين ببعيد﴾.

ويذكر كتاب العهد العتيق قصة حول أهل سدوم. وإبراهيم وهي كماجاء في الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين/١ وحدث في أيام أمر افل ملك شنعار. واريوك ملك الأسار. وكدر العومر ملك عيلام، وترعال ملك جوييم/٢ أن هؤلاء صنعوا حرباً مع بارع ملك سدوم. وبرشاع ملك عمورة. وشنآب ملك أدمة. وشمئير ملك صبوييم. وملك بالع التي هي صوغر/٣ جميع هؤلاء اجتمعوا متعاهدين. إلى عمق السديم الذي هو بحر الملح/٤ اثنتي عشر سنة استعبدوا لكدد لصومر. والسنة الثالثة عشرة عصوا عليه/٤ وفي السنة الرابعة عشرة. أتى كدرالصومر والملوك الذين معه وضربوا الرفائيين. في عشتاروت قرنايم والزوذيين في هام. والايميين في شومى قريتايم/٦ والحورين في جبلهم سعيراء إلى بطمة فادان التي عند البرية/٧ ثم رجعوا وجاؤا إلى عين مشفاط التي هي قادش. وضربوا كل بلاد العمالقة. وأيضاً الأموديين الساكنين في حصون تامار/٨ فخرج ملك سدوم. وملك عمورة. وملك أدمة. وملك صبوييم. وملك بالع التي هي صوغر ونظموا حرباً معهم في عمق السديم/٩ مع كدرلعومر ملك عيلام. وترعال ملك جوييم. وأمرافل ملك شنعار. وأريوك ملك الأسار. أربعة ملوك مع خمسة/١٠ وعمق السديم كان فيه آبار حمرٌ كثيرة. فهربا ملكا سدوم وعمورة وسقطا هناك. والباقون هربوا إلى الجبل/١١ فأخذوا جميع أملاك سدوم. وعمورة. وجميع أطعمتهم ومضوا/١٢ وأخذوا لوطاً بن أخي إبرام. وأملاكه. ومضوا. إذ كان ساكناً في سدوم/١٣ فأتى من نجا وأخبر إبرام العبراني. وكان ساكناً عند بلوطات ممر الأموري. أخي أشكول. وأخي عانز وكانوا أصحاب عهد مع إبرام/١٤ فلما سمع إبرام أن أخاه سبي جر غلمانه المتمرنين. ولدان بيته. ثلاثمائة وثمانية عشر. وتبعهم إلى دان/١٥ وانقسم عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم. وتبعهم إلى جوبة التي عن شمال دمشق/١٦ واسترجع كل الأملاك. واسترجع لوطاً أخاه أيضاً وأملاكه والنساء أيضاً والشعب/١٧ وخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدرلعومر والملوك الذين معه إلى عمق شوى الذي هو عمق الملك/١٨ وملكي صادوق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً. وكان كاهناً لله العلي/١٩ وباركه وقال مبارك إبرام من الله العلي ملك السموات والأرض/٢٠ ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك ليدك فأعطاه عشراً من كل شيء/٢١ وقال ملك سدوم أعطني النفوس. وأماالأملاك فخذها لنفسك/٢٢ فقال إبرام لملك سدوم رفعت يدي إلى الرب الاله العلي ملك السماء والأرض/٢٣ لاأخذن خيطاً. ولاشراك نعل ولامن كل ما هو لك. فلاتقول أنا أغنيت إبرام/٢٤//

من هذه القصة نأخذ أموراً ذات بال فإن الملوك الأربعة أنذاك يملكون أعظم الممالك المعروفة في ذلك العصر. البابليون والعيلاميون. وماجاورهما. جاؤا واكتسحوا جميع بلاد الشام. ولبنان

وفلسطين. ولاننسى شرقي البحر الأحمر من بقايا ثمود وعاد ونحو الأردن فلم تثبت ملوكه. وأسروا لوطاً فغضب إبراهيم فلحق القوم إلى شمالي دمشق وكان جيشه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً. فكسر الأربعة ملوك ورد الأسرى والأموال. فعرفنا من هذا قدرته العسكرية الفذة، وتبعهم إلى دان/١٥ وأين كان دان؟.

ثم عرفنا أن لابراهيم على أهل سدوم الفضل الأكبر. وأنه يمكنه تغيير عاداتهم وأعمالهم السيئة ولاندري لم أعاد لهم سبيهم وأموالهم وهم يعملون أقذر الأعمال ؟ ونعيد هذا للتذكرة وإليكموه وهانحن نرى إبراهيم بعد سنوات. وكان قد أخذ درساً في مصر بسبب زوجته الجميلة يذهب إلى جرار سهل فلسطين الساحلي للجنوب ونذكر ماجرى له هناك مع أبي مالك ملك جرار الذي اكتسح أرضه الملوك الأربعة ففي الاصحاح العشرين من سفر التكوين جاء هذا/١ وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور. وتغرب في جرار/٢ وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي. فأرسل أبي مالك ملك جرار. وأخذ سارة/٣ فجاء الله إلى أبي مالك في حلم الليل. وقال له هاأنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإنها متزوجة من بعل/٤ ولكن لم يكن أبي مالك قد اقترب إليها. فقال ياسيد أمة بادة تقتل/٥ ألم يقل لي هو أنها أختي. وهي نفسها قالت أنه أخي. بسلامة نفسي ونقاوة يدي فعلت هذا/٦ فقال له الله في الحلم أناأيضاً علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا/٦ وأنا أيضاً أمسكت من أن تخطيء إلي لذلك لم أدعك تمسها/٧ فالأن رد امرأة الرجل. فإنه نبي فيصلي لأجلك/٨ فبكر أبي مالك في الغد وجمع جميع عبيده. وتكلم بكل هذا الكلام معهم. فخاف الرجال جداً/٩ ثم دعا أبي مالك إبراهيم وقال له ماذا فعلت بنا. وبماذا أخطأت أليك. حتى جلبت علي وعلى جميع مملكتي خطية عظيمة. أعمالاً لاتُعمل عملت معي/١١ فقال إبراهيم إني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتة. فيقتلونني لأجل امرأتي/١٢ وبالحقيقة هي أختي ابنة أبي. غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة/ وحدث أنه لما أتاهني الله من بيت أبي أني قلت لها هذا معروفك. في كل مكان نأتي إليه قولي هو أخي/١٤ فأخذ أبي مالك غنماً وبقراً. وعبيداً وإماءً. وأعطاهم لابراهيم. ورد إليه سارة امرأته وقال أبي مالك لابراهيم هو ذا أرضي قدامك اسكن في أحسن مافي عينيك/١٦ وقال لسارة إني قد أعطيت أخاك ألفاً من الفضة. هاهو لك غطاء عين من جهة كل ماعندك. وعند كل واحد فأنصفت/١٧ فصلى إبراهيم إلى الله فشفا الله أبي مالك وجواريه وامرأته فولدن له/١٨ لأن الرب قد أغلق كل رحم لبيت أبي مالك بسبب سارة امرأة إبراهيم//

إن هذا جرى بعد كسر إبراهيم للملوك الأربعة أقوى ملوك العالم أنذاك. وهذا جرى بعد تغيير إسم إبرام إلى إبراهيم. وإسم ساداي إلى سارة. وكان لابراهيم من العمر مائة عام وكان

لسارة من العمر تسعين عاماً. ونترك الآن للقاريء الكريم التحليل والتفكير هل هذه القصص من التوراة. وهل أنزل الله مثل هذه المغالطات والترهات.

ولنستبق الحوادث إلى مابعد خمس وسبعين سنة أخرى وذلك لما في الاصحاح السادس والعشرين سفر التكوين /١ وكان في الأرض جوع غير الجوع الذي كان في عهد إبراهيم. فذهب إسحق إلى أبي مالك ملك الفلسطينين إلى جرار/٢ وظهر له الرب وقال لاتذهب إلى أرض مصر إسكن في الأرض التي أقول لك/٣ تضرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك لأني لك ولنسلك أعطي هذه الأرض. وأفي بالقسم الذي أقسمت لأبيك إبراهيم/٤ وأكثر نسلك كنجوم السماء. وأعطي نسلك جميع هذه البلاد. وتتبارك بنسلك جميع قبائل الأرض/٥ من أجل أن إبراهيم سمع لقولي. وحفظ مايحفظ من أوامري وفرائضي وشرائعي/٦ فأقام إسحق في جراد/٧ وسأله أهل المكان عن امرأته فقال هي أختي. لأنه خاف أن يقول هي امرأتي فيقتلونه من أجل رفقاً لأنها حسنة المنظر/٨ وحدث إذ طالت له الأيام. أن أبي مالك أشرف من الكوة ونظر وإذا إسحق يلاعب امرأته/٩ فدعا أبي مالك إسحق فقال: إنما هي امرأتك فكيف قلت هي أختي. فقال إسحق لأني قلت لعلي أموت بسببها/١٠ فقال أبي مالك ماهذا الذي صنعت بنا لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع امرأتك. فجلبت علينا ذنباً/١٢.

وفي الاصحاح الثاني عشر سفر التكوين جاء مايلي/١١ وحدث أنه عندما قرب ليدخل أرض مصر أنه قال لساداي امرأته قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر/١٢ فيكون إذا رآك المصريون. فيقولون هذه امرأته. فيقتلونني ويستبقونك/١٣ قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك فتحيا نفسي/١٤ فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً/١٥ ورآها رؤساء فرعون. ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون/١٦ فصنع إلى إبرام خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير. وعبيد وإماء. وأتن. وجمال/١٧ فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساداي امرأة إبرام/١٨ فدعا فرعون إبرام وقال ماهذا الذي صنعت بي، لماذا لم تخبرني أنها امرأتك/١٩ لماذا قلت أنها أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي. والآن هوذا امرأتك خذها واذهب/٢٠ فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ماكان له//

لمَ يضرب الرب فرعون وبيته وقد دفع مهر ساداي. وقبض إبراهيم المهر؟ وكيف أمسك إبرام تلك الأنعام والمواشي وجعل يرعاها ويحلبها. وينتظر مايكون من أمر زوجته ؟.

لنقل أن أمر ملك مصر قد جاء عفواً ولأول مرة. وقبض المهر وأكله واستغل ربه وأعاد له

زوجته فلم فعل هذا ثانية مع ملك جرار ؟ ولنحلل قصة ملك جراد. الذي سأله عنها فقال هي أختي فأخذها الرجل لتكون له زوجة ولم يعترض إبراهيم. ونام الرجل. وهل نام وحده عندما جاءه الرب في الحلم. أم كان ينام وسارة التي لها من العمر تسعين عاماً ؟.

ثم كم بقيت سارة مع أبي مالك حتى تبين إغلاق أرحام زوجة أبي مالك وجواريه. وحتى دعا إبراهيم وصلى فانفتحت الأرحام لأبي مالك ؟.

ثم كيف انتصر إبرام على الأربعة ملوك الذين اكتسحوا جميع بلاد الشام. ثم خنع وخضع لأبي مالك الذي أعطاه من الأموال الشيء الكثير. حتى وألف من الفضة ؟.

لقد ذكر الكاتب أن الرب وعد إبراهيم أن يعطيه الأرض من النيل إلى الفرات بمرات ومرات. ثم وعد إسحق كذلك عندما كان في جراد. ثم وعد يعقوب أيضاً من النيل إلى الفرات. ثم ذكر هذا لموسى وليوشع وقسموا الأرض. وهل صح هذا. هذه الأرض والوعد من ثلاثة آلاق وخمسمائة عام. مع أن خلق آدم بما كتبوا ونسبوه إلى الله لايعدو خمسة آلاف وسبعمائة وسبع وأربعين عاماً ليومنا هذا. عاش منها آدم ألف عام. وعاش نوح منها ألف عام. ولم يعط الله اليهود من النيل إلى الفرات.//

فهل وعد الله هذا ؟ وهل أن هذا ورد في توراة ؟ وهل يعد الله ولايفي بوعده ؟ وهل ذكر في كتابهم سبب هذا العطاء ؟ وهل ذكروا لابراهيم مأثرة واحدة كما ذكر له الله في القرآن ؟ وهل صحيح أن سارة أخت إبراهيم لأبيه ؟ وهل يحق له أن يتزوجها ؟ وفي التوراة جاء هذا وهي التوراة الصحيحة الاصحاح السابع والعشرون تثنية/٢٢ ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه//

ألا يعلم الرب أنه سينزل التوراة وفيها هذا الحكم؟ نحن نقول أن التوراة قالها الله قبل خلق آدم. ورتب القدر قبلها وهي قولٌ من قدر الله. فلم سمح لابراهيم بالزواج من أخته ولديه الكثير من الجواري ؟ لقد أراد اليهود أن يكتبوا لأنفسهم. فلم نحن نقدس غاياتهم ومقاصدهم. ونرضاها سهاماً توجه إلى صدورنا ونحورنا. ونحن المقصودون في أن نكون عبيداً لهم. وإن لبنان في القصد قبل سورية. وأن هؤلاء الذين يدعون أنهم من نسل الفينيقيين والحثيين والكنعانيين. هم الذين يقصد فناؤهم قبل غيرهم. وهذا هو كتابهم الذي يقدسونه يقرؤه الكهنة ويجدون هذا فيه بل ويرددونه عبادة. فيالله من عقول أضلها ماوجدت عليه أباءها. فتابعت إضلال مَنْ بعدها الجيل بعد الجيل والقرن بعد القرن وكما قال تعالى في كتابه العزيز في

سورة المائدة الآية/٧٧: ﴿قل ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق. ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً. وضلوا عن سواء السبيل﴾.

لم سكن لوط أرض سدوم؟

ولنعد الآن إلى قصة لوط مع قومه. وكيف سكن لوط في أرض سدوم وذلك مما جاء في كتاب العهد العتيق في الاصحاح الثالث عشر من سفر التكوين.

/١ فصعد إبرام من مصر هو وامرأته وكل ماكان معه ولوط إلى الجنوب/٢ وكان إبرام غنياً جداً في المواشي والفضة والذهب/٣ وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل. إلى المكان الذي كانت فيه خيمته في البداءة بين بيته إيل وعاي/٤ إلى مكان المذبح الذي عمله هناك أولاً. ودعا هناك إبرام باسم الرب/٥ ولوط السائر مع إبرام كان له أيضاً غنم وبقر وخيام/٦ ولم تحتملهما الأرض أن يسكنا معاً. إذ كانت أملاكهما كثيرة جداً/٧ فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشي إبرام. ورعاة مواشي لوط/٨ فقال إبرام للوط لاتكن مخاصمة بيني وبينك. وبين رعاتي وبين رعاتك لأننا نحن أخوان/٩ أليست كل الأرض أمامك. إعتزل عني. إن ذهبت شمالاً. أذهب أنا يميناً وإن ذهبت يميناً أذهب شمالاً/١٠ فرفع لوط عينيه فرأى كل دائرة الأردن أن جميعها سقي. قبلما أخرب الرب سدوم وعمورة. كجنة الأرض كأرض مصر/١١ فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن. وارتحل لوط شرقاً/١٢ إبرام سكن أرض كنعان ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل خيامه إلى سدوم/١٣ وكان أهل سدوم أشراراً وخطاة لدى ربهم جداً// هذا سبب سكنى لوط في أرض سدوم كما ذكر القوم في كتاب العهد العتيق.

المال والأرض هذا كل مايهم كاتب كتاب العهد العتيق. الأموال كثيرة حتى لم تسعها الأرض لم يذكروا رسالة إبراهيم ولم يذكروا رسالة لوط. وتابعهم علماء النصاري وأضافوا من عندهم الشيء الكثير ثم تابعهم علماء المسلمين في مثل هذا وكتبوا الشيء الكثير.

لقد قرأت في كتب كتبها مسلمون. أن كلاب رعاة إبراهيم كانت لها أطواق من الذهب وأنها كانت بالمئات، أي الكلاب. فكم هم الرعاة. وكم عدد المواشي من كل صنف.

ضيوف إبراهيم من الملائكة

ولنذكر الآن قصة ضيوف إبراهيم من الملائكة الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم مرات ومنها قوله تعالى في سورة الحجر الآية/٥١: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون * قالوا لاتوجل إنا نبشرك بغلام عليم * قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون * قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين * قال ومن يقنط من

رحمة ربه إلا الضالون * قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين * إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين * إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين﴾.

كان إبراهيم يحب استقبال الضيوف وإكرامهم وبذلك ومثله استحق حب الناس له وإكرامهم له والسماح له بأن يسوم مواشيه في أرضهم. وكان من الكرم بالمكان المعلوم فلا يرد سائلاً ولايترك فقيراً حتى يقدم له مايكفيه. ويقيل عثرة العاثر. ليست أمواله وأنعامه للمكاثرة إنما كانت من عطاء الله. وليست كما زعم القوم من الكثرة بأن لاتتسع الأرض لأنعامه ومواشيه مع أنعام ومواشي ابن أخيه لوط.

وفي يوم كان يجلس في خيمته إذ رأى جماعة يقبلون نحوه وسيماهم من خيار الناس خلقاً وخلقاً. فاستقبلهم وأكرمهم بعد أن بادوه بالسلام ثم ذهب إلى أهله في خيمة أخرى كعادته في تعجيل الطعام. وجاء الطعام بعد قليل. وكان الطعام عجلاً مشوياً. وقد أخبرنا جل وعلا في سورة الذاريات الآية/٢٤: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون * فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم﴾.

وفي سورة هود يذكر لنا جل وعلا أن العجل كان مشوياً فيقول في الآية/٦٩: ﴿لقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فمالبث أن جاء بعجل حنيذ * فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط. وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب﴾.

لقد قدم إبراهيم الطعام إلى ضيوفه. ولكنهم لم يمدوا إلى الطعام يداً. فخاف إبراهيم من أن يكون ضيوفه من قاصدي الشر. وكانت عادة العرب ومن لف لفهم. والبدو خاصة. ولاتزال العادة في البدو حتى وجميع العرب أن من قصد بقوم شراً فلا يأكل طعامهم ولايذوق ملحهم. فإذا أكل من ملح القوم دل على مسالمته لهم وحرم على نفسه أذيتهم ولما أخبروه بأنهم ملائكة وأنهم يقصدون قوم لوط خاف إبراهيم على ابن أخيه وأهله وأصهاره ويخبرنا جل وعلا عن ذلك بقوله في سورة هود الآية/٧٤: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط * إن إبراهيم لحليم أواه منيب * ياإبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾.

لقد سد باب الشفاعة عن القوم فهم قاطعوا سبيل وفاعلوا منكر. وقد حم القضاء فيهم وانتهى الأمر فإن لوطاً قد بقي فيهم أكثر من عشرين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وترك المنكر

ولكنهم لم يغيروا من سلوكهم شيئاً إنما ازدادوا تمادياً في غيهم.

لقد أخبرنا جل وعلا عن صفتهم وفعلهم السيء مرات كثيرة. وقد هددوا لوطاً وأهله بأن سيخرجوهم من مدينتهم إذا لم يترك الدعوة والموعظة ومنها في سورة النمل الآية/٥٤: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون * أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون * فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون * فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين * وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين * قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خيراً أمايشركون﴾.

ومشى الأضياف في طريق سدوم وعمورة حتى وصلوا دار لوط، وكانوا قد استفسروا عنها من بعض القوم قصد التعريف بأنفسهم. وهم بصورة شباب مرد بجمال فذ مما يغري أهل الفسوق. وذهب المسؤولون ليشيعوا ذلك الخبر المفرح لفسقة سدوم وكان القوم كلهم من أهله لأن الله جل وعلا أخبر عن ذلك في سورة الذاريات/٣١: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين * لنرسل عليهم حجارة من طين * مسومة عند ربك للمسرفين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾.

وكان البيت هو بيت لوط وحسب العادة السيئة أو الحسنة إنها الآمر والناهي في نفس الانسان الذي تتملكه أو في أنفس الجماعة أو البيئة. فالدباغات التي تدبغ فيها الجلود في جوها رائحة كريهة لايطيقها الانسان ليوم أو ليومين أو ثلاثة وبعد ذلك يخف الاشمئزاز من روائحها ثم ينعدم رويداً رويداً حتى لايعود يشعر صاحبها والعامل فيها بأي رائحة كريهة وتبقى عنده طبيعية إنها العادة أكانت العادة حسنة أم أنها كريهة وسيئة.

فقوم لوط غاب عنهم كل إحساس بالكرامة الانسانية وغاب عنهم الخجل من نسائهم ومن بناتهم وأولادهم. وقد رأينا سكراناً يطلب من أخته الفاحش في الطريق العام في ضحى النهار فسايرته بالكلام وأخذته إلى البيت وعمر الرجل أكثر من أربعين عاماً.

لم يخجل هذا من وجود الناس من حواليه ويتكلم الفاحش البذيء وتعود الناس هذا وقالوا إنه قد سكر ففقد عقله. لقد أبدل العقل بالجنون لساعات وقد تعود الناس هذا من أمثاله فسكتوا على قوله وضحك الناس وبعضهم يفعل مثله وكما قال ابن الوردي: واترك الخمرة إن كنت فتاً كيف يسعى في جنون من عقل وتعود قوم لوط هذا ومشوه درباً يفخرون بسلوكه.

هلاك قوم لوط

لقد طرق الشباب باب بيت لوط. يطلبون الضيافة. فجن جنون الرجل. وخاف خوفاً شديداً على أضيافه الذين راهم القوم وأقبلوا زرافاته ووحدانا. فإن أعمالهم المخزية التي كانوا يمارسونها مع الأغراب. فلايكاد يفلت منهم غريب.

ووقف لوط يدافع عن ضيوفه. ويتذلل ويتخضع لقومه ليتركوا ضيوفه. ولكن القوم وقد رأوا أسباب الفتنة في جمال الضيوف فلم يقبلوا دفعاً ولامنعاً. فعرض بناته عليهم ولاندري قصد العرض. ونحن نذكره بالزواج. ولكن المرأة تتزوج برجل وهؤلاء بالمئات وقد وصلنا عرضه بدون توضيح ونتم ذلك من سورة هود الآية/٧٧: ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب * وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولاتخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد * قالوا: لقد علمت مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلم مانريد * قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾.

حقاً إن الأمر لعصيب. رجل يرى ضيوفه يهانون على يد قومه. حتى عرض عليهم بناته فداء لضيوفه وقال القوم للرجل إنك لتعلم مالنا في بناتك من حق ولكن هل لهم الحق في ضيوفه ؟ ويظن بأن هذا كان من قوانينهم إذلال كل غريب بتلك الطريقة المشينة.

إن عمل القوم كان من أبشع عمل قوم بمجموعهم. لأن الفردية مهما طغت وعتت ربما أمكن إصلاحها أو التغلب عليها. أما المجموع يرى الفاحشة قانوناً يجب مراعاته واحترامه. فلذا وجب استئصال المجموع. وكان هذا فوق التحمل. ولم تنفع فيهم الشفاعة.

ولما رأى لوط أنه لايستطيع حماية ضيوفه. تأوه واسترجع وقال: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ فقال له ضيوفه: ﴿قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولايلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ماأصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟﴾ ولكن القوم لن يتركوه إلى الصباح بطيب القول أو الفعل فكان أن الضيوف أرسلوا عليهم ريحاً خفية فلم يعد فيهم من يبصر. وقد أخبرنا تعالى عن هذا بعدة سور نذكر منها قوله في سورة القمر الآية/٣٧: ﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذقوا عذابي ونذر﴾.

فعاد القوم يتدافعون. ويتلمسون طريق بيوتهم فلم يفلحوا. فتاهوا في الأزقة. وصدرت الأوامر للوط بالتهيؤ حتى يغادر القرية. قبل الصباح مع أهله وذويه.

وقالت الملائكة للوط لاتخش شرهم والرجز مصبحهم بكرة. ويظن أن امرأتك بينهم. وكانت المرأة قد ذمها الله ففي سورة التحريم الآية/١٠: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط * كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما * فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً * وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ ولاندري عن خيانة المرأة شيئاً. إنما ذكرت بأنها هلكت مع قوم لوط. في القرآن الكريم كلما ذكر هلاكهم. فقد قيل أنها هي التي أرسلت فأخبرت القوم بالضيوف وقيل أنها كانت منهم وعلى طريقتهم.

وسرى لوط مع أهله وكانت زوجته معه. وكم كان بصحبه لاندري. فقول كتاب العهد العتيق أنه سرى مع بنتيه وزوجته. وأن المرأة سمعت صوت انقلاب سدوم فالتفتت. فصارت عمود ملح. ولكن الخبر في القرآن في سورة هود الآية/٨١: ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل * ولايلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ماأصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾.

وفي سورة الأعراف الآية/٨٣: ﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ وفي سورة الحجرات الآية/٥٩: ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين * إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين * إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ فمن هذا نستدل أن الذين رافقوا لوطاً أكثر من ابنتيه وامرأته. ويمكن أن نقول وولديه. ويشدد الملائكة القول والأمر بأن لايلتفت أحد ممن رافق لوط خلفه. وقد جاء في الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين مايلي /١ فجاء الملكان إلى سدوم مساء. وكان لوط جالساً في باب سدوم فلما رآهما. قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض/٢ وقال ياسيديَّ. ميلا إلى بيت عبدكما. وبيتا واغسلا أرجلكما. ثم تبكران وتذهبان في طريقكما. فقالا لا بل في الساحة نبيت/٣ فألح عليهما جداً. فمالا إليه ودخلا بيته. فصنع لهما الضيافة وخبزاً فطيراً فأكلا/٤ وقبلما اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة. رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ كل الشعب من أقصاها/٥ فنادوا لوطاً. وقالوا له أين الرجلان اللذان دخلا بيتك الليلة أخرجهما إلينا لنعرفهما/٦ فخرج إليهم لوط إلى الباب. وأغلق الباب وراءه/٧ وقال لاتفعلوا شراً ياأخوتي/٨ هوذا لي ابنتان لم تعرفا رجلاً. أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم. وأما هذان الرجلان. فلا تفعلوا بهما شيئاً. لأنهما قد دخلا تحت سقف بيتي/٩ فقالوا ابعد إلى هناك. ثم قالوا جاء هذا الانسان ليتغرب وهو يحكم حكماً. الآن نفعل بك شراً أكثر منهما، فألحوا على الرجل لوط جداً وتقدموا ليكسروا الباب/١٠ فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوط إليهما. وأغلقا الباب/١١ وأما الرجال الذين على باب البيت فضرباهم بالعمى. من الصغير إلى الكبير. فعجزوا عن أن يجدوا الباب. /١٢ وقال الرجلان للوط من لك أيضاً هاهنا، أصهارك.

وبنيك. وبناتك وكل من لك في المدينة أخرج من المكان/١٣ لأننا مهلكان هذا المكان. إذ قد عظم صراخهم أمام الرب، فأرسلنا الرب لنهلكهم/١٤ فخرج لوط وكلم أصهاره الأخذين بناته. وقال قوموا اخرجوا من هذا المكان. لأن الرب مهلك المدينة. فكان كمازح في عيون أصهاره/١٥ ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطاً قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة/١٦ ولما توانى أمسك الرجلان بيده ويد امرأته. وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه. وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة/١٧ وكان لما أخرجاهم قالا أهرب لحياتك. لاتنظر إلى ورائك. ولاتقف في كل الدائرة. أهرب إلى الجبل لئلا تهلك/١٨ فقال لهما لوط لا ياسيد/١٩ هوذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك. وعظمت لطفك الذي صنعت إلي باستبقاء نفسي. وأنا لاأقدر أن أهرب إلى الجبل. لعل الشرير يدركني فأموت/٢٠ هوذا المدينة قريبة للهرب إليها وهي صغيرة. أهرب إلى هناك أليست هي صغيرة فتحيا نفسي/٢١ فقال له إني قد رفعت وجهك في هذا الأمر أيضاً. أن لاأقلب المدينة التي تكلمت عنها./٢٢ أسرع أهرب إلى هناك لأني لاأستطيع أن أفعل شيئاً حتى تجيء إلى هناك لذلك دعي اسم المدينة صوغر/٢٣ وإذ أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط صوغر/٢٤ فأمطر الرب على سدوم. وعمورة كبريتاً. وناراً من السماء من عند الرب/٢٥ وقلب كل المدن وكل الدائرة. وجميع سكان المدن ونبات الأرض/٢٦ ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح/٢٧ وبكر إبراهيم في الغد إلى المكان الذي وقف فيه أمام الرب/٢٨ وتطلع نحو سدوم وعمورة ونحو كل أرض الدائرة. ونظر وإذا دخان الأرض يصعد كدخان الأتون.

هذا الذي ورد في كتاب العهد القديم عن قصة الملائكة مع لوط وأهل سدوم. وقد أذهب الكاتب بنات لوط مع أزواجهن. وانجى ابنتيه اللتين قد ذكر عنهن ماهو أشر من أعمال أهل سدوم.

القرآن الكريم يصف نهاية القوم ليس بالكبريت وكذا إنما بقلب الأرض ثم أمطر عليها الحجارة ربما كانت مكبرتة واستعرت ناراً. ولكنه ذكر أيضاً في أول السياق هذا قول الملك للوط أخرج أصهارك وبنيك وبناتك. ألم يعلم الملك أن ليس له بنين ؟.

ثم عاد ليذكر تتمة القصة بما لاتتفق وموقف لوط. وموقف إبراهيم لافي قصة الملوك الخمسة. وإنقاذ إبراهيم لأهل سدوم وعمورة. ولا في أموال لوط الكثيرة ورعاته الذين زاحموا رعاة إبراهيم. وذلك أن لوطاً بعد هلاك أهل سدوم يظن أنه نسي إبراهيم وقرابته وأنه أخاً لأبيه فجاء صوغر. ثم خرج منها لأمر آخر وهو كما جاء في نفس الاصحاح والسفر/٣٠ وصعد لوط من صوغر. وسكن في الجبل وابنتاه معه. لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة

وابنتاه/ ٣١ وقالت البكر للصغيرة ـ وهي ليست البكر لأنه له بنات غيرهن متزوجات ـ أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا. كعادة أهل الأرض/٣٢ هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً/٣٣ فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها/٣٤ وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمراً الليلة فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً/٣٥ فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها/٣٦ فحبلت ابنتا لوط من أبيهما/٣٧ فولدت البكر إبناً ودعت اسمه مؤاب. وهو أبو المؤابيين إلى اليوم/٣٨ والصغيرة أيضاً ولدت إبناً ودعت اسمه بن عميً. وهو أبو بني عمون إلى اليوم// ترى أي يوم هذا ؟ هل هو عندما كلم الله التوراة موسى أم عندما لفق الكاتب القصة ؟.

ترى لَمَ لم يذهب لوط إلى عمه إبراهيم ؟ ترى لم تحبل امرأة لوط بسوى هاتين البنتين ؟ لَمَ لم تزوجا أباهما فيحيا له. نسل، أو لَمَ لم تتزوجا لتنجبا أطفالاً. فيدخل عليهما الرجال كما يدخل على غيرهما وأين ذهب لوط بعد هذا ؟ ترى ألم يقابل إبراهيم ؟.

لقد قسم الكاتب الأرض التي كانت ملأى بالسكان. فأخلاها بقلمه ومخيلته فأعطى بلاد مؤاب والقسم الأكبر من الأردن إلى مؤاب بن لوط من ابنته البكر ـ واستغفر الله ـ وإلى بني عمون إبن لوط من الصغرى ـ وأعطى بقية الأردن الجنوبي إلى إبن إبراهيم ودعا اسمه مدين. ولكن بقية أبناء إبراهيم لم يجعل لهم نسلاً فهذا زمران يقشان يشباق. شوحا. ومدان لم يجعل لهما أمة بل جعل الأمة لمديان وحسب. وأعطى أرض سعير أيضاً لعيسو بن يعقوب وهو أدوم وعمر الأرض من جديد ببني إبراهيم ولوط.

وقد قضى بعد ذلك على الفلسطينيين والعمالقة وعلى عشر أمم في أرض فلسطين كانت كلها تسكن. وأعطى الأرض من النيل إلى الفرات لنسل يعقوب. ليس لنسل إبراهيم. مع أنه ذكر العطاء أولاً لابراهيم.

وفي سورة الحجر يخبرنا تعالى عن هلاك قوم لوط في الآية/٦٧: ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون * قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون * واتقوا الله ولاتخزون * قالوا أولم ننهك عن العالمين * قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين * لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون * فأخذتهم الصيحة مشرقين * فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾.

وخرج لوط وأسرته من مدينة سدوم بعد منتصف الليل حتى إذا أوشكت الشمس أن تطلع وإذا بصوت انهيارات عظيمة وَوَجَبَةٍ مرعبة رجفت لها قلوب سامعيها. فلم يلتفت لوط ولاأسرته. ولاندري كم هو عددها. لأن الملائكة أوصوا لوطاً وأسرته أن لايلتفت منهم أحد إلى خلفه. وشددوا في هذا.

ولكن المرأة امرأة لوط. وكانت نفسها متعلقة بقومها قد ارتجف قلبها والتفتت إلى الخلف وكان قدر الله فوقف قلبها وسقطت في أرضها وهلكت بهلاك القوم ووقف لوط مع أسرته بعد أن وارى زوجته على مرتفع ينظر باتجاه سدوم. وقد كانت سكناً له عشرين عاماً مضت. ورأى فيها الخير لولا فحش أهلها. فرثاها بما جال في خاطره وأمضى ليلة مع أسرته في الجبل المشرف على تلك الأماكن ثم نزل إلى البلاد التي تقرب من منطقة الخطر والبلاء وحل في القبائل العربية التي كان يشاركهم في مواشيه. وذاب فيهم. ومن سكوت كاتب العهد العتيق عن مصير لوط. نستنتج أن بينه وبين سارة كما بين سارة وإسماعيل. وإلا من للانسان إلا أهله. وقد عاش إبراهيم بما ذكر الكاتب خمساً وسبعين سنة بعد هلاك قوم لوط.

آخر قصة لوط

إن هلاك قوم لوط كان في سنة البشرى لابراهيم وسارة بابنهما إسحق وكان لابراهيم من العمر بما كتب الكاتب مائة عام.

لقد جاء في قصة قوم لوط في/١ فجاء الملكان مساءً. وكان لوط جالساً ببابه. فلما رآهما قام لاستقبالهما وسجد بوجهه للأرض/٢ وقال ياسيدي ميلا إلى بيت عبدكما. وبيتا واغسلا أرجلكما ثم تبكران وتذهبان في طريقكما. قالا بل في الساحة نبيت/٣ فألح عليهما جداً. فمالا إليه ودخلا بيته فصنع لهما الضيافة وخبزاً وفطيراً/٤ وقبلما اضطجعا أحاط بالبيت رجال سدوم. من الحدث إلى الشيخ. كل الشعب من أقصاها//.

ألم يكن لوط يعرف أهل مدينة سدوم ؟ لقد ساكنهم عشرين سنة ولم يعرف أعمالهم ؟ فقد سكنها وعمر إبراهيم خمس وسبعون سنة. ومن شاء فليراجع مجيئهما من مصر. فلِمَ يلح عليهما؟ لقد كان لسدوم ملكاً كما مر في حرب إبراهيم المزعوم لكدرالصومر. والملوك الأربعة وقد كان في سدوم شعباً لأنها مدينة عظيمة آنذاك. فكيف جاء إلى بيت لوط جميع ذكورها وأكد هذا بقوله// من الحدث إلى الشيخ أو زاد في التأكيد بقوله من أقصاها إن الله جل وعلا يذكر أن صحفاً أنزلها الله على إبراهيم. وذلك في سورة النجم الآية/٣٧ وهو قوله تعالى: ﴿أم لم ينبأ بما في

صحف موسى وإبراهيم الذي وفى﴾ وفي سورة سبح الآية/١٧: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى * إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾.

ربما جاء ذكر التكوين في صحف إبراهيم التي لم تدون. فصار حديث التكوين والطوفان كلاماً متداولاً. وقصصاً محفوظة عند من عرف إبراهيم. فلما جمعت قصص الكتاب المقدس مع التوراة. جاء ذكر التكوين المحرف تماماً. والذي لايتفق مع علم أبداً. وذلك بما أملته قريحة ومخيلة الناقل قبل الكاتب. ثم كتب الكاتب هذا الذي كان يتفق مع عصره وزمانه فكان هذا التاريخ العجيب وحديث الطوفان وعهده. وقصة حرب إبراهيم وكذا قصة بنات لوط مع أبيهن. وترتيب حديث القصة. والأهم أن ينسب القول إلى الله يقول تعالى في سورة النساء/٨٢: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ بل وكذباً. وتلفيقاً. كثيراً كهذا الذي نقرأ ونستغفر الله.

سارة العاقر. تلد إسحق

لقد كانت سارة عاقراً لم تلد لزوجها ولداً تفرحه به حتى صارت في آخر العمر. وقد أخبرنا جل وعلا عن تبشيرها وزوجها بالولد قبل أن تحمل به أو وهي في أول حملها في آيات كثيرة ومنها في سورة هود الآية/٧١: ﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب * قالت ياويلتىٰ أألد وأنا عجوز وهٰذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب﴾.

وحملت المرأة وولدت غلاماً ذكراً وهو إسحق بن إبراهيم ويذكر كتاب العهد العتيق أن سارة كانت عندما ولدت لها من العمر تسعون عاماً ولابراهيم من العمر مائة عام. ويذكر الله تعالى أن ولادة إسحق ويعقوب من الله لابراهيم نافلة أي منحة ففي سورة الأنبياء الآية/٧٢: ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين﴾ وولد لاسحق يعقوب ولم يذكر القرآن الكريم غيره. ويذكر كتاب العهد العتيق أن امرأة إسحق ولدت لاسحق توأمين هما يعقوب والبكورية لعيسو فهو الذي نزل أولاً ولكن يعقوب قد سلبه البكورية بما يضحك من قصة لاتدل على مروأة في كليهما وهي قصة من مخيلة الكاتب وسنذكرها في مكانها إن شاء الله.

ويذكر أن سارة قد توفيت بعد أن زوجت إبنها إسحق من إبنة أخيها بتوئيل أو إبن أخيها. ونحن نقول من إبنة بتوئيل بن ناحور بن تارح حسب ماجاء في كتاب العهد العتيق واسم زوجة إسحق رفقا. ولما ماتت سارة اشترى لها إبراهيم قبراً من الحثيين وذلك بما جاء في الكتاب مع أن الكتاب يقول أن الرب أعطى إبراهيم جميع أرض كنعان وتزوج إبراهيم بعد وفاة سارة من جارية كما جاء في كتاب العهد العتيق واسمها قطورة فولدت له ستة أبناء ذكور وأسماء أولئك

الأبناء هم زمران. يقشان. مدان. مديان. ويشباق. وشوحا. ولم يذكر بعد ذلك لأحد منهم اسماً إلا مدين جعله أمة عظيمة ثم كثرهم ليعلم موسى اليهود كيفية الذبح وقساوة القلب فقد ذبح موسى منهم مائة ألف امرأة وطفل بل أكثر من ذلك هذا بما ذكر كتاب القوم وآمن به النصارى فيما بعد حتى والمتقدمون من المسلمين وذكروا أن إبراهيم وقد توفي بعد موت سارة بخمسة وأربعين سنة تلك أقوالهم لأن إبراهيم عاش مائة وخمسة وسبعون سنة. وقالوا أنه دفن عند زوجته سارة في مغارة المكفيلة وحضر دفنه ولداه إسماعيل وإسحق وهذا كما ورد في كتاب العهد العتيق وتعاهد إسحق ولديه يعقوب وعيسو. وكان يحب عيسو أكثر من يعقوب بما ذكر الكتاب وكانت زوجته رفقا تحب يعقوب أكثر من عيسو.

كان عيسو فتى صيد رامي قوس كعمه إسماعيل قوي الجسم كثير وكثيف الشعر على جسده كجسد المعزى. وكان يعقوب يرعى المواشي ويذكر كتاب العهد العتيق كيف كان عيسو بطبعه وكيف كان يعقوب بفعله. ثم لم يمدح الحسن ولم يذم السيء أو أنه على العكس لربما مدح السيء. وأزرى بالحسن ثم ذكر موت سارة. وشراء إبراهيم قبرها من الحثيين وذلك في الاصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين /١ وكانت حياة سارة مائة وسبعاً وعشرين سنة/٢ وماتت سارة في قرية أربع التي هي حبرون في أرض كنعان. فأتى إبراهيم ليندب سارة ويبكي عليها/٣ وقام إبراهيم من أمام ميته وكلم بني حث قائلاً/٤ أنا غريب ونزيل عندكم. أعطوني قبراً عندكم لأدفن ميتي من أمامي/٥ وأجاب بني حث إبراهيم قائلين/٦ إسمعنا ياسيد أنت رئيس من الله بيننا في أفضل قبورنا إدفن ميتك/٧ لايمنع أحد منا قبره عنك حتى لاتدفن ميتك فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث/٨ وكلمهم قائلاً إن كان في نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي//

أنا لم أصل إلى معرفة عبادة الحثيين في عهد إبراهيم حتى ومن بعده لأن أكثر الظن أن امرأة فرعون التي ذكرت في القرآن الكريم بقوله تعالى في آخر سورة التحريم/١١: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾.

إن تلك المرأة حثية تزوجها رعمسيس الثاني بعد صلحه مع الحثيين بعد إبراهيم بحوالي قرنين. وهنا جاء قول الحثيين لابراهيم (أنت رئيس من الله بيننا) وهذا لايكون إلا والقوم معه على دين واحد. وإلا لم تكن تلك الكلمة الصريحة.

لقد أعطى عفرون بن صوحر مغارة المكفيلة والحقل الذي هي فيه لابراهيم هبة من قلب كريم مخلص فقوله (لاياسيدي إسمعني الحقل وهبتك إياه والمغارة التي فيه لك وهبتها لدى عيون شعبي وهبتك إياها إدفن ميتك) ومع هذا رفض إبراهيم الهبة أو أحب أن يأخذ الأرض ليدفن ميته فيها بالثمن فإنه يريد أن يكون ميته بأرض قد دفع ثمنها من كده وجده فلو عرف إبراهيم هذا الذي يقوله الكتاب أن الأرض قد أعطاه الله إياها لما كان منه الاعتراض ولم يصر على دفع ثمنها. فالأرض لله حتماً يهبها لمن يشاء. لكن كلها في الكتاب من الكلام الفارغ يثبت أن الأرض لأهلها ويدفع قوله ولذا قال إبراهيم كما في الكتاب /٨ قائلاً إن كان في نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي فاسمعوني والتمسوا لي من عفرون بن صوحر/٩ أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له التي في طرف حقله بثمن كامل يعطيني إياها في وسطكم ملك قبر/١٠ وكان عفرون جالساً بين بني حث. فأجاب الحثي إبراهيم قائلاً في مسامع بني حث الداخلين باب مدينته/١١ لاياسيدي إسمعني الحقل وهبتك إياه والمغارة التي فيه لك وهبتها. لدى عيون بني شعبي وهبتك إياها إدفن ميتك/١٢ فسجد إبراهيم أمام شعب الأرض/١٣ وكلم عفرون في مسامع شعب الأرض قائلاً إن كنت أنت إياه. فليتك تسمعني أعطيك ثمن الحقل. خذ مني فأدفن ميتي هناك/١٤ فأجاب عفرون إبراهيم قائلاً/١٥ ياسيدي إسمعني أرض بأربع مائة شاقل فضة. ماهي بيني وبينك. فادفن ميتك/١٦ فسمع إبراهيم لعفرون ووزن إبراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حث. أربع مائة شاقل فضة جائزة عند التجار/١٧ فوجب حقل عفرون الذي في المكفيلة. التي أمام ممرا. الحقل والمغارة التي فيه. وجميع الشجر الذي في الحقل الذي في جميع حدوده حواليه/١٨ لابراهيم ملكاً لدى عيون بني حث. بين جميع الداخلين باب مدينته/١٩ وبعد ذلك دفن إبراهيم سارة امرأته في مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا التي هي حبرون في أرض كنعان/٢٠ فوجب الحقل والمغارة التي فيه لابراهيم ملك قبر من عند بني حث.

هذه قصة شراء قبر سارة التي دلت على أشياء منها أن الحثيين كانوا على دين كما هو إبراهيم ثانياً على كرم لايوجد عند اليهود منه شيء. ثالثاً لم يأخذ إبراهيم المقبرة بلا ثمن رغم أن صاحبها وهبها له. ممايدل على أن وعد الله لابراهيم ليس باغتصاب الأرض من أهلها، وأحب إسحق عيسو أكثر من يعقوب. وكان عيسو يصطاد من وحوش البر ويأتي لأبيه بشواء يطعمه إياه. وحسده كما ذكر كاتب العهد العتيق أخوه يعقوب. ونذكر الآن ماكتب بشأنه ففي الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين جاء هذا.

/١٩ وهذه مواليد إسحق بن إبراهيم. ولد إبراهيم إسحق/٢٠ وكان إسحق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه رفقة بنت بتوئيل الأرامي. أخت لابان الأرامي من فدَّان أرام/٢١ وصلى إسحق إلى

الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقراً. فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته/٢٢ وتزاحم الولدان في بطنها. فقالت إن كان هكذا. فلماذا أنا. فمضت لتسأل الرب/٢٣ فقال لها الرب في بطنك اثنان. ومن أحشائك يفترق شعبان شعب يقوى على شعب. وكبير يستعبد لصغير/٢٤ فلما كملت أيامها لتلد إذا في بطنها توأمان/٢٥ فخرج الأول أحمر كله كفروة شعر. فدعو اسمه عيسو/٢٦ وبعد ذلك خرج أخوه. ويده قابضة بعقب عيسو فدعي اسمه يعقوب. وكان إسحق بن ستين سنة لما ولدتهما/٢٧ فكبر الغلامان وكان عيسو إنساناً يعرف الصيد إنسان البرية. ويعقوب إنساناً كاملاً يسكن الخيام/٢٨ فأحب إسحق عيسو لأن في فمه صيداً. وأما رفقة فكانت تحب يعقوب/٢٩ وطبخ يعقوب طبخاً فأتى عيسو من الحقل وقد أعيا/٣٠ فقال عيسو ليعقوب أطعمني من هذا الأحمر لأني قد عييت. لذلك دعي اسمه أدوم/٣١ فقال يعقوب بعني اليوم بكوريتك/٣٢ فقال عيسو هاأنا ماض إلى الموت. فلماذا لي بكورية/٣٣ فقال يعقوب احلف لي اليوم. فحلف له. فباع بكوريته ليعقوب/٣٤ فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبخ عدساً. فأكل وشرب وقام ومضى. فاحتقر عيسو البكورية// هل تصدق أيها القاريء هذا. وأنه من التوراة التي هي كلام الله إلى موسى.

إن دلت هذه القصة ولايسعنا إلا إنكارها. لأن يعقوب النبي لايحق له صيد أخيه. فيستغل تعبه وجوعه ليساومه على البكورية. مع أن الغريب يشفق على الغريب بحالة إعيائه. فلو صحت لأثبتت عدم الضمير عند يعقوب. وأنه ليس بالانسان الكامل كما وصفه الكاتب.

ثانياً لم يذكر زواج يعقوب أو عيسو قبل هذه الحادثة مما يدل أن الطبخ الذي يطبخه يعقوب هو لأبيه وأمه وأخيه. وأن الصيد الذي يصطاده عيسو للجميع. ثالثاً إن عيسو المخيف لن يصبر على مساومة أخيه ولن يقبلها وربما أكل الطبخ غصباً عن يعقوب. والمعلوم أنه أقوى من يعقوب. كما ذكر الكاتب في الاصحاح الآتي. وقد جاء في الاصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين مايلي:

١/ وحدث أنه عندما شاخ إسحق وكلت عيناه عن النظر. أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يابني فقال هاأنذا/٢ فقال إنني قد شخت. ولست أعرف يوم وفاتي/٣ فالآن خذ عدتك جعبتك وقوسك واخرج إلى البرية. وتصيد لي صيداً/٤ واصنع لي أطعمة كما أحب. وأتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت/٥ وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحق مع عيسو ابنه، فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيداً/٦ وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً/٧ اءتني بصيد واصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي/٨ فالآن

يابني اسمع لقولي في ماأنا آمرك/٩ إذهب إلى الغنم. وخذ لي من هناك جديين من المعزى. فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب/١٠ فتحضرها لأبيك حتى يأكل ليباركك قبل وفاته/١١ فقال يعقوب لرفقة أمه. هو ذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس/١٢ ربما يجسني أبي. فأكون في عينيه كمتهاون. وأجلب على نفسي لعنة لابركة/١٣ فقالت له أمه لعنتك على يابني. إسمع لقولي فقط واذهب خذ لي/١٤ فذهب وأخذ. وأحضر لأمه فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب/١٥ وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر/١٦ وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى/١٧ وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها/١٨ فدخل إلى أبيه وقال ياأبي فقال هاأنذا من أنت ياإبني/١٩ فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك/٢٠ فقال إسحق لابنه. ماهذا الذي أسرعت لتجد ياإبني. فقال إن الرب إلهك قد يسر لي/٢١ فقال إسحق ليعقوب تقدم لأجسك ياإبني. ءأنت هو ابني عيسو أم لا/٢٢ فتقدم يعقوب إلى إسحق فجسه وقال له الصوت صوت يعقوب. ولكن اليدين يدي عيسو/٢٣ ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه فباركه/٢٤ وقال له هل أنت هو ابني عيسو. فقال أنا هو/٢٥ فقال قدم لي لأكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي. فقدم له فأكل. وأحضر له خمراً فشرب/٢٦ فقال له إسحق أبوه تقدم وقبلني ياإبني/٢٧ فتقدم وقبله فشم رائحة ثيابه وباركه وقال انظر رائحة إبني كرائحة حقل قد باركه الله/٢٨ فليعطك الرب من ندى السماء. ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر/٢٩ ليستعبد لك شعوب. وتسجد لك قبائل. كن سيداً لاخوتك. وليسجد لك بنو أمك ليكن لاعنوك ملعونين. ومباركوك مباركين - أليست نية الدعاء من إسحق لعيسو ؟.

/٣٠ وحدث عندما فرغ إسحق من بركة يعقوب. ويعقوب قد خرج من لدن إسحق أبيه. أن عيسو أخاه أتى من صيده/٣١ فصنع هو أيضاً أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه ليقم أبي. ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك/٣٢ فقال له إسحق من أنت. فقال أنا ابنك بكرك عيسو/٣٣ فارتعد إسحق ارتعاداً عظيماً جداً. وقال فمن هو الذي اصطاد صيداً. وأتى به إلي. فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته نعم ويكون مباركاً/٣٤ فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة. ومرة جداً. وقال لأبيه باركني أنا أيضاً/٣٥ فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك/٣٦ فقال ألا إن اسمه دعي يعقوب. فقد تعقبني الآن مرتين، أخذ بكوريتي. وهاهو أخذ بركتي. ثم قال أما أبقيت لي بركة/٣٧ فأجاب إسحق وقال لعيسو إني قد جعلته سيداً لك. ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً. وعضدته بحنطة وخمر. فماذا أصنع إليك ياإبني/٣٨ فقال عيسو

لأبيه ألك بركة واحدة فقط ياأبي باركني أنا أيضاً ورفع صوته وبكى/٣٩ فأجاب إسحق أبوه، وقال هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك. وبلا ندى السماء من فوق/٤٠ وبسيفك تعيش، ولأخيك تستعبد، ولكن يكون حينما تجمح أنك تكسر نيره عن عنقك/٤١ فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركه بها أبوه. وقال عيسو في قلبه قربت أيام مناحة أبي. فأقتل يعقوب أخي/٤٢ فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها البكر. فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له هو ذا عيسو أخوك متسل من جهتك بأنه يقتلك/٤٣ فالآن ياابني إسمع لقولي وقم اهرب إلى أخي لابان إلى حاران/٤٤ وأقم عنده أياماً قليلة حتى يرتد سخط أخيك/٤٥ حتى يرتد غضب أخيك عنك وينسى ماصنعت به. ثم أرسل فآخذك من هناك. لماذا أعدم اثنيكما في يوم واحد// هذا الذي ورد في كتاب العهد العتيق الذي جعلوه من كلام الله من التوراة. فلنتحدث أولاً إن إسحق كان لايزيد سنه عن ثمانين سنة أو خمس وثمانين عند هذا الشيء. لأن ابنيه كانا في حالة عزوبة. مع أن إسحق كما ذكر الكاتب قد عاش مائة وثمانين سنة كما جاء في الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين/٢٨ وكانت أيام إسحق مائة وثمانين سنة/٢٩ فأسلم إسحق روحه ومات وانضم إلى قومه شيخاً وشبعان أياماً. ودفنه عيسو ويعقوب ابناه//

من هذا يتبين لنا أن إسحق قد عاش بعد أن بارك ولديه حوالي مائة عام. وذكر الكاتب أنه لم يفرق بين يعقوب وعيسو. وأن جلدي الماعز قد مَوَّها على إسحق المعرفة. فهل هذا صحيح ؟.

ثم نقول هل البركة من الله أم أنها من إسحق ؟ وهل كان الله غائباً أم كان حاضراً ؟ وهل يجوز الكذب من يعقوب النبي على أبيه؟ ترى هل يقدس الله هذا ؟.

أيها القارىء. هل ترضى أنت أن تكون هكذا بمكرك وخداعك لتأخذ حقوق الآخرين ؟ وما تسمي هذا ؟ أهو سرقة. أم اغتصاب. أم بغي ؟ أم ذكاء ؟.

ولنسأل هل عند الله عدل ؟ ومتى يحكم به هل هو في الحياة الدنيا. أم في الآخرة ؟ ثم وهل صح هذا الدعاء وتلك البركة ؟ إن الأدوميين عاشوا كغيرهم في جنوبي بلاد الشام ثم إنهم قبيلة من قبائل العرب العاربة ذابوا في غيرهم من القبائل. ونتساءل ماهي لغة الأدوميين. عند كاتب الكتاب ولغة المؤابيين. والعمونيين. ولغة المديانيين ؟.

لقد أراد اليهود أن يجعلوا لهم تاريخاً يحافظ على عنصرهم الذي ذكروا عنه هذا في الاصحاح الثاني والعشرين سفر التكوين/١٨ ويتبارك من نسلك جميع أمم الأرض// فهل صح هذا ؟.

إنك لاتكاد تجد فتنة إلا واليهود من خلفها. أليست هذه هي البركة ؟ فأنت أيها الغريب عن العنصر اليهودي ماشأنك؟ ألا تخجل عندما تصدق هذه الترهات وتقدسها ؟ إن يعقوب لم يفعل هذا فهو نبي، وله ضمير النبي لقد ذكروا أن عيسو تربى فتى صيد. وتربى يعقوب يرعى المواشي. وكما ذكر كتاب العهد العتيق أن حوادث قد جرت مابين عيسو ويعقوب. هدد من جرائها عيسو أخاه يعقوب بالقتل. وكانت أمهما التي هي بما ذكر الكاتب سبب الفتن بين الأخوين وسمعت تهديد عيسو أخاه بالقتل وخشيت من تنفيذ الوعيد فطلبت من ابنها يعقوب أن يذهب إلى خاله(لابان) ويتزوج من بنات خاله المذكور لأن عيسو تزوج من يهوديت الحثية وبسمة الحثية أيضاً. فلم تستسغ ذلك الزواج وكرهت بنات كنعان كما كرهتهن سارة من قبلها.

لقد ذكروا عند هذا أن عيسو تزوج وهو في الأربعين من عمره. وذكروا أيضاً أن إسحق عندما ولد له عيسو ويعقوب كان له من العمر ستون عاماً.

وذكروا أيضاً أن إبراهيم عندما ولد له إسحق كان له من العمر مائة عام. فعمل وليمة كبرى لمولد إسحق. ونحن نورد الآن هذا إن شاء الله من الكتاب.

الاصحاح الحادي والعشرون من سفر التكوين/٥ وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحق ابنه ثم تزوج الولد إسحق ففي الاصحاح الخامس والعشرين جاء هذا/٧ وهذه أيام سني حياة إبراهيم التي عاشها مائة وخمس وسبعون سنة/٨ وأسلم إبراهيم الروح ومات بشيبة صالحة شيخاً وشبعان.

ومن نفس الاصحاح الخامس والعشرين جاء هذا/ ٢٠ وكان إسحق إبن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة رفقا ابنة لابان الآرامي من فدان آرام. وولدت رفقا. لاسحق في نفس الاصحاح وفي نفس الاصحاح ورد هذا/ ٢٤ فلما كملت أيامها لتلد إذا في بطنها توأمان/ ٢٥ فخرج الأول أحمر كله كفروة شعر. فدعو إسمه عيسو/٢٦ وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فسمي اسمه يعقوب. وكان إسحق أبن ستين سنة لما ولدتهما//.

من هذا عرفنا أن يعقوب كان له من العمر عندما توفي إبراهيم خمسة عشر عاماً. وعندما دخل إلى مصر كان لوفاة إبراهيم مائة وخمسة عشر عاماً.

ففي الاصحاح السابع والأربعين من سفر التكوين جاء هذا/٧ ثم أدخل يوسف يعقوب أباه وأوقفه أمام فرعون وبارك يعقوب فرعون/٨ فقال فرعون ليعقوب كم هي سني حياتك/٩ فقال يعقوب لفرعون أيان سني غربتي مائة وثلاثون عاماً قليلة وردية أيام سني حياتي ولم تبلغ سني

حياة آبائي في أيام غربتهم ومن نفس الاصحاح/٢٧ وعاش إسرائيل في أرض مصر في أرض جاسان وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً/٢٨ وعاش يعقوب في أرض مصر سبعة عشرة سنة فكانت أيام يعقوب سنو حياته مئة وسبعاً وأربعين سنة//.

لقد تزوج عيسو وله من العمر أربعون عاماً فكم كان عمر يعقوب عندما تزوج ؟ فنقول أنه تزوج وهو في الأربعين من العمر ولما ولدت ليئة ابنه لاوي وهو ثالث أبنائه كان له من العمر خمس وأربعون.

زواج يعقوب في فدان آرام من ابنتي خاله

ومضى يعقوب هارباً من وجه أخيه عيسو ويذكر الكاتب ماجرى ليعقوب في هربه من وجه أخيه حيث رأى الرب في رؤياه إذ كان نومه في بيت الرب ثم سافر حتى وصل أرض حاران. ووصل إلى بئر قد اجتمعت قطعان الغنم عنده تنتظر الماء وسأل يعقوب القوم لِمَ لايسقون أغنامهم ؟ فقالوا إن هذا الحجر الذي يسد باب البئر لايرفعه إلا بضعة عشر رجلاً. ونحن ثلاثة لانستطيع رفعه فسألهم عن خاله لابان فقالوا هو بخير. وهذه ابنته الصغرى راحيل تسوق الغنم إلى المسقى فاستقبلها يعقوب وسلم عليها وقبلها. هذا ماورد ولاشيء عليه.

وتقدم يعقوب إلى البئر ورفع عن فمه الحجر لوحده. وسقى أغنام خاله. وركضت راحيل وأخبرت أباها بقدوم يعقوب فاستقبله ورحب به، وقال أنت عظمي ولحمي.

وفي الاصحاح التاسع والعشرين سفر التكوين جاء مايلي/١٤ فقال له لابان إنما أنت لحمي وعظمي فأقام عنده شهراً من الزمان/١٥ ثم قال لابان ليعقوب الأنك أخي تخدمني مجاناً أخبرني ماأجرتك؟/١٦ وكان للابان ابنتان. إسم الكبرى ليئة وإسم الصغرى راحيل/١٧ وكانت عينا ليئة ضعيفتين. وأما راحيل فكانت حسنة المنظر والصورة/١٨ وأحب يعقوب راحيل فقال أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى/١٩ فقال لابان لأن أعطيك إياها أحسن من أن أعطيها لرجل آخر أقم عندي/٢٠ فخدم يعقوب براحيل سبع سنين وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب حبه لراحيل/٢١ ثم قال يعقوب للابان أعطني امرأتي لأن أيامي قد كملت فأدخل عليها/٢٢ فجمع لابان جميع أهل المكان وصنع وليمة/٢٣ وكان في المساء أنه أخذ ليئة ابنته وأتى بها إليه فدخل عليها، وأعطى لابان جاريته زلفة لليئة ابنته جارية/٢٥ وفي الصباح إذا هي ليئة فقال يعقوب للابان ماهذا الذي صنعت بي؟ أليس براحيل خدمت عندك فلماذا خدعتني/٢٦ فقال لابان لايفعل هكذا في مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر// هذا شيء هام إذاً من هنا جاء المكر والخداع/٢٧ أكمل اسبوع هذه فأعطيك تلك أيضاً بالخدمة التي تخدمني أيضاً سبع

سنين/٢٨ ففعل يعقوب هكذا فأكمل اسبوع هذه فأعطاه راحيل ابنته زوجة له/٢٩ وأعطى لابان راحيل ابنته بلهة جاريته جارية لها/٣٠ فدخل على راحيل أيضاً. وأحب أيضاً راحيل أكثر من ليئة وعاد فخدم عنده سبع سنين أخر.

وعلى هذا كان خال يعقوب بما ذكر الكاتب وقد أتم ذلك بقوله/٣١ ورأى الرب ليئة أنها مكروهة ففتق رحمها. وأما راحيل فكانت عاقراً/٣٢ فحبلت ليئة وولدت إبناً اسمه رأوبين. لأنها قالت إن الرب قد نظر إلى مذلتي. إنه لأن يحبني رجلي/٣٣ وحبلت أيضاً وولدت إبناً وقالت إن الرب قد سمع أني مكروهة فأعطاني هذا أيضاً. فدعت اسمه شمعون/٣٤ وحبلت أيضاً وولدت إبناً وقالت لأن هذه المرة يقترن بي رجلي لذلك دعي اسمه لاوي/٣٥ وحبلت أيضاً وولدت إبناً وقالت هذه المرة أحمد الرب لذلك دعت اسمه يهوذا. ثم توقفت عن الولادة الاصحاح الثلاثون. التكوين.

/١ فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب. غارت راحيل من أختها. وقالت ليعقوب هب لي بنين. وإلا فأناأموت/٢ فحمي غضب يعقوب على راحيل. وقال العلي مكان الله الذي منع عنك ثمرة البطن/٣ فقالت هوذا جاريتي بلهة. ادخل عليها فتلد على ركبتي. وارزق أنا أيضاً منها بنين/٤ فأعطته بلهة جاريتها زوجة. فدخل عليها يعقوب/٥ فحبلت بلهة وولدت ليعقوب إبناً/٦ فقالت راحيل قد قضى لي الله وسمع أيضاً لصوتي وأعطاني إبناً. لذلك دعت اسمه داناً - أي قاضياً -/٧ وحبلت أيضاً بلهة جارية راحيل وولدت إبناً ثانياً ليعقوب/٨ فقالت راحيل مصارعات الله قد صارعت أختي وغلبت فدعت اسمه نفتالي /٩ ولما رأت ليئة أنها توقفت عن الولادة. أخذت زلفة جاريتها. وأعطتها ليعقوب زوجة/١٠ فولدت زلفة جارية ليئة ليعقوب إبناً/١١ فقالت ليئة بسعد. فدعت اسمه جاداً/١٢ وولدت زلفة جارية ليئة إبناً ثانياً ليعقوب/١٣ فقالت ليئة بغبطتي لأنه تغبطني بنات. فدعت اسمه اشير./١٤ ومضى رأوبين في أيام حصاد الحنطة فوجد لفاحاً في الحقل وجاء به إلى ليئة أمه. فقالت راحيل لليئة أعطني من لفاح ابنك/١٥ فقالت لها أقليل أنك أخذت رجلي. فتأخذين لفاح ابني أيضاً. فقالت راحيل إذا يضطجع معك الليلة عوضاً عن لفاح ابنك/١٦ فلما أتى يعقوب من الحقل في المساء. خرجت ليئة لملاقاته وقالت. إلي تجيء لأني استأجرتك الليلة بلُفّاح ابني. فاضطجع معها تلك الليلة/١٧ وسمع الله لليئة. فحبلت وولدت ليعقوب إبناً خامساً/١٨ فقالت قد أعطاني الله أجرتي. لأني أعطيت جاريتي لرجلي فدعت اسمه عساكر/١٩ وحبلت أيضاً ليئة. وولدت إبناً سادساً ليعقوب/٢٠ فقالت قد وهبني الله هبة حسنة الآن يساكنني رجلي. فدعت اسمه زبولون/٢١ ثم ولدت بنتاً فسمتها دينة/٢٢ وذكر الله راحيل وفتح رحمها/٢٣ فحبلت وولدت إبناً. فقالت

قد نزع الله عاري/٢٤ ودعت اسمه يوسف. وقالت يزيدني الرب إبناً آخر/٢٥ وحدث لما ولدت راحيل يوسف أن يعقوب قال للابان اصرفني لأذهب إلى مكاني وإلى أرضي/٢٦ أعطني نسائي وأولادي الذين خدمتك بهم فأذهب. لأنك تعلم خدمتي التي خدمتك/٢٧ فقال لابان ليتني أجد نعمة في عينيك. قد تفاءلت فباركني الرب بسببك/٢٨ وقال عين لي أجرة فأعطيك/٢٩ فقال له أنت تعلم ماذا خدمتك وماذا صارت مواشيك معي/٣٠ لأن ماكان لك قبلي قليل. قد اتسع إلى كثير. وبارك الرب في أثري. والآن متى أعمل أنا لبيتي/٣١ فقال ماذا أعطيك. فقال لاتعطيني شيء، إن صنعت لي هذا الأمر أعود أرعى غنمك/٣٢ أجتاز بين غنمك اليوم. واعزل أنت عنها كل شاة رقطاء وبلقاء. وكل شاة سوداء بين الخرفان. وبلقاء ورقطاء بين المعزى. فيكون مثل ذلك أجرتي/٣٣ ويشهد في بري يوم غد. إذا جئت من أجرتي قدامك. كل ماليس أرقط ولاأبلق بين المعزى. وأسود بين الخرفان. فهو مسروق عندي/٣٤ فقال لابان هوذا يكون كلامك/٣٥ فعزل في ذلك اليوم التيوس المخططة والبلقاء. وكل العناز الرقطاء والبلقاء. كل مافيه بياض. وكل أسود بين الخرفان. ودفعها إلى أيدي بنيه/٣٦ وجعل مسيرة ثلاثة أيام بينه وبين يعقوب، وكان يعقوب يرعى غنم لابان الباقية/٣٧ فأخذ يعقوب قضباناً خضراً. من لبنى ولوز. ودلب. وقشر فيها خطوطاً بيضاً. كاشطاً عن البياض الذي على القضبان/٣٨ وأوقف القضبان التي قشرها في الأجران. في مساقي الماء حيث كانت الغنم تجيء لتشرب. لتتوحم عند مجيئها لتشرب/٣٩ فتوحمت الغنم عند القضبان. وولدت الغنم. مخططات ورقطاً. وبلقاً/٤٠ وأفرز يعقوب الخرفان وجعل وجوه الغنم إلى المخطط. وكل أسود بين غنم لابان. وجعل له قطعاناً وحده. ولم يجعلها مع غنم لابان/٤١ وحدث كلما توحمت الغنم القوية. أن يعقوب وضع القضبان أمام عيون الغنم في الأجران لتتوحم بين القضبان/٤٢ وحين استضعفت الغنم لم يضعها. فصارت الضعيفة للابان. والقوية ليعقوب/٤٣ فاتسع الرجل جداً وصار له غنم كثير. وجوار. وعبيد. وجمال. وحمير//.

يعقوب نبي الله بن إسحق ابن إبراهيم. يحتال على خاله. ويحتال خاله عليه، هل تلك قصة أم هي أسطورة أم هي من تاريخ مقصود للسير بموجبه ؟ ربما كان هذا من أحلام المتمني ذكروا هذا في التوراة. وطبعاً إن التوراة كلام الله. فما هو رأي القاريء في هذا هل هو من التوراة أم أنه كتب ليكون تاريخاً يأخذ اليهود به. ويجعلونه نبراساً يهتدون به لصيد الناس واستغلالهم لقد ذكرت الولادات. وأسماء الأولاد. والسيدات والجواري بأسمائهن. كما ذكرت الأقوال عند كل ولادة. حتى وخطرات النفوس. وسبب التسمية. ونكتفي بهرب يعقوب بأمواله ونسائه وهرب يعقوب ومضى في طريقه. وسرقت راحيل أصنام أبيها. فجمع لابان إخوته ومن

يلوذ به ولحق بيعقوب بعد سبعة أيام في جبل جلعاد. ولكن الله جاء في الحلم إلى لابان وقال له إياك أن تتعرض ليعقوب بخير أو شر. فاجتمع معه وتعاتبا. وقطعا بعد ذلك عهداً. أن لايتقدم أحدهما بشر إلى الآخر. وقد استطاعت راحيل أن تخبيء الأصنام تحت حداجة الجمل.

إن هذا الذي نكتب حسب قول كتاب العهد العتيق. وقد عملا رجمتين للعهد الذي قطعاه وسمى لابان رجمته (يجرسهدوثا) أي رجم الشهادة. وهي دليل تفرع الأرامية والكلدانية عن اللغة العربية. (حجر الشهادة) وأما (دان) فهي في العربية قضى. وكذلك (جاد) فهي في العربية خط.

وأشرف يعقوب على أهله فأرسل يسترضي أخاه عيسو وأرسل إليه الكثير من النعم كما ذكر الكاتب في الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين ثم عبر مخاضة يبوق إلى أرض فلسطين، وهذا ماجاء بعد ذلك/٢٢ ثم قام في تلك الليلة. وأخذ امرأتيه. وجاريتيه. وأولاده الأحد عشر. وعبر مخاضة يبوق - ونسي الله أن يذكر دينة ابنته -/٢٣ أخذهم وأجازهم الوادي. وأجاز ماكان معه/٢٤ وبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر/٢٥ ولما رأى أنه لايقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه/٢٦ وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لاأطلقك إن لم تباركني./٢٧ فقال له مااسمك قال يعقوب/٢٨ فقال لايدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت/٢٩ وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك/٣٠ فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل (أي وجه الله) قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي/٣١. وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه/٣٢ لذلك لايأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم. ترى أي يوم كان ذلك هل هو يوم تكلم الله بالتوراة؟ أم عندما كتب الكاتب ذلك التاريخ بعد ألف عام من حياة يعقوب تقريباً ؟.

إن يعقوب الانسان الهارب من أخيه عيسو. يصارع الله ليلاً كاملاً. ولم يقدر الرب عليه حتى ضرب فخذه، ومع ذلك لم يستطع الافلات. فطلب من يعقوب أن يطلقه، فلم يقبل أن يطلقه إلا بشرط أن يباركه.

ترى ماذا لو أن يعقوب أمات الرب. وترك الكون بلا رب. وماذا لو أن الرب قابل عيسو وصارعه، إن الرب لايستقيم بين يدي عيسو ساعة واحدة ؟ وكتب الرب هذا في التوراة.

وجاء عيسو لاستقبال يعقوب ومعه أربع مائة رجل. وقد جاء في الاصحاح الثالث والثلاثين مايلي.

/١ ورفع يعقوب عينيه ونظر. وإذا عيسو مقبل ومعه أربع مائة رجل. فقسم الأولاد على ليئة. وعلى راحيل وعلى الجاريتين/٢ ووضع الجاريتين وأولادهما أولاً. وليئة وراءهما مع أولادها. وراحيل ويوسف أخيراً/٣ وأما هو فاجتاز قدامهم. وسجد إلى الأرض سبع مرات حتى اقترب إلى أخيه. فركض عيسو للقائه وعانقه. ووقع على عنقه. وقبله وبكيا/٥ ثم رفع عينيه وأبصر النساء والأولاد وقال ماهؤلاء منك فقال الأولاد الذين أنعم الله على عبدك/٦ فاقتربت الجاريتان هما وأولادهما وسجدتا/٧ ثم اقتربت ليئة أيضاً وأولادها وسجدوا. وبعد ذلك اقترب يوسف وراحيل وسجدا//

لقد سجد يعقوب لعيسو وسجد أولاد يعقوب لعيسو قبل أن يسجد أحد من أبناء عيسو لأبناء يعقوب وقد جاء في بركة إسحق ليعقوب - ليسجد لك بنو أمك ـ وقد ثبت في هذا اللقاء أن قلب عيسو كبير وأنه لايعرف المكر. ورغم كل مافعل أخوه فقد سامحه، وافترقا بعد أن كتب كاتب العهد القديم كذب يعقوب على أخيه باللحاق به ولم يلحق. وسكن يعقوب في أرض شكيم. واشترى قطعة أرض نصب فيها خيمته وإليك ماورد بعد ذلك في كتاب العهد القديم في الاصحاح الرابع والثلاثين تكوين.

أهل مدينة شكيم وأبناء يعقوب

/١ وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض/٢ فرآها شكيم بن حمور الحوي رئيس الأرض. وأخذها واضطجع معها وأذلها/٣ وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب وأحب الفتاة. ولاطف الفتاة/٤ فكلم شكيم حمور أباه قائلاً خذ لي هذه الصبية زوجة/٥ وسمع يعقوب أنه نجس دينة ابنته. وأما بنوه فكانوا مع مواشيهم في الحقل فسكت يعقوب حتى جاؤا/٦ فخرج حمور أبو شكيم إلى يعقوب ليتكلم معه/٧ وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا. وغضب الرجال واغتاظوا جداً. لأنه صنع قباحة في إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب ـ وأي إسرائيل كانت ـ وهكذا لايصنع/٨ وتكلم حمور معهم قائلاً شكيم ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم إعطوه إياها زوجة/٩ وصاهرونا تعطونا بناتكم ونعطيكم بناتنا/١٠ وتسكنون معنا الأرض، اسكنوا واتجروا فيها. وتملكوا بها/١١ ثم قال شكيم لأبيها ولاخوتها دعوني أجد نعمة في أعينكم. فالذي تقولون لي أعطي/١٢ كثروا علي جداً مهراً وعطية. فأعطي كما تقولون. وأعطوني الفتاة زوجة/١٣ فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر وتكلموا. لأنه كان قد نجس دينة أختهم/١٤ فقالوا لهما لانستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطي أختنا لرجل أقلف لأنه عار علينا/١٥ غير أننا بهذا نواتيكم إن صرتم مثلنا بختن كل ذكر/١٦ نعطيكم بناتنا ونأخذ بناتكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً/١٧ وإن لم تسمعوا لنا نأخذ ابنتنا ونمضي/١٨ فحسن هذا في

عيني حمور وفي عيني شكيم/١٩ ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر، لأنه كان مسروراً بابنة يعقوب. وكان أكرم جميع بيت أبيه/٢٠ فأتى حمور وشكيم ابنه إلى باب مدينتهما وكلما أهل مدينتهما قائلين/٢١ هؤلاء القوم مسالمون لنا. فليسكنوا الأرض ويتجروا فيها. وهوذا الأرض واسعة الطرفين أمامهم. نأخذ لنا بناتهم زوجات ونعطيهم بناتنا/٢٢ غير أنهم بهذا فقط يواتينا القوم على السكن معنا لنصير شعباً واحداً. بختننا كل ذكر كما هم مختونون/٢٣ ألا تكون مواشيهم ومقتناهم لنا نواتيهم فقط فيسكنون معنا/٢٤ فسمع لحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة. واختتن كل ذكر كل الخارجين من باب المدينة/٢٥ فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة. أخذا كل واحد سيفه. وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر/٢٦ وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف. وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا/٢٧ ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة لأنهم نجسوا أختهم/٢٨ غنمهم وبقرهم وحميرهم. وكل مافي المدينة ومافي الحقل أخذوه/٢٩ وسبوا ونهبوا كل ثروتهم. وكل أطفالهم وكل نسائهم. وكل مافي البيوت/٣٠ فقال يعقوب لشمعون ولاوي. كدرتماني بتكريهكما إياي عند أهل الأرض. الكنعانيين وأنا نفر قليل فيجتمعون علي ويضربونني فأبيد أنا وبيتي/٣١ فقالا أنظير زانية يفعل بأختنا//.

إن تلك القصة التاريخية ترى لم ذكرها الله حتى تصير تاريخاً مقدساً يقرأ ويرتل في الكنائس والمعابد وأجيب أنا أنها ليست من خبر الله إنما هي من صنع الكاتب أو من قصص القوم لثلاثة أمور. أولاً إظهار بطولة الغلامين شمعون ولاوي. ثانياً. جعل فعلهما قياساً لليهود بنقض الميثاق وإباحة الغدر لهم والأمر الثالث إثبات غيرة اليهود على العرض. بغرض تصديق مالا يصدق.

لقد سمى الكاتب مدينة شكيم فلو قلنا أنها قرية ويسكنها مائة ذكر من الرجال. ألا يستطيعون الهرب إن لم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم ؟ ألا يعتلون مع نسائهم سطوح بيوتهم. ويلقون بالأحجار على رؤوس المهاجين ؟ ماذا فعلت النساء ؟ استسلمن لغلامين دفعة واحدة. ترى ألم يجرح شمعون أولاوي. لقد ختن الكاتب أهل شكيم حتى يعجزوا عن الدفاع عن أنفسهم. وكان الذي أراد الكاتب. فكيف رضي يعقوب بالغنيمة وسبي المدينة، ونهب الممتلكات ترى لمن بقيت المدينة ؟ ومن ورثها آنذاك ؟ ترى ألم يذهب الصريخ إلى الحويين والكنعانيين الذين كانوا يملؤن الأرض آنذاك ؟ ترى هل خاف الكنعانيون من بضعة رجال فلم يلحقوا بهم ؟.

لقد ذكر الكاتب قبل هذا قصة إبراهيم مع كدرلعومر وملك عيلام. وأمرافل ملك شنعار. وأريوك ملك الأسار. وتدعال ملك جوييم وكيف كسرهم إبراهيم وهم ملوك العالم القديم

آنذاك بثلاثمائة عبد من عبيده. ولكنه وباللأسف قد جعله يذل لأبي مالك ملك جرار بعد ذلك بقليل فيترك له زوجته سارة ليأخذها زوجة. لولا لطف الله.

ولنذكر الغيرة على العرض بعد أيام من سبي أبناء يعقوب لمدينة شكيم فإن يعقوب رحل من مدينة شكيم. ونام في مكان رأى الله فيه فسماه بيت إيل. وكان هذا بعد المجيء من فدان آرام فنصب عموداً من حجر وصب عليه الزيت. وكان عند ذهابه قد رأى ذلك أيضاً ونصب حجراً وصب عليه زيتاً وسماه نفس الاسم ويظن الكاتب قد نسي هذا فأعاده.

وولدت راحيل عند افراته وإفراته إسم سمي من بعد ولكن الكاتب ذكره قبل أن يسمى وتعسرت راحيل في ولادتها حيث ولدت بنيامين وماتت. وتركت يوسف وبنيامين في يتم فدفنها يعقوب وحزن عليها ونصب حجراً على قبرها ثم رحل إلى وراء مجدل عدر ونصب خيمته هناك وإذ كان إسرائيل ساكناً هناك أن روبين اضطجع وزنى مع بلهة جارية راحيل. وأم دان ونفتالي أبناء يعقوب وقد جاء في الاصحاح الخامس والثلاثين من التكوين مايلي:

/٢٢ وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن روبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل. وهنا صار اسمه إسرائيل بدل يعقوب سماه الله عندما رآه.

ترى لم لم يأخذ دان ونفتالي سيفيهما ليقتلا روبين الذي نجس أمهما. وأبيهما أيضاً وألحقهما العار. لأن روبين استحق اللعنة. بما ورد في التوراة فيما بعد على موسى.

إن كل هذا لايهمنا في شيء لولا أنه من المقدس الذي يروى في مدارس التبشير التي تخرج الأطفال من النور إلى الظلمات. وخاصة أبناء الكنعانيين الذين هم ذراع الصهيونية الأيمن. فكم هي درجة التقديس لتلك المفتريات بنسبها إلى الله ومن خبره حيث ألحقت بالتوراة.

ولم يزني روبين بزوجة أبيه وقد سبوا نساء شكيم فلم لم يتسرى بعشر فتيات بدل زوجة أبيه. وأم أخويه. ألا لعنة الله على الكاذبين. ومن تابعهم في غيهم وكذبهم: آمين.

عيسو في أرض أدوم. وبنو سعير الحوريون

ولنذكر الآن ماجاء في كتاب العهد العتيق عن عيسو شقيق يعقوب ففي الاصحاح السادس والثلاثين جاء مايلي/١ وهذه مواليد عيسو الذي هو أدوم/٢ أخذ عيسو نساء من بنات كنعان. عدا. بنت إيلون الحثي وأهوليبامة بنت عنى بنت صبعون الحوي/٣ وبسمة بنت إسماعيل أخت نبايوت/٤ فولدت. عدا. لعيسو. أليفاز وولدت بسمة رعوئيل/٥ وولدت هوليبامة. يعوش. ويعلام وقورح. هؤلاء بنو عيسو الذين ولدوا له في أرض كنعان/٦ ثم أخذ عيسو نساءه. وبنيه

وبناته. وجميع نفوس بيته مواشيه وكل مقتناه الذي اقتنى في أرض كنعان ومضى إلى أرض أخرى من وجه يعقوب أخيه/٧ لأن أملاكهما كانت كثيرة على السكنى معاً. ولم تستطع أرض غربتهما أن تحملهما من أجل مواشيهما/٨ فسكن عيسو في جبل سعير. وعيسو هو أدوم/٩ وهذه مواليد عيسو في أرض أدوم في جبل سعير/١٠ هذه أسماء بني عيسو. أليفاز بن عدا امرأة عيسو. ورعوئيل بن بسمة امرأة عيسو/١١ وكان بنو أليفاز تيمان. وأومار. وصفوا. وجعشام. وقناز. /١٢ وكانت تمناع سرية لأليفاز بن عيسو. فولدت لأليفاز عماليق. هؤلاء بنو عدا امرأة عيسو/١٣ وهؤلاء بنو رعوئيل نحث وزارح. وشمة. ومزة. هؤلاء بني بسمة امرأة عيسو/١٤ وهؤلاء كانوا بني أهوليبامة بنت عنى بن صبعون امرأة عيسو، ولدت لعيسو يعوش. ويعلام. وقورح/١٥ هؤلاء أمراء بنو عيسو. بنو أليفاز بكر عيسو. أمير تيمان. وأمير أومار. وأمير صفوا. وأمير قناز/١٦ وأمير قورح. وأمير جعشام. وأمير عماليق. هؤلاء أمراء أليفاز في أرض أدوم. هؤلاء بنو عدا/١٧ وهؤلاء بنو رعوئيل بن عيسو. أمير نحث. وأمير زارح. وأمير شمة. وأمير مزة. هؤلاء أمراء رعوئيل في أرض أدوم. هؤلاء بنو بسمة امرأة عيسو/١٨ وهؤلاء بنو أهوليبامة امرأة عيسو. أمير يعوش أمير يعلام أمير قورح هؤلاء أمراء أهوليبامة بنت صبعون امرأة عيسو الذي هو أدوم وهؤلاء أمراؤهم/٢٠ هؤلاء بنو سعير الحوري سكان الأرض. لوطان شوبال صبعون عنى/٢١ ويصون إيصر. ديشان. هؤلاء أمراء الحوريين بنو سعير في أرض أدوم/٢٢ وكان ابنا لوطان. حوري. وهيمام. وكانت تمناع أخت لوطان/٢٣ وهؤلاء بنو شوبال. علوان. ومناحة. وعيبال. وشفوا. وأونام/٢٤ وهذان ابنا صبعون أية وعنى. هذا هو عنى الذي وجد الحمائم في البرية. إذ كان يرعى حمير صبعون أبيه/٢٥ وهذا بن عنى ديشون. وأهوليبامة هي بنت عنى/٢٦ وهؤلاء بنو ديشان. حمدان. وأشبان. ويثران. وكران/٢٧ هؤلاء بنو إيصر. بلهان زعوان. عقان/٢٨ هذان ابنا ديشان عوص وأران/٢٩ هؤلاء أمراء الحوريين أمير لوطان. وأمير شوبال. وأمير صبعون. وأمير عنى/٣٠ وأمير ديشون. وأمير إيصر. وأمير ديشان. هؤلاء أمراء الحوريين في أرض سعير بأمرائهم/٣١ وهؤلاء الملوك الذين ملكوا بأرض أدوم. قبلما ملك ملك من بني إسرائيل/٣٢ ملك في أدوم بالع بن بصور. وكان اسم مدينته دنهابة/٣٣ ومات بالع فملك مكانه يوباب بن زارح من بصيرة/٣٤ ومات يوباب فملك مكانه حوشام من أرض التيماني/٣٥ ومات حوشام فملك مكانه هداد بن بداد[1]. الذي كسر مديان في بلاد مؤاب. وكان اسم مدينته عويت/٣٦ ومات هداد فملك مكانه سملة من مسريقة/٣٧ ومات سملة فملك مكانه شأول من رحوبوت النهر/٣٨ ومات شأول فملك مكانه بعل حانان بن عكبور/٣٩ ومات بعل

---

(١) هداد بن بداد: كان هذا في عصر إبراهيم فمن هو مدين هذا الذي كسره إقرأ وراجع أيها القاريء في كتابهم.

حانان بن عكبور. فملك مكانه هداد. وكان اسم مدينته فاعو. واسم امرأته. مهيطنيل بنت مطرد بنت ماء ذهب/ ٤٠ وهذه أسماء أمراء عيسو حسب قبائلهم. بأماكنهم وأسمائهم. أمير تمناع. أمير علوة. أمير يتيت/ ٤١ أمير أهوليبامة. وأمير إيلة. وأمير فينون. وأمير قناز. وأمير تيمان. وأمير مبصار. وأمير مجدئييل. وأمير عيرام. هؤلاء أمراء أدوم حسب مساكنهم في أرض ملكهم. هذا هو عيسو أبو أدوم//

الأسماء تلك كلها أسماء عربية قديمة. قد حورت بحسب اللفظ العبراني. ثم في ترجمتها ثانية. فلو قلنا عن ابن عيسو البكر. أليفاذ. فهو الفائز. وتيمان. أيمن. وأومار. عمر. أو عمار. وصفوا. هو صفو. وقناذ عناز. صاحب المعزى. وقورح. قارح. وشمة. جاءت من شمة. ومزة. أي قبل الاستواء والنضج. ويعوش يعيش. ويعلام. علام. وبسمة. معلومة عروبتها. ولايوجد اسم إلا وهو عربي لو تمعنت به.

والحوريون أهل الأرض. وهم الذين لجأ إليهم عيسو. وعاش بينهم وهم الأدوميون. وليس عيسو إن جميع أسمائهم عربية لمن تمعن بها. فهذا حمدان. وهيام. همام. وحوري وتمناع. وعلوان. ومناحة وعنى. أو غنى. وسعير حتى اسم الأرض عربي لحرها في الصيف. فما هي لغة الأدوميين ؟.

ولنتمعن بأسماء من ملك في أرض أدوم كما يذكر الكاتب. إن أسماء الجميع عربية قديمة. وآخرها هو مهيطنيل بنت. مطرد. بنت ماء ذهب. فمن هم الأدوميون.

لقد ذهب عيسو وسكن بين الأدوميين إحدى القبائل العربية العاربة. وكان الرجل نبيلاً كريماً شجاعاً سمحاً. فأكرموه. وعايشوه. وذاب بينهم. ولاشيء سوى هذا. ولكن الكاتب الذي كتب والحق ماكتب بالتوراة يريد أن يجعل الناس كلهم أبناء إبراهيم. ولن يتم هذا إلا إذا أفنى جميع من سكن الأرض قبل إبراهيم. ولما لم يستطع بالسيف أفناهم بالقلم. وصدقه الناس. وتابعوه. وظنوا هذا من الدين. وساعدهم أن العرب في الشمال أميون لقد جاء عيسو لمقابلة يعقوب ومعه أربعمائة رجل. ألم يولد لأولئك من ولد ؟.

يوسف النبي عليه السلام ورؤياه

ونرى في يوسف نهضته ... قد ناهز حلماً ونراه
إن جاء بيوم لأبيه ... في خبر يذكر مجراه
ياأبت نظرت في الرؤيا ... عيناي لحلم مراوه
لكواكب أذكر ياأبت ... سجدت لي ثم تعداه
قمر والشمس كذا سجدا ... لي دون سواي بذكراه
هي إحدى عشرة في عد ... لكن الوالد أوصاه
إياك بني فلا تقصص ... رؤياك وخيراً تلقاه
إياك الأخوة تخبرهم ... عن تلك الرؤيا ونهاه
فيكيدوا الكيد ولن تقوى ... أبني أكتم ذا وانساه
لكن الأخوة قد علموا ... فارتفع الحسد لأقصاه
وانتقل الحسد إلى بغض ... واشتور القوم إلى ماهو
القتل ليوسف ينقذنا ... ويعيد الوالد لهداه
لكن البعض رأى البقيا ... في قعر البئر ليلقاه
بعض السيارة إن وردوا ... والجمع لهذا أمضاه
وبكر جاؤوا لأبيهم ... هل ترسل يوسف أبتاه
أرسله غداً ليرى المرعى ... وبلعبٍ يَرْتَعُ وَنَرَاهُ

تآمر إخوة يوسف على قتله

وبقي يعقوب يسكن الخيام. يربي الماشية. وظل متبدياً. يتابع مع أسرته مساقط المطر. ولم يسكن بيت حجر. وكانت مواشيه تكثر وتقل حسب سنين الخصب والجدب. وكان يحب يوسف أكثر من جميع بنيه. كأنه يرى فيه أمه راحيل المتوفاة. ويرعاه مع أخيه بنيامين رعاية خاصة مما أوغر صدور الأخوة على يوسف. ولعبت الغيرة دوراً كبيراً رغم رجولة الاخوة. حتى أنهم جعلوا يتمنون موت يوسف بأي نازلة. حتى يخلو لهم وجه الوالد.

لقد كان البغض بين الأختين. وقد زُرع ذلك البغض. كما تزرع البذور. وتعهده الحال والقدر حتى نمى نمواً هائلاً. وكتمه واقع الحال أيضاً. فحب يعقوب لراحيل. بدأ الحسد بين الأختين الكبرى. ذات الحق بالزواج الأول. والصغرى ذات الحق بالحب الذي بدأ عند رؤية

يعقوب أول مجيئه عند بئر الرعاة. وزاد البغض عند تقديم ليئة من قبل أبيها زوجة ليعقوب يضرب بالاتفاق عرض الحائط. رغم الحب المكتوم بين يعقوب وراحيل. وزاده الزواج من الأختين ليكون الضر حافز البغض. وأضرم ناره. ولادة الكبرى. وحبس الولد عن الصغرى وانتقل البغض من الأختين إلى أولادهما. ولكن يوسف لم يكن يعرف البغض. ولاالحقد وكان أخوه أصغر سناً. ولايذكر شيئاً عن حياة الأختين وزاد حب يوسف في قلب يعقوب. مع تذكر راحيل. وكانت صورة راحيل في وجه يوسف وشكله فلم يسمح به لعمل أو مفارقة. حتى ائتمر الاخوة لقتل يوسف. وزاد الطين بلة أن يوسف رأى رؤيا. فقصها على أبيه الذي يعرف تأويل الرؤيا بعلم من أبويه إسحق وإبراهيم. وكانت النبوة ميزة له عمن سواه من جيرته ولداته. وليس هو من أهل المكر والخداع كما ذكر كاتب الكتاب فمن نفس الكتاب يعرف القاريء أن الرجل بريء مما نسب إليه من المكر والاحتيال

ويخبرنا جل وعلا في القرآن الكريم بعض ماكان من أحداث الرؤيا. وتفسير الوالد لها ونصحه ليوسف بكتمها. ففي سورة يوسف الأية/٤: ﴿إذ قال يوسف لأبيه ياأبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين * قال يابني لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للانسان عدو مبين * وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق إن ربك عليم حكيم﴾.

لقد نصح الوالد ولده بكتم الرؤيا التي رأى. وخاصة عن إخوته الذين يعرفون تأويلها. فيزداد البغض والحقد الذي يعرفه الوالد. ولم يستطع إزالته.

ولكن يوسف وقد ناهز الحلم أو قاربه. لم يستطع كتم رؤياه عن كل واحد حتى وصلت إلى الأخوة فأجمعوا الأمر على البت بأمره. فقال البعض بقتله وقال البعض بإلقائه ببئر كانت في طريق القوافل التي تأتي من الحجاز. ونجد لتمر إلى مصر التي كانت ترتبط آنذاك مع بلاد العرب برباط متين وذلك أن ملوك مصر حينئذ كانوا من العرب.

ويخبرنا جل وعلا عن بعض هذا بقوله في الآية/٧: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين * إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾.

لقد أراد بعضهم قتل يوسف. وإنهاء أمره. وأراد البعض أن يضرب حتى لايستطيع التعريف بنفسه وتضاربت الآراء. فقال بعضهم ويظن بأنه الأكبر وهو روبين. لاتقتلوا يوسف

فإن القتل أمر عظيم ولكن نلقيه في البئر التي هي بطريق القوافل علّ بعض الواردين عليه يخرجونه. ويأخذونه فتكتفون أمره وعلى هذا استقر رأيهم. ويعرفنا تعالى بأمرهم بقوله في الآية/ ١٠: ﴿قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف * وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾.

وجاؤا إلى أبيهم يتملقونه ويتحببون إلى يوسف. وقالوا لأبيهم لم لاترسل يوسف معنا إلى المرعى ليرى البرية والأنعام تسرح وتمرح. ويرى العشب والزهر والورود بأشكالها وألوانها. فتقر عينه بذلك. فقد أوشك أن يصير رجلاً. يحتاج الخبرة والمعرفة. فإنه الآن لايعرف من ذلك شيئاً. فكأنك لاتأمننا عليه ونحن أهله وعترته. ومن أقرب للمرء من إخوته. وتظاهر القوم بالأسى لعدم ثقة الوالد بهم.

لقد كان يعقوب يعرف حقدهم. ويعرف بغضهم ليوسف. ولكنه لم يجب مصارحتهم بذلك فقال لهم. إني أخشى على يوسف من فتك الذئاب. فإنه لايستطيع حماية نفسه منها وفي هذه قوله تعالى يتم الحديث السابق: ﴿قالوا ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف * وإنا له لناصحون * أرسله معنا غداً يرتع ويلعب * وإنا له لحافظون * قال إني ليحزنني أن تذهبوا به * وأخاف أن يأكله الذئب * وأنتم عنه غافلون﴾ لم يكن عذر الوالد لعدم إرساله كافياً ومانعاً للطلب ثانية فقد كان الوالد يحرص على أن لايظهر خوفه على يوسف منهم، فجعل الذئب ستاراً. فقال أخاف أن يأكله الذئب وكانوا عشرة رجال وقد صار يوسف غلاماً يمكنه أن يرعى مع إخوته فأجابوه لذلك بقولهم: ﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون﴾.

لقد أفحموا والدهم وأصبح في إحدى الحالتين. إما أن يرسله معهم. وإما أن يصارحهم بأنه يخشى عليه منهم. وقد ثقلت عليه تلك الأخيرة. ليتم قدر الله فاستسلم لطلبهم. وأفرح هذا يوسف وربما كان إلحاح يوسف من الحوافز التي جعلت أبوه يرسله معهم. وكان هذا بما أخبر الله: ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون﴾.

ونذكر الآن ماجاء في كتاب العهد العتيق عن بدء قصة يوسف وذلك في الاصحاح السابع والثلاثين من سفر التكوين/١ وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان/٢ هذه مواليد يعقوب. يوسف إذ كان إبن سبع عشرة سنة. كان يرعى مع إخوته الغنم وهو غلام. عند بني بلهة. وبني زلفة امرأتي أبيه. وأتى يوسف بنميمتهم الرديئة إلى أبيهم/٣ وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته ـ مع أن بنيامين أصغر منه بسنوات ـ فصنع له

قميصاً ملوناً/ ٤ فلما رأى إخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع إخوته. أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام/ ٥ وحلم يوسف حلماً. وأخبر إخوته فازدادوا له بغضاً/ ٦ فقال لهم اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت/ ٧ فهانحن حازمون حزماً في الحقل. وإذا حزمتي قامت وانتصبت. فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي/ ٨ فقال له إخوته، ألعلك تملك علينا ملكاً. أم تتسلط علينا تسلطاً. وازدادوا أيضاً بغضاً له. من أجل أحلامه ومن أجل كلامه/ ٩ ثم حلم أيضاً حلماً آخر، وقصه على إخوته. فقال إني قد حلمت حلماً أيضاً وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي/ ١٠ وقصه على أبيه وإخوته. فانتهره أبوه وقال له. ماهذا الحلم الذي حلمت. هل نأتي أنا وأمك وإخوتك نسجد لك إلى الأرض/ ١١ فحسده إخوته وأما أبوه فحفظ الأمر/ ١٢ ومضى إخوته ليرعوا غنمهم عند شكيم ـ وشكيم تلك التي أباد ولدا يعقوب يهوذا ولاوي جميع رجالها وسبو نساءها. ونراهم يرعون أغنامهم في أرضها. فأين الحويين من قرابة أهلها ـ / ١٣ فقال إسرائيل ليوسف أليس إخوتك يرعون عند شكيم. تعال فأرسلك إليهم. فقال هاأنذا/ ١٤ فقال له إذهب أنظر سلامة إخوتك. وسلامة الغنم ورد لي خبراً. فأرسله من وطاء حبرون. فأتى إلى شكيم/ ١٥ فوجده رجل فإذا هو ضال في الحقل. فسأله الرجل قائلاً ماذا تطلب/ ١٦ فقال أنا أطلب إخوتي. أخبرني أين يرعون/ ١٧ فأجاب الرجل قد ارتحلوا من هنا، لأني سمعتهم يقولون لنذهب إلى دوثان. فذهب يوسف وراء إخوته فوجدهم في دوثان/ ١٨ فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم. إحتالوا له ليميتوه/ ١٩ فقال بعضهم لبعض هوذا صاحب الأحلام قادم/ ٢٠ فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحش رديء أكله فنرى ماذا تكون أحلامه/ ٢١ فسمع رأوبين وأنقذه من أيديهم وقال لانقتله/ ٢٢ وقال رأوبين لاتسفكوا دماً اطرحوه في هذا البئر التي في البرية ولاتمدوا له يداً. لكي ينقذه من أيديهم ويرده إلى أبيه/ ٢٣ فكان لما جاء يوسف إلى إخوته أنهم خلعوا عنه قميصه الملون الذي عليه/ ٢٤ وأخذوه وطرحوه في البئر وأما البئر كانت فارغة ليس فيها ماء//.

إن التخبط واضح في كتاب العهد العتيق في من أخرج يوسف من البئر، وماهي هوية القافلة التي مرت هل هي مديانية أم هي اسماعيلية. أم من الذي باع ومن الذي اشترى.

وهذا سفر التكوين نسبته إلى الله. ونستغفر الله من مثل هذا التخبط. وحاشاه من مثل هذا، إسماعيل العم الأكبر ليعقوب. ومدين العم الأصغر ليعقوب. فإذا لم يعرف الاسماعيليون. أو المديانيون يوسف ألم يخبرهم ابن من هو ؟ وأنه ابن عمهم. وهل يسلم ابن العم بابن عمه. ليبيعه عبداً ؟

إن الله يعلم كل شيء. والله لايخطيء ولايقبل الترهات. فلنعد إلى الطريق السوي نأخذه من باب الصواب. فالله جل وعلا يخبرنا أنهم جاؤا إلى يعقوب يبكون أخاهم. ويدعون أن الذئب قد افترسه وجاؤا بالقميص المغشى بالدم. وبات يوسف ليلة في البئر. وفي الصباح ذهب الرعاة يرعون وعيونهم ترقب البئر. فمرت قافلة من العرب أهي من الأدوميين العرب أم من المديانيين العرب. أو العمونيين العرب. لاندري وكانت في طريقها إلى مصر. فأتوا إلى البئر يستقون وجاء الوارد بدلوه. فأنزله إلى البئر. فتعلق يوسف في الحبل. وكان يوسف يجلس على حجر بجانب الماء. تجعل لمن يملأ الدلو مقعداً وتسمى الراعونة. فأمسك بالحبل وتعلق به وفي هذا يخبرنا خير مخبر في سورة يوسف الآية/١٩: ﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون. وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾.

لقد ورد الساقي في القافلة وتعلق يوسف فرآه الساقي. وصاح في فرح بالبشرى وأنه وجد في البئر غلاماً. ورآه إخوته الذين يرقبون البئر عن بعد. وأتوا إلى القافلة وقالوا إنه عبدهم وقد أبق بهم. وقال رجال القافلة. ولكننا نحن الذين التقطوه. فتم البيع مع زهد المشترين. ورغبة البيع من البائعين بثمن بخس بدراهم معدودة.

ومضت القافلة إلى مصر. وبعد أيام وصلت إلى عاصمة مصر. وعرضت بضاعتها وفيها يوسف فاشتراه، مدير شرطة مصر. ولقبه العزيز. واسمه بما ذكر كتاب العهد العتيق فوطيفار ويذكرون أنه كان خصياً من خصيان الملك.

لقد قبض إخوة يوسف ثمن يوسف ومضى التجار في طريقهم إلى مصر. والمسافة لاتقل عن سير عشرة أيام حتى وصلوا. وعرفه القوم من أين. وابن من هو. ولن يخفى على بني عمه إن كان التجار من أبناء إسماعيل عم أبيه الأكبر أو بما ذكر من وجود عم آخر واسمه مدين. ومدين في سن يعقوب تقريباً. ومن شاء فليراجع. فكيف يكون تجار من المديانيين. حتى ومن الاسماعيليين. ولم لم يقل من العيسويين. أو كما سماه من الأدوميين أو العمونيين. حتى والمؤابيين. فهل يخطيء رب الكون ومنزل التوراة في كل شيء؟.

ووصل التجار إلى مصر. وباعوا يوسف إلى عزيز مصر. وهو من الهكسوس. وكان الرجل طيب القلب. ولم يكن له ولد، فأحب يوسف حب الوالد لولده. فأراد أن يتبناه. وأخبرنا جل وعلا بأمره حيث قال في الآية/٢١: ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن

ينفعنا أو نتخذه ولداً وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾.

وأوصى الرجل زوجته بيوسف، وبين لها الغاية من شرائه، لربما نفعها شراؤه، فقد يهدى إلى الملك أو يباع بثمن مرتفع. أو يتبنياه إذا عرف فيه أهلية التبني بخلقه وخصاله. ورضيت الزوجة. ولما تأملته رغبت في تبنيه أكثر من زوجها. وبدأ تحسن أحواله في جسمه بعد تعب السير وإلقائه في الجب. وظهرت نباهته وتبدى ذكاؤه. وذهب اصفرار جسمه. وشحوب وجهه وبدا في رونق رائع. ولم يكن ليوسف من مثيل في جمال شكله وتقاطيع جسمه.

وكذلك ظهرت شمائله وسجاياه فهو الأمين المطيع. وكان حلو الكلام واللهجة واللفظ. كل هذا تظافر لاغراء امرأة ثرية. وزوجها كما ذكروه خصياً. ولانظن هذا. فالخصي قد يتخذ مملوكة لحاجته ولاتتزوجه امرأة ذات أهل ومكانة. ولكنها على أية حال ليس لها ولد. ولم تنجب أو ينجب زوجها فبدأ قلبها يدق الخطر بحبه وعشقه. وكتمت هذا. وصبرت عليه ولكن الأمر أعظم من الصبر في قلب المرأة. فظهر في أمرها ونهيها. ونبرات صوتها. ولربما خلت بنفسها وبكت. وندبت حظها. ومضى الحال ويوسف يتكامل جماله. ويصلح حاله. وقد خشن صوته بعد بلوغه مبلغ الرجال. وبرقت عيناه ببريق الشباب. فكانت الفتنة في جميع جوارحه وقد تملكت من المرأة جميع جوارحها. فلم تعد تطيق الصبر.

كتاب العهد العتيق وحالة يعقوب عندما أخبر بأن الذئب قد أكل يوسف

ويخبرنا تعالى عن الذي جرى ليوسف بعد نزوله إلى البئر وقد طمأنه الله تعالى على مصيره حيث قال في الآية/١٥: ﴿وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون﴾.

ورجع القوم إلى أبيهم مساء يحملون قميص أخيهم وقد لطخوه بدم أوجدوه أهو دم صيد أم دم جدي أم دم رعاف من أحدهم ؟ وكان القميص سليماً لم يمزق. مما ينبيء العارف الذكي بكذب ادعائهم وفي الآية/١٦: ﴿وجاؤا أباهم عشاء يبكون * قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وماأنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين * وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون﴾.

لقد تبين إلى يعقوب كذبهم عندما رأى الثوب سليماً والدم على صحيحه. ومن قولهم وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين. فقال بل سولت لكم أنفسكم أمراً وقد تأكد من سلامة يوسف ولكنه تأكد من أنهم لن يخبروه الحقيقة فسلم أمره إلى الله.

لقد بكوا وهم الرجال أمام عينيه فأبكوه. وصبر على حيلتهم وقولهم أنهم جعلوا يتسابقون ويوسف عند أمتعتهم ومواشيهم فجاء الذئب إليه وافترسه. والذئب لن يترك الغنم ويأتي إلى الغلام. وأقسموا له مع بكائهم أنهم يقولون الصدق. ولم يكن عند الشيخ قدرة التحقق بالقوة.

ونرجع إلى كتاب العهد العتيق من الاصحاح السابع والثلاثين من سفر التكوين/٢٥ ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً ورفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد. وجمالهم حاملة. كثيراء. وبلساناً. ولاذناً ذاهبين لينزلوا بها إلى مصر/٢٦ فقال يهوذا لاخوته. مالفائده لنقتل أخانا ونخفي دمه/٢٧ تعالوا لنبيعه إلى الاسماعيليين ولاتكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا فسمع له إخوته/٢٨ واجتاز رجال مديانيون تجار. فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر. وباعوا يوسف للاسماعيليين بعشرين من الفضة فأتوا بيوسف إلى مصر//.

/٢٩ ورجع روبين إلى البئر إذا يوسف ليس في البئر فمزق ثيابه/٣٠ ثم رجع إلى إخوته وقال الولد ليس في البئر موجوداً وأنا إلى أين أذهب/٣١ فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيساً من المعزى وغمسوا القميص بالدم/٣٢ وأرسلوا القميص الملون وأحضروه إلى أبيهم وقالوا وجدنا هذا، أقميص يوسف هو حقق فيه/٣٣ فحققه وقال قميص إبني. وحش رديء افترسه إفترس يوسف افتراساً/٣٤ فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة/٣٥ فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى. وقال إني أنزل إلى ابني نائحاً إلى الهاوية. وبكى عليه أبوه

وأما المديانيون فباعوه في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط//

هذا من حديث الكتاب ولم يفرق في الكتاب بين المديانيين والاسماعيليين. ولم يعرف القوم بعضهم ولم يسأل المديانيون إبن عمهم من أين وإلى أين ومن باعه. ثم ذهب القوم فباعوه في مصر أيضاً شيء مضحك وتخبط مؤلم مرير وصدق الناس أنه التوراة فالمديانيون والاسماعيليون أبناء عم لجدين فقط مدين عم يعقوب أخ لاسحق وإسماعيل الأخ الأكبر لاسحق هلاّ عرفت أيها القاريء ؟.

ولنعد الآن إلى حالة امرأة العزيز تلك التي ابتليت من حيث لاتعلم ببلاء عظيم هو أمر من الحنظل. فقد رأت المرأة ذات الثراء الواسع والجاه العريض والفتوة المكبوتة في فتاها من الجمال والكمال والفتنة مالم تستطع وتقوى على كبته.

لقد اختلت المرأة بيوسف وهو الذي في متناول يدها يقضي لها دائماً حوائجها ثم تشجعت

وطلبت منه مطلب المرأة من الرجل. مطلب العاشق من معشوقه. فأصابه الذهول وغلبته الدهشة. فتى في السابعة عشرة من عمره. وسيدته في منتصف عمرها تطلبه إلى نفسها فغلبه الحياء. ثم تخلص منها بقوله إن سيده الذي أحسن إليه وأظهر له الود والحب وكأنه في وده الوالد مع ولده فهل يحق له خيانته ؟ فهو مدين بكل شيء لسيده في حاضره.

لم تيأس المرأة وطلبته ثانية وبثته أشواقها. فرفض. فنزلت عن عزة نفسها وبكت لديه فأثرت فيه حتى أنه هم باستجابة طلبها ويخبرنا تعالى ببعض ماكان بينهما في الآية/٢٢ من سورة يوسف: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين * وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لايفلح الظالمون * ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك نصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾.

ومن هذا إنه أوشك أن يستجيب لطلبها لولا منة الله عليه وفضله وحماه الله من فتنة الشيطان وذلك ببرهان لايعلمه سوى الله.

والبرهان لم يذكره الله إلا بما جاء في الآية الكريمة وجعل المفسرون يخمنونه تخميناً ليس عند أحدهم مايستند إليه. فمن قائل أنه رأى يعقوب ومن قائل أنه رأى الملك الذي أوحي إليه وهو في البئر وكذا وكذا وأظن أن يوسف قد عاد إلى وعيه بفضل ربه فخشي الزنا والخيانة فرجع إلى عقله. وتغلب على الفتنة والاغراء. فذهب يعدو وجرت خلفه. فقد أصاب كبرياءها وعاطفتها في الصميم فاندفعت وراءه حتى وصل إلى الباب المغلق. فقبضت على قميصه من الخلف. وقد فتح الباب واندفع خارجاً إلى الباب الخارجي فالله جل وعلا يقول: ﴿وغلقت الأبواب﴾ فشق القميص الذي يلبسه من الخلف وفتح الباب الخارجي. ودخل السيد الذي رأى يوسف والمرأة بحالة مريبة. والمرأة من خلفه. وقد تكلم الحال عن حالين وبادرته المرأة لتقدم حالاً عن حال فقالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً ؟ تريد الفاحشة.

وقد أخبرنا جل وعلا عن ذلك بقوله في الآية/٢٥ : ﴿واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ماجزاء من أراد بك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم * قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن قميصه قدَّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين * وإن كان قميصه قدَّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين * فلما رأى قميصه قدَّ من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم * يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾ لقد أظهر الحال الحالة فهذا يوسف يريد فتح الباب للهرب والمرأة من خلفه

ولكن المرأة بسرعة بديهتها قلبت الأمر فجعلت يوسف هارباً من نقمتها. وأنها تريد ضربه وعقابه. فلم يصبر يوسف على ادعائها وكذبها. بل قال هي راودتني عن نفسي. وأني قد هربت من الفاحشة وكانت شهادة الشاهد العامل الذي حسم الحادث. وكان الرجل الشاهد من أهلها. ويظن أنه والدها أو وليهامن ذويها. وقد استدعي للحاجة إليه، فقال الرجل الحكيم، أنظر إلى القميص فإن كان شقه من الأمام فإنها شقته دفاعاً عن نفسها. وإن كان شقه من الخلف فانها شقته في جذبه إليها بهروبه منها. وكان الأمر كما قال يوسف. فالتفت العزيز إليه. وقال يايوسف تناسى الأمر. ثم التفت إلى امرأته. وقال لها استغفري ربك. فإنك كنت خاطئة. ولاتعودي لشيء من هذا.

لقد حلت تلك المشكلة ظاهراً. ولكن العشق أمره عظيم. وخاصة إذا كان المعشوق قبالة العاشق والأهم من هذا أن يكون قيد أمره. وقد اختلف المفسرون في من يكون الشاهد الذي هو من أهلها. فاختلق بعض القصاصين أقوالاً. أخذ المفسرون ببعضها. ولكن دينهم منعهم من تأكيدها حتى أن ابن جرير الطبري أورد حديثاً قال فيه أن رسول الله ﷺ قال: «تكلم أربعة وهم صفار بن ماشطة بنت فرعون. . وصاحب يوسف. وصاحب جريج. وعيسى بن مريم.».

ولاقيمة لكل تلك التفاسير فإن الله خاطب ذوي الألباب. وبقي يوسف يخدم في بيت سيده حتى كثرت الاشاعات في قصة امرأة العزيز مع عبدها. ويذكر كتاب العهد العتيق هذا في الاصحاح التاسع والثلاثين بمايلي/٧ وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت اضطجع معي/٨ فأبى وقال لامرأة سيده. هو ذا سيدي لايعرف معي مافي البيت. وكل ماله دفعه إلى يدي/٩ ليس هو في هذا البيت أعظم مني. ولم يمسك عني شيئاً غيرك. لأنك امرأته فكيف أصنع هذا الشر العظيم. وأخطيء إلى الله/١٠ وكان إذ كلمت يوسف يوماً ويوماً، أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها/١١ ثم حدث نحو هذا أنه دخل إلى البيت ليعمل عملاً. ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت/١٢ فأمسكته بثوبه في يدها وهرب إلى الخارج/١٤ أنها نادت أهل بيتها. وكلمتهم قائلة انظروا. قد جاء إلينا بهذا العبراني ليداعبنا. دخل إلي ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم/١٥ وكان لما سمع أني رفعت صوتي وصرخت. أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب. وخرج إلى خارج/١٦ فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته/١٧ فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إلي العبد العبراني الذي جئت به إلينا ليداعبني/١٨ وكان لما رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبي. وهرب إلى خارج/١٩ فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذي كلمته به. قائلة بحسب هذا الكلام صنع بي

عبدك أنه حمي غضبه/٢٠ فأخذ يوسف سيده ووضعه في بيت السجن. المكان الذي كان أسرى يجتمعون فيه. وكان هناك في بيت السجن/٢١ ولكن الرب كان مع يوسف. ويسط إليه لطفاً، وجعل نعمة له في عيني رئيس السجن/٢٢ فدفع رئيس بيت السجن إلى يد يوسف جميع الأسرى الذين في بيت السجن حتى ماكانوا يعملون هناك كان هو العامل/٢٣ ولم يكن رئيس السجن ينظر شيئاً البتة مما في يده//.

لقد أعيدت كلمة العبراني مرات فهل كانت هناك أمة عبرانية يعرف الفرد فيها بالعبراني ومهما ترجمت الكلمة فإنها كلمة لهامدلولها. وهل أبناء إسماعيل عبرانيون. وأبناء مدين وكذا أبناء عيسو أليس هذا من التوراة وهل يخطيء الرب في كل شيء ؟.

لقد كتمت قصة امرأة العزيز مع يوسف ولكن السر إذا تعدى الاثنين لابد من ظهوره. وإشاعته حتى وتداوله في المجالس وتفننت الألسن في تنميقه وخاصة بين النساء. ذوات الثراء. واللاتي لايطلب منهن العمل كنساء الأكابر. وعلمت امرأة العزيز بالخبر. فأرسلت إلى النساء اللواتي كن يتداولن الحديث في المدينة تدعهن إلى وليمة يحضرنها معاً. وأعدت مجلساً لاستقبالهن فيه. بعد أن ألبست يوسف وجهزته لكي يرينه. وجعلت على المائدة أصنافاً من الفواكه التي تقطع من الآكل بالسكين. كالتفاح والأترج والأجاص. والسفرجل. فأجبن دعوتها. وجلسن في المقاعد حول الموائد. ووضعت الفواكه والسكاكين. فأخذن بقطع الفاكهة. وقالت ليوسف أن أخرج عليهن من مخدع قبالتهن. فخرج يوسف. ودهشت النسوة لرؤيته. واستعملن السكاكين في أيديهن ولم يشعرن بالألم. وسالت دماء أيديهن على الموائد. وقلن ماهذا. إنه ليس من البشر. فقالت امرأة العزيز هذا الذي تحدثتن عني بسببه. فما رأيكن ويخبرنا جل وعلا عن هذا بقوله في الآية/٣٠: ﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين. فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن * وأعتدت لهن متكئاً وأتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم * قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ماآمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين﴾.

لقد أظهرت عشقها أمام النساء حتى وهددته أمامهن بالسجن إن لم يستجب لطلبها وذلك بسمعه وعرف أنه لن تتركه من شرها. وله أن يختار أحد الأمرين. الاستجابة لطلبها أو السجن فقال بما ذكر الله يتم ويعقب على قولها: ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم * ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾.

لقد سمع يوسف من السيدة تهديدها. وسمع من النساء قبول عذرها. وربما طلبن منه أن يتفتح للحياة. ويفعل ماأرادت. فاختار لذلك السجن خوف الفتنة. وتعوذ بالله من الفتنة فأجاب الله طلبه وكان السجن الذي هُدِّدَ به. والذي كان سبب رفعه من بعد خفض.

لقد عرف القوم براءة يوسف وتأكدوها ومع ذلك أدخلوه السجن. وذلك أنه إذا لم يسجن تكون براءته تلطيخ سمعة السيدة. ولذا كان سجنه إظهار صدقها وتكذيبه وتلك هي الحياة في المجتمعات الراقية. ومن جهة أخرى ربما خافوا على نسائهم من افتتانهن بجماله.

وأدخل يوسف السجن وهو يطلب من ربه اجتياز المحنة بسلام. وكان السجن الذي دخله يوسف كغيره من السجون. يدخله المجرم والظالم. ويدخله البريء والمظلوم. والغني والفقير. والشريف والوضيع وكان يوسف الشريف الأمين المظلوم الفقير. يجالس الظالم والمظلوم. ويبدأ يتعرف إلى الناس. ويتعرف منهم على الحياة فالسجن مدرسة لمن أراده مدرسة يعلم الخير. ويعلم الشر كذلك.

ورأى يوسف أن السجن دار دعوة للايمان وللتوحيد. وللعبادة واليقين. فبدأ يدعو من في السجن إلى عبادة الله وتوحيده، ويحبب لهم الخير وفعله. ويكره لهم الشر وفعله. وأنصت إليه المسجونوُن ثم جعل يفسر لكل واحد منهم مايراه في رؤياه، فكان تفسيره مصيباً في كل تفسير.

وعرفنا أن يوسف دخل السجن مع اثنين كانا من خاصة الملك وهما ساقي الملك. والقائم على طعامه وقد رأيا في ليلة واحدة كل واحد منهما حلماً فقصاهما على يوسف وقد أخبرنا جل وعلا عن ذلك في الآية/٣٦: ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين * قال لايأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالأخرة هم كافرون * واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون * ياصاحبَي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ماتعبدون من دونه إلا أسماءً سميتموها أنتم وأباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾.

يظن أن مؤامرة اكتشفت في قصر الملك اتهم فيها القائمون على طعام الملك وشرابه واعتقل رئيس السقاة. ورئيس القائمين على أمر الطعام أو الطهاة. ودخلا السجن في اليوم الذي دخل فيه يوسف. وسمعا منه الكثير من الوعظ وتفسير الأحلام فاعترفا بفضله وجالساه رغم ترفعهما

لقد كان يوسف رسولاً. بدأت رسالته في السجن. وكان أسلوبه الاقناع. والمعايشة. وذلك أسلوب إبراهيم الأخير بعد مغادرته مسقط رأسه. وذلك أيضاً أسلوب إسحق ويعقوب وإن لم يكونا رسولين فقد كانا نبيين والرسالة في إسماعيل مع النبوة ففي سورة مريم في الآية/٥٤: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً * وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً﴾ أما عن رسالة يوسف فقد قال تعالى في سورة غافر الآية/٣٤: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾.

لقد حصلت في قصر الملك مؤامرة تستهدف قتل الملك وقد اتهم المشرف على طعام الملك بالاشتراك فيها وكذلك المشرف على شرابه فسجنا وبدأ التحقيق في المؤامرة. وقد رأيا من عقل يوسف ومن تفسيره أحلام المسجونين. العلم والصدق. وسمعا من أقواله الحكمة. والحقيقة. فقصا عليه كل واحد رؤياه كما أخبرنا الله عنها. فقدم طلب الرسالة على التفسير. ولما أتم قول الرسالة ذكر لهما تفسير رؤياهما فقال: ﴿ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان * وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾.

لقد فسر لهما حلميهما. فرضي الساقي. وأنكر صاحب الخبز رؤياه. وقال لم أر شيئاً فكان قول يوسف: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أي أنه لاكذب على الله، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ﴿من أرى عينيه مالم تريا فليتبوأ مقعده من النار﴾ وقولنا أنكر من الاستنتاج والتفت يوسف إلى الساقي الذي ظن نجاته. أي توقع نجاته. حدث الملك بظلامتي فقد ذكرت لك. وعرفت أنت براءتي. عَلَّ الملك يخرجني من السجن ويطلق سراحي. فوعده الساقي خيراً. إذا صح تفسير الرؤيا. وكان أن الأمر كما فسر الحلمين يوسف. لقد تم التحقيق في أمر الخباز والساقي. فثبتت مؤامرة الخباز فصلب. وظهرت براءة الساقي فأعيد إلى عمله. وجعل يوسف ينتظر وساطة الساقي. ولكن الساقي نسي كل هذا ولم يعد يذكر وصاية يوسف لسنوات. وكما قال تعالى: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾ والبضع هي مابين الثلاثة والعشرة. ولو اختلف المفسرون في عدد سنين سجن يوسف. وكذا في عدد أيام بقائه في البئر. كما اختلفوا في أمر سرقته. وفي نوع عصا موسى وفي عدد أصحاب الكهف. وقد جعلوا لهم أسماء. ولكلبهم إسماً. لايستندون في كل هذا على شيء. وكل هذا لايهم القاريء في شيء. فقد مضى ماغمض في حينه. فكيف يستجلى بعد عشرات السنين ؟ وماهي الحاجة إليه.

فقد أبقى الله جل وعلا يوسف في السجن. حتى آن أوان. رؤيا الملك التي رأى والتي غير الله بها الحال التي كان فيها يوسف.

وفي إحدى الليالي استيقظ الملك على رؤيا أفزعته. وطردت النوم من عينيه. وذلك أنه كان بجانب نهر النيل في مارأى. وإذ بسبع بقرات جميلات بسمنهن يخرجن من النهر متتابعات. قد عرضن على الملك شكلهن الجميل. فأعجبنه وهن يتتابعن على نسق واحد. فجعل الملك يتأملهن. وإذ قد خرج من مكان خروجهن أيضاً سبع بقرات قبيحات هزيلات. فمشت القبيحات إلى الجميلات فابتلعتها. وبقيت على هزالها. فاستيقظ الملك مرعوباً وعلى غيظ. فرأى الأمر في أنه بحلم فمسح عينيه. وعاد إلى نومه. فرأى للحال والتو. سبع سنابل خضر زاهيات. فجعل يتأملها. وإذ بسبع سنابل يابسات قد خرجت عند سوقها والتفت عليها فأيبستها. فاستيقظ ثانية على رعب.

وفي الصباح جمع الحكماء والعلماء والسحرة والمنجمين. وقص عليهم رؤياه. وطلب تفسيرها فالأمر قد أهمه. وحسب لرؤياه ألف حساب إذ أن الموحش الرديء. قد تغلب على المؤنس الحسن وخاصة بتوافق الأعداد في حلميه، وحث القوم على تأويل رؤياه. ولكن القوم نكسوا رؤسهم ولم يحيروا جواباً. فتأويلهم لرؤياه معناه زوال ملكه. فأمسكوا عن الاجابة. وقال أشجعهم وكأنه يعزي الملك. أيها الملك إنها لأحلام مخزومة. وليست بشيء. لعلك تنساها.

لقد أجمع القوم على أنها أخلاط أحلام ليست بذات بال. وكان الساقي يسمع الرؤيا من فم الملك ويسمع رد المفسرين فتذكر السجن ومفسر الأحلام الصديق يوسف. فتقدم للملك وقال أيها الملك إني أعرف من يفسر لك الحلم بحقيقته. فأرسلني إليه. ويخبرنا جل وعلا عن ذلك بقوله في الآية/٤٣: ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يأيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا أضغاث أحلام ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين * وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أونبئكم بتأويله فأرسلون﴾ فأرسل الملك الساقي إلى السجن حيث طلب يوسف وبشره بعد أن اعتذر إليه عن النسيان. فقال الصديق: سأخبركم بهذا أما البقر فهي أعوام. فالسمان منها سنوات خصب والهزال منها سنون جدب والخصب سيكون أولاً. وتأتي السنون الجدباء من بعده. والسنابل جاءت كذلك للتأكيد. الخضر للخصب واليابسات للجدب ثم عاد وذكر الناس وأرشدهم إلى أن يخزنوا الغلال من السنوات الخصيبة لسنين الجدب ويخبرنا تعالى عن هذا بقوله في الآية/٤٦ يبدأ بقول الساقي: ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون * قال تزرعون سبع سنين

دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون * ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾.

لقد أخبر يوسف ساقي الملك بتفسير حلم مليكه، ولم يشترط عليه شيئاً مكتفياً بالتذكير السابق فرجع الساقي إلى الملك الذي كان على أحر من الجمر ليعلم تفسير ذلك الحلم المريع. وأخبر الملك بتفسير رؤياه فانشرح صدره وذهب عنه ماكان يجده من خوف من عاقبة ذلك الحلم.

لقد عرف الملك التأويل وتأكد من وقوع غاية الحلم. ولكن كيف التدبير في خزن ذلك الغلال فإنه يحتاج إلى خبرة ومعرفة. فأراد أن يسمع من يوسف ويراه فأرسل بطلبه.

وجاء الرسول إلى يوسف بأمر الملك ولكن يوسف لم يخرج من السجن إنما طلب البراءة مماوصم به ودخل بسببه السجن ويخبرنا جل وعلا عن هذا في كتابه العزيز في الآية/ ٥٠ : ﴿وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم * قال ماخطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ماعلمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾.

لقد ورد في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى ورحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن مالبث يوسف لأجبت الداعي».

إن عدم إجابة الداعي فيه حث على بيان براءته قبل خروجه من السجن. واستقباله من الملك وهو بريء سيكون غير استقباله وهو متهم أو مشكوك في براءته.

ولما بانت براءته وظهرت تنهد الصعداء وحمد الله وقال بما أخبر الله يوجه الكلام إلى عزيز مصر إلى سيده الذي كما قال: إنه ربي أكرم مثواي وأحسن إلي يتم الآيات السابقات ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لايهدي كيد الخائنين﴾.

لقد قصد يوسف أن يعلم سيده وكل من شك بأمره من وجوه مصر أنه لم يكن في يوم خائناً.

ثم عاد عن تزكية نفسه ونسب ذلك أنه من الله وماهو إلا كغيره من بني الانسان فقال بما

أخبر الله: (وماأبريء نفسي[1] إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربي إن ربي غفور رحيم) فازداد الملك شوقاً لرؤيته وقد ارتفعت مكانته في قلبه فقال الملك بما أخبر الله: (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين[2]) فقال يوسف وقد طلب التولية لأمر يظنه لخير الناس (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم. وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولانضيع أجر المحسنين. ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) إن عاقبة التقوى الخير للمرء في دنياه وآخرته وفي ذلك حث على التقوى.

لقد ارتفعت مكانة يوسف عند الملك عندما ظهرت براءته من التهمة التي سجن فيها وكان قد أعجبه تأويله لرؤياه ولما وصل إليه رأى فيه صورة توحي بالأمانة والاخلاص فأراد منه أن يتولى عملاً في الدولة. فطلب يوسف الاشراف على زرع الأرض وانتاجها وحفظ مخزونها. وقد عرف أن هذا لايتم إلا بقوة فطلب التولية وأصبح وزير تموين ومدير شرطة.

إن«العزيز» في مصر تعني في ذلك العهد وزير الداخلية أو مدير الشرطة أو الاثنين معاً فجمع يوسف مع وظيفة العزيز الاشراف على التموين وصار يوسف عزيز مصر مكان سيده الذي اشتراه وربما كان هذا بعد عجز عزيز مصر السابق أو بعد موته.

وربما كان يوسف يرى وظيفة العزيز وتعجبه من حيث تبني العدل وغوث المظلوم وأما علم يوسف القراءة والكتابة فقد جاء إليه وحصل عليه في بيت العزيز وأتم هذا في السجن لأن أهله كانوا بداوى بما في البداوة من معنى. وبدأت سنون الخصب تتوالى وجعل يوسف يبني المخازن للغلال الفائض في جميع بلاد مصر ويجمعها فيها حتى مرت سنوات الخصب السبعة وقد جمع فيها الغلال الكثير دريساً الحب مع تبنه وجمع الناس ما فاض عنهم لأنفسهم. ثم بدأت سنوات القحط تتوالى وجعل الناس يأكلون ماأدخروا ويطعمون التبن لدوابهم حتى نفذ الفائض المدخر الذي بأيدي الناس وبقي الذي ادخره يوسف واحتاج الناس إلى الطعام وجاع الناس والتجأوا إلى يوسف، فجعل يوسف يأمر بالغلال فيذرى ويصفى فيبيعهم الحب لطعامهم والعلف لدوابهم وصار ليوسف. الاحترام من جميع طبقات المجتمع لعلمه ولعمله وعدله وتواضعه وأصبح أمر الجميع إليه عدا عن الملك وحاشية الملك وجيش الملك. وقد تبنى العدل فعلاً وتعليماً فكان يأمر بعبادة الله والمعاملة الحسنة. وأصبح الناس في أمر التموين عنده سواسية.

---

(١) تذكر إذ همت به وهم بها.

(٢) أي لن تخشى بعد اليوم ظلماً.

كان القحط عاماً في الشرق الأوسط وعلى الأقل قد شمل مصر وما جاورها من بلاد الشام والحجاز وقد جاع أهل يوسف كغيرهم واحتاجوا المؤونة وقد علموا أن في مصر غلال يباع على الناس أيٌّ كان الناس.

وجمع يعقوب أبناءه وطلب إليهم أن يذهبوا إلى مصر ليبتاعوا الطعام كغيرهم من الناس الذين يطلبون المؤونة.

لقد جاء القحط على الخف والحافر لأن الأرض أمسكت بقولها لامساك السماء ماءها ولم يعد في السنة التي تلت الأولى في الأرض ماتأكله الماشية ولو وجد لسيق الناس إليه فالأمر عظيم والخطب جسيم.

فمضى إخوة يوسف إلى مصر بطلب المؤونة وكان بيع الحب لكل من يأتي بقدر معلوم ولذا توجهوا جميعهم يحملون المال ولم يبق إلا (بنيامين) شقيق يوسف فلم يسمح أبوه بسفره فهو ابن راحيل الحبيبة إلى قلبه وأصغر أولاده جميعاً وكان يحبه كما يحب يوسف.

كانوا عشرة رجال أجسامهم عامرة وهيئتهم حسنة أقوياء وأذكياء من ينظر إليهم يحترمهم ويقدرهم فللشكل مكانته. ولايعرف المرء إلا بعد تجربته ليعرف فيه عامل الخير أو عامل الشر.

لقد عم القحط والجدب منطقة الشرق الأوسط وقلب افريقيا لأن نهر النيل لم يفض وتأثرت بلاد الشام به فلم تكد تمر السنة الثالثة حتى لم تعد في الأرض خضرة ولم تبق للسنة الرابعة أياً من العشب اليابس والأخضر فقضت على الأنعام والماشية ولم يبق ليعقوب وأولاده شيء منها وكانوا رعاة أغنام وماعز ولولا ادخارهم بعض النقود من فضة وغيرها لساءت الحالة أكثر مما وصلت إليه وجاء القوم إلى يوسف الذي كان يبيع الطعام للرجل عن أسرته وليس للتجار فإن أمر الجوع أعظم من أرباح التاجر.

وكان يوسف يسأل الناس من أين أنتم ؟ يتسقط أخبار أهله. ويتعرف أحوالهم ورأى إخوته فعرفهم دون أن يعرفوه فسألهم من أين هم ومن هم. فأخبروه عما سأل. ولكنه تجاهل المعرفة واتهمهم بالتجسس. وأمسك عن بيعهم الطعام. فأدلوا له بحجتهم ومنها أنهم اثنا عشر رجلاً لأب واحد فقد أحدهم وبقي الصغير عند والده الشيخ يقوم بأمره ويخبرنا جل وعلا عن وصولهم إلى مصر ودخولهم إلى يوسف بقوله: ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون * ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين * فإلم تأتوني به فلاكيل لكم عندي ولاتقربون * قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون﴾.

لقد أنهى يوسف أمر الاتهام لاخوته بالتجسس حيث أعلموه بعددهم وأسمائهم وأسماء أبائهم فأعطاهم عشرة أحمال. ولم يعطهم عمن غاب منهم فطلب حضوره فيتعرف بذلك على صدقهم. ويثبت طلباتهم فيما بعد. وإذا لم يحضروه فمعنى ذلك أنهم كاذبون. وليس لهم ميرة بعد ذلك.

وذهب القوم وقد قالوا أنهم سيخبرون أباهم عسى أن يقبل ويرسله معهم ومما لابد من ذكره أن يوسف أمر الغلمان بوضع ماأخذ من ثمن الطعام في أعدالهم ففعل الغلمان ذلك دون أن يشعر إخوة يوسف في ذلك.

ويخبرنا جل وعلا عن يوسف كيف أمر غلمانه بفعل ذلك في الآية/٦٢ ﴿وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون * فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا ياأبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون * قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين * ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا ياأبانا مانبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير * ذلك كيل يسير * قال لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقاً من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما أتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل﴾.

ولما عاد القوم الى ديارهم أخبروا والدهم بما جرى لهم مع عزيز مصر و أنه اتهمهم بالتجسس وأن العزيز لا يعطي الانسان إلا حمل دابته فقط. وإنه منع عنهم العودة الى الشراء حتى يحضروا معهم أخاهم بنيامين. فلما سمع الشيخ هذا منهم ارتاع و خاف على بنيامين. و لما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم اي الفضة ثمن الحب في أعدالهم. فقالوا لأبيهم لن يضام اخونا فهذا ثمن الحب قد أرجع الينا وسنزداد بذهابه معنا حمل بعير. فطلب الرجل منهم المواثيق والعقود لحفظ بنيامين. واستثنى إلا إذا غلبتم على امركم فأعطوه المواثيق على ذلك واسترجع سلمت امري الى الله.

لقد اطمئن صدر يعقوب بعض الشيء على ولده. ووافق على إرساله معهم بعد أخذ الميثاق منهم. ثم اوصاهم أن لا يدخلوا المدينة من باب واحد. بل من أبواب متفرقة. فقد خاف الرجل على أولاده من أعين الحاسدين وأخبرنا الله عز وجل بذلك في سورة يوسف في الآية/٦٧ ﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ إن طلب يعقوب هذا يحتوي

على علم لم يصل إليه الناس حتى يومنا هذا ولم يدركه يعقوب تماماً وهو لا يرد من قدر الله شيئاً. إنما من باب الأحتياط.

وفعل الأولاد هذا ودخلوا من أبواب متفرقة و يتم الله لنا حديثهم بقوله: ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها. وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

وهكذا مشى أبناء يعقوب مع القافلة التي كانت تجمع التجار وطالبي المؤونة. ولم يكن هناك ما يمنع دخول مصر. فسياسة ملوكها أنذاك تكثير الداخلين إليها من الغرباء ليكاثروا بهم أهل مصر وخاصة للعرب وأهل فلسطين وكثر هؤلاء فعلاً. ووصل القوم إلى المدينة وتفرقت القافلة كل صاحب حاجة إلى حاجته. ودخل إخوة يوسف إلى أخيهم. ومعهم أخوهم لأمه فأكرمهم. ثم استخلى بأخيه وأخبره بأمره وشرح له ما جرى عليه من إخوته وأوصاه بكتم ذلك ويخبرنا جل وعلا الخبر بقوله يتم خبرهم: ﴿ولما دخلوا على يوسف أوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾.

ثم تفاهم مع أخيه على أمر استبقائه وطريقة الاستبقاء ثم نتابع الخبر من كتاب الله: ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه، ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون * قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾.

هذا الذي تفاهم عليه يوسف مع أخيه، أن يجعل المكيال في حمله دون أحمال إخوته وقد ورد إسم المكيال في كتاب الله السقاية ووردت الصواع. وربما كانت هي للغرضين فهي بشكل السقاية التي يشرب بها وربما يشرب بها يوسف أو القوم. وهي أيضاً قياس المكيال الذي يستعمل في البلاد. وإليها يرجع المتخالفون في المكاييل. وكانت الحسبة تتبع يوسف فهي صواع الملك. وأياً كان نوعها أو المادة التي صنعت منها فقد وضعت في رحل بنيامين خاصة دون أن يشعر بذلك أبناء يعقوب الآخرين وسارت القافلة ولم يمض على سيرها إلا القليل حتى أدركهم غلمان الملك وهم ينادون بوقوف القافلة ووقف السير. ورجع رجال القافلة نحو الغلمان الذين كانوا يعلنون أيتها العير إنكم لسارقون. فقالوا لهم مابالكم وماذا تفقدون ؟ قال الغلمان نفقد صواع الملك ولمن دلنا عليه قبل التفتيش حمل بعير يكفل من العزيز، فبهت رجال القافلة فجعل بعضهم ينظر إلى بعض نظرة تساؤل.

وقال إخوة يوسف نحن لايمكن أن نسرق أبداً وهذا عيب كبير في السارق عندنا. فقال رجال الملك فماهو جزاء السارق عندكم ؟ قالوا جزاء السارق عندنا أن يكون عبداً لصاحب

المتاع حتى يستوفي ثمن المسروق منه عدة أضعاف. فقال يوسف رضينا بهذا وبدأ التفتيش. وقد بدأ بأوعية الغرباء أولاً ثم بدأ بأوعية وأعدال إخوة يوسف حتى وصل في الأخير إلى متاع بنيامين وإذا بالصواع في متاعه. بعد إنهاء تفتيش الجميع وجدت السقاية.

وهنا نظر الاخوة كلهم إلى بنيامين نظرة الغضب والريبة ثم قالوا وهم ينظرون نحو يوسف إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل. لقد ارتجف يوسف وسرت في جسده قشعريرة وخاطب يوسف القوم في نفسه ألم يذهب الذي فعلتموه بيوسف حقد قلوبكم ؟ ألم تشتفوا من يوسف وأنتم تعلمون مافعلتم بيوسف ؟ لقد سرقتم يوسف كله من أبيه وبعتموه بدراهم قليلة واحرقتم عليه قلب أبيه وأخيه، ويقول وهل هناك من هو أشر منكم ؟.

لايستطيع أحد أن يثبت ماهي السرقة التي كانت من يوسف في صغره أهي صحيحة أم أنها مدبرة عليه أيضاً فلم تأت عن كتاب الله ولا عن حديث من رسول الله. فبعضهم قال شملة جعلتها عمته تحت ثيابه لتأخذه بسرقته ويدحض هذا القول صغر سنه أنذاك حيث لايؤاخذ. وبعضهم قال بيضة سرقها ليدفعها لسائل. ويدحض هذا أيضاً فقد كانوا بداوة.

وقالوا أنه سرق صنماً لجده أبي أمه فكسره. وربما كان هذا أو أنه أخذه من خباء أمه وجعل يلعب فيه كالدمية. فنسبوا ذلك إليه سرقة. فقد ذكر كتاب العهد العتيق. أن راحيل أم يوسف قد سرقت أصنام أبيها. ولما لحق بهم خبأتها تحت حداجة الجمل. هكذا ورد في الكتاب فكان أن يوسف بعد ذلك أظهرها سرقة من خباء أمه. فعرفها يعقوب وكسرها جميعها.

ويخبرنا جل وعلا عن هذا الذي كان بقوله: ﴿قالوا تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الأرض وماكنا سارقين * قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين * قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين﴾ لقد قال إخوة يوسف إنكم قد تحققتم عن هويتنا. ومن نحن. وجئناكم بمطالبكم وعرفتم منا ماأردتم. فقال يوسف أو رئيس غلمانه. فما يكون جزاء السارق عندكم ؟ قال إخوة يوسف. يؤخذ السارق بسرقته. فرضي يوسف أو رئيس غلمانه. وبدأ التفتيش وظهرت السرقة. وأخذ يوسف بنيامين ليستعبده. فطلب إخوته فكاكه ورفض يوسف. وقال لايحق لنا أن نأخذ إلا من وجدنا السرقة في رحله.

لم يكن في قانون الملك أن يؤخذ السارق عبداً لصاحب المتاع المسروق. ولكن أخذ السارق كان في شريعة إبراهيم. وكانت شريعة أبناء يعقوب. ويخبرنا تعالى هذا في كتابه حيث قال: ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ماكان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم * قالوا إن

فرعون ليوسف حلمت حلماً وليس من يعبره. وأنا سمعت عنك قولاً أنك تسمع أحلاماً لتعبرها./١٦ فأجاب يوسف فرعون قائلاً ليس لي. الله يجيب بسلامة فرعون/١٧ فقال فرعون ليوسف أني كنت في حلمي واقفاً على شاطيء النهر./١٨ وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر سمينة اللحم وحسنة الصورة. فارتعت في روضة./١٩ ثم هوذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها مهزولة وقبيحة الصورة جداً ورقيقة اللحم. لم أنظر في أرض مصر مثلها في القباحة./٢٠ فأكلت البقرات الرقيقة والقبيحة البقرات السبع الأولى السمينة./٢١ فدخلت أجوافها ولم يعلم أنها دخلت أجوافها فكان منظرها قبيحاً كما في الأول. واستيقظت/٢٢ ثم رأيت في حلمي وهوذا سبع سنابل طالعة في ساق واحدة ممتلئة وحسنة./٢٣ ثم هوذا سبع سنابل يابسة رقيقة ملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها/٢٤ فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع الحسنة. فقلت للسحرة ولم يكن من يخبرني./٢٥ فقال يوسف لفرعون حلم فرعون واحد. قد أخبر الله فرعون بما هو صانع./٢٦ البقرات السبع الحسنة هي سبع سنين. والسنابل السبع الحسنة هي سبع سنين. هو حلم واحد/٢٧ والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التي طلعت وراءها هي سبع سنين. والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعاً. /٢٨ هو الأمر الذي كلمت به فرعون. قد أظهر الله لفرعون ماهو صانع./٢٩ هو ذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً في كل أرض مصر.

/٣٠ ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً. فينسى كل الشبع في أرض مصر ويتلف الجوع الأرض/٣١ ولايعرف الشبع في الأرض من أجل ذلك الجوع بعده. لأنه يكون شديداً جداً/٣٢ وأما عن تكرار الحلم على فرعون مرتين فلأن الأمر مقرر من قبل الله والله مسرع ليصنعه./٣٣ فالآن لينظر فرعون رجلاً بصيراً وحكيماً ويجعله على أرض مصر./٣٤ يفعل فرعون فيوكل نظاراً على الأرض ويأخذ خمس غلة أرض مصر في سبع سني الشبع./٣٥ فيجمعون جميع طعام هذه السنين الجيدة القادمة ويخزنون قمحاً تحت يد فرعون طعاماً في المدن ويحفظونه./٣٦ فيكون الطعام ذخيرة للأرض لسبع سني الجوع التي تكون في أرض مصر. فلا تنقرض الأرض بالجوع.

/٣٧ فحسن الكلام في عيني فرعون وفي عيون جميع عبيده/٣٨ فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله/٣٩ ثم قال فرعون ليوسف بعدما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك/٤٠ أنت تكون على بيتي وعلى فمك يقبّل جميع شعبي. إلا أن الكرسي أكون فيه أعظم منك/٤١ ثم قال فرعون ليوسف انظر قد جعلتك على كل أرض مصر/٤٢ وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه/٤٣ وأركبه في مركبته الثانية ونادوا أمامه اركعوا وجعله على كل أرض مصر/٤٥ ودعا

يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون * قالوا ياأيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين * قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون﴾.

وهكذا أعاد يوسف أخاه إلى قصره. ولم يقبل منهم فكاكه. ونجا القوم بأنفسهم بعد أن رفض طلب فكاكه وقال كبيرهم: لن أذهب من هذه الأرض حتى أصل إلى أخي. فإني لأخجل من مقابلة أبي فاذهبوا إليه وأخبروه. وليسأل العير والقافلة التي كنا وإياها أو يأت إلى هذه المدينة فيستفسر بنفسه عن سرقة ابنه. ولن أغادر المدينة.

ويخبرنا تعالى عن هذا بقوله: ﴿فلما استيئسوا منه خلصوا نجياً * قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل مافرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين * ارجعوا إلى أبيكم فقولوا ياأبانا إن ابنك سرق وماشهدنا إلا بما علمنا وماكنا للغيب حافظين * واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾ وعادت القافلة. وبقي كبير أبناء يعقوب ليتسقط أخبار أخيه.

وسنتكلم عن ما حدث ليوسف بعد خروج الساقي من السجن مما جاء في كتاب العهد العتيق وذلك من الاصحاح الحادي والأربعين من سفر التكوين.

/١ وحدث من بعد سنتين من الزمان أن فرعون رأى حلماً وإذا هو واقف عند النهر/٢ وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر وسمينة اللحم. فارتعت في روضة/٣ ثم هو ذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها من النهر قبيحة المنظر ورقيقة اللحم. فوقفت بجانب البقرات الأولى على شاطيء النهر/٤ فأكلت البقرات القبيحة المنظر والرقيقة اللحم البقرات السبع الحسنة المنظر والسمينة واستيقظ فرعون/٥ ثم نام فحلم ثانية وهو ذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد سمينة وحسنة/٦ ثم هوذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة الريح الشرقية نابتة وراءها/٧ فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السمينة الممتلئة. واستيقظ فرعون وإذا هو حلم/٨ وكان في الصباح أن نفسه انزعجت. فأرسل ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكمائها وقص عليهم فرعون حلمه. فلم يكن من يعبّره لفرعون/٩ ثم كلّم رئيس السقاة فرعون قائلاً أنا أتذكر اليوم خطاياي. /١٠ فرعون سخط على عبديه فجعلني في حبس بيت رئيس الشرط أنا ورئيس الخبازين/١١ فحلمنا حلماً في ليلة واحدة أنا وهو. حلمنا كل واحد بحسب تعبير حلمه. /١٢ وكان هناك معنا غلام عبراني عبد لرئيس الشرط فقصصنا عليه فعبر لنا حلمينا عبر لكل واحد بحسب حلمه. /١٣ وكما عبر لنا هكذا حدث. ردني أنا إلى مقامي وأما هو فعلقه/١٤ فأرسل فرعون ودعا يوسف. فاستدعوا به من السجن. فحلق وأبدل ثيابه ودخل على فرعون/١٥ فقال

فرعون اسم يوسف صفنات فعنيح وأعطاه أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون زوجة فخرج يوسف على أرض مصر/٤٦ وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف قدام فرعون ملك مصر فخرج يوسف من لدن فرعون واجتاز في كل أرض مصر/٤٧ وأثمرت الأرض في سبع سني الشبع بحزم. /٤٨ فجمع طعام كل السبع سنين التي كانت في أرض مصر وجعل طعاماً في المدن طعام حقل المدينة الذي حواليها جعله فيها/٤٩ وخزن يوسف قمحاً كرمل البحر كثيراً جداً حتى ترك العدد إذ لم يكن له عدد/٥٠ وولد يوسف ابنان قبل أن تأتي سنة الجوع ولدتهما له أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون/٥١ ودعا يوسف اسم البكر منسي قائلاً لأن الله أنساني كل تعبي وكل بيت أبي/٥٢ ودعا اسم الثاني افرايم قائلاً لأن الله جعلني متمراً في أرض مذلتي/٥٣ ثم كملت سبع سني الشبع الذي كان في أرض مصر/٥٤ وابتدأت سبع سنين الجوع تأتي كما قال يوسف فكان جوع في جميع البلدان وأما جميع أرض مصر فكان فيها خبزاً/٥٥ ولما جاعت جميع أرض مصر وصرخ الشعب إلى فرعون لأجل الخبز قال فرعون لكل المصريين اذهبوا إلى يوسف والذي يقول لكم افعلوا/٥٦ وكان الجوع على كل وجه الأرض و فتح يوسف جميع مافيه طعام وباع للمصريين واشتد الجوع في أرض مصر/٥٧ وجاءت كل الأرض إلى مصر إلى يوسف لتشتري قمحاً لأن الجوع كان شديداً في كل الأرض.

الاصحاح الثاني والأربعون.

/١ فلما رأى يعقوب أنه يوجد قمح في مصر قال لبنيه لماذا تنظرون بعضكم إلى بعض/٢ وقال إنني سمعت أنه يوجد قمح في مصر. إنزلوا إلى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولانموت/٣ فنزل عشرة من إخوة يوسف ليشتروا قمحاً من مصر/٤ وأما بنيامين أخو يوسف. فلم يرسله يعقوب مع إخوته لأنه قال لئلا تصيبه أذية/٥ فأتى بنو إسرائيل ليشتروا. بين الذين أتوا لأن الجوع كان في أرض كنعان/٦ وكان يوسف هو المسلط على الأرض وهو البائع لكل شعب الأرض. فأتى إخوة يوسف. وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض/٧ ولما نظر يوسف إخوته عرفهم. فتنكر لهم وتكلم معهم بجفاف. وقال لهم من أين جئتم. فقالوا من أرض كنعان لنشتري طعاماً/٨ وعرف يوسف إخوته. وأما هم فلم يعرفوه/٩ فتذكر يوسف الأحلام التي حلم عنهم. وقال لهم جواسيس أنتم. لتروا عورة الأرض جئتم/١٠ فقالوا لاياسيدي. بل عبيدك جاؤا ليشتروا طعاماً/١١ نحن جميعاً بنو رجل واحد أمناء لسنا جواسيس/١٢ فقال لهم كلا لتروا عورة الأرض/١٣ فقالوا عبيدك اثناعشر رجلاً. نحن بنو رجل واحد في أرض كنعان. وهوذا الصغير عند أبينا اليوم والواحد مفقود/١٤ فقال لهم يوسف ذلك ما كلمتم به جواسيس أنتم/١٥ بهذا تمتحنون. وحياة فرعون لاتخرجون من هنا إلا بمجيء أخيكم الصغير إلى هنا/١٦

أرسلوا أحدكم وأنتم تحبسون. فيمتحن كلامكم هل عندكم صدق. وإلا فوحياة فرعون إنكم جواسيس/١٧ فجمعهم إلى حبس ثلاثة أيام/١٨ ثم قال لهم يوسف في اليوم الثالث إفعلوا هذا واحيوا. أنا خائف الله/١٩ إن كنتم أمناء. فليجلس أخ واحد منكم في بيت حبسكم. وخذوا قمحاً لمجاعة بيوتكم/٢٠ وأحضروا أخاكم الصغير إلي. فيحقق كلامكم ولاتموتوا. ففعلوا هكذا/٢١ وقال بعضهم لبعض حقاً إننا مذنبون. إلى أخينا الذي رأينا ضيقه لما استرحمنا ولم نسمع له. لذلك جاءت علينا هذه الضيقة/٢٢ فأجابهم روبين قائلاً ألم أكلمكم قائلاً لاتأثموا بالولد وأنتم لم تسمعوا. فهوذا دمه يطلب/٢٣ وهم لم يعلموا أن يوسف فاهم لأن الترجمان كان بينهم/٢٤ فتحول عنهم وبكى. ثم رجع إليهم وكلمهم. وأخذ منهم شمعون وقيده أمام عيونهم/٢٥ ثم أمر يوسف أن تملأ أوعيتهم قمحاً. وترد فضة كل واحد إلى عدله. وأن يعطوا زاداً للطريق. ففعل هكذا لهم/٢٦ فحملوا قمحهم على حميرهم ومضوا من هناك/٢٧ فلما فتح أحدهم عدله ليعطي عليقاً لحماره في المنزل رأى فضة وإذا هي في عدله/٢٨ فقال لاخوته ردت فضتي. وهاهي في عدلي. فطارت قلوبهم. وارتعدوا بعضهم في يعض. قائلين ماهذا الذي صنعه الله بنا/٢٩ فجاؤا إلى يعقوب أبيهم إلى أرض كنعان وأخبروه بكل ماأصابهم قائلين/٣٠ تكلم معنا الرجل سيد الأرض بجفاء. وحسبنا جواسيس الأرض/٣١ فقلنا له نحن أمناء لسنا جواسيس/٣٢ نحن اثنا عشر أخاً بنو أبينا. الواحد مفقود. والصغير اليوم عند أبينا. في أرض كنعان/٣٣ فقال لنا الرجل سيد الأرض. بهذا أعرف أنكم أمناء. دعو أخاً واحداً منكم عندي. وخذوا لمجاعة بيوتكم وانطلقوا/٣٤ وأحضروا أخاكم الصغير إلي. فأعرف أنكم لستم جواسيس. بل إنكم أمناء. فأعطيكم أخاكم وتتجرون في الأرض/٣٥ وإذ كانوا يفرغون أعدالهم إذا صرة فضة كل واحد في عدله. فلما رأوا صرر فضتهم هم وأبوهم خافوا/٣٦ فقال لهم يعقوب أعدمتموني الأولاد. يوسف مفقود. وشمعون مفقود. وبنيامين تأخذونه. صار كل هذا علي/٣٧ وكلم رأوبين أباه أقتل ابني إن لم أجيء به إليك. سلمه بيدي وأنا أرده إليك/٣٨ فقال لاينزل إبني معكم. لأن أخاه مات. وهو وحده باق فإن أصابته أذية في الطريق التي تذهبون فيها تنزلون شيبتي بحزن إلى الهاوية

الاصحاح الثالث والأربعون

/١ وكان الجوع شديداً في الأرض/٢ وحدث لما فرغوا من أكل القمح. الذي جاؤا به من مصر. أن أباهم قال لهم إرجعوا اشتروا لنا قليلاً من الطعام/٣ فقال له يهوذا إن الرجل قد أشهد علينا قائلاً لاترون وجهي بدون أن يكون أخوكم معكم/٤ إن كنت ترسل أخانا معنا ننزل. ونشتري لك طعاماً/٥ ولكن إن كنت لاترسله لاننزل لأن الرجل قال لاترون وجهي بدون أن

يكون أخوكم معكم/٦ فقال إسرائيل لماذا أسأتم إلي حتى أخبرتم الرجل أن لكم أخاً أيضاً/٧ فقالوا إن الرجل قد سأل عنا وعن عشيرتنا قائلاً أبوكم حي بعد، هل لكم أخ ؟. فأخبرناه بحسب هذا الكلام. هل كنا نعلم أنه يقول إنزلوا بأخيكم/٨ وقال يهوذا لاسرائيل أرسل الغلام معي لنقوم ونذهب ونحياولانموت نحن وأولادنا جميعاً/٩ أنا أضمنه من يدي تطلبه/١٠ لأننا لولم نتوانى لرجعنا الآن مرتين/١١ فقال لهم إسرائيل أبوهم. إن كان هكذا فافعلوا هذا. خذوا من جميع جنى الأرض هدية للرجل. قليلاً من البلسان. وقليلاً من العسل. وكثيراء. ولاذناً. وفستقاً ولوزاً/١٢ وخذوا فضة أخرى بأيديكم. والفضة المردودة في أفواه أعدالكم ردوها في أيديكم لعله كان سهواً/١٣ وخذوا أخاكم وقوموا ارجعوا إلى الرجل/١٤.

/١٦ فلما رأى يوسف بنيامين معهم قال للذي على بيته. أدخل الرجال إلى البيت واذبح ذبيحة. وهيء لأن الرجال يأكلون معي عند الظهر/١٧ ففعل الرجل كما قال يوسف. وأدخل الرجال إلى بيت يوسف/١٨ فخاف الرجال إذ أدخلوا إلى بيت يوسف. وقالوا السبب الفضة التي أرجعت أولاً في عدالنا. نحن قد أدخلنا ليهجم علينا. ويقع بنا. ويأخذنا عبيداً وحميرنا/١٩ فتقدموا إلى الرجل الذي على البيت. وكلموه في باب البيت/٢٠ وقالوا استمع ياسيدي. إننا قد نزلنا أولاً لنشتري طعاماً/٢١ وكان لما أتينا إلى المنزل أنا فتحنا عدالنا. وإذا فضة كل واحد في فم عدله فضتنا بوزنها. فقد رددناها في أيادينا/٢٢ وأنزلنا فضة أخرى لنشتري طعاماً. لانعلم من وضع فضتنا في عدالنا/٢٣ فقال سلام لكم لاتخافوا إلهكم وإله أبيكم أعطاكم كنزاً في عدالكم. فضتكم وصلت إلي. ثم أخرج إليهم شمعون/٢٤ وأدخل الرجل الرجال إلى بيت يوسف وأعطاهم ماء ليغسلوا أرجلهم. وأعطى عليقاً لحميرهم/٢٥ وهيؤ الهدية إلى يوسف.

فلما جاء يوسف إلى البيت أحضروا إليه الهدية التي في أيديهم. وسجدوا له إلى الأرض/٢٣ فسأل عن سلامتهم وقال. أسالم أبوكم الشيخ الذي قلتم عنه. أحي هو بعد/٢٩ فقالوا عبدك أبونا سالم. هو حي بعد وخروا وسجدوا/٢٩ فرفع عينيه ونظر بنيامين ابن أمه. وقال أهذا أخوكم الصغير الذي قلتم لي عنه. ثم قال الله ينعم عليك ياإبني/٣٠ واستعجل يوسف لأن أحشاءه حنت إلى أخيه. وطلب مكاناً ليبكي. فدخل المخدع وبكى هناك/٣١ ثم غسل وجهه وخرج وتجلد. وقال قدموا طعاماً./٢٣ فقدموا له وحده. ولهم وحدهم. وللمصريين الآكلين عنده وحدهم لأن المصريين لايقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين. لأنه رجس عند المصريين - وهل كان يعقوب أمة عبرانية في مسماها -.

الاصحاح الرابع والأربعون

/١ ثم قال الذي على بيته املأ أعدال الرجال طعاماً حسب ما يطيقون حمله. وضع فضة كل واحد. في فم عدله/٢ وطاسي طاس الفضة. تضع في فم عدل الصغير. وثمن قمحه. ففعل بحسب كلام يوسف الذي تكلم به/٣ فلما أضاء الصبح انصرف الرجال هم وحميرهم/٤ ولما كانوا قد خرجوا من المدينة ولم يبتعدوا. قال يوسف للذي على بيته. قم اسع وراء الرجال فإذا أدركتهم. قل لهم لماذا جازيتم شراً عن خير/٥ أليس هذا هو الذي يشرب سيدي فيه. وهو يتفاءل به/٦ فأدركهم وقال لهم هذا الكلام/٧ فقالوا لماذا يتكلم سيدي هذا الكلام. حاشا لعبيدك أن يفعلوا مثل هذا الأمر/٨ هو ذا الفضة التي وجدنا في أفواه عدالنا قد رددناها إليك من أرض كنعان/٨ فكيف نسرق من بيت سيدك فضة أو ذهباً/٩ الذي يوجد معه من عبيدك يموت. ونحن أيضاً نكون عبيداً لسيدي/١٠ فقال نعم الآن بحسب كلامكم هكذا يكون الذي يوجد معه يكون عبداً لي. وأما أنتم فتكونون أبرياء/١١ فاستعجلوا وأنزل كل واحد حمله إلى الأرض وفتحوا كل واحد عدله/١٢ ففتش مبتدئاً من الكبير حتى انتهى إلى الصغير. فوجد الطاس في عدل بنيامين/١٣ فمزقوا ثيابهم. وحمل كل واحد على حماره ورجعوا إلى المدينة/١٤.

فدخل يهوذا وإخوته إلى بيت يوسف وهو بعد هناك ووقعوا أمامه إلى الأرض/١٥ فقال لهم يوسف ما هذا الفعل الذي فعلتم. ألم تعلموا أن رجلاً مثلي يتفاءل/١٦ فقال يهوذا ماذا نقول لسيدي وبماذا نتكلم. وبماذا نتبرر. الله قد وجد إثم عبيدك. ها نحن عبيد لسيدي. نحن والذي وجد الطاس في يده جميعاً/١٧ فقال حاشالي أن أفعل هذا. الرجل الذي وجد الطاس في يده هو يكون لي عبداً وأما أنتم فاصعدوا في سلام إلى أبيكم//.

فتقدم يهوذا يستعطف يوسف ويشرح له حال والدهم. وأنهم جاؤوا بأخيهم هذا بناء على طلب العزيز. وهم الآن يخشون موت والدهم إذا لم يكن أخوهم معهم. وعرض يهوذا نفسه ليكون بدل أخيه.

الاصحاح الخامس والأربعين:

ولم يستطع يوسف أن يضبط نفسه فعرف إخوته بنفسه. فخافوا منه وطمأنهم. وعانق أخاه بنيامين. وسمع الخبر في بيت فرعون. فطلب فرعون من القوم أن يأتوا إلى مصر بأهلهم ومن يتبعهم. فذهب القوم. و/٢٣ وأرسل لأبيه هكذا عشرة حمير حاملة من خيرات مصر وعشراتن حاملة حنطة. وخبزاً وطعاماً لأجل أبيه/٢٤ وصرف إخوته وقال لهم لا تتغاضبوا في الطريق

فصعدوا من مصر وجاؤوا إلى أرض كنعان إلى يعقوب أبيهم/٢٧ فكلموه بكلام يوسف/٢٨ فقال إسرائيل كفى يوسف إبني حي. أذهب وأراه قبل الموت .

الاصحاح السادس والأربعين

/١ فارتحل إسرائيل وكل ما كان له إلى بئر سبع. وذبح ذبائح لاله أبيه إسحق/٢ فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل. وقال يعقوب يعقوب. فقال ها أنذا. فقال أنا الله إله أبيك. لا تخف من النزول إلى مصر. لأني أجعلك أمة عظيمة هناك/٣ أنا أنزل معك إلى مصر. وأنا أصعدك أيضاً. ويضع يوسف يده على عينيك/٥ فقام يعقوب من بئر سبع. وحمل بنوا إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم في العجلات التي أرسل فرعون لحمله/٦ وأخذوا مواشيهم وكل أموالهم. يعقوب وكل نسله/٧ بنوه وبنو بنيه معه. وقد عد جميع أولاد يعقوب وأبناءهم والبنات عدا عن نساء البنين/٢٦ جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر الخارجة من صلبه. ما عدا نساء بني يعقوب جميع النفوس ست وستون نفساً/٢٧ وإبنا يوسف اللذان ولدا له في مصر نفسان. جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون//.

ثم سكن بنوا إسرائيل أرض جاسان لأنهم رعاة غنم. وقد أوقف يوسف خمسة من إخوته أمام فرعون ليقولوا أنهم رعاة غنم منذ صباهم لأن كل راعي غنم رجس عند المصريين.

الاصحاح السابع والأربعون

/١١ فأسكن يوسف أباه وإخوته. وأعطاهم ملكاً في أرض مصر في أفضل أرض مصر في أرض رعمسيس كما أمر فرعون/١٢.

/١٣ ولم يكن خبز في الأرض في كل الأرض لأن الجوع كان شديداً جداً. فخورت أرض مصر وأرض كنعان من أجل الجوع/١٤ فجمع يوسف كل الفضة الموجودة في أرض مصر وأرض كنعان. بالقمح الذي اشتروا. وجاء يوسف بالفضة إلى بيت فرعون/١٥ فلما فرغت الفضة من أرض مصر. ومن أرض كنعان. أتى جميع المصريين إلى يوسف قائلين أعطنا خبزاً. فلماذا نموت قدامك. لأن ليس فضة أيضاً/١٦ فقال يوسف هاتوا مواشيكم فأعطيكم بمواشيكم أيضاً/١٧ فجاؤوا بمواشيهم. فأعطاهم يوسف خبزاً بالخيل وبمواشي الغنم والبقر والحمير فقاتهم بالخبز تلك السنة بدل جميع مواشيهم/١٨ ولما تمت تلك السنة. أتوا إليه في السنة الثانية. وقالوا له لا نخفى عن سيدي أنه إذا قد فرغت الفضة ومواشي البهائم لم يبق إلا أجسادنا وأرضنا/١٩ لماذا نموت أمام عينيك نحن وأرضنا جميعاً. إشترنا وأرضنا بالخبز. فنصبر نحن وأرضنا عبيداً لفرعون/٢٠ فاشترى يوسف كل أرض مصر لفرعون. إذ باع المصريون كل واحد حقله. لأن

الجوع اشتد عليهم. فصارت الأرض لفرعون/٢١ وأما الشعب فنقلهم إلى المدن من أقصى حد مصر إلى أقصاه/٢٢ إلا أن أرض الكهنة لم يشتريها. إذ كانت أرض الكهنة فريضة من قبل فرعون/٢٣ فقال يوسف للشعب إني قد اشتريتكم اليوم وأرضكم إلى فرعون. هو ذا لكم بذار فتزرعون الأرض/٢٤ ويكون عند الغلة أنكم تعطون خمساً لفرعون. والأربعة أجزاء تكون لكم. بذاراً للحقل وطعاماً لبيوتكم وأولادكم/٢٥ فقالوا أحييتنا ليتنا نجد. نعمة في عين سيدي فنكون عبيداً لفرعون/٢٦ فجعلها يوسف فرضاً على أرض مصر إلى هذا اليوم// ونذكر بأي يوم هو ؟/٢٧ وسكن إسرائيل في أرض مصر في أرض جاسان. وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً/٢٨ وعاش يعقوب في أرض مصر سبعة عشر عاماً. فكانت أيام يعقوب سنو حياته مائة وسبعاً وأربعين سنة/٢٩// ومات يعقوب وأوصى أن يدفن في مغارة المكفيلة في أرض كنعان. وفعل هذا يوسف ونقل أباه إلى هناك ودفنه فيها على قول كاتب الكتاب. وهذا طبعاً بعد تحنيطه وفي كتاب الله الخبر الصحيح لقد رجع أبناء يعقوب إلى أبيهم بخبر سرقة ابنه لمكيال الملك وأن الملك أخذ بنيامين في سرقته. وقد وجد المكيال في متاعه أمام جميع المرافقين في القافلة ولذا عزيز مصر قد استعبده وقدموا لأبيهم العذر وأن أخاهم الأكبر رفض المجيء من مصر إلا مع أخيه أو بأذن من والده وكان هذا من الأخ الأكبر.

ولما سمع يعقوب هذا لم يصبر وفاضت عبرته وأصابه لذلك بياض في عينيه ويخبرنا جل وعلا عنه بقوله: ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم * وتولى عنهم وقال يا أسفاه على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾.

لقد كظم حزنه عن الناس فابيضت عيناه وجعل أولاده وأولادهم يواسونه ويخففون عنه حتى وصل أمرهم إلى تأنيبه حيث قالوا بما أخبر الله (تالله تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين. قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون. يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون).

لقد اتهم أبناءه بتواطئهم على بنيامين ثم عاد فطلب إليهم الرجوع إلى مصر. وتنسم أخباراً من يوسف وبنيامين. وطلب إليهم ألا ييأسوا ولا يتهاونوا وليتذكروا دائماً عطاءات الله فمن ييأس من فضل الله ورحمته فقد كفر بنعم الله.

ومن هذا يتبين أنه قد تأكد من أن يوسف لم يأكله الذئب إنما لم يتأكد تماماً بالكيفية التي ضاع فيها يوسف. وربما ظن ظناً أن قافلة عثرت عليه فأخذته عبداً لها.

وعاد الاخوة إلى مصر ودخلوا على يوسف ليقدموا له بضاعة بلادهم وكانت بضاعتهم ليست بالبضاعة المقبولة. أهي دراهم مغشوشة أم هي بضاعة وأمتعة كاسدة ؟ أكانت من وبر أم من صناعة بلاد العرب من قيانهم. وهذا بعد أن اجتمعوا إلى كبيرهم المترقب في مدينة يوسف فدخلوا كلهم على العزيز ليشكوا له حالهم. وما وصلوا إليه نتيجة الجدب. وطلبوا إليه أن يرق ويتصدق عليهم بقبوله بضاعتهم المرذولة في مدينة فرعون فقد صاروا أهلاً للصدقة.

لربما كانوا يريدون مفاتحة العزيز بشأن أخيهم بعد كيالتهم. وربما يتحسسون خبر أخيهم من بعض خدم القصر. وتكلموا وأطنبوا ومدحوا العزيز وهم مطرقون.

ورفع يوسف نظره إليهم وتأملهم بنظرة المتألم لحالهم. والمتشفي لما وصلوا إليه وهز رأسه قال لهم: ترى ماذا فعلتم بيوسف وأخيه. هل ينسى فعلكم الذي فعلتموه به ومعاملتكم لأخيه من بعده ؟ ولم يكن عندهم أي توقع في أن يسألهم عزيز مصر عن يوسف فرفعوا رؤوسهم إليه ونظروا ملياً وقالوا بعد معرفتهم أأنت يوسف ؟ قال نعم أنا يوسف وهذا أخي.

وكما قال الشاعر وقد أصابهم ما هو أشد من الموت لو كانوا بقدر ما فعلوا. ووجدوا ما لم يتوقعوا:

وغلى الدم العربي في فواجبي تضميخ مجدي بالدم المهراق
هب أن رحمة أسري ستفكني أو لست أحمل منة الاطلاق ؟

لقد مادت الأرض بالقوم ومن العجب أنهم تماسكوا ولم يسقطوا إليها. وهذا لجبلة كانوا عليها ولا يزالون إلا أن فيهم عروق خير كانت ولا تزال.

ويخبرنا جل وعلا خبرهم هذا فيقول: ﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾.

تلك هي الحالة التي كان ينتظرها يوسف منهم التنازل عن الكبرياء التي كانوا يرفعون رؤوسهم فيها ويشمخون بأنوفهم. وهي سابقة لتخبيرهم بأمره وبالحكم الذي رأى قبل أن يلقوه في البئر. والذي ضربوه لأجله قبل إلقائه في البئر.

لقد قرأت في تفسير الآية الكريمة وهي الآية/٨ من سورة يوسف وهي: ﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً * قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي * وهو خير الحاكمين﴾.

لقد جاء في تفسير الجملة الأخيرة منها أن روبين وهو إسم الأخ الأكبر. قال لعزيز مصر: أتطلق لي أخي أو أصيح صيحة لا تدع امرأة في مصر حاملاً إلا ألقت ما في بطنها ؟ هذا مما أخذ علماؤ نا الأقدمين من علماء بني إسرائيل ولنعد إلى قول يوسف لاخوته يعرفهم بذلك:

ويتم لنا جل وعلا خبر التعريف: ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذا أنتم جاهلون * قالوا أءنك لأنت يوسف * قال أنا يوسف وهذا أخي قد منَّ الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين * قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين * قال لا تثريب عليكم اليوم * يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين * إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً * وأتوني بأهلكم أجمعين * فلما فصلت العير قال أبوهم: إني لأجد ريح يوسف لولا تفندون * قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾.

لقد عفا يوسف عن إخوته. وقال لا بأس بقدر الله كان كل شيء. ارجعوا إلى الوالد وأخبروه بأمري وإليكم قميصي هذا فضعوه على وجه أبي يرجع إليه بصره. وربما كان الثوب الذي كان يلبسه عندما أنزل إلى البئر. رفيق الثوب الذي غشوه بالدم الكاذب.

ورجع القوم إلى أرض كنعان ليأتوا بأبيهم وأهليهم إلى أرض مصر حيث غر يوسف. والطعام الوفير ولما قربت القافلة من البلاد التي يسكنها يعقوب وافترقت كل جماعة نحو ديارها. تنسم يعقوب ريح ابنه يوسف. وقال لمن حوله. إني لأجد رائحة يوسف من هذا الهواء. ولولا أنكم تتهموني بالجنون لجعلت الأمر تأكيداً. فقالوا والقائلون أحفاده ونساؤه. لنقسمن أنك كعهدك الأول حيث فقد يوسف. ولم تمض إلا فترة وجيزة حتى وصل البشير يحمل ثوب يوسف ويخبرنا تعالى عن ذلك: ﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه * فارتد بصيراً * قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾.

تلك كرامة النبوة أن يلقى الثوب على الوجه. فيعود النظر إلى صاحبه. فذكرهم يعقوب لأحفاده ولمن كان يؤنبه أو يعذله له بأنه لم يكن يتكلم هكذا بلا تفكير وعلم.

فقال له أبناؤه بما أخبر الله (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين. قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم) لقد اعتذر الرجال إلى أبيهم. حيث لم يعد للانكار مجال فإن الحقيقة قد تكشفت. ولا يمكنهم تكذيب يوسف فهو صاحب السلطة والأمر. كما أن قوله الحق.

ومضى الرجال بأهلهم جميعاً لم يدعوا في الأرض أرض كنعان أحداً من أهليهم وقد نسوا وعد الله لهم بجعل الأرض لهم هبة. ليعود مؤرخهم فيقول ستخرجون إلى الأرض التي تفيض

لبناً وعسلاً. ويكررونها مرات ومرات مع أنهم تركوها مئة عام. حتى وهم يقولون أربعة قرون تركوها إلى أرض لا تفيض لبناً وعسلاً. بل تركوها. ولو لم يفعلوا لماتوا مع أطفالهم جوعاً ودخلوا على يوسف فقال يوسف عند استقبالهم بما أخبر الله: (فلما دخلوا على يوسف أوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) ثم بعد أن استقر بهم المقام. واجتمعوا معاً رفع أبويه إلى مقامه. وخر الجميع له سجداً فقال بما أخبر الله: (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً. وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً. وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن. وجاء بكم من البدو. بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي. إن ربي لطيف لما يشاء. إنه هو العليم الحكيم).

لقد ذكر يوسف أباه وإخوته برؤياه التي مضى عليها قرابة الثلاثين عاماً. فإن يوسف بما حسب الكاتب كان له من العمر عند خروجه من السجن ثلاثون عاماً. وكان عمره قبل نزوله مصر سبعة عشر عاماً. فتكون مدة بقائه في بيت العزيز وفي السجن ثلاثة عشر عاماً.

ومضت سبع سنوات الخصب وثلاث سنوات من الجدب فيكون عمر يوسف عند دخول أهله مصر أربعون عاماً. وقد ولدت داحيل يوسف هناك عند أبيها (لابان) في فدان أرام وكان ليعقوب من العمر آنذاك دون الأربعين. وقد أضفنا إليها عمر يوسف لتكون الثمانين. وقد ذكر الكاتب عن ربه أنه قال لفرعون إن لي من العمر مائة وثلاثون سنة. وينسب إلى الله//.

ثم توجه يوسف إلى ربه بالشكر وقال بما أخبر الله: (رب قد أتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث. فاطر السموات والأرض. أنت وليي في الدنيا والآخرة. توفني مسلماً والحقني بالصالحين. ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك. وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم. وهم يمكرون. وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) بهذا ختم الله لنا قصة يوسف عليه السلام.

لقد توجه يوسف إلى ربه بالشكر. فقد جاء إلى مصر مملوكاً. أمياً. فعلمه القراءة والكتابة وعلمه تأويل الأحاديث. وملكه بعد تحريره من العبودية. وجعله سيداً بين من كانوا مالكيه. وأكد إيمانه بولاية الله عليه في دنياه وآخرته..

ثم طلب إلى ربه حسن الخاتمة بقوله: (توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) أي متى جاء أجله يكون على ملة الاسلام. ويلحق بالصالحين.

وليس معنى قوله طلب الموت. إنما يقصد متى كان الأجل. يموت في حالة إيمان قلبي بأركان الاسلام. وحال فعلي بأركان الاسلام. فالايمان يزيد. وينقص في الانسان. وموته في حال

الزيادة. أفضل بكثير من موته في حال النقص ومن دليل الزيادة قوله تعالى في سورة المدثر الآية/٣١: ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب * ويزداد الذين آمنوا إيماناً * ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون * وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾.

عَصْرُ الهُكْسُوسِ لِذِي عِلْمٍ   قَدْ مَدَّ قُرُوناً بَمَداهُ
بِخِلاَفِ القِبْطِ عَلَى حُكْمٍ   دَخَلَ الأَعْرَابُ بَمَرْعَاهُ
فِرْعَوْنُ اسْتَنْجَدَ بَعْضُهُمْ   فَمَشَى لِلْخَصْمِ وَأَرْدَاهُ
وَانْتَقَلَ المُلْكُ لِهِكْسُوسٍ   فِي مِصْرَ السُّفْلَى وَرُبَاهُ
وَأَتَتْ مَوْجَاتٌ مِنْ بَدْوٍ   تَتْلُوْا مَوْجَاتٍ تَتَرَاهُ
فَتَّحُوا الأَبْوَابَ لِدَاخِلِيهَا   عَصْرُ إِبْرَاهِيمَ وَإِبْنَاهُ
وَلِيُوسُفَ عَهْدٌ عَاصَرَهُمْ   لَكِنْ الأَمْرَ تَعَدَّاهُ
فَبَنُو يَعْقُوبَ رَأَوْا عِزاً   بِدَوَامِ العَهْدِ وَمُكْنَاهُ
وَالجِيلُ مَضَى وَمَضَتْ دُوَلٌ   وَتَخَلْخَلَ عَهْدٌ أَخْلاَهُ
فَرَقَّا لِلْمُلِكِ ذَوُوا عَزْمٍ   مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ لِيَقْوَاهُ
فَسَبَى الأَعْرَابُ وَعَبَّدَهُمْ   وَبَنُو يَعْقُوبَ بِمَعْنَاهُ
وَبَغَى فِرْعَوْنُ وَلَمْ يَنْزِعْ   وَتَأَلَّهَ حَيْثُ تَفَشَّاهُ
جَبَرُوتُ المُلْكِ وَسَطْوَتُهُ   وَالجَمْعُ بِذَلِكَ نَادَاهُ
وَرَأَى أَنْ يَذْبِحَ أَطْفَالاً   لِبَنِي يَعْقُوبَ وَأَشْبَاهُ
إِنْ أَوْلَدَ ذَكَراً يَذْبَحُهُ   أَمَّا يَسْتَحْيِي أُنْثَاهُ
خَوْفَ الغُرَبَاءِ بِكَثْرَتِهِمْ   تَسْتَوْلِي المُلْكَ وَتَقْوَاهُ

وعاش بنوا إسرائيل في مصر مدة حياة يوسف وعاشوا بعز أمداً يمكن لمن تتبع تاريخ الأسر المصرية أن يعرفه. فلما مات يوسف بدأت أحوالهم تتغير. وبدأ عيشهم وعزهم يتحول. حتى جاءت الطامة الكبرى. وهي استيلاء المصريين الأقباط على الحكم. وإقصاء الهكسوس ثم القضاء عليهم تماماً. واستعباد جميع الغرباء الذين دخلوا مصر في عهد الرعاة. الذين تسلطوا حكم مصر قرابة خمسمائة عام بدأت في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد وبقوا في الحكم حتى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

واستعبد الأقباط بني إسرائيل فقد كان هؤلاء أكثر تماسكاً من غيرهم من الجاليات الغريبة عن مصر لأن أكثر الغرباء الذين دخلوا مصر في تلك العهود قد ذابوا في المجتمع المصري. إلا

الاسرائيليين. فقد ساعد على تقوقعهم أنهم كانوا رعاة. وكان المصريون يعتبرون الرعي رجساً وحقارة. كما ورد في كتاب العهد العتيق.

ثم استعبدوهم في كل ما يتصل. بأعمال الدولة من إنشاء طرق. وبناء جسور. وأسوار وفي أملاك الدولة. في الزراعة. وفي أملاك المعابد وأوقاف الكهنة. وذلك حسب نظام السخرة. فقد فرضوا على الرجل البالغ أن يعمل في الشهر كذا يوماً في التسخير. أو في المواسم. حسب الحاجة. لقد جاء إخوة يوسف مصر لشراء القمح وعمر الأصغر فيهم بما كتب الكاتب لا يقل عن سبعين عاماً بحسب عمر يعقوب لما دخل مصر وهو مائة وثلاثون عاماً فأين أبناء القوم وأبناء أبنائهم لشراء القمح ؟.

إن ليوسف من العمر عند دخولهم مصر أربعون عاماً والمعلوم أنه أصغرهم فأين أبناء القوم للشراء ؟.

وقد تتغير الأحكام. بتغير الحكام. ووقع الاسرائيليون في ذل وصغار. وصل درجة لا يحتملها الانسان. ومنها أن الغرباء عن مصر تكاثروا مع أنسبائهم من طبقات المجتمع المصري. فعاد الخطر على الأقباط ثانية. وخافوا من تكاثرهم. فرأى بعض أعوان فرعون من الذين يكرهون الاسرائيليين. رأياً قدموه لفرعون الذي وافق عليه بدوره. وجعله قانوناً. وهو أن يذبح ذكور مواليد الغرباء. في عام ويتركوا في آخر فبذلك يحد عدد الغرباء في البلاد. ويزول خطرهم. وصار هذا القانون سارياً على الغرباء.

وأراد الاسرائيليون الخروج من مصر والهجرة إلى الخارج فأبى الفراعنة أن يسمحوا لهم بالخروج فإن نظام التسخير كان للدولة مغنماً لا يمكنهم تركه. فإن عشرات الألوف من العمال يعملون بالمجان. وكانت الدولة بحاجة للأقباط. في الحروب التي تدور على حدود البلاد مع الحثيين في الشمال واالشرق. ومع الليبيين في الغرب.

لقد ذكر كاتب كتاب العهد العتيق أن يوسف اشترى أرض مصر لفرعون بالطعام الذي قدمه للناس. ثم ذكر أنه اشترى الأنفس بإطعامها لفرعون. وصار الجميع لفرعون عبيداً. ففي الاصحاح السابع والأربعين من سفر التكوين جاء ما يلي/٢٣ فقال يوسف للشعب. إني قد اشتريتكم اليوم وأرضكم إلى فرعون// فلو صح هذا فهو السبب الأول لتأله فرعون. ولن يتأتى هذا من يوسف لأنه يعلم أن الأرض لله. وأن جميع الناس أحراراً. حتى ولو استعبدوا قسراً. فالخلق كلهم عيال الله.

لقد عاش الاسرائيليون في مصر جيلين أو ثلاثة. ولكن كتاب العهد العتيق يزعم أنهم عاشوا في مصر قبل الخروج أربعمائة عام. ولكن التقدير السليم يجعل المدة حوالي قرن من الزمان.

فهذا صاحب الخروج موسى بن عمرام بن قهات بن لاوي الذي دخل مصر وله من العمر أكثر من خمسين عاماً. وبحسب قول أبيه لفرعون يمكننا أن نقول بتسعين عاماً. لأن يعقوب بما ذكر الكتاب قد قال لفرعون حسب الاصحاح السابع والأربعين/٧ ثم أدخل يوسف يعقوب أباه وأوقفه أمام فرعون وبارك يعقوب فرعون/٨ فقال فرعون ليعقوب كم هي ءيام سني حياتك/٩ فقال يعقوب لفرعون. أيام سني غربتي مائة وثلاثون سنة. قليلة وردية//

إن لاوي كما هو معلوم ثالث أبناء يعقوب من ليئة. ولم يكن آنذاك عمر يعقوب ليتجاوز الأربعين من عمره. وذكر عند دخوله مصر كما قرأنا مائة وثلاثين عاماً. فبأيها نأخذ.

ثم إن يوكا بدام موسى ابنة لاوي ولدت له في مصر حسب ما ورد في الكتاب نفسه. ولا يهمنا من هذا إلا بيان الحقيقة التي غابت وحل محلها الباطل المقدس: إذ خرج الاسرائيليون من مصر أكثر من ستمائة ألف مقاتل من سن العشرين وكلهم من الذكور حتى آخر العمر فهل يمكن هذا رغم ذبح الأطفال. وسوء الحال ؟.

سفر التكوين. أول أسفار كتاب العهد العتيق. ذكروا أنه من التوراة. قال هذا اليهود. وتابعهم على ذلك النصارى. وقال البعض من النصارى إن الأسفار الخمسة الأولى. من كتاب العهد العتيق أنها التوراة فقط. وقال آخرون بأن الكتاب كله التوراة. أي كتاب العهد العتيق.

ونحن نقول إذا كان إله اليهود لليهود فقط فيصح أن يكون الكتاب كله توراة. أو الأسفار الخمسة خيرة التوراة. ويتبعها كل سفر حسب خدمته لليهود. بإفناء من حد من توسعهم. وكثرة ما قتل من رجال ونساء وأطفال. وما كدس من ذهب وفضة وأحجار كريمة.

أما إذا كان إله اليهود هو نفسه إله العالم. وإله بني الانسان. فإن سفر التكوين ليس من التوراة. غير أن بعض الأسفار الخمسة بنسب تتفاوت ببعضها من خمسة بالمئة إلى خمسة عشر ببعضها. قد تكون من التوراة مع التحفظ. والعاقل يعرف هذا من نفس الكتاب. والمقارنة إن الله جل وعلا كما قال في سورة الأعراف الآية/٦ ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين * فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾ لقد خلق السموات والأرض ويعلم منذ خلقها تاريخ خلقها ولن يخطىء. ثانياً. إنه يعلم كيف يصير الليل والنهار. وهو الذي خلق آدم

وهو الانسان الأول ويعلم متى خلقه. ويعرف تاريخ خلقه. وثالثاً ورابعاً إنه يعرف متى خلق المخلوقات على الأرض وأنها لملايين السنين. وكل هذا ذكره سفر التكوين دون أن ينطبق مع حقيقة أو علم أو تاريخ وذكر الشجرة مع بيان نوعها لا يتفق مع علم آدم المسميات التي ذكرها قبل أكل آدم من الشجرة التي سماها شجرة المعرفة. وذكر خوف الله من أكل آدم من شجرة الحياة فحرسها بالملائكة. ولم يكتف حتى جعل لهيب سيف متقلب لحراستها خوفاً من الانسان. ففكر.

وجعل الجنة في عدن والأرض كلها لا تتسع لأي صنف من مخلوقات الله إذا اجتمعت للحساب. وقد عرفنا أبعاد الأرض وحجمها. ثم لم يذكر الشيطان بحال في جميع السفر حتى وما بعده من الأسفار الخمسة. ثم عاد ليذكره الكتاب في أسفار بعدها.

ثم إنه قد جعل الحية بمقام الشيطان. وهي المخلوقة كغيرها من مخلوقات الله. تقتل ثم تأكل ما تقدر عليه. ويقتلها ويأكلها من يقدر عليها.

ثم جعل لآدم وأولاده أعماراً. ذكرها سنة فسنة. حتى وصل الطوفان. لقد أعطى آدم ألف عام. ثم وقف قرابة ستمائة عام وجعل الطوفان يفني الخليقة. ليبدأها من جديد وأعطى نوحاً ألف عام. فلنوح وآدم ثلث عمر الدنيا حتى يومنا هذا. ومئات الأجيال ثلثيها ثم جعل الطوفان لعهد قريب. وقد أظهر البحث تزوير تاريخ الطوفان آلاف السنين. فقد حصل الطوفان قبل تاريخ خلق آدم. المذكور في تاريخ العهد العتيق. وإن الطوفان قد وجد قصة قبل تاريخ الطوفان. وحسب ورودها في كتاب العهد العتيق تماماً. ومن شاء فليراجع ملحمة جلجامش. ثم ذكر بعد الطوفان بناء الناس مدينة بابل. وخوف الله منهم وهم شعباً واحداً ولغة واحدة. فبلبل ألسنتهم. وشتت شملهم ـ وها هم الآن يصلون إلى القمر ويتجاوزونه إلى أبعد بكثير فكم هو خوف الله من بني الانسان ؟ أن التبليل قد صار بعد الطوفان. ونوح مع جميع أبنائه أحياء ففكر ثم ذكر حياة نوح بعد الطرفان وأنه قبل ولادة إبراهيم أي الطوفان بمئتين وتسعين عاماً وعيَّش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عاماً. وكان في الأرض التي ولد فيها إبراهيم حسب ما ورد في الكتاب. وأن ساماً بن نوح قد عاش خمسمائة عام بعد الطوفان. فهل رأى إبراهيم أم لم يره. وأن إبراهيم قد مات قبل سام بخمس وثلاثين سنة. وكان الحثيون. وكان المصريون. وكان العيلاميون. وكان الكلدان والآشوريون. وكان الآراميون. وكان إبراهيم وعليه أن يرى نوحاً كما عليه أن يرى جده ساماً. ولم نسمع بهذا أو نقرأ عنه. ففكر أيها القارىء ولا تكن إمعة[1].

---

(١) الأمعة الذي يسير خلف الناس دون تفكير.

ثم كانت قصة حرب إبراهيم مع الملوك الأربعة وانتصاره عليهم. ثم إرجاعه سبي سدوم وهم أهل الفاحشة. ثم ذل إبراهيم لملك جرار. وإعطاؤ ه سارة زوجته لملك جرار أياماً حيث ردها الرجل خوفاً من الله. وكيف أمضى إبراهيم تلك المدة التي أغلقت فيها أرحام نساء ملك جرار فهي مدة طويلة لم يحسبها الكاتب.

ويذكر قصة فجر بنات لوط مع أبيهما. ولم يحسب حساباً ليقظة لوط في الليلتين. كما أنه لم يحسب أن ابنتي لوط قد رأتا مصير أهل سدوم لفجرهم. وهل ذكر الله كل هذا مع العلم أن الله يعرف ويراقب كل شيء. فهل يصل خطؤه إلى هذه الحدود.

ولنتساءل ثانية. هل إله اليهود وهو نفسه إله بني الانسان. أم أنه قد تأله لليهود فقط ؟ فإن كان هذا فما هو شأن الناس مع اليهود ؟.

وإن كان للناس جميعاً فلم لم يذكر غيرهم. ولم كانت التوراة خاصة بهم. فإن كانت لهم وحدهم. فما شأننا نحن بهم ؟ ولم نقرأ ونقدس تاريخهم. ولكن الله جل وعلا قد أظهر للانسان تاريخه من الأرض بما يدحض التزوير والافتراء على الله وعلى الناس.

النبي أيوب عليه السلام

من هو أيوب النبي ؟ ومتى كان أيوب ؟

أيوب أحد أنبياء الله الذين ضرب بصبرهم المثل. وقد تميز بالصبر عن جميع من وصل خبر صبرهم إلى أسماع الناس. وقد ذكره الله جل وعلا في القرآن الكريم أربع مرات ثنتين مع غيره بالخبر ومرتين بذكر بعض خبره ففي سورة الأنبياء قوله تعالى في الآية/٨٣: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وأتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ وذكر قصته في سورة (ص) أوسع ففي الآية/٤١ قوله تعالى: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب * اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب * ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب * وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾.

هذا الذي ورد عن أيوب في القرآن الكريم. وأما ما ورد عنه في كتاب العهد القديم. فذلك السفر المسمى باسمه وهو سفر أيوب. وهو الرجل الوحيد الذي يجعله اليهود في كتابهم العهد العتيق الذي يقدسونه. ولم يذكروا زمناً عاش فيه. أو إلى من ينتمي. والآن نعرّف الزمن بقدر ما نستطيع. ثم نذكر النسبة بقدر ما نستطيع. ونسأل الله العون على الهداية.

سفر أيوب: جاء في كتاب العهد القديم يختلف اختلافاً بيناً عن إنشاء الكتاب. وغاية الكتاب الذي أدرج فيه. مما يؤكد أنه قد نقل نقلاً وأدخل في الكتاب. فهو الغريب الوحيد عن اليهود والذي يدخلونه في تقديسهم مع العلم أنه ليس من اليهود. فهو أيوب ابن من ؟ لا ندري.

فالسفر مقطوعة أدبية يتضمن الحكمة. ويمتدحها. ويرفعها فوق كل أدب. وفن ومعرفة وهو قصة شاءها أيوب أن تكتب فكتبت فمن هو كاتبها لا ندري ؟ ولنذكر ما جاء في كتاب العهد العتيق عنه فهذا أول إصحاح فيه/١ كان رجل في أرض عوص. اسمه أيوب. وكان هذا الرجل كاملاً ومستقيماً. يتقي الله ويحيد عن الشر/٢ وولد له سبع بنين. وثلاث بنات/٣ وكانت مواشيه سبعة آلاف من الغنم. وثلاثة آلاف جمل. وخمس مائة فدان بقر. وخمس مائة أتان. وخدمه كثيرون جداً. فكان هذا الرجل أعظم بني المشرق.

وكان بنوه يذهبون. ويعملون وليمة في بيت واحد منهم في يومه. ويرسلون ويستدعون أخواتهم الثلاثة ليأكلن ويشربن معهم/٥ وكان لما دارت أيام الوليمة. أن أيوب أرسل فقدسهم وبكر في الغد وأصعد محرقات على عددهم كلهم. لأن أيوب قال: ربما أخطأ بَنِيَّ وجد فوا على الله في قلوبهم. هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام/٦ وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله لِيَمْثُلوا أمام الله. وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم/٧ فقال الرب للشيطان من أين جئت. فأجاب الشيطان الرب وقال من الجَوَلَانِ في الأرض. ومن التمشي فيها/٨ فقال الرب للشيطان. هل جعلت قلبك على عبدي أيوب. لأنه ليس مثله في الأرض. رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر/٩ فأجاب الشيطان الرب وقال: هل مجاناً يتقي أيوب الله/١٠ أليس أنك سيجت حوله وحول بيته. وحول كل ماله من كل ناحية. باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه في الأرض/١١ ولكن أبسط يدك الآن ومس كل ماله فإنه في وجهك يجدف عليك/١٢ فقال الرب للشيطان: هو ذا كل ماله في يدك وإنما إليه لا تمد يدك. ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب.

بلاء أيوب في أهله وماله

/١٣ وكان ذات يوم أبناؤه وبناته يأكلون ويشربون خمراً في بيت أخيهم الأكبر/١٤ أن رسولاً جاء إلى أيوب وقال: البقر كانت تحرث. والأتن ترعى بجانبها/١٥ فسقط عليها السبيئون وأخذوها. وضربوا الغلمان بحد السيف ونجوت أنا وحدي لأخبرك/١٦ وبينما هو يتكلم إذ جاء آخر وقال: نار الله سقطت من السماء فأحرقت الغنم والغلمان وأحرقتهم. ونجوت أنا وحدي لأخبرك/١٧ وبينما هو يتكلم إذ جاء آخر وقال: الكلدانيون عينوا ثلاث فرق. فهجموا على الجمال وأخذوها. وضربوا الغلمان بحد السيف. ونجوت أنا وحدي

لأخبرك/١٨ وبينما هو يتكلم إذ جاء آخر وقال: بنوك وبناتك كانوا يأكلون. ويشربون خمراً. في بيت أخيهم الأكبر/١٩ وإذا ريح شديدة جاءت من عبر القفر. وصدمت زوايا البيت الأربع. فسقط على الغلمان فماتوا ونجوت وحدي لأخبرك/٢٠ فقام أيوب. ومزق جبته. وجز شعر رأسه. وخر على الأرض وسجد/٢١ وقال عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ. فليكن اسم الرب مباركاً/٢٢ في كل هذا لم يخطىء أيوب ولم ينسب للرب جهالة

الاصحاح الثاني

بلاء أيوب في جسمه

/١ وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب. وجاء الشيطان أيضاً ليمثل أمام الرب/٢ فقال الرب للشيطان: من أين جئت. فأجاب الشيطان الرب وقال: من الجولان في الأرض. ومن التمشي فيها/٣ فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب. لأنه ليس مثله في الأرض. رجل كامل ومستقيم يتقي الله. ويحيد عن الشر. وإلى الآن هومتمسك بكماله. وقد هيجتني عليه لأبتلعه بلا سبب/٤ فأجاب الشيطان الرب وقال: جلد بجلد. وكل ما للانسان يعطيه بنفسه/٥ ولكن أبسط الآن يدك ومس عظمه ولحمه فإنه في وجهك يجدف عليك/٦ فقال الرب للشيطان ها هو بيدك ولكن احفظ نفسه.

/٧ فخرج الشيطان من حضرة الرب. وضرب أيوب بقرح رديء. من باطن قدمه إلى هامته/٨ فأخذ لنفسه شقفة ليحتك بها وهو جالس في وسط الرماد (أي حجر خشن) /٩ فقالت له امرأته. أنت متمسك بعد بكمالك. بارك الله ومت/١٠ فقال لها تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات. الخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل. في كل هذا لم يخطىء أيوب بشفتيه.

/١١ فلما سمع أصحاب أيوب الثلاثة بكل الشر الذي أتى عليه. جاؤا كل واحد من مكانه. أليفاز التيماني. وبلدد الشوحي. وصوفر النعماني. وتواعدوا أن يأتوا ليرثوا له ويعزوه/١٢ ورفعوا أعينهم من بعيد ولم يعرفوه. فرفعوا أصواتهم وبكوا. ومزق كل واحد جبته. وذروا تراباً فوق رؤ وسهم نحو السماء/١٣ وقعدوا معه على الأرض سبعة أيام. وسبع ليال ولم يكلمه أحد بكلمة لأنهم رأوا أن كآبته كانت عظيمة جداً.

الاصحاح الثالث//

إننا نأخذ هذا الكلام على علته لأنه مقدمة الكاتب لسفر أيوب. وملخص قصته فليس للشيطان دخول إلى حضرة الله. وليس لله من أبناء يجتمعون إليه. ولكنه يعني الأولياء

والصالحين. أو الملائكة المقربين. ولكن الله جل وعلا كما جاء في حديث رسول الله ﷺ يبتلي الأمثل فالأمثل. حتى يرفع درجات البغض. ويخفض درجات من يستحق الخفض وكان قدر أيوب هذا الذي قدر له//أرض عوص المسماة في كتاب العهد العتيق.

أرض عوص تلك بحسب ما نحلل تقع بين الحجاز وبلاد الشام وباديتها تتصل مع نجد فهي تلك البلاد التي أصابها الخراب من التصحر لمجاورتها الصحراء. ولغزوات البدو الذين يسلبون وينهبون جيرة الصحراء من مدن وقرى. وآثار تلك لا تزال بادية حتى اليوم.

فمن هجوم لسبئيين. على الغنم. وذكرهم الكاتب على البقر. والبقر لا نستطيع اجتياز الصحراء حتى تصل إلى بلاد سبأ. فالسبئيون أخذوا الغنم. والنار أحرقت البقر.

والجمال ترعى في البادية وعلى جوانب الصحراء. فثلاثة آلاف جمل لا تحملها الأرض الداخلية في بلاد الشام أو غيرها. ومن غزو الكلدان لها نعرف أنهم يجاورون بلاد الكلدانيين ولو بعدت الشقة. فالكلدانيون كانوا يجاورون الصحراء جنوبي الفرات العراقي.

ومن هذا نستدل أن أيوب كان عربياً من تلك القبائل العربية العاربة أو أنه من بقايا ثمود بعد هلاك الكفرة منهم. ويجاورون في تلك الأيام أرض الأدوميين. وتلك مساكنهم. وهذا يكون في عصر دخول الاسرائيليين إلى مصر. وسنشرح بعض ما يثبت هذا إن شاء الله لقد عرفنا أن السبئيين جاؤ ا أرض عوص غزاةً كما هي حالة أهل الصحراء. ولم يكن للسبئيين آنذاك دولة. وعرفنا أيضاً أن الكلدانيين جاؤا للنهب أيضاً لأنهم لم يكتسحوا دياراً. أو يسبوا عيالاً لأنهم كما عليه حال البدو. ولولا ربط القصة والسفر بكتاب العهد العتيق لقلنا أن أيوب كان قبل عهد ابراهيم.

ومما يثبت تعيين موقع أرض عوص أيضاً. فقد جاء في الاصحاح السادس ما يلي/١٥ أما إخواني فقد غدروا مثل الغدير. مثل ساقية الوديان يعبرون/١٦ التي هي عكرة من البَرَدِ. ويختفي فيها الجليد/١٧ إذا جرت انقطعت. وإذا حميت جفت من مكانها/١٨ يعرج السُّفَّرُ عن طريقهم. يدخلون التيه فيهلكون/١٩ نظرت قوافل تيماء. سيارة سبأ رجوها/٢٠ خزوا في ما كانوا مطمئنين. جاؤا إليها فخجلوا.

يصف حال الاخوان. وأن ودهم كماء الغدران. وأن مسيلات الأودية تنقطع بانقطاع المطر. وأن ما يجمع منه يجف ولا دوام له. وأن من ترك الطريق المستقيم في المفاوز يضيع في متاهاتها. فإذا تاه فيها وضاع. وأشرف على الهلاك. يتعلق أمله في القوافل الآتية من أرض تيماء

علها تنقذه. أو قوافل السبئيين التي كانت تنقل تجارات الشرق والجنوب إلى الشمال والغرب. وفي هذا دليل بيان أرض عوص.

لقد ذكر كتاب العهد القديم: أن عوص بن أرام بن ارفكشاد بن سام بن نوح. ولم يذكر سفر أيوب شيئاً عن ابراهيم وبنيه كما أنه لم يذكر شيئاً عن غيرهم إلا أن أسماء أصحابه قد دلت على عروبتهم فهذا صوفر النعماني إسم عربي إسماً ونسبة. وهذا أليفاز التيماني. وافق اسم ابن عيسو البكر كل الموافقة. فقد جاء في الاصحاح السادس والثلاثين سفر التكوين/١٥ هؤلاء أمراء بني عيسو بنو أليفاز بكر عيسو. أمير تيمان// وتبين لنا أن أصحاب أيوب. أليفاز التيماني. وبلدد الشوحي وهو ابن عم عيسو. فشوحا إبن ابراهيم كما ذكر كاتب العهد العتيق.

وكذلك جاء إسم فتى آخر ممن يحضرون مجلس أيوب كصديق مخلص وطالب حكمة. وذكر أن اسمه أليهو بن برخئيل البوزي من عشيرة رام/ فمن هي عشيرة رام ؟ بقد سمى الله جل وعلا مدينة عاداً وقبيلة عاد باسم إرم ففي سورة الفجر الآية/٦ قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد﴾ ففي هذا ما ذكرنا من أن أيوب كان من القبائل العربية البائدة. وأنه كان في عصر يعقوب وبنيه. ولكنه كان على معرفة بأبناء عيسو وأبناء إبراهيم الآخرين. الذين ذابوا في المجتمع العربي آنذاك. لقد كان أيوب نبياً. فهل كان أصدقاؤه أنبياء ؟.

لربما كان أصحابه الذين كانوا يتحدثون إليه ويتحدث إليهم. من الأنبياء. فإن الذي تكلموا به. كان الحكمة. والنصح. والعتاب الناصح. وهو كالذي كان يدافع عن نفسه. أو يلومهم به في تطرفهم بالعتاب. والجميع من طلاب الحكمة في عصر الضياع. وعصر القوة والتسلط. فمن سقوط السبئيين على أنعام أيوب. إلى هجوم الكلدان على جماله. نرى أن العصر كان عصر القوة والتسلط.

لقد كان أيوب وأصدقاؤه يجتمعون ليتدارسوا الحكمة. ويأخذوا بها. ومنها كان كلامهم الذي تكلموا ونقدهم الذي عرفناهم به. وقد جاء في الاصحاح الثامن والعشرين من سفر أيوب ما يلي وهو من كلام أيوب لأصحابه الأربعة وهم أليفاز التيماني. وبلدد الشوحي. وصوفر النعماني. وأليهو الآرامي/١٢ أما الحكمة فمن أين توجد. وأين هو مكان الفهم ؟.

/١٣ ألا يعرف الانسان قيمتها. ولا توجد في أرض الأحياء/١٤ الغمر يقول هي ليست في (أي الماء الكثير) والبحر يقول ليست هي عندي/١٥ لا يعطى ذهب خالص بدلها. ولا توزن فضة ثمناً لها/١٦ لا توزن بذهب (أو فير). أو الجزع الكريم. أو الياقوت الأزرق/١٧ لا يعادلها

الذهب. ولا الزجاج. ولا تبدل بإناء ذهب إبريز/١٨ لا يذكر المرجان. أو البلور. وتحصيل الحكمة خير من اللآلئ/١٩ هل لايعادلها ياقوت كوش الأصفر. ولا توزن بالذهب الخالص/٢٠ فمن أين تأتي الحكمة ؟ وأين هو مكان الفهم ؟ /٢١ إذا أخفيت عن عيون كل حي وسترت عن طيور السماء/٢٢ الهلاك والموت يقولان: بآذاننا قد سمعنا خبرها /٢٣ الله يفهم طريقها وهو عالم بمكانها /٢٤ لأنه هو ينظر إلى أقاصي الأرض. تحت كل السموات يرى /٢٥ ليجعل للريح وزناً ويعاير الماء بمقياس /٢٦ إذ لّما جعل للمطر فريضة. ومذهباً للصواعق /٢٧ حينئذ رآها وأخبر بها. هيأها وأيضاً بحث عنها /٢٨ وقال للانسان هو ذا مخافة الرب هي الحكمة. والحيدان عن الشر هو الفهم//.

وقد قال رسول الله ﷺ: «رأس الحكمة مخافة الله» وقد ذكر الله جل وعلا الحكمة (١٩) مرة في كتابه العزيز القرآن. ومنها قوله في سورة البقرة الآية/٢٦٩: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء. ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً. وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾.

لقد اجتمع أصحاب أيوب إليه من كل صوب يبحثون عن الحكمة. ويأخذونها من بعضهم ولما أصيب أيوب جلسوا إليه. فكان عتابهم له من الحكمة. وكان رده عليهم. ودفاعه عن نفسه من الحكمة. وكان ابتلاؤه جوهراً خالصاً من الحكمة. ففي البلاء العبر. وفي العبرة خير درس وخبر. ومرد الحكمة أقول إلى الصبر.

لقد كان سفر أيوب متداولاً بين الناس. كتبه البعض وهم قليلون جداً. وحفظه الناس خبراً وعلماً. وتناقلوه حكمة. وقصداً. ففيه المثل الأعلى في الصبر. يعزي الناس بعضهم بعضاً بصبره ويسألون الله التأييد بمثله. وتناقله الناس. ووصل إلى اليونانيين. فأخذوه وقلدوا نمطه فما مناظرات الحكماء السبعة إلا بتقليده. وقد أثبت ذلك السفر إيماناً صريحاً في الذين قبلوه. وأخذوا بمثله واعتقدوه.

لقد جاء السفر مقطوعة أدبية. تحمل طيها مناظرات الحكمة. ومنابع الايمان. وأرادها أيوب أن تكتب وتمنى ذلك وكتبت فقد جاء في الاصحاح التاسع عشر قوله/٢٣ ليت كلماتي الآن تكتب ياليتها رسمت في سفر/٢٤ ونقرت إلى الأبد. في الصخر بقلم حديد وبرصاص//.

لربما كتبها أحد أصحابه. وجعلها سفراً كما أحب أيوب. ثم وصلت إلى من جمع كتاب العهد العتيق. فادخلها فيه. ويظن أن هذا السفر كان في مكتبة الاسكندرية. وفي العهد اليوناني البطليموسي. حيث كان اليونانيون في أوج العهد العلمي آنذاك. وكان اليهود أحياناً من رعايا بطليموس. حيث كتب كتاب العهد العتيق الأول.

لقد ذكرنا أن أيوب الرجل الغريب الوحيد الذي أدخلت قصته في مقدسات اليهود في كتابهم المقدس. وقد زين ذلك الكتاب بذلك السفر. لأنه لا يحمل سوى الحكمة وطلب الخير للناس. ولم يذكر قتلاً وذبحاً. ولم يذكر رب الجنود. ولم يذكر عنصرية. ولا حقداً ولم يذكر أو ينمي افتراء وكذباً ولو لا التوراة الموزعة في ذلك الكتاب لماساواه الكتاب بأكمله. وما أيوب إلا نبياً عربياً. مائة في المئة. وقد سبق التوراة بمئتي عام تقريباً. هذا إذا صحت أسماء أصحابه. فقد عاش مع ابن عيسو. وابن عمه شوحا وذلك في عصر يوسف عندما كان في مصر. إذا لم يسبق ذلك العصر بقليل وبلاد عوص تمتد على جوانب بادية الشام وعلى حدود العامر منها. فتلك الخرائب القديمة وهي كثيرة جداً تحد العراق والأردن ونجد وداخل سوريا والله أعلم. ومنها سيس. ومكحول. وحتى دومة الجندل.

لقد نجا أيوب من أحابيل الشيطان بما أودع الله فيه من صبر وحكمة يغلفها كلها الايمان وكما مر معنا أولاً قول الله تعالى عنه في سورة (ص) الآية/٤١: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب * اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب * ووهبنا له أهله ومثلهم معهم. رحمة منا وذكرى لأولي الألباب * وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾.

وقد مضى على أيوب في محنته دهر قيل هو ثمانية عشر عاماً. وقد أورد ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم حديثاً عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام. لبث به بلاؤه. ثمانية عشر عاماً. فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به. كانا يغدوان عليه ويروحان. فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله. لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين. قال له صاحبه: وما ذاك ؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة. لم يرحمه الله فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل. حتى ذكر ذلك له. فقال أيوب: ما أدري ما تقول غير أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان. فيذكران الله تعالى فأرجع إلى بيتي. فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في حق. قال وكان يخرج في حاجته: فإذا قضاها. أمسكت امرأته في يده حتى يبلغ. فلما كان ذات يوم أبطأ عليها. فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب أن «اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب» (ومعنى أن اركض برجلك أي اضرب الأرض برجلك) فاستبطأته. فالتفتت تنظر. فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من ضر. وهو على أحسن ما كان. فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك. هل رأيت نبي الله. هذا المبتلى ؟ فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك. إذ كان صحيحاً. قال: فإني أنا هو».

وقال الامام أحمد عن أبي هريرة. وأخرجه البخاري أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب. فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو في ثوبه. فناداه ربه عز وجل. يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال أيوب بلى يارب. ولكن لا غنى بي عن بركتك».

وقوله تعالى: ﴿وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث﴾ فيقال أن أيوب. قد أقسم ليضربن زوجته مائة جلدة. لخطأ ما قد أخطأته. وقد ذكر المفسرون أقوالاً لم يؤكدوها أنها باعت شعرها لتشتري له طعاماً. ومنها أن الشيطان أرادها أن تسجد له فيبرأ زوجها وكذا وكذا ولكن السفر يقول في الاصحاح الثاني أنها قالت لأيوب هذا/٩ فقالت له امرأته أنت متمسك بعد بكمالك. بارك الله ومت/١٠ فقال لها تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات. الخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل// فمن هذا يمكن أن أيوب أقسم ليضربنها مائة جلدة إذا عافاه الله. فلما عافاه الله وجب أن يبر بقسمه. فأمره الله أن يأخذ حزمة من قش القمح أو السل أو ما يشبه. وأن تكون مائة عوداً وأكثر. فيضرب زوجته البارة. ضربة واحدة بذلك الضغث. ففعل ولم يحنث. وقد ضرب الأرض برجله ففار الماء. فاغتسل فعافاه الله. وأعطاه الله بعد أن عافاه أهله. ومثلهم معهم. وقيل أن الله أحياهم. وزاده مثلهم وعادت أمواله أكثر مما كانت عليه. وقد جاء في كتاب العهد العتيق ما يلي:

الاصحاح الثاني والأربعون/١ فأجاب أيوب الرب قائلاً/٢:

قد علمت أنك تستطيع كل شيء. ولا يعسر عليك أمر/٣ فمن ذا الذي يخفي القضاء بلا معرفة. ولكني نطقت بما لم أفهم. بعجائب فوقي لم أعرفها/٤ أسمع الآن وأنا أتكلم. أسألك فتعلمني/٥ بسمع الأذن قد سمعت عنك. والآن رأتك عيني/٦ لذلك ارفض واندم في التراب والرماد/٧ وكان بعدما تكلم الرب مع أيوب. أن الرب قال لأليفاذ التيماني. قد احتمى غضبي عليك وعلى صاحبيك. لأنكم لم تقولوا في الصواب كعبدي أيوب/٨ والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش واذهبوا إلى عبدي أيوب. واصعدوا محرقة لأجل أنفسكم. وعبدي أيوب يصلي لأجلكم. لأني أرفع وجهه. لئلا أصنع معكم بحسب حماقتكم. لأنكم لم تقولوا في الصواب كعبدي أيوب.

/١٠ ورد الرب سبي أيوب لما صلى لأجل أصحابه. وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضعفاً/١١ فجاء إليه كل إخوته. وكل معارفه. وأكلوا معه خبزاً في بيته. ورثوا له وعزوه عن كل الشر الذي لحق به. وأعطاه كل واحد منهم قسيطة واحدة. وكل واحد قرطاً من ذهب. وبارك

الرب أخوة أيوب أكثر من أولاده. وكان له أربعة عشر ألفاً من الغنم. وستة آلاف من الابل. وألف فدان من البقر وألف أتان/١٥ ولم توجد نساء جميلات كبنات أيوب في الأرض. وأعطاهن أبوهن ميراثاً بين إخوتهن/١٦ وعاش أيوب بعد هذا مائة وأربعين سنة. ورأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال/١٧. ثم مات أيوب شبعان أياماً.

كم بقي بنو إسرائيل في مصر وكم هو عددهم عند خروجهم منها ؟.

لقد دخل بنو إسرائيل إلى مصر بعد وفاة إبراهيم عليه السلام بمائة وخمسة عشر عاما هذا بما حدث به يعقوب فرعون مصر عند دخوله إلى مصر وقد سأله عن عمره ففي الإصحاح السابع والأربعين من سفر التكوين الرقم ٨ فقال فرعون ليعقوب كم هي أيام سني حياتك ٩ فقال يعقوب لفرعون أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة ١١ وكان ليعقوب من العمر عند موت إبراهيم كما يلي:

عندما ولدت سارة إسحق كان لإبراهيم من العمر مئة عام. وعندما ولدت رفقا توأميها كان لإسحق من العمر ستون عاما. وعاش إبراهيم بعد ولادة إسحق خمسا وسبعين عاماً فيكون بعد تخريج المواليد أن عمر يعقوب وعيسو التوأمين خمسة عشرة عاماً عند موت إبراهيم.

وكانت ولادة إبراهيم في السنة مائتين وإثنتين وتسعين عاماً بعد الطوفان فيكون دخول القوم إلى مصر بعد الطوفان هو «ما بين الطوفان إلى ولادة إبراهيم ويزيد عمر إبراهيم مائة وخمس وسبعون عاماً زائد مائة وخمسة عشر عاماً من عمر يعقوب والمجموع هو خمسمائة وإثنتان وثمانون عاماً بعد الطوفان».

وكان الطوفان في السنة ألف وستمائة وست وخمسين عاماً لولادة أو تكوين آدم عليه السلام وندخل عليها خمسمائة وإثنتين وثمانين عاماً لدخول القوم إلى مصر فيكون دخولهم إليها في جمع التاريخ في السنه التي هي ألفان ومئتان وثمان وثلاثون للتكوين أي خلق آدم.

ومن جمع هذا التاريخ مع السنة الميلادية الحاضرة الآن وهي ألف وتسعمائة وتسعون لميلاد عيسى عليه السلام نستخرج أن دخول القوم إلى مصر كان في السنة ألف وخمسمائة وثمان وثلاثون قبل الميلاد وعلى كل من أراد التأكد أن يراجع بنفسه كتاب العهد العتيق ويحرم عليه أن يقول عن هذا أنه التوراة لأن التوراة كلام الله ولا يحق لنا بل ويحرم علينا أن ندخل الأغلاط والأخطاء حتى والتعصب هذا إلى الله أو على الله.

وولد إلى لاوي إبن يعقوب إبنة وسماها (يوكابد) ولدت له في مصر وكان له من العمر حوالي

مائة وعشرون عاماً فهو ثالث أبناء يعقوب من ليئة. ولنقل أن يعقوب يكبر إبنه لاوي بخمسين عاماً تقريبا وهذا قبل موته بسبعة عشر أي أنه عندما دخل مصر كان له من العمر ثمانون عاماً. وقد عاش مئة وسبعاً وثلاثين عاماً بما ذكر الكتاب أي كتاب العهد العتيق.

فولادة يوكابد تكون في السنة الأربعين لدخول القوم إلى مصر وولدت يوكابد ولدها موسى ولها من العمر أربعين عاماً فتكون ولادة موسى عليه السلام في السنة الثمانين لدخول القوم إلى مصر. وخرج موسى ببني إسرائيل من مصر ولموسى من العمر ثمانون عاماً فتكون مدة بقائهم في مصر مائة وستون عاماً وهذا كله من كتابهم وحسابهم فتأمل أيها القارىء المؤمن بكتابهم والمرتل له في صلاتك تنزه الله عن كل مفترياتهم.

إن موسى بن يوكابد (أمه) بنت لاوي بن يعقوب. وتزوجت يوكابد من إبن أخيها عمرام بن قهات بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

ودخل يعقوب مع أولاده وأولادهم إلى مصر وكان عددهم كما ورد في كتابهم العهد القديم وذلك في الإصحاح السادس والأربعين من سفر التكوين/٨ وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤ ا معه إلى مصر ـ ثم عَدَّدَهُمْ ولم يدع أحداً منهم وقال/٢٦ «جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر الخارجة من صلبه ما عدا نساء بني يعقوب جميع النفوس ست وستون نفسا/٢٧ وإبنا يوسف اللذان ولدا له في مصر نفسان جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون هؤلاء هم الذين دخلوا مصر حسب قول الكتاب. وحساب الأعمار بما فيهم يعقوب ويوسف وولداه لقد بقي هؤلاء القوم في مصر ما ورد من أعمارهم وأفكارهم مائة وستين سنة وعلى كل قارىء أن يحسب إن شاء من كتابهم المقدس العهد العتيق. لا زيادة على هذا أبداً بل نحن الذين جعلنا الزيادة. ونذكر هذا لأن القوم قالوا أنهم بقوا في مصر أربعمائة عام».

لقد عرفنا نحن من أين جاءت الزيادة فأوصلوا مدة بقائهم من مئة وخمسين عاماً إلى أربعمائة عام وإليك هو:

لقد كتبوا كل هذا قبل أن يُخْرِجُوا أنفسهم من مصر كتابة وبعد أن ذكروا وأعادوا الذكر لعددهم البالغ أكثر من ثلاثة ملايين نسمة فاضطروا إلى زيادة المدة من مائة وخمسين بل أقل من ذلك إلى أربعمائة عام وأكثر.

وإلى أهل العقول الذين عملوا للوصول إلى القمر والكواكب الأبعد نقول ونطلب إليهم البحث عن الحقيقة التي لا تكلفهم إلا جزءاً واحداً من ألف جزء مما يبحثون أو أقل فيوقفوا

البلاء العظيم المدمر للآنسانية في حال مبكرة عما لا بد منه فيرجعوا الحقوق إلى أهلها وكفى سفك دماء وإستعباد لبني الإنسان وَيَدّعُون الصَّليبِيَّةَ فقد طال أمدها.

من الإصحاح الثاني من سفر العدد نخبر القارىء عن عدد القوم عند خروجهم من مصر بعد إقامة دامت مائة وخمسين عاماً وكان عددهم كما ترون وتقرؤون سبعون نفساً.

/٣٢ هؤلاء هم المعدودون من بني إسرائيل حسب بيوت إبائهم جميع المعدودين من المحلات بأجنادهم سته مئة ألف وثلاثة آلاف وخمس مئة وخمسون/٣٣ وأما اللاويون فلم يعدوا بين بني إسرائيل كما أمر الرب موسى وهؤلاء هم من بلغ العشرين عاماً من الذكور فقط حتى آخر العمر فكم هو عدد النساء والأطفال لا شك أنهم ثلاثة أضعاف هؤلاء مع أبناء لاوي فهل يصح لأولي العقول أن يسيروا في ركاب الصليبية ثلاثة ملايين من الرجال والنساء والأطفال يخرجون دفعة واحدة ويمشون في بادية وجبل وشجر وحجر كيف هذا ؟ من يحمل الأطفال وأين ينام الجميع؟ وماذا يأكلون قبل نزول المن والسلوى؟ ترى ما رأي القارىء ؟ ومن أين يشربون ؟.

ذكروا أن ملكاً جباراً كان يحكم مملكة تضم أقاليم ومدن وأرياف وأراض شاسعة تجمع الأموال الكثيرة ولكن الملك ينفق نصفها على ثيابه فقد كان مغرماً في لبس بذلة جديدة في كل يوم فإذا لبسها مرة لن يلبسها ثانية ويخشى أن يلبسها غيره فأوجب إعدامها.

ومن هذا أرهق الشعب بفرض الضرائب ولا رحمة ولا تراجع فإن الثياب الجديدة باهظة الثمن. كثيرة التكاليف حتى ضج الوزراء والقواد لفراغ الخزينة.

لقد تبارى الصناع والحذاق بتحضير تلك الملابس وإبداع صنفها وكان يبذل المال الكثير لمن تفوز ثيابه بمعارضه وإنتشرت أخبار فعله وعادته تلك في الآفاق.

وفي أحد الأيام جاء رجلان من خارج المملكة وطلبا مقابلة الملك فأذن لهما فدخلا عليه وحيياه تحية مبتكرة أعجبته فهش لهما وبش وأجلسهما في إكرام قبل أن يسألهما حاجتهما ولما إطمئنا قاما وقالا : دم أيها الملك غلاماك زاهد وناقد نتشرف بالمثول بين يديك لأول مرة ونريد أن نقدم لجلالتكم شيئا قد إبتكرناه ومن كتب الحكمة قد إستخرجناه فلا مثيل له ولا قدرة لغيرنا عليه وقد عجزنا عن القيام بصنعه بأنفسنا فحضرنا أيها الملك العظيم إليك فنظر الملك إليهما فاحصاً سائلاً: ما هو هذا الشيء ؟ قالا: يمكننا أن نصنع ثيابا من حرير ملون خفيفة الحمل جميلة الشكل. إذا لبسها الإنسان لا يراها عليه مبغض أبداً فيعرف الإنسان مبغضه من محبه وقد إخترناك أيها الملك لذوقك الرفيع من بين الملوك في أرضنا وجوارنا.

فقال الملك وقد تحفز للوثوب فرحاً. وهل تقدرا على ذلك؟ قالا نعم وعليك بالتجربة. فبالإمتحان يكرم المرء أو يهان. وإستدركا ولكن أيها الملك إنها كثيرة التكاليف جداً.

قال الملك إن هذا لا يهمني. والأهم عندي أن تكون الثياب جاهزة في أقرب وقت فاطلبا ما شئتما قالا: نريد منزلا منفرداً وأموالاً نحضر الأنوال والخيوط بها. ونحن الذين نقوم بشرائها لمعرفتنا دون غيرنا. ولا نريد خدماً فنحن نخدم أنفسنا.

فأجاب الملك بكل سرور ليكن لكما هذا. وأمر الوزير بتلبية طلبهما وإحضار المال وتجهيز الدار لهما. وحثه على الإسراع بذلك.

وأحضر الوزير المال. ثلاثة آلاف دينار من الذهب دفعة أولى. وقد سلمهما داراً كاملة الأوصاف وحسب طلبهما. بعيدة عن المتسائلين. وأعين الرقباء والحاسدين.

وبدأآ العمل بعد أن أحضر الخيوط الحريرية ذات الألوان الزاهية والتي لا يمكن لأي إنسان أن يراها. وأحضرا لأنفسهما الطعام من كل ما لذ وطاب. وجلسا في تلك الدار. وقالا للوزير إن المال قد نفذ فلا بد من إحضار مثله بعد أسبوع.

ويبدأ الرجلان العمل في ذلك المنزل لا يخرجان منه إلا ساعة واحدة في اليوم يروض فيها كل واحد جوادين فهما يملكان أربعة من أطايب الخيول.

ولما جاء الأسبوع الثاني أحضر لهما الوزيرالمال. ورآهما يعملان بجد ونشاط إذ يقول زاهد لأخيه ناقد إياك أن تصل الخيوط على الأرض فتتسخ. أجذب الخيط الأبيض وأدفع الخيط الأخضر. وأجعل الخيط الأحمر من اليمين ولا تنسى إياك الخيط الوردي أما الخيط الأسود فهو على الحاشية. إني أحب الخيط الأصفر فلونه يذكرني أبداً بنضوج الفواكه وقف الوزير والغلام الذي يحمل المال وقد عقدت الدهشة لسان الوزير. فقد تأكد من أن الرجلين يعملان شيئاً غريباً حقاً. لأنه لم ير من الخيوط شيئا حتى ولا من النسيج وخاف الرجل خوفاً شديدا فإنه يبغض الملك حقيقة ويخفي بغضه لتقتيره على الموظفين وحاجات الدولة والبلاد ولتبذيره الفاحش في شراء اللباس الباهظ الثمن.

ونظر الوزير إلى الرجلين وهما يعملان بجد وقال في نفسه ان هذين الشريرين سيفضحان كل مبغض للملك. ورده عن ذهوله وتفكيره سؤالهما كيف ترى أيها الوزير المحب تلك البدلة أو هذا النسيج ؟ ففكر لحظة وقال: انه لعمل مدهش جدا وسوف يدفع لكما الملك أموالا كثيرة جائزة عملكما والآن ان الملك بحاجة إليه فمتى تتما العمل ؟ قالا: غدا في منتصف النهار.

ومضى الوزير إلى الملك المتلهف لسماع خبر اللباس العجيب. وحالما سلم الوزير وقبل أن يجلس بادره الملك كيف رأيت القماش أيها الوزير ؟ فأجاب دمت أيها الملك لم أر له مثيلا في عمري وغدا في ضحى النهار سيحضران اللباس العجيب أيها الملك.

وفي اليوم التالي وفي ضحى النهار جاء البشير إلى الملك بأن الحكيمين قد أحضرا الكسوة إلى الملك وهما في باب القصر فصاح الملك أدخلوهما.

ودخل الرجلان وهما يمدان أيدهما إلى الأمام كمن يحمل على يديه شيئا يخاف سقوطه وتلككه ويقول (زاهد) (لناقد) اياك اياك ارفع من جانبك كيلا تصل إلى الأرض

ووقف الملك يستقبلهما ولكنه لم ير الثياب ووقف كل من في المجلس وهم ينظرون إلى الحكيمين نظرة الاستغراب والخوف وهما يُلَبِّسَانِ الملك تلك الثياب الغريبة وقد سارر زاهد الملك قائلا انك ستراها غدا وستبهجك بهجة يبقى عليك أثرها أبدَ عمرك الطويل وأما الآخرون فسيرونها حالا وارتفعت أصوات الاستحسان من جميع من حضر المجلس يمدحون الألوان وحسن التفصيل ويباركون للملك بلبسها والملك يرد للناس بالشكر لحبهم العظيم لأن زاهدا أخبره بأنه لن يراها في يومه.

وأمر الملك خازنه بإعطاء الحكيمين ألفي دينار ووعدهما بأكثر من هذا. فخرج الحكيمان من مجلس الملك وبعد الغروب ركبا فرسيهما وحملا أموالهما ولم يصبحا الا في خارج حدود المملكة.

ولكن الملك لم ير في اليوم التالي ثيابه ولا في اليوم الثالث والرابع والناس يمدحون مالا يُرى فكيف هذا ترى هل من الخير أن يخبر الناس ملكهم أنهم لا يرون شيئا أم خيرا فعلوا ؟ وهل يؤجر القوم على سكوتهم أم يعاقبون من الخالق ؟.

ولادة نبي الله موسى عليه السلام

لقد مر معنا أن فرعون وملائه قد جعلوا ذبح أطفال بني اسرائيل قانونا يذبحون الأطفال في سنة ويتركونهم سنة ويكون في ذلك ذبح الذكور فقط.

وولدت امرأة من وجوه بني اسرائيل واسمها (يوكابد) ابنة لاوي بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم وذلك في عام ذبح الأطفال غلاما ذكرا وسيما أحبته حبا أكثر من غيره من أولادها لأن الولادة كانت في عام الذبح وهو وليدها الثالث فقد كان لها ولد سمته حين ولدته في عام العفو قبل ثلاث سنوات هرون وكانت بكرها فتاة واسمها مريم.

وكان عمر مريم عندما ولدت ابنها موسى حوالي عشر سنوات أو أكثر من ذلك بقليل. ولم تسم المولود الجديد لأنها كانت تنتظر له النهاية المخيفة على أيدي الجلادين في القبط.

لقد ذكر كتاب العهد العتيق اسم المرأة التي ولدت الطفل يوكابد وقد تزوجت من ابن أخيها عمرام بن قهات بن لاوي بن يعقوب.

ويخبرنا جل وعلا عن ولادة تلك المرأة وعن خبر المولود وما عملت به وكيف عاش وأين تربى وكيف رضع وذلك في سورة «طه» وغيرها ونبْدأ ذلك من سورة القصص الآيه/٧: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم. ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا * إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه * عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون * وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل. فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون * فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ وفي سورة طه بمعنى هذا لقد ولدت يوكابد بنت لاوي بن يعقوب ولدا ذكرا. ولم يعلم بولادتها سوى ابنتها مريم التي زاد عمرها عن عشر سنوات قليلا، وقد أوحى الله جل وعلا ليوكابد أن أرضعي الطفل فإذا خفتي ظهور أمره فضعيه في تابوت مزفت وألقيه في اليم ولا تخشي عليه فإن الله سيرده عليك.

وأرضعت الطفل لأيام أو أسابيع حتى اذا علا صوته وصار ينبي أن في الدار رضيعا خشيت عليه وخافت من جواسيس فرعون أن يأتوا ويذبحونه أمام عينها. فأحضرت التابوت وطلته بالقار حتى لا يدخل إليه الماء ثم ألقته في النهر وقالت لأخته مريم تعقبي التابوت وانظري إلى أين يتجه به الماء. وكان الطفل في التابوت ومضى الصندوق مع الماء والفتاة تسير بحذاء النهر تراقب الصندوق عن بعد وفي حذر شديد وقلب الفتاة معلق مع أخيها الذي في داخل الصندوق.

وكانت الفتاة ذكية جدا تعلق قلبها مع أخيها. ونظرت لأمها فرأتها والهة. تسيل العبرات على وجنتيها. وتكاد لولهتها تنادي وتستغيث بطلب ابنها فأخذ الماء الصندوق في ترعة تذهب مياهها نحو بساتين الفراعنة. ومشت الفتاة في الطريق المحاذي لمجرى الماء حتى دخل الماء إلى بستان واسع كثير الأشجار والورود والرياحين والأزهار ورأت جواري امرأة فرعون يتجارين بجانب النهر وقد انقسم النهر أقساما فدخل التابوت مع أحد تلك الأقسام ورأته الجواري ونظرن

إليه وتجارين نحوه وأخرجن الصندوق من الماء. وأخذنه إلى امرأة فرعوة أو ابنته ولكن عندما فتح الصندوق كانت امرأة فرعون ممن يرقب ما سيكون بداخله.

لقد أراد فرعون قتل الطفل حسب القانون الذي وضعه مع ملئه بأن يقتل كل مولود ذكر من الاسرائيليين ولكن زوجته قالت له هب لي هذا الطفل فقد أحببته وعسى أن يكون لنا سندا وذخرا ولم يخيب فرعون رجاء زوجته وأرسل بطلب المراضع للطفل. ولكن الطفل أبى أن يقبل أي ثدي عرض عليه. وكانت أخته مريم تراقب كل هذا. وجعل الطفل يبكي كأنه يحثهم على طلب المرضع وعلمت مريم بالأمر فقالت لإحدى الجواري اللواتي يبحثن عن المرضع اني أعرف مرضعة ذات عقل وتجربة تعرف كيف ترضع وكيف تربي الأولاد لربما عرفت كيف تجعله يرضع ثديهاوأُرْسِلَ إلى المرضع أو ارسل إليها وجاءت أم الطفل التي وصفتها لهم الفتاة ورضي المولود ثديها وأرضعته أمامهم واتفقت معهم على أجرة ارضاعه وسمته امراة فرعون موسى ويعني في القبطية القديمة (المُنْقَذْ) أو (المُخَلَّصْ) واطمأن قلب أم موسى على ولدها وفي سورة طه الأية/٣٧ يقول جل وعلا: ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فاليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني * ولتصنع على عيني إذ تمشي اختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فُتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى﴾.

ونما موسى وترعرع في بيت عز في بيت فرعون ترعاه أمه تلك التي تبنته وأحبته ولكن الملك قد انتقل عنها فقد مات فرعون ذاك وصار الملك لغيره ولم يطلب من موسى سخرة وهو الذي بدأ يعرف من هو ومن هم أهله كبيضة من طير الحجل وضعت تحت دجاجة فحضنتها مع بيضها فلما أفرخ عرف نفسه وعرفوه فبدأ يثور على أنظمة وقوانين الأقباط التي فرضوها على الأغراب كنظام السخرة ونظام المجتمع فلا قيمة ولا كرامة للغريب عند القبط.

وهذا الذبح يكون في سنةٍ وسنةٍ لأطفال الاسرائيليين والجاليات الأخرى إنه لدليل على أن الانسان عدو للانسان اذا انسلخ من ثوب انسانيته. أو اذا فقد إنسانيته أو ما يسمونه الضمير. وقد يفقد مقدس الضمير ضميره. فلكلٍ دوره في الحياة.

لقد بدأ موسى يثور. ولكن ثورانه بدأ يجلب عليه النقمة من القبط. حتى وبدأ يتوارى عن نظرهم لأمور حصلت منه طالبوه بالتزام حده. واحترام القوانين المسنونة.

وصار موسى في سن الشباب وبلغ الثلاثين من عمره وجعل يمشي ويتجول حول أماكن

السحرة فإذا رأى إسرائيليا قد غلب على أمره وظهر له ظلمه. فك قيده أما بشفاعة فيه أو بالقوة حتى طُلِبَ من السلطة. وظهر أمره. فَبَعْضِ ذوي النفوذ يريد طرده عن القصر وبعضهم يحفظ له مقامه في القصر الذي جعلته له أمه القبطية.

وفي يوم مر بين مزارع الدولة أو الكهنة حيث تسخير الاسرائيليين فرأى رجلا قبطيا يضرب رجلا اسرائيليا، فطلب منه أن يكف عن ضربه، فرفض القبطي. وأظهر الجفاء نحو موسى فلم يصبر موسى على جلافته. فضربه بعصا كانت في يده فكانت القاضية.

لقد تأثر موسى وندم على ما كان منه وطلب إلى الاسرائيلي أن يدفنه، ولكن الاسرائلي مضى في سبيله. وظهر أمر القتيل فجعل الأقباط يبحثون عن قاتله ولكنهم لم يوفقوا.

وبعد يوم أو أكثر مر موسى في مكان اخر وإذا بالرجل الاسرائيلي يتنازع مع رجل قبطي اخر فناداه الاسرائيلي ثانية يطلب مساعدته، فتقدم نحوهما وهو يقول للاسرائيلي إنك لشرير ومع كلامه رفع عصاه يريد ضرب القبطي. فخاف الاسرائيلي وظن أن موسى يريد ضربه فقال لموسى على مسمع القبطي. أتريد قتلي كما قتلت القبطي بالأمس ؟.

فرد موسى عصاه وتركهما ومضى ولكن القبطي أيضا ترك منازعة الاسرائيلي ومضى إلى من يبحث عن قاتل القبطي بالأمس وأخبرهم بما سمع من خبر القاتل وأنه موسى، فطلبوا موسى لمحاكمته، وجرى البحث عنه وصادف موسى أحد أصدقائه من القبط أو من الغرباء وقال له إن البحث عليك في كل مكان فقد أخبر القوم أنك قد قتلت فلانا القبطي فاترك هذه البلاد حتى تنسى فإن القوم سيقتلونك وتأكد موسى من هذا، فمضى نحو الشرق يحمل عصاه ويتدثر بردائه ليوم واخر ومن مكان إلى اخر حتى وصل بلاد مدين

موسى في أرض مدين

إن عالم الغيب والشهادة يخبرنا بما حصل ولنعد إلى سورة القصص وللاية/١٤ : ﴿ولما بلغ أشده واستوى أتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثة الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين * قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين * فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين * فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد الا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من

المصلحين * وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين * فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين * ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ ووصل ماء مدين في يوم صائف وحر شديد في أويقات الظهر.

بلاد مدين جنوب غرب الأردن أو في شرقي الأردن تحدها البادية للشرق والجنوب. ومدين قبيلة عربية حضرية وبدوية بادت في غيرها من القبائل العربية البائدة أرسل الله جل وعلا لها رسولا من خيرة أهلها وهو شعيب النبي وأيام رسالته والوقت الذي أرسل فيه يمتد في فترة دخول بني اسرائيل مصر إلى ما قبل خروجهم وقد أنذر شعيب قومه أن يصيبهم الذي أصاب من كان من قبلهم فذكر قبيلة عاد وثنى بقبيلة ثمود وهم بقرب بلادهم وَخَوَّفَهُم من مصاب قوم لوط ففي سورة هود الآية/٨٩: ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح * وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ ففي الآية من قول شعيب أنه كان بعد قوم لوط والأقوام التي سبقت قوم لوط وعدها وَبَيَّنَهَا لهم ولم يذكر التوراة ولم يذكر بني اسرائيل فهو من قبلهم وقد اصاب قومه البلاء بتكذيبهم وهو عذاب يوم الظلة وبقي معه المؤمنون وهم قليلون ثم تكاثروا حتى جاء موسى أرض مدين وذلك بعد حوالي قرن من الزمن.

وأما كتاب العهد العتيق فإنه يذكر أن مدين إبن ابراهيم من زوجته قَطُورَةَ وقد ولدت له ستة أبناء وأنهم سكنوا عن فلسطين شرقا. ولم يذكر عن شعيب. شيئا إلا أنه ذكر عن يثرون وهو والد زوجة موسى وأنه حسب هذا كان لموسى وفيا وعونا على جميع القبائل يتجسس له ويقدم له الرأي والحقيقة هي التي ذكرناها عن مدين بفضل الله وهديه.

ويدحض قول كاتب كتاب العتيق قوله وذاك أن يعقوب ولد مع أخيه لاسحق وهو ابن ستين سنه وأن اسحق ولد لابراهيم ولابراهيم من العمر مائة عام وأن سارة قد ماتت ولابراهيم من العمر مائة وخمسة وثلاثون عاما فتزوج قطوره بعد موتها فمدين ويعقوب في سن متقاربة. وإن يعقوب هو جد أم موسى لأبيها فهي يوكابد بني لاوي بن يعقوب وإن موسى قبل موته أرسل اثني عشر ألفا من بني اسرائيل فقتلوا مئات الألوف من المديانين وسبوا مئات الألوف وإن البنات العذارى اللواتي كن في السبي أكثر من اثنين وثلاثين ألف عذراء من بني اعمام يعقوب. فإلى الرشد ايها الناس فإن مدين أمة عربية قديمة كانت تسكن تلك الأرض من قبل ابراهيم فإن كان ابراهيم تزوج منهم وولدت له الأولاد ولما مات سكنت مع أولادها بين أهلها فلا نستبعد هذا ولنعد إلى حديث موسى عليه السلام حيث وصل ماء جماعة من مدين ووجد رعاة كثيرين يسقون

أغنامهم ينشلون الماء من ابار كثيرة ليجعلوها في الجوابي حتى اذا امتلأت سقوا ماشيتهم ونظر جانبا وإذا ببنتين تمنعان أغنامهما من الاختلاط مع أغنام الآخرين وهما تنتظران جانبا دون أن تقربا من الآبار فسألهما لم تمنعان الغنم عن الماء فقالتاانا ننتظر صدور ماشية الرعاة لنسقي أغنامنا من بقايا الماء الذي في الجوابي فنحن لا نستطيع نشل الماء وإن أبانا شيخ قد اسن فشمر عن ساعديه وانتشل الماء من أحد الابار وسقى لهما سرحهما فذهبت البنتان بغنمهما إلى والدهما مبكرات عن الموعد فسألهما أبوهما عن سبب تبكيرهما فأخبرتاه بالشاب المصري الذي سقى لهما. فارسل احداهن في طلبه.

أما عن موسى فإنه بعد أن سقى لهما. نظر إلى ظل قريب منه فذهب إليه يستظل به وقد عضه الجوع بنابه. وذكر قوته ولكن الجوع يرمي بالقوي والضعيف ويخبرنا جل وعلا عن كل هذا في سورة القصص في الاية/٢٣: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تزودان قال ما خطبكما قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت الي من خير فقير﴾.

زواج موسى من ابنة الشيخ المديني

ذكرنا أن موسى عليه السلام سقى للبنتين سرحهما وبعد أن ذهبتا جاء إلى ظل قريب من البئر أهو ظل شجرة أو من ظلال صخور لا ندري وجلس يفكر بحاله فهو في حالة جوع شديد وذكر فقره رغم قوته وشدة عزمه ولم يطل تفكيره حتى رأى احدى البنتين تأتي في اتجاه مكانه.

كانت الفتاة في حالة استحياء شديد لأنها لم تر الرجل الشاب الا في ذلك اليوم الذي سقى لهما فيه غنمهما وليس هناك غيره وقالت بما أخبرنا الله جل وعلا في سورة القصص يتم القصة: ﴿فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين﴾.

لقد جاءت الفتاة تدعوه إلى أبيها وأجاب الدعوة فإن الجوع عدو مخيف ولو لا الجوع لما ذهب وكانت الفتاة في ارتباك من الحياء وقد تبين له من لفظها.

ومشى خلفها ثم عاد وطلب إليها أن تمشي خلفه وتشير له إلى الطريق ويظن أن ريحا كانت تثير التراب وتدفع الثياب فخشي عليها من ذلك وعرفت سبب طلبه ذلك فعلمت أمانته بعد أن عرفت قوته عند انتشاله الماء من البئر لسقي الماشية.

فلما قص خبره على أبيها وطمأنه وعرفت أنه ليس إبن سبيل إنما يطلب من يلجأ إليه قالت لأبيها يا أبت استأجره فإنه قوي. وإنه أمين وعرف الشيخ قصته وخبر قوته وأمانته فطلب إليه الوالد أن يزوجه من احدى البنتين على أن يرعى له الغنم ثماني سنوات وإن شاء أن يبقى عشر سنوات فمن كرم أخلاقه ولن يضيع تعبه.

ورضي موسى بذلك بعد أن أخبره الشيخ أن لا سلطة للمصريين في أرضهم هذه واختار احدى البنتين ويذكر كتاب العهد العتيق أن اسمها صفورة.

وبدأ موسى لأول مرة في حياته برعي الغنم بعد العيش الرغيد في قصر فرعون وذلك بعد زواجه من ابنة الشيخ وامتدت الأيام والأشهر والأعوام حتى أتم موسى عشر سنوات وولد له ولدان أو أكثر وقد تعلم من الرعي كيف يسوس الرعية وأكثر الرسل قد رعى الغنم قبل أن يبعث.

إن أكثر حياة موسى في تلك العشر سنوات التي قضاها في أرض مدين لم تزد عن منام في ليلة ثم انقضت فليس فيها ذكر لموسى من أي مصدر.

والله جل وعلا يخبرنا ويتم لنا القصة في سورة القصص وذلك قول الشيخ لموسى: ﴿قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي اتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾ من هذا نتبين أن موسى لما أتم القعد مع الشيخ المديني طلب الرجوع إلى مصر ولم يمهل ولربما عرف موسى أن فرعون مصر الذي كان يبغضه قد مات وعرف فرعون الذي تولى الملك من بعده. فإن موسى كان يعرف جميع رجال القصر لأنه عاش فيه كأحد أفراده وأن لم يكون في نسب معهم.

مكالمة الله موسى وإرساله إلى فرعون رسولا

وأخذ موسى أهله وسار بهم حى دخل جنوبي فلسطين ودخل واديا أضاع فيه الطريق وكان البرد شديدا ولم يستطع أن يشعل النار لسبب ما. أهو لضياع الزند الذي يشعل به النار. أم لسبب اخر فالراعي في ذلك العصر أو المسافر لا يمكنه السفر إلا مع ما يشعل به النار.

وجعل موسى يتظر إلى اليمين والشمال عن جوانبه ويظن أن الوقت كان ليلا لأن موسى رأي نارا ولم ير دخانا. فقال لأهله أثبتوا في مقامكم هذا حتى أرى هذا الوميض وأظنه نارا فآتي أهله أستدل منهم على الطريق وآتي معي بقبس من نارهم أشعل لكم به النار حتى نستدفيء ونطبخ إذا وجدنا ذلك نافعا.

ومضى موسى نحو النار التي تنادي لطالبها ليلا، ولما وصل بقربها رأى النار تشتعل في شجرة زيتون والشجرة كما هي بأوراقها والأوراق باقية لم تحترق فتعجب لذلك وأصابته الدهشة فوق عجبه عندما سمع صوتا من داخل النار التي في الشجرة يناديه بإسمه موسى ويخبرنا جل وعلا عن ذلك في سورة القصص الآية/ ٣٠: ﴿فلما آتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين﴾.

إنه لموقف رهيب أن يرى الانسان نارا تتقد في شجرة دون أن تحترق الشجرة في عصر لا يعرف الكهرباء ولا غيره من الزيوت ومما يزيد الرهبة أن يخرج صوت من داخل النار حتى ويزيدها أن صاحب الصوت يناديه بإسمه في ليل بهيم وأرض غربة ومشهد غريب والسامع في حالة ضياع والأعظم من ذلك قول المتكلم: ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾.

ووقف موسى المعروف ببطشه وقوته لا يجد جوابا ولا يتقدم ولا يتأخر واستمع قول المتكلم ثانية يتم القول: ﴿وأن ألق عصاك فلما رأها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾ وأخبرنا جل وعلا عن هذا أيضا في سورة طه الآية/ ٩: ﴿وهل أتاك حديث موسى * إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى * فلما أتاها نودي ياموسى * إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى * وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى * إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري * إن الساعة اتية أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى * وما تلك بيمينك ياموسى * قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مارب أخرى * قال ألقها ياموسى * فالقاها فإذا هي حية تسعى * قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى * واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء اية أخرى * لنريك من اياتنا الكبرى * إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ ولما ازداد تعريف المتكلم بنفسه ازداد موسى رعشة فإنه بما يعلم الآن أمام الله يسمع كلامه وينظر إلى اياته فها هي النار تتقد في الشجرة وها هو الكلام من داخلها وها هو قد سلب الارادة فقد سئل عن العصا التي يحملها وعن غرضه منها فأخبر وقيل له ألقها فألقاها فصارت حية تسعى فارتعش قلبه وربما أنها

قصدته ففر منها ونسي من يكلم وهذا هو الانسان مهما كان جبروته يخشى الظواهر الغريبة وَتُذْهِبُ لبه لأول وهلة وجاءه التشجيع لكي يمسك بها ولو لم تكن عصاه لما تجرأ على مسكها فأمسك بها فعادت إلى حالتها الطبيعية عصا.

لقد وقف موسى يسمع كلام الله الذي أخبره بوحدانيته وطلب منه أن يعبده وذلك بإقامة الصلاة أولا بذكر الله ثم طاعته وأخبره أن لحياة الانسان وخلق الله نهاية وأن البعث لا محالة سيكون من بعد الموت ليجزى كل مخلوق بأفعاله في دنياه فالايمان بها ضروري وواجب لا بد منه لأنه يتعلق بالايمان للحساب وللثواب وللعقاب وعليه مدار عمل المخلوق في الدنيا ثم أعلمه بأن من لا يؤمن بيوم الدينونة عليه أن لا يسمع قوله فذاك ضال مضل.

أما سؤال الله عن العصا وجوابه على أحوال حاجتها فربما كان جواب أسئلة لم تذكر أو أن موسى سبق الأسئلة بالجواب فقال: أتوكأ عليها عند تعبي في سيري ووقوفي ولي فيها حاجات أخرى كأن يحفر على جذور بعض النباتات التي تؤكل أو عن الكمأة ويدفع بها عن نفسه ويضع عليها كساء يستظل به وغير ذلك كثيرا.

وبعد هذا قال الله تعالى لموسى أمسك الحية فأمسك بها فعادت إلى حالتها الأولى ثم قال له أدخل يدك إلى جيبك والجيب فتحة الثوب تلقاء الصدر فأدخلها وأخرجها فإذا هي بيضاء كالثلج أو أشد بياضا وليس بها أذى من برص أو غيره.

لقد فعل هذا موسى وبقي ينتظر الغاية من ذلك حتى قال تعالى: ﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ وكان قوله تعالى في سورة القصص عن هذه الآية/٣٢: ﴿أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وأضمم إليك جناحك من الرهب فذلك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين﴾ فبهذا أخبرنا الله عن الرسالة التي أرادها لموسى حتى يؤديها إلى فرعون ولكن موسى ذكر لربه خوفه من فرعون حيث قتل القبطي فقال: ﴿قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون﴾ ولكنه لم يرفض الرسالة انما طلب من ربه كما أخبر الله: ﴿وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي رِدءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون﴾.

وأما في سورة طه فيذكر لنا تعالى ما كان من موسى بعد أن قال الله له: ﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ فقال موسى: ﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾.

ولنسأل أولئك الذين يقولون أن الرجل الذي رعى موسى غنمه كان اسمه شعيبا وهم من مفسري القران الكريم من أين عرفوا أن الرجل كان اسمه شعيبا ؟.

هل أخذوا هذا من القران الكريم أم أخذوه بحديث صحيح عن نبيه الكريم ؟.

وهل كانت رسالة الرجل قبل استخدامه موسى أم هي بعد ذهاب موسى من خدمته ؟.

فإذا كانت رسالته قبل استخدام موسى فإن المديانيين قد هلكوا إلا المؤمنين الذين بقوا مع شعيب فإذا كان هذا فلا حاجة لموسى في نشل الماء ولا حتى في استخدامه فإن المؤمنين من المديانيين يتسابقون لخدمته أو على الأقل لمصاهرته ويكفونه شر ارسال بناته يرعين الغنم فكيف قال المفسرون إنه شعيب ؟.

وإذا كانت رسالته بعد رسالة موسى لَمَ لم يذكر شعيب رسالة موسى ؟ وهو الذي قد أخبر قومه بهلاك قوم هود وقوم صالح وقال لهم وما قوم لوط منكم ببعيد؟ وذكرهم بكل هذا يقول تعالى في سورة هود الآية/٨٩: ﴿وياقومي لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾.

إن شعيبا لم يذكر فرعون وملأ الفرعون ولم يذكر رسالة موسى ولكنه ذكر قوم لوط فهو من بعد هلاك قوم لوط وكانت مدين انذاك على قرب من مكان وزمان قوم لوط فهم قبيلة عربية قديمة عبدت الأصنام بعد قبيلة ثمود بقرون عديدة يعلمها الله وحده حتى إذا فسد أكثر أهلها أرسل الله إليهم شعيبا خطيب الأنبياء والرسل كما قال ﷺ وكان القوم أهل زرع وضرع فهم كما قال تعالى يخبر عن فعلهم وتطفيف كيلهم ووزنهم وذلك من قول رسولهم ففي سورة هود الآيه/٨٥: ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ وكذلك الآية/٨٥ من سورة الأعراف: ﴿فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ وفي سورة الشعراء الآية/١٨١: ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾.

لقد كانت رسالة شعيب قبل موسى بأكثر من مائة عام وكان حمو موسى من بقايا مؤمني القوم.

ذكر بني اسرائيل بأول مجيئهم لمصر وعدد الذكور والاناث

الاصحاح الأول من سفر الخروج يذكر هذا/١ وهذه أسماء بني اسرائيل الذين جاؤا إلى مصر مع يعقوب جاء كل إنسان وبيته/٢ راوبين وشمعون ولاوي ويهودا/٣ ويساكر وزبولون

وبنيامين/ ٤ ودان ونفتالي وجاد وأشير/ ٥ وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفسا ولكن يوسف كان في مصر/ ٦ ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل/ ٧ وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيرا جدا وامتلأت الأرض منهم/ ٨ ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف/ ٩ فقال لشعبه هو ذا بنو اسرائيل شعب أكثر وأعظم منا/ ١٠ هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض/ ١١ فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس/ ١٢ ولكن بحسب ما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا فاختشوا من بني اسرائيل/ ١٣ فاستعبد المصريون بني اسرائيل بعنف/ ١٤ ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفا.

/ ١٥ وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين إسم أحداهما شفرة وإسم الأخرى فوعة/ ١٦ وقال حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسي إن كان إبنا فاقتلاه وإن كان بنتا فتحيا/ ١٧ ولكن القابلتين خافتا الله ولم تقتلاكما كلمهما ملك مصر بل استحيتا الأولاد/ ١٨ فدعا ملك مصر القابلتين قائلا لماذا فعلتما هذا الأمر واستحييتما الأولاد/ ١٩ فقالت القابلتان لفرعون إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات فإنهن قويات يلدن قبل أن تأتيهن القابلة/ ٢٠ فأحسن الله إلى القابلتين ونما الشعب وكثر جدا/ ٢١ وكان إذ خافت القابلتان الله أنه صنع لهما بيوتا/ ٢٢ ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلا كل ابن تطرحونه في النهر. لكن لكل بنت تستحيونها» إن أبناء يعقوب وأولادهم من الذكور والاناث قد بلغوا أوهم عند دخولهم مصر كانوا هكذا سبعون نفسا وكان عمر يعقوب بما ذكر الكاتب مائة وثلاثون سنة فكم يكون تعداد هؤلاء بعد مائة وخمسين عاما لقد خدم الاسرائيليون الملوك الرعاة في مصر وأعانوهم على الشعب القبطي فلما تولى الأقباط حكم البلاد انتقموا من كل غريب وأرادوا تقليل الغرباء في أرض مصر فقتلوا الذكور وأبقوا الاناث ولكن هل يطلب فرعون القابلتين فلو ذكر الكاتب مدير الشرطة لكان أقرب للواقع ثم نذكر من الاصحاح الثاني من سفر الخروج وهو/ ١ وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي/ ٢ وحبلت المرأة وولدت إبنا ولما رأته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر/ ٣ ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد أخذت له سفطا من البردي وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفا على حافة النهر/ ٤ ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به/ ٥ فنزلت إبنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات بجانب النهر فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته/ ٦ فلما فتحت رأت الولد وإذا هو صبي يبكي فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين/ ٧ فقالت أخته لابنة فرعون هل أذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع

لك الولد/٨ فقالت لها إبنة فرعون إذهبي فذهبت الفتاة ودعت أم الولد/٩ فقالت لها إبنة فرعون إذهبي بهذا الولد وأرضعيه لي وأنا أعطي أجرتك فأخذت المرأة الولد وأرضعته/١٠ ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها إبنا ودعت اسمه موسى وقالت إني أنتشلته من الماء «لقد ذكر الكاتب أنها وضعته بين الحلفاء بجانب النهر وهنا يقول: إني انتشلته من الماء وإذا لم يكن في الماء فلا حاجة لأن يطلى بالحمر والزفت.

/١١ وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم فرأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من إخوته/١٢ فالتفت إلى هنا وهناك ولما لم يبصر أحدا فقتل المصري وطمره في الرمل ترى هل يفعل مثل هذا موسى فهذا يؤكد إجرامه لأنه قتل عمدا وتقليدا لموسى يمكن لليهودي القتل على هذه الصورة وفعلا قد أخذوا بها ولكن شرط الافلات من القانون.

/١٣ ثم خرج في اليوم الثاني وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك /١٤ فقال من جعلك رئيسا وقاضيا علينا أتفتكر أنت بقتلي كما قتلت المصري؟ فخاف موسى وقال حقا لقد عرف الأمر/١٥ فسمع فرعون هذا الأمر فطلب ليقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر/١٦ وكان لكاهن مديان سبع بنات فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن/١٧ فأتى الرعاة وطردوهن فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن/١٨ هل هذا صحيح ؟ فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال ما بالكن أسرعتن بالمجيء اليوم/١٩ إذا كان الرعاة في كل يوم يطردونهن ويشربون ماءهن - فقلن رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة وأنه استقى لنا أيضا وسقى الغنم/٢٠ فقال لبناته وأين هو لماذا تركتن الرجل ادعونه ليأكل طعاما/٢١ فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل وأعطى موسى صفورة ابنته/٢٢ فولدت ابنا فدعا اسمه جرشوم.

/٢٣ وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات وتنهد بنوا اسرائيل من العبودية وصرخوا فصعد صراخهم إلى الله من العبودية/٢٤ فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع ابراهيم وسحق ويعقوب/٢٥ ونظر الله إلى بني اسرائيل وعلم الله - لقد نسي الله الميثاق ونسي استعباد بني اسرائيل حتى مات فرعون فتذكر ؟ - وفي الاصحاح الثالث من سفر الخروج جاء هذا/١ وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان - وفي الاصحاح السابق كان اسمه رعوئيل - فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب/٢ وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تحترق/٣ فقال موسى أميل

الآن لأنظر هذا المشهد العظيم لماذا لا تحترق العليقة/ ٤ فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله وقال موسى.. موسى فقال هاأنذا/ ٥ فقال لا تقترب إلى هنا إخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة/ ٦ ثم قال له أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله/ ٧ فقال الرب إني قد نظرت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم إني علمت أوجاعهم/ ٨ فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جديدة وواسعة إلى أرض تفيض لبنا وعسلا إلى مكان الكنعانين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين/ ٩ والآن هو ذا صراخ بني اسرائيل قد أتى إلى ورأيت أيضا الضيق الذي يضايقهم به المصريون/ ١٠ فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني اسرائيل من مصر/ ١١ فقال موسى لله مَنْ أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بني اسرائيل من مصر/ ١٢ فقال الله إني أكون معك وهذه تكون لك علامة إني أرسلتك حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل/ ١٣ فقال موسى لله ها أنا اتي إلى بني اسرائيل وأقول لهم إله اباتكم أرسلني إليكم فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم/ ١٤ فقال الله لموسى (أهيه) وقال هكذا تقول لبني اسرائيل أهيه أرسلني إليكم/ ١٥ وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبني اسرائيل (يهوه) إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم هكذا إسمي إلى الأبد وهكذا ذكري إلى دور فدور /١٦ إذهب وإجمع شيوخ اسرائيل وقل لهم الرب إله اباتكم إله ابراهيم واسحق ويعقوب ظهر لي قائلا إني قد افتقدتكم وما صنع بكم في مصر/ ١٧ فقلت أصعدكم من مذلة مصر إلى أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبنا وعسلا/ ١٨ فإذا سمعوا لقولك تدخل أنت وشيوخ بني اسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له الرب إله العبرانيين التقانا الآن نمضي سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا/ ١٩ولكني أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضون ولا بيد قوية/ ٢٠ فأمد يدي وأضرب مصر بكل عجائبي التي أصنع فيها وبعد ذلك يطلقكم/ ٢١ وأعطى نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين فيكون حينما تمضون لا تمضون فارغين/ ٢٢ بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين.

لقد عدد الكاتب القوميات على لسان الرب وذكر أرضهم التي تفيض لبنا وعسلاوقد ذكر إله ابراهيم وإسحق ويعقوب فهل هذا هو إله بني الانسان جميعهم أم لهؤلاء فقط ؟.

سؤال يطرح على جميع رجال الدين الذين يقدسون هذا من مسيحيين ومسلمين فإن كان اللهِ لهؤلاء فما شأنهم هم بتقديس ذلك وهو يفرض العبودية عليهم إذا لم يسلبهم أرضهم ويفني

نفوسهم وإن كان هو إله بني الانسان جميعا كما هو أله ابراهيم وإسحق ويعقوب وأبناءهم فإن تسعين في المئة على الأقل من جميع ما كتب فيه كذب ومختلق.

وفي الاصحاح الرابع جاء هذا/١ فأجاب موسى وقال ولكن ها هم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي بل يقولون لم يظهر لك الرب/٢ فقال له الرب ما هذه في يدك فقال عصا/٣ فقال اطرحها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية فهرب موسى منها/٤ ثم قال الرب لموسى مد يدك وأمسك بذنبها فمد يده وأمسك به فصارت عصا في يده/٥ لكي يصدقوا أنه ظهر لك الرب إله ابائهم إله ابراهيم وإله إسحق وإله يعقوب.

ثم يذكر بقية الآيات كيف يصفها الرب لموسى ولكن موسى يرفض الرسالة على زعم الكاتب ففي نفس الاصحاح/١٠ فقال موسى للرب إستمع أيها السيد لست أن صاحب كلام منذ أمس ولا أول أمس ولا من حين كلمت عبدك أنا ثقيل الفم واللسان/١١ فقال له الرب من صنع للانسان فما أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرا أو أعمى أما هو أنا الرب/١٢ فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به/١٣ فقال استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل/١٤ فحمي غضب الرب على موسى وقال أليس هرون اللاوي أخاك أنا أعلم أنه هو يتكلم وأيضا هو خارج لاستقبالك.

/١٨ فمضى موسى ورجع إلى يثرون حميه وقال له أنا أذهب وأرجع إلى إخوتي الذين في مصر لأرى هل هم بعد أحياء فقال يثرون إذهب بسلام/١٩ وقال الرب لموسى في مديان إذهب وارجع إلى اخوتك لأنه قد مات جميع القوم الذين يطلبون نفسك/٢٠ فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير وأرجعهم إلى مصر وأخذ موسى عصا الله في يده/٢١ وقال الرب لموسى عندما تذهب وترجع لمصر أنظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك/٢٢ فتقول لفرعون هكذا يقول الرب اسرائيل ابني البكر/٢٣ فقلت لك إطلق ابني يعبدني فأبيت أن تطلقه فها أنا أقتل إبنك البكر/٢٤ وحدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله/٢٥ فأخذت صفورة صوانه وقطعت غُرْلَةَ ابنها ومست رجليه فقالت إنك عريس دم لي/٢٦ فانفك عنه حينئذ قالت عريس دم لي من أجل الختان

هذه هي صفورة المديانية التي أنقذت موسى من يد الرب والا قتله وما على القارىء إلا أن يقرأ ما فعل موسى بنساء مدين على قول الكاتب فيما بعد

وبعد أن كلم الله موسى وأراه الآيات وأعطاه منها العصا التي كانت في السابق مصاحبة له كغيرها من العصي وأصبحت الآن مرافقة له وصاحبة تعطي عند حاجتها الآيات الباهرة

بإذن الله الخالق الواحد تحمي موسى وترشده ثم الآية الأخرى المرافقة أيضا ألا وهي يده التي إذا أدخلها بين ثيابه وأخرجها يتغير لونها من أدماء إلى بيضاء ظاهرة البياض كما هو الثلج بغير سوء إنما هي الآية وإذا أرجعها ثانية إلى جيبه ترجع إلى حالتها الأولى سمراء.

وأخبر الله موسى ما لم يكن يعرف وهو أن الله معه دائما وأبدا وذلك بقوله: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ فمضى موسى في طريقه مستبشرا حتى وصل إلى مصر والتقى بأخيه وأهله وأخبر أخاه الذي قد وصل إليه الوحي قبل قدوم موسى.

لقد أخبرنا جل وعلا في سورة طه بعض ما كان منهما فيما أمر به وأرسالهما من لدن ربهما في الآية/٤٢: ﴿إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري * إذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى * قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى * قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى * فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى * إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾.

لقد أخبرنا جل وعلا عن إرساله لهما وتشجيعه لهما وماذا يقولان لفرعون وأن يجعلا اللين في أقوالهما والتذكير في خطابهما فإن أطاع الرسالة وأبطل التمييز والاستعلاء أي التمييز العنصري ورضي بعبادة الله وحده فذلك المطلوب ويبقى بنوا إسرائيل في مصر كأهلها ولن تكون هناك أرض مقدسه وإن لم يقبل منهما فليرسل معهما بني إسرائيل إلى أرض مهجر أخرى وكفاهم استعبادا.

إن دخول قصر فرعون في ذلك العهد ليس بالأمر الهين فالرجل يدعي الألوهية. وأنه من سلالة الألهة وأن الناس كل التاس لهم تبعا فالاذن بالدخول يحتاج إلى وقت طويل.

واستأذن الرجلان بالدخول إلى القصر لمقابلة فرعون ولما أذن لهما ودخلا عليه عرضا عليه الرسالة فنظر إليهما واستنغرب أمرهما وسمع منهما وعجب من قولهما فقال بما أخبر الله عن ذلك في سورة طه يتم الخبر الأول: ﴿قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾.

لقد استغرب الرجل ربوبية غيره كما جاء في سورة النازعات الآية/٢٣: ﴿فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى﴾ وكما قال أيضا في سورة القصص الآية/٣٨: ﴿وقال فرعون ياأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾.

ولنعد إلى سورة طه فقد سأل فرعون موسى وهرون من هو ربكما فقالا ربنا الذي أعطى كل خلق شكله هذا الذي نراه فيه ظاهرا وأوحى له التوجيه داخلا حتى قصد كل مخلوق حاجته من طعام ومأوى وغاية الحياة في جميع مطالبها فانظر إلى النحل كيف تسعى وتبني وتنتج وانظر إلى النمل وعملها وهذا الانسان الذي يعرف من نفسه كل شيء عنها ثم يتكبر ويتجبر مع علمه بأنه مخلوق فكيف يدعي الربوبية ؟.

لقد انبهر فرعون من تلك الكلمات الجريئات وأراد إعجاز موسى فقال: أين ذهب الآباء والأجداد اذا ؟.

وأجابه موسى علمها عند ربي في كتاب لا ينساها ولا تضيع عنه الذي جعل الأرض المكورة تدور في فضاء لا يعلم أوله واخره واتساعه سوى الله وقد جعلها لنا سهلة ورغم وجود الجبال جعل لنا فجاجا فيها لسيرنا وغايتنا في طلب الرزق ومطالب الحياة وأنزل الله من السماء ماء فأروى الأرض وفلق الحب والبذرة وأخرجت الأرض نبتها من كل لون وشكل فأكل منه الناس وأكلت الأنعام وحمدت الله على نعمائه.

ويقول موسى لفرعون وما شأنك أنت الذي مات أبوك وسوف تموت أنت لقد نما أبوك جسمه من هذه الأرض ومات فعاد إليها وأنت كذلك ولا بد من خروج كل من مات من هذه الأرض ثانية ليحاسب عما جنت يداه قبل موته من فعل خير أو شر أليس في هذه ايات بينات ؟ ألا تُقْنِعُ هذه من ادعى الألوهية أنه أعجز من أن يرد عن نفسه أذى الذباب أو البعوض ؟.

إن قدرة الله تفوق الادعاء حتى وتعجز التفكير فقد أحاطت قدرة الله هذا الكون الفسيح ولا تتجزأ ملكيته لأرض دون أرض ولا لكوكب دون اخر وأخبرنا جل وعلا عن هذا في سورة طه الآية/٥١: ﴿فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلو وارعوا أنعامكم إن في ذلك لايات لأولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه اياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى﴾.

ويذكرنا جل وعلا مقابلة موسى لفرعون في سورة الأعراف الآية/١٠٤: ﴿وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل قال إن كنت جئت باية فات بها إن كنت من الصادقين فألقى

عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين قالوا ياموسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وأنقلبوا صاغرين وألقى السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾.

لقد اتهم فرعون وملؤه موسى بالسحر وأرادوا أن يبينوا للناس سحره فطلبوا منه أن يعين لهم يوما لكي يجمعوا السحرة من جميع أرض مصر فيقابلون السحر بمثله فقال موسى بإلهام الله سيكون الموعد يوم الزينة أي يوم عيد لهم فيكون الجمع أكثر ويُرَى الغالب والمغلوب وكان اجتماعهم يوم الزينة وحضر فرعون وأعوانه وحضر موسى وهرون وابتدأ العرض واجتمع الناس في يوم عيدهم فحضر العيد من لم يحضره في أعياد سابقة لأن عرض السحرة لسحرهم في أمر عظيم ومناظرات بين السحرة لم يعهد لها مثيل وجعل الناس يتوافدون من جميع أقطار البلاد وقد حشر الناس إلى ذلك العرض حشرا وحضر جميع سحرة مصر وكان ذلك العصر عصر سحر في جميع البلاد الراقية انذاك فليس في العالم انذاك بلاط مملكة الا والسحرة فيه والمنجمون ولهم المقام الرابع في الدولة اذ أن المقام الأول للملك وذويه ثم الوزراء ثم الكهنة فالسحرة والمنجمون.

لقد كان السحرة بالمئات ولا زيادة لمستزيد وقال السحرة بلسان زعمائهم هل لنا جوائز إن تغلبنا على هذا الساحر فأجاب فرعون لكم الجوائز ورفع المراتب أيضا ونظر هؤلاء إلى موسى وقالوا هل تعرض أنت أولا أم نعرض نحن ؟.

قال موسى بل ألقوا أنتم وكان الجميع يحملون العصي والحبال وحسب طلب الرؤساء ألقوا حبالهم وعصيهم وذلك من خبر الله تعالى في سورة الشعراء الآية/٤١ : ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون قال امنتم له قبل أن اذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون﴾ ويا للعجب لقد امتلأت الساحة والميدان الكبير بالحيات المتنوعة حجما وشكلا ونوعا وصارت تسعى في جوانب

الميدان ميدان العرض وخاف موسى وارتجفت أوصاله فإن مئات الحيات جعلت تسعى وكأنها جميعها تقصده لكي تبرهن عن عجزه.

وجاءه الوحي أن ألق عصاك أنت أيضا فألقاها فإذا هي أكبر من جميع تلك الحيات حجما وهي بحالة جوع شديد فجعلت تلتقط تلك الحيات كما يلتقط الدجاج الجائع الحب وأتت عليها كلها فلما رأى السحرة ذلك علموا أن هذا ليس بسحر إنما هو الآية من رب العالمين فآمن رؤساء السحرة لموسى وتبعهم الآخرون.

لقد آمن السحرة بالله العظيم عندما رأوا سحرهم قد غلب بحق وليس بباطل كباطلهم ولكن فرعون المتسلط المتأله الذي صدق كل ما يقال عنه قالوا انه يملك الموت فصدق ذلك وقالوا إنه يملك الحياة فصدق ذلك قالوا أنه صانع المعجزات فصدق ذلك وقالوا أنه أوجد العلم فصدق ذلك لقد صنع المجد كما قالوا فكيف يؤمن هؤلاء المشعوذون ولم يستأذنوه لقد كانوا له فإنقلبوا عليه فتوعدهم بالعذاب الشديد سيقطع الأطراف أولا ثم يكون الصلب يقطع يمنى الرجل من يديه ويسرى الرجل من رجليه ويعلقهم في جذوع النخل ليعتبر الناس بهم.

لقد كان عصر وجود بني اسرائيل في مصر عصر السحر العالمي كما ذكرنا وصار الناس يعدونه علما ويؤمنون به ويجعلون للساحر مكانة بقدر اتقانه لألاعيبه وتفننه في ارهاب وتخويف الناس وامتد ذلك التقدير والايمان إلى قلب افريقيا حتى صار لكل عشيرة وقبيلة ومدينة ساحرها بجانب زعيمها وللساحر أن يتوج الزعيم ويساهم في توليته وليس للزعيم من أمر الساحر شيء.

ولا يزال في أفريقيا حتى يومنا هذا من يتعاطى مهنة السحر ولا أغالط إذا قلت وفي مصر وفي المغرب وبلاد الشام من يفعل هذا سرا حتى وفي تغطية مكشوفة لأن تغطيتها تماما يحرم الساحر زبائنه وأولئك قد تمرنوا على القاء الرعب في وسط يؤمن بقدرتهم ولا يجرؤ على مخالفتهم حتى وأن كثيرين من وسط راق في عرف الناس يقصدون أمثال أولئك ليسحروا لهم فتاة أو شابا ليصير وفق طلبهم من حب أو بغض وكم قتلوا من شاب وفتاة أو جعلوا في عقله لوثة نتيجة تأثير مادة كيميائية دست له فسببت له الموت والبلاء.

ويخبرنا تعالى في سورة الأعراف يتم ما سبق: ﴿قال فرعون امنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا إنا إلى ربنا منقلبون﴾ وهكذا فاز موسى بالجولة الأولى ولكن فرعون عد هذا سحرا وتآمر مع السحرة لازالة ملكه وزاد تعذيب فرعون للاسرائيليين لأن شباب الاسرائيليين قد اجتمعوا على موسى وآمنوا بما جاء به ولكن شيوخهم تذمروا على موسى

وقالوا بما أخبر الله في سورة الأعراف الآية/١٢٩: ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ ولما لم يؤمن فرعون طلب إليه موسى أن يسمح بخروج بني اسرائيل من مصر فقال فرعون لموسى: ﴿ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ فأجابه موسى: ﴿وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل﴾؟.

لقد كانت مصر في ذلك العهد على درجة كبيرة من القوة والحضارة وكان الغرباء يُسَخَّرونَ في أراضي الدولة وأراضي الكهنة وبناء الهياكل والمعابد والثكنات وكلها تتم بالسُّخرة ويصنعون العجلات وأدوات الزراعة بما لا يكاد يقوم بأودهم فإذا ارتحل هؤلاء عن أرض مصر وقفت عجلة العمل لأن أكثر رجال مصر انذاك في الجندية وادارة الأعمال فقد كان الحثيون في الشرق أقوياء والنوبيون في الجنوب والليبيون في الغرب وكان عهد الفتوة في مصر فرفض فرعون أن يفك أسر الغرباء وراجع موسى ربه وشكى إليه أمر فرعون وتذمر بني اسرائيل ولدعاء موسى أرسل الله القحط على أرض مصر. ثم أرسل عليهم الطوفان فقضى على أكثر محاصيلهم وأخذ القرى على جانبي النيل ولم يقبل فرعون أن يؤمن أو يرسل بني اسرائيل مع موسى.

وفي عام اخر أرسل الجراد فقضى على محاصيلهم فظنوه طبيعيا كان يمر مثله على أسلافهم ثم كان القمل تعلق بعموم رجالهم الصغير والكبير منهم ففزعوا إلى موسى فدعا ربه فصرفه الله عنهم ثم رجعوا عن وعدهم ثم أصابهم الرجز وهو أقسى شيء عليهم فهو مرض خبيث ضرب أجسامهم ففزعوا إلى موسى ويخبرنا تعالى في سورة الأعراف الآية/١٣٢: ﴿وقالوا مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون﴾ وكانوا كلما اشتد عليهم بلاء الآيات يطلبون من موسى الدعاء فيدعوا لهم فإذا ذهب البلاء عادوا إلى التكذيب والتعذيب وملأت الضفادع بيوتهم وأفنيتهم وأصاب الرعاف الرجال والنساء وبعد سنوات من رسالة موسى سمح لهم فرعون بأن يعبدوا ربهم حسب طلبهم في بعد من العمران هناك في الهواء الطلق وقالوا انها ملزمة لهم في دينهم وتدوم ثلاثة أيام يتزينون فيها زينتهم ثم يعودون إلى مصر بعد انقضاء تلك الأيام إلى مصر إلى الحاضر.

واستعار الاسرائيليين من المصريين أموالا وحليا كثيرة من ذهب وفضة حتى وملابس وارتحلوا شرقا بنسائهم وأولادهم وأموالهم بشيبهم وشبابهم وأنسبائهم من المغتربين القدامى حتى

لم يبق في مصر ولا اسرائيلي ولا غريب يؤمن برسالة موسى ورحل الجميع وحطوا في المكان المتفق عليه مع فرعون ولما صار الليل لليوم التالي أوحى الله إلى موسى أن يرحل مع قومه ليلا لأن فرعون سيتبعهم وسرى موسى بقومه ليلا حتى ظُهْرِ اليوم التالي وقد وصلوا قريبا من البحر الأحمر وأدركهم عند البحر فرعون مع رجاله المدربين على عرباتهم المشحونه وكم كان مصاب القوم عظيما فقد كان اسم فرعون يرعب أعتى الاسرائيليين.

لقد بلغ خبر هروب بني اسرائيل إلى فرعون من جواسيسه بينهم أو من سقطات كلام بعضهم فجمع من حضر من جنده وسار يطلبهم حتى أدركهم عند البحر فصار البحر من أمامهم وفرعون، من خلفهم وراه الاسرائيليون فتقطعت عزائمهم قد سار بليل واستعدى ليعيد بذلك أسراه وصلو للبحر وأدركهم صرخوا يا موسى هو ذا هو وغاب صواب القوم وقالوا لموسى أدركنا فرعون فما العمل ؟.

إن قرابة مائة عام وهي مدة استعباد بني اسرائيل أو ثمانين عاما أو حتى خمسين عاما كفيلة بجعل الخوف في قلوبهم أعظم من أن ينقلع من قلب أحدهم في سنوات قليلة فاسم فرعون كاف لكي يلقي الرعب في قلب الاسرائيلي أيا كان ويخبرنا جل وعلا عن ذلك في سورة الشعراء الآية/٥٢ : ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون فأرسل فرعون في المدائن حاشرين إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون﴾.

غرق فرعون ومن معه من الجند

وجمع فرعون ما جمع من جند وأدركهم فقال الاسرائيليون لموسى إن هذا هو فرعون ويخبرنا جل وعلا عن ذلك في سورة الشعراء بقوله في الآية/٦١ : ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين﴾.

ويخبرنا جل وعلا في سورة يونس عن غرق فرعون في الآية/٩٠ : ﴿وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال امنت أنه لا إله إلا الذي امنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية وإن كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون﴾.

لم يكن للاسرائيليين معرفة بالقتال أبدا إنما كانوا يجيدون ويعرفون استعمال المساحي والمعاول والرعي فلما رأوا السلاح خافوا خوفا شديدا وارتعبوا وقالوا لموسى لقد أدركنا فرعون

فأوحى الله إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه فانفلق البحر اثني عشر طريقا بعدد أسباط بني اسرائيل ويبس الطريق فيها لا يدع شكا في أنها الأرض اليابسة وليست من البحر وإن الله ليصف جوانب الطرق من البحر كالجبال العظيمة.

وربما رفع الله أرض تلك الطرق بنظر فرعون وملائه بأنها برازخ وفي مستوى سطح البحر كالجزر فاقتحم خلف القوم وقد تأكد من ادراكهم وإرجاعهم ولم يفكر بايات الله لجبروته.

ويذكر أيضا في التفاسير أن ملكا كان يسير أمام بني اسرائيل يشجعهم ويسير أمامهم واخر من خلفهم ويؤيد ذلك قول السامري لموسى من خبر الله في سورة طه الآية/٩٥: ﴿قال فما خطبك يا سامري ؟ قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي﴾.

ويذكر أيضا أن فرعون وقف عند مدخل أحد تلك الطرق على حصانه مترددا في الدخول فأرسل الله ملكا على فرس حائل فدخل أمام حصان فرعون فاقتحم الحصان خلفها ولم يستطع فرعون رده وتبعه الجند فلما صار الجميع في تلك الطرق أطبق البحر عليهم فغرقوا جميعا وأنجى الله موسى ومن معه.

ترى من هو فرعون موسى والفراعنة كثيرون ؟ فقد التُقِطَ موسى في عهد أحدهم وتربى في عهد اخر وخرج من مصر في عهد الثالث والله أعلم وهذا الأخير أطولهم عمرا وأكثرهم قوة وجبروتا.

ويقول جل وعلا في ايات كثيرة في القران الكريم ومنها الآية/٥٠ من سورة البقرة: ﴿واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقناآل فرعون وأنتم تنظرون﴾.

لم سمي اليهود بالعبرانيين ؟

لقد انتهى أمر فرعون من حياة بني اسرائيل بعد عبورهم البحر الأحمر وقال أنهم انذاك سموا بالعبرانيين لأنه لم يكن قبل ذلك سبب لتسميتهم بالعبرانيين ولكن قول امرأة العزيز لزوجها عند اتهامها ليوسف بما جاء في كتاب العهد العتيق له أثر ذلك في الاصحاح التاسع والثلاثين من سفر التكوين/١٤ انها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة انظروا قد جاء الينا برجل عبراني ليداعبنا ثم أعادت القول/١٧ فكلمت زوجها بمثل هذا الكلام قائلة دخل الي العبد العبراني ولم يكن يوسف من شعب عبراني الا أن يكون كل داخل إلى مصر في ذلك يدعى عبرانيا وبقوا على ذلك حتى خرجوا ومر الاسرائيليون على قوم بعد عبور البحر فرأوهم يعبدون أصناما

فقالوا لموسى إجعل لنا كما لهؤلاء القوم الها وقد أخبرنا تعالى عن هذا مما في سورة الأعراف الآية/١٣٨ : ﴿وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم الهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾.

والآن سنأخذ من كل اصحاح بعض المقاطع مما هو مذكور في كتاب العهد العتيق الاصحاح الخامس سفر الخروج/١ وبعد هذا دخل موسى وهرون وقالا لفرعون هكذا يقول الرب إله اسرائيل أطلق شعبي لِيُعيِّدُوا لي في البرية/٢ فقال فرعون من هو الرب حتى أسمع لقوله وأطلق اسرائيل لا أعرف الرب واسرائيل لا أطلقه/٣ فقالا له إله العبرانيين التقانا فنذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب لئلا يصيبينا بالوبا وبالسيف/٤ فقال لهما ملك مصر لماذا ياموسى وهرون تبطلان الشعب من أعماله إذهبا إلى أثقالكما/٥ وقال فرعون هو ذا الآن الشعب كثير وأنتم تريحانهم من أثقالهم/٦ فأمر فرعون في ذلك اليوم مسخري الشعب ومدبريه قائلا/٧ لا تعودوا تعطون الشعب تبنا لصنع اللبن كأمس وأول من أمس ليذهبوا هم ويجمعوا لأنفسهم تبنا.

هل هذا من كلام الله أيها القارىء ؟ تمعن فيه وفكر كأنه من كلام القصاصين وخرج شيوخ اسرائيل من عند فرعون ووجدوا موسى وهرون وقوفا ينتظرونهم/٢١ فقالوا لهما ينظر الرب إليكما ويقضي لأنكما أنتنتما رائحتنا في عيني فرعون وفي عيني عبيده حتى تعطيا سيفا في أيديهم ليقتلونا.

الاصحاح السادس من سفر الخروج/١ وقال الرب لموسى الآن تنظر ما أنا أفعل بفرعون فإنه بيد قوية يطلقهم وبيد يد قوية يطردهم من أرضه/٢ ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب/٣ وأنا ظهرت لابراهيم واسحق ويعقوب بأني الاله القادر على كل شيء وأما بإسمي يهوه فلم أعرف عندهم/٤ ترى بماذا كان يعرف عند ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف ؟ ألم يقل الحثيون الذين أعطوا ابراهيم مغارة المكفيلة ألم يقولوا له كما في الاصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين/٣ وقام ابراهيم من أمام ميته وكلم بني حث قائلا/٤ أنا غريب ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي/٥ فأجاب بنوحث ابراهيم قائلين له/٦ اسمعنا ياسيدي أنت رئيس من الله بيننا في أفضل قبورنا إدفن ميتك لا يمنع أحد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك/٧ فقام ابراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث/٨.

أنت رئيس من الله بيننا قال الحثيون لابراهيم ولنعد إلى سفر الخروج الاصحاح السادس/, واتخذكم لي شعبا وأكون لكم الها فتعلمون أني أنا الرب الهكم الذي يخرجكم من

تحت أثقال المصريين/٨ وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن اعطيها لابراهيم وإسحق ويعقوب وأعطيكم إياها ميراثا أنا الرب.

/١٤ هؤلاء رؤساء أبنائهم بنو (راوبين) بكر اسرائيل حنوك وفلو وحصرون وكرمي. هذه عشائر راوبين /١٥ وبنو شمعون يموئيل. يامين. أوهد. ياكين. صوحر. وشاول بن الكنعانية. هذه عشائر شمعون/١٦.

وهذه أسماء بني لاوي بحسب مواليدهم جرشون قهات مراري وكانت سنوحياه لاوي مئة وسبعا وثلاثين سنة/١٧ إبنا جرشون لبني وشمعي بحسب عشائرهما/١٨ وبنو قهات عمرام ويصهار وحبرون وعزئيل وكانت سنوحياه قهات مئة وثلاثا وثلاثين سنة/١٩ وإبنا مراري محلي وموشي هذه عشائر اللاويين بحسب مواليدهم/٢٠ وكانت سنوحياه عمرام مئة وثلاثا وثلاثين سنة/ وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هرون وموسى هذا ما جاء في كتاب العهد العتيق فيوكابد ابنة لاوي بن يعقوب وابنها موسى الذي أخرج بني اسرائيل من مصر وجده لاوي بن يعقوب لأمه الذي دخل مصر وله من العمر أكثر من ستين عاما وخرج القوم من مصر ستمائة ألف مقاتل عدا عن الشيوخ والنساء ومن هم دون الثمانية عشرة من العمر فما ترى في هذا أيها القارىء ؟ أيمكن أن يكون كلام الله ؟.

الاصحاح السابع خروج/١ فقال الرب لموسى أنظر أنا جعلتك الها لفرعون وهرون أخوك يكون نبيك/٢ أنت تتكلم بكل ما أقول لك وأخوك هرون يكلم فرعون ليطلق بني اسرائيل من أرضه/٣ ولكني أقسي قلب فرعون وأكثر اياتي وعجائبي في أرض مصر/٤ فيعرف المصريون أني أنا الرب/٥ حينما أمد يدي على مصر أخرج بني اسرائيل من أرض مصر بأحكام عظيمة/٦ ففعل موسى وهرون كما أمرها الرب وهكذا فعلا/٧ وكان موسى بن ثمانين سنة وهرون بن ثلاث وثمانين حين كلما فرعون الاصحاح الحادي عشر.

ثم قال الرب لموسى ضربة واحدة أيضا أجلب على فرعون وعلى مصر بعد ذلك يطلقكم من هنا وعندما يطلقكم يطردكم طردا من هنا بالتمام هل صح هذا وطردهم فرعون طردا؟ وهل هذا هو الطرد ؟.

الاصحاح الثاني عشر/٢٩ فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن وكل بكر بهيمة/٣٠ فقام فرعون ليلا هو وكل عبيده وجميع المصريين وكان صراخ عظيم في مصر لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت/٣١ فدعا موسى وهرون ليلا وقال قوموا أخرجوامن بين شعبي أنتما وبنوا اسرائيل جميعا

واذهبوا اعبدوا الرب كما تكلمتم/٣٢ خذوا غنمكم أيضا وبقركم كما تكلمتم واذهبوا وباركوني أيضا/٣٣ والح المصريون على الشعب ليطلقوهم عاجلا من الأرض لأنهم قالوا جميعنا أموات/٣٤ فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم /٣٧ فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد /٣٨ وصعد معهم لفيف كثيرا أيضا مع غنم ومواش وبقر وافرة جدا/٢٩.

الاصحاح الثالث عشر/٤ اليوم أنتم خارجون في شهر أبيب/٥ ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والحوريين واليبوسيين التي حلف لأبائك أن يعطيك أرضا تفيض لبنا وعسلا أنك تصنع هذا في هذا الشهر/٦ الاصحاح الرابع عشر: خروج/٢١ وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب وليلا في عمود نار/١ وكلم الرب موسى قائلا: /٢ كلم بني اسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون مقابله تنزلون عند البحر/٥ فلما أخبر ملك مصر أن الشعب قد هرب تغير قلب فرعون وعبيده على الشعب فقالوا ماذا فعلنا حتى أطلقنا اسرائيل من خدمتنا/٦ فشد مركبته وأخذ قومه معه/٧ وأخذ ست مائة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنودا مركبيه على جميعها/١٠ فلما اقترب فرعون رفع بنوا اسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جدا وصرخ بنوا اسرائيل إلى الرب/١١ وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية ماذا صنعت بناحتى أخرجتنا من مصر/١٢ أليس هذا الكلام هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية/٢١ ومد موسى يده على البحر وأجرى الله ريحا شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء /٢٢ فدخل بنو اسرائيل وسط البحر على اليابسة والماء سد لهم عن يمينهم وعن شمالهم/٢٣وتبعهم المصريون ودخلوا ورائهم جميع خيل فرعون ومركباتهم وفرسانه وسط البحر/٢٤ وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج المصريين/٢٥ وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقله فقال المصريون نهرب من اسرائيل لأن الرب يقاتل عنهم.

/٢٦ وقال الرب لموسى مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم/٢٧ فمد موسى يده على البحر فرجع البحرعند اقبال الصبح إلى حاله الدائمة والمصريون هاربون إلى لقائه فدفع الرب المصريين إلى وسط البحر/٢٨ فرجع الماء وغطى جميع جيوش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر لم يبق منهم ولا واحد/٢٩ وأما بنوا اسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر والماء سورلهم عن يمينهم وعن يسارهم/٣٠ فخلص الرب ذلك اليوم

اسرائيل من يد المصريين ونظر اسرائيل المصريين أمواتا على شاطىء البحر/٣١ ورأى اسرائيل الفعل العظيم الذي فعله الرب بالمصريين فخاف الشعب الرب وأمنوا بالرب وبعبده موسى.

يقول جل وعلا في سورة النساء الآية/٨٢: ﴿أفلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ وقال أيضا في سورة الأعراف الآية/٦: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾ لقد أقر القوم واعترفوا أن الله كان مع يوسف في مصر ثم اعترفوا بأنه يعلم كل شيء فلم قالوا هذا ؟ ففي الاصحاح الثاني عشر خروج جاء ما يلي/٤٠ وأما إقامة بني اسرائيل التي أقاموا في مصر فكانت أربع مئة وثلاثين سنة وقد قال قبلها في نفس الاصحاح/٣٧ فارتحل بنو اسرائيل من دعمسيس إلى سكوت نحو ست مئة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد.

وعاد وأكد هذا في سفر العدد وزاد عليه ففي الاصحاح الأول من سفر العدد جاء هذا/١ وكلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا/٢ أحصوا كل جماعة بني اسرائيل بعشائرهم وبيوت ابائهم بعدد الأسماء كل ذكر برأسه/٣ من ابن عشرين سنة فصاعدا كل خارج للحرب بني اسرائيل تحسبهم أنت وهرون حسب أجدادهم.

وفي اخر الاصحاح الثاني جاء ما يلي/٣٢ هؤلاء هم المعدودون من بني اسرائيل حسب بيوت ابائهم جميع المعدودين من المحلات بأجنادهم ست مئة ألف وثلاثة الاف وخمس مئة وخمسون/٣٣ وأما اللاويون فإنهم لم يعدوا بين بني اسرائيل كما أمر الرب موسى ولكن اللاويين وقد عدهم في اصحاح اخر وهو الثالث من سفر العدد وهم اثنان وعشرون الفا فمجموع رجال القوم من ابن عشرين فصاعدا هو ستمائة وخمسة وعشرون الفا ونيفا. فكم هو عدد مجموع القوم مع نسائهم وأبنائهم من دون عشرين سنه؟ إن عددهم ولا شك من أربع ملايين إلى خمس ملايين أليس في هذا غرابة؟ ثم كيف مشى هؤلاء في الصحراء في مصر وكيف حملوا الماء ؟ وكيف ساروا معا ؟ وكيف اجتمعوا بل وكيف كثروا ؟ كل هذا من التوراة وكله من كلام الرب فهل أخطأ الرب في حسابه كل هذا الخطأ ؟ ولنذكر الآن مدة اقامة القوم في مصر بما لا يقبل الجدال أبدا وذلك من فم اسرائيل ادانتهوولدلاوي هناك في فدان آرام وهو ثالث ولد من أولاد يعقوب ودخل لاوي أرض مصر مع أبيه وكان عمر يعقوب انذاك مائة وثلاثون سنة بما أخبر يعقوب فرعون وذلك في الاصحاح السابع والأربعين تكوين فكم كان عمر لاوي انذاك ؟ إنه كان ولا شك ينوف عن ستين عاما وسنقبل هذا ولنسلم أن ابنته «يوكابد» أم موسى ولدت في

تلك السنة ولنذكر أنها ولدت موسى ولها من العمر خمسون عاما لأنهم لم يذكروا شيئا عن عقمها وخرج موسى من مصر وله من العمر ثمانون عاما وبقي في التيه أربعين عاما ومات وله من العمر مئة وعشرون عاما فيكون هكذا عمر أمه حتى ولدته زائد عمر موسى في مصر يساوي اقامة بني اسرائيل في مصر اذا فلنذكر هذا ولدت أم يوكابد يوكابد بعد الدخول إلى مصر بعشرين عاما وولدت موسى بعد خمسين عاما وخرج القوم من مصر بعد ثمانين عاما فيكون هذا عشرون زائد خمسون زائد ثمانون يساوي مئة وخمسين عاما فقط ومن شاء فليراجع وهذا من كتاب العهد العتيق والأمر هين جدا وسنفعل هذا مجددا حتى لا يتعب كثيرا من أراد المراجعة ففي الاصحاح السادس والعشرين وفي الآية/٥٨ فقد جاء ما يلي هذه عشائر لاوي عشيرة اللبنيِّين وعشيرة الحبرونيين وعشيرة المحليين وعشيرة الموشيين وعشيرة القورحيين وأما قهات فولد عمرام/٥٩ واسم امرأة عمرام يوكابد بنت لاوي التي ولدت للاوي في مصر فولدت لعمرام هرون وموسى ومريم أختهما وهذا في الاصحاح السادس والعشرين من سفر العدد هذه يكابد بنت لاوي بن يعقوب فكم كان لها من العمر عندما حملت وولدت موسى الذي أخرج الاسرائيليين من مصر وله من العمر ثمانون عاما ففي الاصحاح السابع من سفر الخروج جاء هذا/٧ وكان موسى ابن ثمانين سنة وهرون بن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون.

وفي الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية جاء ما يلي/٧ وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولم تذهب نضارته وكانت مدة التيه أربعين سنة كما هو معلوم للجميع إذا لنعد إلى الوراء إلى سفر التكوين لآخر الاصحاح التاسع والعشرين/٣٤ وحبلت أيضا وولدت ابنا وقالت الآن يقترن بي رجلي لأني ولدت له ثلاث بنين لذلك دعي اسمه لاوي.

هذا لاوي والد يوكابد جد موسى ولد في فدان ارام من أمه ليئة بنت لا بان الأرامي في السنة التاسعة أوالعشرة لوصول يعقوب إلى هناك حيث تزوج بعد سبع سنيْن من زوجتين ليئة وراحيل فكم كان عمر يعقوب انذاك؟ فكر ايها القارىء لا نظنه يصل الثلاثين فبهذا يكون عمر لاوي عندما دخل مصر مائة عام ولنقل أن يعقوب كان في الأربعين فيكون عمر لاوي عند دخوله مصر في التسعين لأن الذي جاء في الاصحاح السابع والأربعين من سفر التكوين هو هذا/٧ ثم أدخل يوسف يعقوب أباه وأوقفة أمام فرعون وبارك يعقوب فرعون/٨ فقال فرعون ليعقوب كم هي سني حياتك/٩ فقال يعقوب لفرعون أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة قليلة وردية كانت أيام سني حياتي ولم تبلغ إلى أيام سني حياة أبائي في أيام غربتهم/١٠.

ثم ولدت يوكابد بعد دخول لاوي مصر ولو راجعنا بحسب ما جاء في كتاب العهد العتيق

هل ولد لأبناء يعقوب أولادا في مصر لوجدناه أنه لم يولدلهم ولنذكر عشرين عاما ولادة يوكابد للاوي ثم ولدت موسى في الخمسين من عمرها وخرج موسى بالقوم وهو في الثمانين لوصلنا إلى مئة وخمسين عاما والحقيقة أن المدة التي استقر فيها بنو اسرائيل في مصر تزيد قليلا عن قرن من الزمان فكيف صار القوم أربعة ملايين إن سبعين نفسا تصبح في قرن أو قرن ونصف القرن مائة ألف فهذا عظيم وعظيم جدا.

نجاة جسد فرعون من بعد موته., ومن هو فرعون موسى الأخير ؟

لم يذكر كتاب العهد العتيق عن غرق فرعون غير هذا الذي ذكرناه نقلا ورأى اسرائيل المصريين أمواتا على شاطىء البحر ولم يذكر الانجيل عن هذا شيئا ولكن القران الكريم الذي هيمن على ما قبله من كتب سماوية أي أنه جاء بأخبارها الصحيحة وتشريعاتها الأساسية الصحيحة وزاد ما لم يثبتوه أي أثبت المحذوف فحرم الحرام وحلل الحلال وزاد في تحريم وزاد في تحليل فحرم الخمر تحريما كاملا ولم يكن كاملا وحرم لحم الخنزير المحذوف تحريمه وأحَل لحم الجمل ولم يكن تحريمه عندهم الا من أنفسهم ليس من الله وحرم بنت الأخ على عمها والعمة على ابن أخيها وابنة الأخت على خالها والخالة على ابن أختها وهم يحلونه بدون تحليل شرعي وحسبنا فالقران الكريم وقد ذكرنا ماجاء في سورة يونس الآية/٩٠: ﴿وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال امنت أنه لا إله إلا الذي امنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين﴾ هذا قول فرعون عند غرقه بما ذكر الله في القران الكريم وكان جواب جبريل له ولا ينطق جبريل أيضا عن هوى نفسه: ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك أية وإن كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون﴾ هذا ما ورد في القران الكريم عن ساعة موت فرعون غرقا في البحر الأحمر.

لقد سمعنا أن مومياء رعمسيس الثاني أعتى فراعنة مصر قد دب إليها الفساد والخبر هذا من اذاعة لندن في اللغة العربية وذلك في سنة ألف وتسعمائة وست وسبعين نقول أن مومياء رعمسيس دب إليها الفساد فجيء بمهندسين افرنسيين للنظر في أمرها وعندما فتحاها وجدا فيها ملح البحر مما يثبت موت رعمسيس غرقا في البحر فاستغربا هذا فذكر لهما هذه الآيات ولما تأكداها أسلم الرجلان وقد أعيد هذا من اذاعة لندن مرتين في برنامج لكل سؤال جواب فمن هذا أن المصريين قد أخذوا جثث موتاهم بعد الغرق ولم يتبينوا كيفية الغرق وكان بيان هذا في القران الكريم من اعجازه من فضل رب العالمين.

الاسرائيليون بعد الخروج من مصر.

وعندما اجتاز القوم البحر الأحمر وجدوا قوما يعبدون أصناما فقالوا لموسى اجعل لنا كهؤلاء القوم الها فغضب موسى غضبا شديدا وقال أنسيتم ايات الله قبل ثلاثة أيام ؟ ودخل القوم سيناء وجاع القوم فأنزل الله لهم المن والسلوى.والمن كما ذكر كتاب العهد العتيق أبيض كبزر الكزبرة وطعمه كما ذكر كخبز وعسل.

والسلوى طيور كطيور القطا تأتي محلتهم في المساء ولا تستطيع الطيران فيلتقطونها لحما وفي الصباح مع الندى يمتد المن على وجه الأرض كالثلج فيجمع البيت حاجته ليومه فاذا زاد عن يومه أنتن وامتلأ دودا إلا في يوم سبتهم فيجمع ليومه في يوم الجمعه فلا يصيبه النتن ولا يمسه الدود.

وعطش القوم وتنازعوا على الماء وشكى البعض إلى موسى وتذمروا عليه وقال بعضهم بما في الاصحاح السابع عشر خروج/٣ وعطش الشعب هناك وأراد الماء وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا من العطش.

وكذلك تذمروا قبل نزول طير السلوى والمن ففي الاصحاح السادس عشر من الخروج قالوا/٢ فتذمرو كل جماعة بني اسرائيل على موسى وهرون في البرية/٣ وقال لهما بنو اسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع لقد أمر الله موسى أن يضرب صخرة بعصاه فانفجر منها الماء اثني عشر عينا وذاك بما جاء في سورة البقرة الآية/٦٠: ﴿وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾.

وأكل القوم وشربوا ولكنهم لم يتركوا الفساد فإن موسى الذي كان على وعد مع ربه قد استخلف هرون على بني اسرائيل وقال له بما أخبرنا جل وعلا في سورة الأعراف وسورة طه ولنذكر هذا من سورة الأعراف الآية/١٤: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾.

ثم تقدم موسى عن قومه وتركهم يسيرون مع هرون باتجاه جبل الطور حتى يصل هو إلى مكالمة ربه وكان هذا الميقات لشهر وأراد الله أن يزيده عشرة أيام أخرى وتلك التي سببت فتنة بني اسرائيل بعجلهم وربما أوصاه الله بإحضار ألواح من جلد أو شيء ليكتب عليها أو أن

الألواح من الله هبة لموسى ووصل موسى إلى جبل الطور وبدأ المناجاة مع ربه فكان يتعبد فترة ويكتب أخرى حتى أتم كتابة الألواح.

لا يمكن لمخلوق أن يرى الله في الحياة الدنيا

أو قبل أن ينتهي قال يارب أحب أن أراك بهيبتك وشكلك فاسمح لي بهذا.

لقد كان موسى يسمع كلام ربه من شيء فأول الرؤية كان مما يشبه النار يتقد في شجرة ثم صار في سحابة أو ما شابه ذلك فالله أكبر من أن تتسع له الأرض أو حتى لقدمه ويخبرنا جل وعلا عن ذلك بسورة الأعراف الآية/١٤٣: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المسلمين﴾.

كان موسى يسمع ولا يرى مما جعل في نفسه الرغبة القوية للرؤية وطلب أن يرى ولكن الأمر أعظم مما يفكر الانسان هذا الذي هو من لحم وعظم ودم وأصله نسمة لا ترى بالعين المجردة حتى ولا بما هو معروف في الحياة الدنيا وتجلى الرب من ملايين الأميال التي لا يعلمها سواه للجبل هذا الذي يقف عليه موسى فانهار الجبل وتدكدك في انهيارات جوفية وزلزلة على السطح وصعق موسى رغم حذره فلما أفاق من اغمائة تدارك الخطأ واعتذر لربه من الحاحه في طلبه وقد أخبرنا تعالى شيئا عن نفسه ويقول تعالى في سورة الأنعام الآية/١٠١: ﴿بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ؟ وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾.

فرؤية الله جل وعلا تمتنع على المخلوقين في حياتهم الدنيا منعا باتا وخاصة على هذا الانسان المحدود السمع والبصر وستكون الرؤية متى ان أوانها هناك في الحياة الأخرى إذ تتغير القوانين الحياتية عن ما هي عليه في هذه الحياة الدنيا.

فلانسان يرى ربه في الآخرة وذلك في مرابع الجنة والكافر لا يراه ففي سورة المطففين يقول تعالى في الآية/١٥: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ ففي ذلك دليل الرؤية في الآخرة للمؤمنين وامتناعها عن الكافرين وقد ذكر رسول الله ﷺ أن المؤمن يرى ربه في الآخرة ففي حديث متفق عليه عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله ﷺ: «إنكم سترون ربكم عيانا وفي رواية قال كنا جلوس عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع

الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب» ومما روى مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى لهم تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال فيرفع الحجاب فينظرون إلى وجه الله فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ سورة يونس.

أما في الحياة الدنيا فلا يمكن لأي مخلوق أن يرى ربه لا يمكن للبشر ولا لغيرهم أن يروا الخالق وقد مرت اية الصعق المخبرة عن موسى وأن الجبل الذي لا يعي ولا يعقل كما هو علمنا لم يحتمل التجلي وقد يكون ذلك التجلي من ملايين ملايين الأميال أو السنين الضوئية.

كيف يرى هذا الانسان خالقا من خلقه ملك ما بين شحمه أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ومحيط أرضنا يمكن للمجد أن يقطعه على طريق مستقيمة مشيا على قدميه بثلاث سنوات تقريبا أو أقل من ذلك وما النجم الجبار الذي مر على الشمس في يوم فأخرج منها بجاذبيته تلك المجموعة الشمسية الا أن يكون ملكا من ملائكة الخالق أرسله إليها ليجعل تلك المجموعة على ما هي عليه وتكون الأرض امنا على ما هي عليه وفي الحديث الذي مر معنا وهو صحيح رواه أبو داود وغيره عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش أن مابين شحمة أذنيه إلى عاتقيه مسيرة سبعمائة عام».

وروى الترمذي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ان الله خلق اسرافيل يوم خلقه صافاً قدميه لا يرفع رأسه بينه وبين الله تبارك وتعالى سبعون نورا ما منها من نور يدنو منه الا احترق».

ويقول تعالى في اخر سورة الشورى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾.

وأما آية الكرسي فإنها تجعل حجرا في فم كل مدع أنه رأى أو يرى الله في الدنيا وهي الآية/٢٥٥ من سورة البقرة: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا

يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾.

لقد وردت تلك الآيات والأحاديث وحدث بها رسول الله ﷺ حين كان الناس لا يعلمون من سعة هذا الفضاء شيئا إلا أنهم يعتقدون أن السماء متصلة بالأرض كفراش وغطاء ليس إلا وقد مدوا أبعاد الأرض على حد علمهم وجعلوا بحر الظلمات وأن ارتفاع السماء عن الأرض الاف الأمتار وكما قال تعالى في سورة الزمر الآية/٦٣: ﴿وما قدروا الله حق قدرة والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

وفي حديث ورد في مصابيح السنة عن زرارة بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ قال: لجبريل هل رأيت ربك ؟ فانتفض جبريل وقال: يامحمد إن بيني وبينه سبعون حجابا من نور لو دنوت من بعضها لاحترقت».

فالله جل وعلا ليس بإنسان هكذا يجالس الناس ويحادثهم حتى ويصارعهم وربما كما ورد في كتاب العهد العتيق يعجز مع البعض فقد صارع عندهم يعقوب وأعجزه فقد بقي معه طيلة الليل ولولا أن ضرب حق فخذ يعقوب لما استطاع الخلاص منه وصارع موسى أمام عيني صفورة ولو لا أنها قطعت غُرْلَةَ إبنها وأسالت الدم لقضى على موسى وقد أرسله من العليقة ثم التقاه كي يقتله في اليوم التالي: ﴿وما قدرو الله حق قدره﴾.

إن الله أكبر من كل كبير فلا يعجزه شيء وأقدر من كل قدير فلا يغلب من شيء أحاط بالكون كله بفضائه ومجموعات شموسه ولا تنسب ألوهيته لغيره فمن نسبها إلى غيره أشرك فكيف يُرىٰ مَنْ مِنْ خلقه ذلك الملك الذي تضيع الأرض في يده وهو هناك حيث يعرف نفسه وقدرته وعلمه وبطشه في كل مكان سبحانه وكيف نراه ونحن على الأرض لا نرى منها الا بحدود ما يراه البصر وما في استطاعته وهي قوانين ضبط النظر وكذلك للسمع قوانين ضبط ولكل صنف من خلق الله قوانين تحد من سمعه وتحد من نظره وكذلك القدرة على الشم والذوق.

ويقول تعالى في سورة الروم وايات أخر بمعناها كثيرة وهي الأية/٨: ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ فالله جل وعلا أكبر وأعظم من أن يصارع الناس وأكبر وأعظم من أن يتمثل بإنسان والله جل وعلا أكبر وأعظم من أن يمشي على أرضنا أو تحمله أرضنا.

لقد قال تعالى في سورة البقرة الآية/٢١٠: ﴿هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من

الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾ إن أمر الله هو الذي يكون مع الغمام مع الملائكة فالله أكبر وأعظم هذا المراد أو المراد هل يريدون ذلك ؟ والله أعلم.

وورد في سورة الأنعام الآية/١٥٨ : ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون﴾ ذاك أمر الله وقدره.

لقد فرض الله جل وعلا على المسلمين خمس صلوات في اليوم والليلة وقد صلى جبريل بمحمد ﷺ من تعليم ربه الأوقات الخمسة وافتتاحها بتكبيرة الاحرام وهي «الله أكبر» تلازم كل ركن وواجب في الصلاة وتدل على حسم بأن الله أكبر من كل شيء وكل كبير يتضاءل أمام الله.

الاسلام التثبيت الأخير للدين حسب ما يلزم الانسان وهو نفسه دين ادم وإدريس ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى فهو فطرة إبراهيم وهو هو مفهوم موسى وملفوظه والأنبياء من بعده وهو هو بملفوظ ومفهوم عيسى وأصحابه وهو هو بمفهوم محمد وأصحابه صلوات الله وسلامه على جميع الأنبياء والمرسلين وتغير المفهوم وتبديل الملفوظ أو الزيادة أو النقص يأتي من بعد ذهاب المرسل ولولا أن الله جل وعلا تعهد حفظ القران الكريم فأمكنه في فجره تثبيتا لحصل له كغيره بسلطة متسلط وتلاعب مفترٍ لكن الله جل وعلا الذي قال في سورة الحجر الآية/٩ : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وقد قال تعالى في كتابه العزيز في سورة ال عمران الآية/١٩ : ﴿ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتو الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فإن الله سريع الحساب﴾ وأكد في نفس السورة الآية/٨٥: ﴿ومن يبتغ غير دين الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ ونعود لذكر الله بعظمته في ذكر صنعه فقد روى الترمذي حديثا وصححه عن عمر بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغتها قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها»

ولنعد إلى رؤ ية الله جل وعلا فالحديث قد تعلق بذلك فقد روى مسلم عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال «نور أنّى أراه» أي كيف أراه وفي حديث اخر قال حين سئل «حجابة النار أو النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه نظره» أو بصره وخلاصة القول أن الله لا يمكن أن يراه راء أيّ كان في الحياة الدنيا لأنه كان ولم يكن شيء وجعل الأشياء ضمن كونه فمن أراد معرفته فلينظر إلى صنعه ضمن حدود تعريفه نفسه في كتبه والا ضاع كما ضاع كل مدع رؤ يته في الدنيا لأن الكاذب ليس له في الايمان من منزلة.

فإذا نظر المرء وفكر في صنع الله بدءا من نفسه وخلايا جسمه إلى هذا الكون الفسيح الذي لم يخلقه الله عبثا إنما لغاية كريمة جليلة قد خص الله الانسان بالأهم منها وقد ورد أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من نوم ليل نظرا إلى الكون الفسيح فقال بصوت مسموع: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾.

«زَيْغُ كل من قال أنه رأى الله في دنياه».

وهذا هو مفهوم الدين دائما وأبدا وكل من جزء الله وقسمه بين خلقه في حلول أو ما شابه فقد زاغ إذا أول المتشابه وقد قال جل وعلا في سورة آل عمران الآية/٧: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله﴾.

وأفاق موسى من صعقه واستغفر ربه،وعلم أنه لا يمكن رؤية الله في الحياة الدنيا وقال له ربه تبارك وتعالى لم تركت قومك ولم تسر معهم قال رب أتيت رغبة في إرضائك قال ألا تعلم أن قومك قد سقطوا في الفتنة فغضب موسى وحمل هما كبيرا وعاد إلى قومه يحمل التوراة في ألواح لا نعلم شكلها ولا ما هي ويخبرنا تعالى عن هذا في سورة طه الآية/٨٥: ﴿قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي ؟ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا ألهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى﴾.

ووصل موسى ورأى القوم يعكفون على ذلك العجل عبادة وقد روى الامام أحمد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الخبر كالمعاينة إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه بالعجل فلم يلق الألواح فلما شاهد ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت» وبهذا نظن أنها كانت من الحجر.

لقد ألقى موسى الألواح وأخذ برأس هرون أخيه ولحيته وجعل يجره فقال هرون دعني حتى أخبرك وكان في موسى حدة فلم يتركه حتى ناشده الرحم التي بينهما فتركه ونتم هذا من خبر الله: ﴿قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري ؟ قال ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري

قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا إنما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما﴾.

في سورة الأعراف يذكر الله جل وعلا هذا في الآية/١٥٠: ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ هذا الذي كان من هرون في قصة العجل بما ورد في كتاب الله القران الكريم وسنذكر نقلا ما جاء عن هذا في كتاب العهد العتيق فقد جاء في الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج ما يلي/١ ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له قم اصنع لناالهة تسير أمامنا لأن موسى هذا الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه/٢ فقال لهم هرون أنزعوا أقراط الذهب التي في اذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها/٣ فنزع كل واحد من الشعب أقراط الذهب التي في اذانهم وأتوا بها إلى هرون/٤ فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر/٥ فلما نظر هرون بنى مذبحا أمامه ونادى هرون وقال غدا عيد للرب/٦ فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب/٧ فقال الرب لموسى إذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر/٨ زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم وصنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه الهتك يا اسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر/٩ وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب واذا هو شعب صلب لرقبة/١٠ فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم فأصيرك شعبا عظيما/١١ فتضرع موسى للرب وقال لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة/١٢ لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض إرجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك/١٣ اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها إلى الأبد/١٤ فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه/١٥ فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين/١٦ واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على الوحين/١٧ وسمع يشوع صوت الشعب في هتافه فقال لموسى

صوت قتال في المحلة/١٨ فقال ليس صوت صياح نصرة ولا صوت صياح كسرة بل صوت غناء أنا سامع/١٩ وكان عندما اقترب من المحلة أنه أبصر العجل والرقص فحمي غضب موسى وطرح الوحين من يده وكسرهما في أسفل الجبل/٢٠ ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ترابا وذراه على وجه الماء وسقى بني اسرائيل.

وقال موسى لهارون ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة/٢٢ فقال هرون لا يحمو غضب سيدي أنت تعرف الشعب أنه في شر/٢٣.

/٢٦ ووقف موسى باب المحلة وقال من للرب فالي فاجتمع إليه جميع بني لاوي/٢٧ فقال لهم هكذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحدٍ أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه/٢٨ ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى وسقط في ذلك اليوم نحو ثلاثة الف رجل

لقد جاء هذا في قصة عبادة بني اسرائيل للعجل في كتاب العهد العتيق الذي كان فيه هرون منذ قليل نبي لله ثم صنع العجل ولما صار القتل لم يقتل هرون صانع العجل.

ثم هذا هو الله الذي غضب حتى اشتد غضبه وبكلمة ناعمة من موسى زال غضبه حتى ندم على نية الشر التي نواها لهذا الشعب الصلب الرقبة فنبي الله هرون يصنع العجل بازميله ؟.

المحلة كم هو طولها وكم هو عرضها تلك التي حوت أربع ملايين نفس تعيش في خيام ونظن أنها لا تشرب ولا تقذر وليس معها من البقر والحمير والمواشي والا لما وسعتهاأميال وأميال ومن هذا نؤكد أن بني اسرائيل خرجوا من مصر مع تابعيهم من الأغراب الاف قليلة قد لا تتعدى الثلاثة أو أربعة أو خمسة على أبعد تقدير وسيكون لهذا بحث اخر أن شاء الله لقد استعار الاسرائيليون يوم خروجهم من المصريين حليا ليتزين النساء والأولاد في يوم عيدهم الذي اختلقوه أنذاك لتغطية هربهم من مصر وأصبح ذلك المصاغ بأيدي الاسرائيليين ولا يستطيعون ارجاعه ولا يحل لهم فجمع المصاغ ليدفن في مكان معلوم للخاصة منهم حتى اذا استقر أمرهم رأوا رأيهم فيه وكان بين من عرف مكان المصاغ رجل صائغ يدعى السامري.

وقد مر معنا أن بني اسرائيل بعد خروجهم من البحر مروا في سيناء على قوم يعبدون أصناما فقالوا لموسى اجعل لنا إلها كما لهؤلاء الهة فانبهم موسى وذكرهم بايات الله التي رأوها وكان طلب القوم في رغبة فقد كان القوم يعتقدون اعتقاد المصريين انذاك بتقديس البقر وكان السامري الصائغ يحب ابراز فنه فاغتنم فرصة غياب موسى فاستخرج الذهب المدفون سرا وصاغه عجلا

وقذف في جوفه حفنة التراب التي أخذها من أثر الملَك عند عبور البحر لأنه شاهد في ذلك غرابة لم يرها أو يسمع بها وذلك أن أثره يحيي موات الأرض فورا فالماء يحيي موات الأرض ولكن بعد وقت يطول حسب الطقس والحرارة أما هذا فالاحياء لوقته وخار العجل وأحدث صوتا كما تخور البقر فنادى للقوم واجتمعوا عليه فأراهم العجل وأسمعهم خواره فنسوا ذكرى انفلاق البحر ورقصوا حوله وفعلوا فعل المصريين انذاك ولم يقف مع هرون الا ذوي العقول وهم قليلون ولم يستطيعوا منعهم بالقوة فجعل ينتظر موسى خوف انقسام بني اسرائيل.

وحقق موسى مع السامري فلما ثبت جرمه اقتطع من بني اسرائيل ومنع الناس من مجالسته ومحادثته حتى ومعاملته هو ومن يخرج من صلبه أبد الدهر ومضى هذا فيه وفي عقبه وهو من أعانه في صنع العجل وقد طلب موسى من الذين عبدوا العجل أن يتوبوا إلى الله ويخبرنا تعالى في سورة البقرة الآية/٥٤: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾.

وقد ذكر أن الطلب هذا منهم أن يأخذ من لم يعبد العجل سيفه ويضرب به من عبدالعجل وأن لا يمتنع من عبد العجل على ضاربه وأن لا يهرب ولا يقاوم.

وقيل إن ذلك يكون في ظلمة الليل يضرب عابدوا العجل بعضهم بعضا فقتل في ذلك خلق كثير وقد كتبنا ما ذكر عن هذا في كتاب العهد نقلناه في صفحات سابقة ونظن ظنا وأن بعض الظن اثم إن طلب قتل نفوسهم هو اذلالها وندمها وتوبتهافبذلك يكون قتل النفس بالسيطرة عليها وتوجيهها توجها سليما.

إن قتل الآلاف منهم أي من المذنبين ليس بالأمر الهين وعلى كاتب كتاب العهد العتيق أن يقتل هرون قبل الجميع لأنه قد جعله صانع العجل.

لقد سجلت على القوم أول خطيئة كبرى بعد خروجهم من مصر وهي في الأشهر الأولى للخروج فقد رأى القوم أولا انفلاق البحر ثم عبروه ورأوا غرق فرعون وأكلوا المن والسلوى ورأوا انبثاق الماء من صخرة بضربة عصا من موسى ومع ذلك صاغوا العجل وعبدوه ورقصوا عبادة من حوله لقد عبدو العجل من دون الله والله معهم يرونه عمود دخان في النهار وعمود نار في الليل ينظرون إليه دائما وأبدا فهل يصح أيها القارىء الكريم ؟.

وإني لأوجه السؤال لمن قرأ الكتاب كتابهم مرات ومرات ألم يجد هذا الذي نجد ألم يعرف أنه ليس هذا هو الكتاب الصحيح؟.

ترى ألم يخلق الله غير بني اسرائيل يحرسهم ويرزقهم ويعبدون غيره ثم يشتمونه مرات ومرات ثم يعود إليهم مستعذرا تائبا ؟ ترى ما شأن الآخرين من خلقه وخاصة من جاوروا وسكنوا أرض فلسطين لقد جاء في الاصحاح التاسع والعشرين من سفر الخروج/٤٥ وأسكن في وسط بني اسرائيل وأكون معهم لهم أيضا الها/٤٦ فيعلمون أني أنا الرب الههم الذي أخرجهم من أرض مصر لأسكن وسطهم أنا الرب الههم وفي الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج/٧ وأخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة بعيدا عن المحلة وسماها خيمة الاجتماع فكان كل من يطلب يخرج إلى خيمة الاجتماع التي خارج المحلة/٨ وكان جميع الشعب إذا خرج موسى إلى الخيمة يقومون ويقفون كل واحد في باب خيمته وينظرون.

وراء موسى حتى يدخل الخيمة/٩ وكان عمود السحاب اذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة ويتكلم الرب مع موسى/١٠ فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفا عند باب الخيمة ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد في باب خيمته/١١ ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه ومن نفس الاصحاح نأخذ هذا.

/٢٠ وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الانسان لا يراني ويعيش/٢١ وقال الرب هو ذا عندي مكان فتقف على الصخرة/٢٢ ويكون متى أجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز/٢٣ ثم أرفع يدي فتنظر ورائي وأما وجهي فلا ترى.

انظر أيها القارىء لقد جعلو الله انسانا يصارع يعقوب طوال الليل ثم يقول يعقوب لأني رأيت ربي وجها لوجه ثم يصارع موسى أيضا وجها لوجه ثم تقرأ هذا«لأن الانسان لا يراني ويعيش؟».

والحقيقة أن هذا هو الصحيح لا يمكن رؤية الله في الحياة الدنيا ولكن انظر كيف وضع الله موسى في نقرة في الصخرة وستره بيده حتى اجتاز الله المكان؟.

الأرض ليست بأهل لحمل الرب جل وعلا فإنه يقول جل وعلا: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامه والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ سورة الزمر الآية/٦٧ وفي الاصحاح الأربعين من سفر الخروج جاء ما يلي/٣٤ ثم غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاالرب المسكن/٣٥ فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع لأن السحابة حلت عليها وبهاء الرب يملأ المسكن/٣٦ وعند ارتفاع السحابة عن المسكن كان بنوا اسرائيل يرتحلون في جميع رحلاتهم/٣٧ وان لم ترتفع السحابة لا يرتحلون إلى يوم

ارتفاعها/٣٨ لأن سحابة الرب كانت على المسكن نهارا وكانت فيهم نار ليلا أمام عيون كل بيت اسرائيل في جميع رحلاتهم.

وبعد هذا الذي قرأت من أقوال الكاتب أرسل موسى من يرود أرض فلسطين ومن فيها من الشعوب المتعدده وكان الرواد اثنا عشر رجلا من جميع أسباطهم فعاد الرواد ليخبروا الشعب الاسرائيلي بقوة أهل الأرض وأن العماليق يعيشون في الجنوب وأن الحثيين واليبوسيين والأموريين يعيشون في الجبل وأن الكنعانيين يعيشون في الساحل وعلى جانب الأردن.

ومن الاصحاح الثالث عشر سفر العدد نقرأ هذا/ ٣٠ لكن كالب أنصت الشعب إلى موسى وقال إننا نصعد إلى الأرض لأننا قادرون عليها/٣١ وأما الرجال الذين صعدوا معه فقالوا لا نقدر أن نصعد إلى الأرض لأنهم أشد منا/٣٢ فأشاعوا مذمة الأرض التي تجسسوها في بني اسرائيل قائلين الأرض التي مررنا عليها تأكل سكانها وجميع الشعب الذي رأينا أناس طوال القامة/٣٣ وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا في أعينهم وفي الاصحاح الرابع عشر جاء ما يلي:

/٤ فرفعت كل الجماعة أصواتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة/٥ فسقط موسى وهرون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة اسرائيل/٦ ويشوع بن نون وكالب بن يفنه من الذين تجسسوا الأرض مزقا ثيابهما/٧ وكلما كل جماعة بني اسرائيل قائلين الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها الأرض جيدة جدا جدا/٨ إن سُرَّ بنَا الرب يدخلنا إلى هذه الأرض ويعطينا إياها أرضا تفيض لبنا وعسلا.

هل يعقل هذا أيها القارىء الرب بينهم يرونه في حجابه أبدا سحابة في النهار ونارا في الليل الرجال والنساء والأطفال الحائض والنفساء ثم يتكلمون بهذا أيها الشيخ أيها الكاهن مع علمك أنهم في ستمائة ألف مقاتل ونيف؟ إنهم في التأكيد لم يروا السحابة ولا عمود النار بل كل هذا مدخل لقد رأو الله ورأوا آياته حتى وأكلوا بين يديه وشربوا كما كتب العهد العتيق فقد جاء في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج/٩ ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهوا وسبعون من شيوخ اسرائيل/١٠ ورأوا اله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعه من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة/١١ ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني اسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا/١٢ وقال الرب لموسى اصعد إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم/١٣ فقام موسى ويشوع خادمه وصعد موسى إلى جبل الله/١٤ وأما الشيوخ فقال لهم اجلسوا ههنا حتى نرجع إليكم وهو ذا هرون وهو معكم فمن كان صاحب

دعوى فليتقدم إليهما/ ١٥ فصعد موسى إلى الجبل/ ١٦ وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه السحاب ستة أيام وفي اليوم السابع دعي موسى من وسط السحاب وصعد إلى الجبل وكان موسى في الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة ومع هذا رفضوا طاعة موسى في دخول الأرض يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف الآية/ ١٥٥ : ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء﴾ هذا الذي ورد في كتاب الله عن السبعين الذين يذكرونهم.

لقد طلب القوم رؤ ية الله فقال لهم موسى إختاروا لكم سبعين رجلا يتساوون من أسباطكم أو ان موسى إختارهم فلبسوا وتزينوا وصعدوا إلى الجبل مع موسى فسمعوا شيئا لم يستطيعو احتماله ولم يروا فصعق القوم وماتوا ولم يروا من الله شيئا ويقول تعالى في سورة البقرة الآية/ ٥٥ : ﴿واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾.

ثم أخذ موسى ألواح الحجر التي كتبها من كلام الله ورجع مع القوم إلى بني اسرائيل ويظن أنها المرة الثانية التي استغرقت أربعين يوما.

وأما هذا الذي كتبه عن بكاء بني اسرائيل فقد صح أنهم رفضوا الدخول وقد أخبرنا تعالى في سورة المائدة الآية/ ٢٠ : ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وأتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين * يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين * قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون * قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين * قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾.

هؤلاء قوم شاهدوا المعجزات التي أيد الله بها موسى وشاهدوا انفلاق البحر لاثنتي عشر طريقا وشاهدوا غرق فرعون وشاهدوا انفجار الماء من الصخر بضربة من عصا موسى بإذن الله وشاهدوا المن والسلوى وهم يأكلون منه حتى وزاد كاتب الكتاب وجود الله بينهم بعمود دخان في النهار وعمود نار في الليل مع أنه ليست هناك نار فإن يكن الله فهي النور والنور لايعطي دخانا وما السحاب بذلك سوى الدخان ومع ذلك جعلهم ستمائة ألف مقاتل بل وزادهم أكثر

من عشرين ألفا فتأثر موسى من ذلك الشعب الصلب الرقبة كما قال الكاتب.

فقال موسى لربه آنذاك: ﴿رب اني لا أملك إلا نفسي وأخي فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين.قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ إن القوم كما ذكرهم موسى ووصفهم وإنهم كسائر خلق الله متى صلحوا نظر الله إليهم وكان لهم بما يستحقون ومتى فسدوا سلط الله عليهم بذنوبهم مايستحقون وقد قال تعالى عن أقوال كثيرة من هذا الذي كتبوا أنه محض هراء كقولهم: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ فرد عليهم في سورة المائدة الأية/١٨: ﴿قل فَلِمَ يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق﴾.

ويذكر تعالى عن قولهم أن مساس النار لهم لأيامٍ قليلة في سورة البقرة الآية/٨٠: ﴿وقالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودةً قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون * بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

لقد كانت أرض فلسطين في فترة قوة الدولتين الكبيرتين انذاك دولة الحثيين ودولة الفراعنة أرضا مفتوحة بين الدولتين لقد مر من سواحلها رَعمسَيس الثاني لحرب الحثيين وكانت معركة قادش التي انتصر فيها فرعون مصر رعمسيس الثاني على الحثيين وتم الصلح بينهم وتزوج من ابنة ملكهم وبها بقيت فلسطين مفتوحة لكل قومية تستطيع العيش فيها مع جيرانها.

ثم رآها موسى عندما كان في مدين وخبر أهلها كما علم حالها وأنها قوميات شتى يعيشون مرة بسلام وأخرى بقتال وطلب إلى ربه أن يخرج بني اسرائيل ليرجع إلى تلك الأرض معهم حيث كان يعيش جده لأمه لاوي بن يعقوب وجد أبيه عمرام ومن قبله عاش يعقوب واسحق واختارها ابراهيم سكنا له وكانت أمنيته بعد الرسالة.

ووصل مع بني اسرائيل تلك العشيرة التي لا يتجاوز العد فيها بضعة الاف تجمعهم مع كل من خرج معهم مصاهره بهم من الأقوام الأخرى المستعبده في مصر بما في ذلك النساء والشيوخ والأطفال وكانت القبائل البدوية تدخل إلى فلسطين وتروح وتجيء تضمن الأرض للمرعى ثم تخرج للبادية بعد ذلك وغيرها التي تشتري السلع ومصدر ربح لأهلها.

ولكن الاسرائيليين كانوا كثرة فخاف منهم رؤ ساء القوميات ومنعوهم من دخول فلسطين وأراد موسى عليه السلام من قومه الدخول عنوة فرفض القوم أي نوع من الحرب وبهذا ليس لهم مكان عيش فعاشوا في الصحراء كما هي حياة العشائر العربية الأخرى طيلة أربعين سنة حتى

خرج جيل جديد قد تعلم على يد موسى الدين والقتال وخبر الأرض وأهلها وكثر القوم حتى استطاعوا دخول أريحا وهي احدى مدن أو قرى فلسطين وذلك بعد موت موسى عليه السلام لقد صنع الكاتب حروبا بين موسى والأقوام الأخرى من الأموريين وذكر المدن والقرى التي ليس لها وجود ولا لتلك الحروب حقيقة فربما كانت تحصل مناوشات ومنازعات كما هي الحالة في جميع مناحي وحدود البادية فيقتل الرجل والرجلان والمئة والمئتان على أبعد الفروض.

لقد كانت القوميات في فلسطين بالعشرات يصاهر بعضها بعضا ويحارب بعضها بعضا ويحترم بعضهم بعضا حتى جاء الاسرائيليون وهم أهل دين سماوي لهم قوانين ولهم تشريع يسيرون حسب إملائه يعرفون القراءة والكتابة ويعبدون ربا يثقون بنفعه وضرره ويثقون بنصره وانتصاره ولو دعوا الناس للدخول فيه لاستجاب لهم الناس وذابوا مع غيرهم ولكن القوم جعلوا الدين لهم جدار عنصرية لحفظ قوميتهم فعاشوا دائما وأبدا مع العالم كله في عداء وبغض وحقد حتى يومنا هذا ولأجل هذا خلطوا المُنَزَّلَ من الله جل وعلا مع الكثير الذي اختلقوه لجعل أنفسهم صفوة العالم وخيرته وتقدم موسى باتجاه فلسطين بجانب البحر الميت حتى قارب أريحا فطلب من قومه أن يستعدوا لدخول فلسطين ولكن القوم تقاعسوا فأرسل اثني عشر رجلا ليرودوا له الأرض وليجسوا أحوالها وهم من جميع أسباط بني اسرائيل وعاد هؤلاء ليخبروا قومهم أن جميع أهل فلسطين جبابرة أجسامهم عامرة وكلهم عمالقة ولا قبل للاسرائيليين بلقائهم فتقطعت عزائم القوم ورفضوا دخول فلسطين.

ولكن رجلين من الاثني عشر أخبرا بغير ما أخبر رفاقهم فقالوا لا تخشوا من القوم فإن القوم قوميات شتى منقسمون على أنفسهم لا تجمعهم دولة ولا رابطة لكل بلد دولة حتى ولكل قرية سلطة متسلط ولا يوجد في كل دول فلسطين دولة يصل عدد سكانها الخمسين ألف نسمة وقد تغلب خبر الأكثرين على خبر الأقلين وقد ذكر كتاب العهد العتيق أنه كان في فلسطين وحدها جميع تلك الجنسيات وذلك في الاصحاح الثالث عشر من سفر العدد/٢٧ «وأخبروه وقالوا قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقا أنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها/٢٨ غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة جدا وأيضا قد رأينا بني عناق هناك/٢٩ العمالقة ساكنون في أرض الجنوب والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل والكنعانيون ساكنون عند البحر على جانب الأردن كما أن قوميتي الغرزيين والحويين لم تذكرا.

ومن هذا وهو الصحيح أنه لم يكن في فلسطين انذاك أي جيش يحسب للقتال إنما كانت كل قرية أو مدينة تدافع عن نفسها وكان عدد بني اسرائيل انذاك حسب ما أورد كتاب العهد العتيق في الاصحاح الأول من سفر العدد ستمائة ألف وثلاثة الاف وخمسمائة وخمسون من ابن عشرين

سنة فصاعدا واللاويون اثنان وعشرون ألفا ومع ذلك رفض القوم دخول الأرض - ترى هل كان جيش رعمسيس الثاني الذي دخل سورية وحارب الحثيين يزيد عن مائة ألف ؟ وقد كتب كاتب العهد العتيق عن رد الاسرائيليين على موسى ما يلي وذلك في الاصحاح الرابع عشر من سفر العدد/١ فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة/٢ وتذمر على موسى وعلى هرون جميع بني اسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر/٣ ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف تصير نساؤ نا وأطفالنا غنيمة أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر.

أيها القارىء ترى إذا كان هؤلاء يرون الله بينهم عمود سحاب في النهار وعمود نار في الليل هل يكون هذا كلامهم ؟ إن جماعة بني اسرائيل قد رضعوا حليب الصغار على يد الأقباط مدة تزيد عن قرن أو تنقص لم يعرفوا فيها سوى الصفع واللكم فيما بينهم أو مع فقراء الأقباط والغرباء ولا خبرة لهم بحرب أو انضباط فضرب الله عليهم التيه أربعين سنة حتى يموت جيل الخنوع والصغار ويتربى جيل على العزة والكرامة فيصبح قادرا على القتال وهذا كان لهم حيث جعلوا يتنقلون من بادية إلى أخرى من سيناء إلى أرض مؤاب إلى أرض ادوم إلى برية صحراوية في قلب بادية الشام حتى كثر القوم وتربى الجيل الجديد وأصبح قادرا على القتال ولكن موسى مات قبل الدخول إلى فلسطين.

لقد ذكر المؤرخ حادثة قورح وهو قارون وهي دليل عدم الطاعة لموسى وهو ابن عم موسى فهو قورح بن يصهار بن قهات بن لاوي بن يعقوب وموسى هو بن عمرام بن قهات بن لاوي بن يعقوب وفي هذا دليل على أن المؤلف لا يعرف من أمر الحساب شيئا رغم أنه مغرم بالحساب كما تبين من سفر العدد فكم لموسى من أبناء عم ثلاثة أجيال أو أربعة أجيال لاثني عشر رجلا يصير عدد المقاتلين فيهم من الرجال ستمائة ألف واثنين وعشرون ألفا أليس هذا مناف للحقيقة ودليل التركيب حسب القريحة أو المخيلة التي أملته على المؤلف ثم أليس فيه فتح باب التفكير على رجل الدين المسيحي والمسلم ليقول كيف اجتمع القوم للخروج من مصر في يوم واحد خرجوا وكيف أكلوا وكيف شربوا وكيف. . . وكيف يوكابد بنت لاوي التي ولدت للاوي في مصر وهي أخت قهات بن لاوي تزوجت من ابن أخيها عمرام بن قهات بن لاوي فولدت موسى بن عمرام بن قهات بن لاوي فأخرج بني اسرائيل من مصر وله من العمر ثمانون عاما ترى كم كثر القوم في التيه ؟ ألم يتضاعف العدد في أربعين عاما ؟ وسيصبح العدد مليون ومئتا ألف مقاتل.

وتفضل الله عليهم للمرة المائة فأنزل لهم طعاما لا يحتاج جمعه إلا لجهد بسيط وبين خيامهم واذا اشتد عليهم الحر ظللهم بالغمام ولكنهم اشتهوا وتشهوا على موسى وقالوا له بما أخبرنا الله

جل وعلا في سورة البقرة/٦١ : ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فإدع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾.

إن طلبهم هذا من نتاج الأرض التي رفضوا القتال لأجلها ومع هذا وافق الله لهم هذا بشرط هو أن يجتمعوا في صعيد واحد واجتمع القوم جميعا واذا بجبل الطور فوقهم كأنه سحابة وجعل ينزل وينزل حتى بركوا على ركبهم ولووا صدورهم ورؤوسهم وجعلوا ينظرون بعين واحدة إلى الأعلى خوف نزول الجبل أكثر وأخذ الله عليهم الميثاق بأن لا يقولوا على الله الا الحق وأن يعملوا بموجب التوراة وأعطوا الميثاق لربهم وهم على حالتهم تلك فارتفع الجبل من فوقهم ورجع إلى حاله ويخبرنا جل وعلا هذا في سورة الأعراف الآية/١٧١ : ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما أتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾.

وهكذا أعطوا الميثاق تحت طائلة العقاب الشديد وسكن القوم إلى موسى وصار القوم يخافون موسى ويسايرهم.
ثم جاء «يثرون» وهو حمو موسى المديني ومعه امرأة موسى وولداه وفي هذا غرابة وأي غرابة وذلك أن موسى أخذ معه زوجته صفورة إلى مصر مع ولديه جرشوم وأخيه ودليل هذا ما جاء في الاصحاح الرابع من سفر الخروج/٢٤ وحدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه يطلب أن يقتله/ ٢٥ فأخذت صفورة صوانة وقطعت غُرْلَةَ ابنها ومست رجليه ـ أي رجلي الرب ـ فقالت إنك عريس دم لي/٢٦ فانفك عنه حينئذ قالت عريس دم من أجل الختان.

ولنسلم أنها رجعت إلى أهلها أما من مصر واما من الطريق فكم صار عمر أولاد موسى حينما جاء القوم وجاء إليهم يثرون ؟ يثرون يأتي بأولاد موسى ولم نسمع لهم ذكر من بعد المجيء أبدا بل الذكر لأبناء هرون وبقي موسى كما قالوا أربعين سنة من بعد الرسالة في مصر فقد كان عمره عند الارسال أربعين سنة وأبقوا موسى في مصر بقارع فرعون حتى صار له من العمر ثمانون عاما وهل يحتاج من زاد عمره عن الأربعين بل خمسة وأربعين إلى من يحضره والشيخ قبل خمسة وربعين سنة كان أعجز من أن يستقي لغنمه ؟.

لقد ذكروا عن مجيء يثرون إلى موسى في مقتطفات من كتاب العهد العتيق الاصحاح الثامن عشر من سفر الخروج/١ فسمع يثرون كل ما صنع الله إلى موسى والى شعب اسرائيل وأن

الرب أخرج اسرائيل من مصر/٢ فأخذ يثرون حمو موسى صفورة امرأة موسى بعد صرفها/٣ وابنيها اللذين اسم أحدهما جرشوم لأنه قال كنت نزيل غربة/٤ و اسم الآخر اليعازر لأنه قال إله أبي كان عوني وأنقذني من سيف فرعون.

وقد سألناكم كان عمر أبناء موسى انذاك ؟

ثم علم يثرون موسى كيف يجعل رؤساء للشعب وقضاة يقضون للناس فجعل رؤساء ألوف ورؤ ساء مئات ورؤساء خماسين وعشرات فسمع لصوت حميه وفعل كما قال ومضى يثرون إلى أهله.

ويقي موسى أربعين سنة وقبل عامين من انتهاء الأربعين كانت وفاة هرون عليه السلام ويذكر كتاب العهد العتيق كيفية موته وذلك في الاصحاح العشرين من سفر العدد/٢٢ فارتحل بنوا اسرائيل الجماعة كلها من قادش وأتوا إلى جبل هور/٢٣ وكلم الرب موسى وهرون في جبل هور على تخم أرض ادوم قائلا/٢٤ يُضم هرون إلى قومه لأنه لا يدخل الأرض التي أعطيت لبني اسرائيل لأنكم عصيتم قولي عند ماء مريبة/٢٥ خذ هرون والعازر ابنه واصعد بهما إلى هور/٢٦ واخلع عن هرون ثيابه والبس العازار ابنه اياها /٢٧ فيضم هرون ويموت هناك ففعل موسى كما أمر الرب وصعدوا إلى جبل هور أمام أعين كل الجماعة/٢٨ فخلع موسى عن هرون ثيابه وألبس ألعازار ابنه اياها فمات هرون هناك على رأس الجبل ثم انحدر موسى والعازار عن الجبل/٢٩ فلما رأى كل الجماعة أن هرون قد مات بكى جميع بني اسرائيل على هرون ثلاثين يوما.

«حدود اسرائيل في كتابهم وتتغير كل فترة».

ثم يذكر كتاب العهد العتيق حروب موسى في الشرق وفي الشمال وفي الجنوب ولكنه لم يدخله الحرب نحو الأرض المقدسة لأنه ليس بأهل لدخولها ولكنه ذكر أن الله قد حدد له الأرض وهي كما جاء في الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر العدد ما يلي/١ وكلم الرب موسى قائلا/٢ أوصِ بني اسرائيل وقل لهم انكم داخلون إلى أرض كنعان هذه هي الأرض التي تقع لكم نصيبا أرض كنعان بتخومها/٣ تكون لكم ناحية الجنوب من برية صين على جانب ادوم ويكون لكم تخم الجنوب من طرق بحر الملح إلى الشرق/٤ ويدور لكم التخم من جنوب عقبة عقربيم ويعد إلى صين وتكون مخارجه من جنوب قادش برينع ويخرج إلى حصرا دار ويعبر إلى عصمون/٥ ثم يدور التخم من عصمون إلى وادي مصر وتكون مخارجه عند البحر/٦ وأما تخم الغرب فيكون البحر الكبير لكم تخماً هذا يكون لكم تخم الغرب/٧ وهذا يكون لكم تخم الشمال من البحر الكبير ترسمون لكم إلى جبل هور/٨ ومن جبل هور ترسمون إلى مدخل حماة

وتكون مخارج التخم إلى صدد/٩ ثم يخرج التخم إلى زفرون وتكون مخارجه عند حصر عينان هذا يكون لكم تخم الشمال/١٠ وترسمون لكم تخما إلى الشرق من حصر عينان إلى شفام/١١ ثم ينحدر التخم من شفام إلى ربلة شرقي عين ثم ينحدر التخم ويمس جانب بحر كنارة إلى الشرق/١٢ ثم ينحدر التخم إلى الأردن وتكون مخارجه عند بحر الملح هذه تكون لكم الأرض بتخومها حواليها.

ولكن كاتب الكتاب عاد ثانية فمنح القوم أرضا أكبر من ذلك ففي أول اصحاح لسفر التثنية جاء ما يلي/٥ في عبر الأردن في أرض مؤاب ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا/٦ الرب الهنا كلمنا في حوريب قائلا كفاكم قعود في هذا الجبل/٧ تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات/٨ أنظر قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم ابراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم

وهكذا كان الافتراء والكذب والله جل وعلا تنزه عن كل هذا وتنزه موسى أيضا عن مثل هذا الذي لم يتحقق أبدا والله جل وعلا يحب الصادقين.

وفي الاصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد جاء هذا/١ وأقام اسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مؤاب/٢ فدعونَ الشعب إلى ذبائح الهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن/٣ وتعلق اسرائيل ببعل فغور.

ترى أين كان عمود السحاب الذي في وسط القوم؟

ثم جاء هذا في الاصحاح الحادي والثلاثين من سفر العدد/١ وكلم الرب موسى قائلا/٢ انتقم للرب نقمة من المديانيين ثم تُضم إلى قومك/٣ فكلم موسى الشعب قائلا جندوا منكم رجالاً للجند فيكونوا على مديان/٤ ألفا واحدا من كل سبط من جميع أسباط اسرائيل ترسلون للحرب/٥ فاختير من ألوف اسرائيل ألف من كل سبط اثنا عشر ألفا مجردون للحرب/٦ فأرسلهم موسى ألفا من كل سبط إلى الحرب هم وفينحاس بن العازار الكاهن إلى الحرب وأمتعة القدس وأبواق الهتاف في يده/٧ فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر/٨ وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم أوي وراقم وصور وحور ورابع خمسة ملوك مديان وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف/٩ وسبى بنو اسرائيل نساء مدين وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم ومواشيهم وأملاكهم/١٠ وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وحصونهم بالنار/١١ وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم/١٢ وأتوا إلى موسى والعازار الكاهن.

/١٣ فخرج موسى والعازار الكاهن وكل رؤ ساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة/١٤ فسخط موسى على رؤساء الجيش رؤ ساء الألوف ورؤ ساء المئات القادمين من جند الحرب/١٥ وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حية/١٦ إن هؤلاء كن لبني اسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب في أمر فغور فكان الوبا في جماعة الرب/٧ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امراة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها/١٨ لكن جميع الأطفال النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات/١٩.

قتل جميع نساء مدين على يد موسى بما ذكر الكتاب

يقول كتاب العهد العتيق هذا الذي لا يمت إلى الانسانية بصلة وينسبه إلى نبي الله موسى ومن هم المديانيون بما ذكر كتاب العهد العتيق أبناء ابراهيم فموسى بن عمرام بن قهات بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وهؤلاء أبناء مدين بن ابراهيم لقد نماهم المؤرخ وكثرهم وجعل عدد قتلاهم بمئات الألوف ولم يفنوا لأن لهم مذابح أخرى وأخرى بمئات الألوف ونتم في نفس الاصحاح.

/٣٢ وكان النهب فضلة الغنيمة التي اغتنمها رجال الجند من الغنم ست مئة وخمسة وسبعين ألفا/٣٣ ومن البقر اثنين وسبعين ألفا/٣٤ ومن الحمير واحدا وستين ألفا/٣٥ ومن نفوس النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر جميع النفوس اثنين وثلاثين ألفا.

اذا كانت الفتيات الأبكار بهذا العدد فكم عدد الأطفال الذكور والنساء الرواجع لا شك مئات من الألوف الجبل من لحوم الأطفال والنساء كم بقي حتى أكلته الوحوش والكلاب ؟

ترى كم يكون سرور الله عظيما إذا أحرقت تلك الأجساد الغضة لأن العجائز لا يسقن مع الغنيمة فيشم نسيمها يهوه؟ وهل هذا من التوراة؟ ويرضى الله هذا؟ حاشا لله والله انه افتراء على الله وافتراء على موسى وتجب حتى في عصرنا هذا محاكمة كل من يرضى به وهذا ينفي اجرام هتلر في إليهود اذا قرأه وأمن به لأن الجزاء من جنس العمل فانتقم هتلر لخلق الله.

يذكر المؤرخ أن موسى قال/١٦ إن هؤلاء كن لبني اسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب في أمر فغور فكان الوبأ في جماعة الرب.

جماعة الرب الزناة من الرجال ليس عليهم من العقاب شيء أما نساء مدين فعليهن العقاب مع أن هذا كله افتراء.

ترى هل أخوات صفورة أو بناتهن كن مع اللواتي قتلن أم هربن فلم يكن في السبي؟ وهناك

يثرون كاهن القوم الذي علم موسى تنظيم الجماعة أين كان في تلك الغزوة العظيمة والكاهن طبعا يكون مع الملوك وقتل الملوك الخمسة مع بلعام بن باعوراء النبي بشهادة الكتاب نفسه ولكنه ليس من أبناء يعقوب فلا قيمة لنبوته فأين ذهب يثرون مع بناته الستة وأولادهن؟

ترى هل كان يثرون خائنا لمن يكهن لهم وهل كان على دين غير دين قومه وقد كان كاهنا لهم؟

لقد قرأنا عن تخوم دولة اسرائيل وكانت دمشق وبيروت وطرابلس وحمص وحماة من ضمن ذلك المخطط ولكن الكتاب نفسه لم يوصل اسرائيل إلى تلك البلاد أو يملكها لهم؟ لقد وصل التخم من الشمال إلى النهر الكبير نهر الفرات فهل ملك الاسرائيليون تلك البلاد ؟.

لقد امتدت سيطرة سليمان في يوم على تلك البلاد اسمية ولم تتعد الطاعة حتى أن ملك دمشق بشهادة الكتاب قد خرج عن طاعة سليمان حتى وناصبه العداء ففي الاصحاح الحاي عشر سفر الملوك الأول جاء هذا/٢٣ وأقام الله له خصما اخر روزون بن اليداع الذي هرب من عند سيده عَزه ملك صوبه/٢٤ فجمع إليه رجالا فصار رئيس غزاة عند قتل داود اياهم فانطلقوا إلى دمشق فاقاموا بها وملكوا في دمشق٪٢٥ وكان خصما لاسرائيل كل أيام سليمان مع شرهدد فكره اسرائيل وملك على آرام.

لقد ملك الكتاب موسى جميع الأرض التي تحيط بفلسطين من الشرق والجنوب وجعله يقتل ملايين من أطفال ونساء من بعد انكسار الرجال في الحرب وسلمه مئات المدن التي حرمها موسى بالسيف ولم يبق من أهلها أحدا ولكنه لم يدخله أرض فلسطين لقد عجز عن دخول أريحا فهل تدري ما هو السبب الذي منع موسى وهرون من دخول فلسطين أيها القارىء الكريم اقرأ هذا تجده ففي الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر التثنية جاء هذا/٤٨ وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلا اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل بنو الذي في أرض مؤاب الذي قبالة أريحا وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني اسرائيل ملكا ومت في ذلك الجبل الذي تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات هرون أخوك في جبل هور وانضم/٥١ لأنكما خنتماني في وسط بني اسرائيل عند ماء مريبة قادش في برية صين إذ لم تقدساني في وسط بني اسرائيل فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيها لبني اسرائيل.

إنه لأمر غريب وعجيب أن يحرم موسى وهرون من دخول الأرض المقدسة وأن يتهما بخيانة الرب وعدم تقديسه ويسمح لأبناء من عبد العجل ونقض الميثاق وتأفف على الرب بدخولها؟

ترى هل حرم الرب موسى وهرون من دخول الأرض المقدسة أم أن كاتب الكتاب قد حرمهما؟

موت موسى عليه السلام بعد موت هرون

لقد انتهى عمر هرون وكذلك عمر موسى قبل أن يتهيأ القوم لدخول فلسطين والا فكيف يقبل الله شفاعة موسى في قومه كيلا يهلكهم الرب ولا يقبل شفاعته لنفسه وأخيه ليدخلهما الأرض المقدسة كيف يحرم هذا الذي يقول للرب الذي أراد هلاك بني اسرائيل وذلك في الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج/٩ وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب فإذا هو شعب صلب الرقبة/١٠ فالآن اتركني ليحمىٰ غضبي عليهم وأفنيهم فأصيرك شعبا عظيما/١١ فتضرع موسى أمام الرب الهه وقال لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بيد شديدة/١٢ ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك/١٤ فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه.

لقد تشفع موسى بالشعب ولم تقبل شفاعته لنفسه وأخيه؟.

ويذكر المؤرخ انتهاء حياة موسى على ما جاء في الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية/١ وصعد موسى من عربات مؤاب إلى جبل نبو إلى رأس الفسجة الذي قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان/٢ وجميع نفتالي وأرض أفرايم ومنسى وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي/٣ والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر/٤ وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لابراهيم واسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها قد اريتك اياها بعينك ولكنك إلى هناك لا تعبر/٥ فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب/٦ ودفنه هناك في الجواء في أرض مؤاب مقابل- بيت فغور ولم يعرف انسان قبره إلى هذا اليوم/٧ وكان موسى بن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولم تذهب نضارته.

ترى أي يوم هذا أي عند كتب الكتاب

التاريخ الصحيح يحفظ لكل أمة ذكر ما فعلت من خير أو شر وما قدمت للأنسانية من نفع أو ضرر وهذا الذي ذكر الكاتب عن فعل موسى في البلاد التي دخلها يحمل الخزي للفاعل ولأمته التي أفادت منه ولا يهمنا في شيء إنما أمر مضى ولكن الذي يهمنا بل ويؤلمنا أن يكون مقدسا وأن يذكر أنه من التوراة ذلك الكتاب المقدس الذي نقدسه جميعا إليهود والنصارى والمسلمون.

ولكن المسلمين قد عرفوا التغيير والتبديل في التوراة والزيادة عليها وذلك من خبر الله في

القران الكريم الذي هيمن على ما قبله من كتب سماوية وكل عاقل يقرأ فيعرف الصحيح من السقيم.

التحقيق الصحيح في مدة بقاء بني اسرائيل في مصر من كتبهم.

ترى كم عدد السنين ما بين مولد ابراهيم إلى دخول أبناء يعقوب أرض مصر وكم بقي القوم في مصر؟

فهل يمكننا معرفة هذا من كتاب العهد العتيق فلنبدأ الحساب من عمر موسى عند موته ونرتفع صاعدين إلى مولد ابراهيم ففي الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية جاء ما يلي/٧ وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولم تذهب نضارته».

ومات موسى بعد أربعين سنة من خروجه من مصر ففي الاصحاح الأول من سفر التثنية جاء هذا/٣ ففي السنة الاربعين في الشهر الحادي عشر في الأول من الشهر كلم موسى بني اسرائيل حسب كل ما أوصاه الرب إليهم/٤ فمن هذا كان عمر موسى حين الخروج من مصر ثمانون عاما يضاف إليها عمرامه يوكابد بنت لاوي التي ولدت للاوي بن يعقوب في مصر ونقول أن عمرها كان خمسين عاما ونضيف عشر سنوات مولدها بعد الدخول فتكون المدة هي عمر موسى ثمانون زائد عمر أمه الخمسون فعشرة لمولدها فتكون المدة هي الثمانون+ الخمسون+ لعشرة فهي مائة واربعون عاما اقامة بني اسرائيل في مصر ثم نحسب أيضا هذا لنصل إلى مولد ابراهيم.

لقد دخل يعقوب مصر وله من العمر مائة وثلاثون عاما والخبر من الاصحاح السابع والأربعين من سفر التكوين/٧ ثم أدخل يوسف يعقوب أباه وأوقفه أمام فرعون وبارك يعقوب فرعون/٨ فقال فرعون ليعقوب كم هي أيام حياتك/٩ فقال يعقوب لفرعون أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة.

وكان اسحق أكبر من ابنه يعقوب بستين سنة اذ جاء في الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ما يلي/٢٦ وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعي اسمه يعقوب وكان اسحق ابن ستين سنه لما ولدتهما وكان ابراهيم ابن مئة سنة حين ولد اسحق فقد جاء في الاصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين ما يلي/٥ وكان ابراهيم ابن مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه.

إذا فمن هذا يكون عمر يعقوب زائد ستون سنه عمر اسحق حين ولد له يعقوب زائد مئة سنة عمر ابراهيم حين ولد له اسحق والمجموع هو مئتان وتسعون عاماً فاذا أضفنا إليها مئة

والاربعين عاما الاقامة في مصر فيكون من مولد ابراهيم إلى خروج القوم من مصر أربعمائة وثلاثون عاما فكيف يصير القوم بالملايين في مئة وثلاثين عاما ويحسبونها أربعمائة وثلاثين عاما ثم ينسبون حسابها إلى الله في التوراة ويصبغونها بالتقديس ؟.

نحن نؤمن بأن الله أرسل موسى إلى فرعون وقومه حتى ولبني اسرائيل ولو لا اسعباد بني اسرائيل في مصر لما امنوا مع موسى ونؤمن بأن الله أنزل عليه التوراة ولكنهم بدلوا تسعين بالمئة منها على الأقل وزادوا على ذلك.

من هم أولياء الله ؟

ترى هل يؤمن الاسرائيليون بما في كتاب العهد العتيق؟

إنما آمن القوم ببعض ما جاء في التوراة ومنه الذي أوجده اسلافهم ولم يكن مما أنزل على موسى فقد غيروا وبدلوا الكثير الكثير لتكون موافقة لصالح عنصريتهم مع أنهم يعرفون تماما أنهم كانوا مستعبدين للأقباط وأنهم كانوا عبيد دولة وخرجوا هاربين من مصر وذلك بمقدور الله ولأمر شاءه الله.

لقد أحب الله ابراهيم وأحب أولاده في حالات تقواهم وأولاده كما ذكر كتاب العهد العتيق بكره اسماعيل واسحق ومدين ومدان وشوحا وزمران ويقشان ويشباق وللجميع تكون بركة الأب وتبقى البركة ويبقى الحب طالما المحبوب أهلا للمحبة وقد ثبت بما جاء في كتاب العهد العتيق أن بني اسرائيل قد خرقوا الميثاق ميثاق الرب عشرات المرات إن لم تكن مئاتها فلمَ يحتكرون حب الله لوحدهم ؟.

لقد خرقوا ميثاق الرب مرات ومرات فلا تكاد تجد فتنة في العالم كله إلا وهم من خلف رافعي لوائها يقول تعالى في سورة البقرة الآية/ ٤٠: ﴿يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإيَّايَ فاتقون﴾.

لقد عرفوا بعثة عيسى وقد عرفوا بعثة محمد صلوات الله عليهما ولكن عنصريتهم منعتهم من الايمان بهذا وذاك وأصروا على استعلاء أوهموا فيه العامة منهم فقالوا أنهم شعب الله المختار وإن شعب الله هم الموحدون أهل التقوى ونتم الآيات بقوله تعالى: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبِرِّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾.

إن هذا بعض من كثير ويخهم الله به ولو أنهم على استقامة لحفظ لكتاب الله التوراة لما أرسل الله لهم عيسى عليه السلام وقد وبختهم أنبياؤ هم فقتلوا البعض وكذبوا البعض وقد كذبوا الياس حتى فر منهم وكذبوا عيسى أيضا وأرادوا قتله وكذبوا يحيى وقتلوه.

لقد ذكر الله بأن الأبناء لا يؤخذون بجريرة الآباء وهذا معلوم في التوراة وأيضا يجب أن يعرفوا أن صلاح الآباء لا يعطي للأبناء إذا فسد الأبناء وقد قال تعالى في سورة البقرة الآية/١٤٠: ﴿أم تقولون إن ابراهيم واسماعيل واسحٰق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل ءأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون * تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ماكسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ ومما أخبرنا الله عنهم على لسان أنبيائهم قوله تعالى في سورة المائدة الآية/٧٨: ﴿لُعِنَ الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾.

غلام موسى يوشع بن نون و دخولهم أريحا

ومات موسى الذي كان هو بني اسرائيل اذ لَمَّهُمْ من ضياع وأوجدهم من عدم وولي أمر القوم يوشع بن نون غلام موسى الذي كان يلازمه ويأخذ عنه وربما كان هو غلام موسى في سورة الكهف وقد أفردا لقوم له سفرا خاصا هو سفر يوشع فتسلم من موسى جيلا مؤمنا قد تدرب على الصبر والطاعة فدخل أرض فلسطين فكانت أول مدينة دخلها هي مدينة أريحا أو قرية أريحا لقد مات موسى الذي ربى الجيل على الكرامة والعدل والأخذ بما في التوراة الحقيقية والصحيحة التي لا تحابي زيدا عن عمرو ولا ذاك عن ذاك وهي لكل من يأخذ بها لقد مات قبل أن يثبت دولة صالحة تقوم على العدل والعدالة وتجمع الناس على التوحيد وهدم معابد الشرك والأوثان.

ولكن غلامه يوشع بن نون قد قام بدوره وكان خليفة صالحا ففتح البلاد التي تجاور أريحا ونشر فيها الأمن والعدل وجعل يتوسع يمينا وشمالا حتى فتح الكثير من فلسطين ولكنه مات قبل أن يتم فتحها وخلفه بالقضاء كالب بن يفنا وهذا أيضا كان من صالحي بني اسرائيل تتلمذ الأخر على موسى وولي القضاء لفترة أخرى توسع فيها وكثر الاسرائيليون ولم يطل به الأمر ومات.

لقد ذكر كتاب العهد العتيق عهد يوشع بأنه عهد الفتوح وبداه بما لا يشرف ولا يصدق فقد جاء في الاصحاح الأول ما يلي/١ وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا/٢ موسى عبدي قد مات فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم/٣ كل موضع تدوسه أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى/٤ من

البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين والى البحر الكبير نحو مضرب الشمس يكون تخمكم - وإلى الآن لم يعطوا تلك الأرض بفضل الله.

وفي الاصحاح الثاني من سفر يشوع/١ فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سرا قائلا اذهبا انظرا الأرض وأريحا/٢ فذهبا ودخلا بيت زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك/٣ فقيل لملك أريحا هو ذا قد دخل إلى هنا رجلان من بني اسرائيل لكي يتجسسا الأرض/٤ فأرسل ملك أريحا إلى راحاب يقول أخرجي اللذين أتيا إليك ودخلا بيتك لأنهما قد أتيا ليتجسسا الأرض كلها/٥ فأخذت المرأة الرجلان وخبأتهما وقالت نعم جاء الي رجلان ولم أعلم من أين أتيا/٦.

وخبأت الزانية راحاب الرجلين وكذبت على قومها ثم أخذت العهد عليهما لحفظها وحفظ أبيها وأمها واخوتها ثم أنزلتهما من جانب السور وهكذا فقد جعل الكاتب بيتها على جانب السور.

لقد كان أول عميل للقوم في فلسطين زانية وأهلها ولربما يصدق هذا لو أن يشوع كصهيوني اليوم فإن كل عميل هو على هذا المنهج وهذا من يقرؤه يا ترى؟ وهل كتبه الله؟ ومن يأخذ به يا ترى ؟.

لقد رجع الجاسوسان إلى يشوع وأخبراه بخوف الفلسطينيين العظيم فأمر بالرحيل فنزل من شطيم ووصل نهر الأردن وكان النهر يحمل بشدة وذلك أيام الحصاد على ما يذكر الكتاب وفي الاصحاح الثالث من سفر يشوع جاء هذا/١٤ ولما ارتحل الشعب من خيامهم لكي يعبروا الأردن والكهنة حاملوا تابوت العهد أمام الشعب/١٥ فعند إتيان حاملي التابوت إلى الأردن وانغماس أرجل الهنة حاملي التابوت في ضفة المياة والأردن ممتلىء إلى جميع شطوطه كل أيام الحصاد/١٦ وقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت ندا واحدا بعيدا جدا عن أدام المدينة التي إلى جانب صرتان والمنحدرة إلى بحر العربة بحر الملح انقطعت تماما وعبر الشعب مقابل أريحا/١٧ فوقف الكهنة حاملوا تابوت العهد للرب على اليابسة في وسط الأردن راسخين وجميع اسرائيل عابرون على اليابسة حتى انتهى جميع الشعب من عبور الأردن.

ترى هل وقف نبع النهر فلم يعد يدفع الماء أم أن الماء تجمد فوقف في مكانه؟ البحر ينحسر في مد وجزر بفعل الرياح وبدء الشهر وانتهائه ولكن ما بال الماء يقف تفجره من منابعه ويقف الماء بدون تجمد ليعبر الشعب؟ أيها القارىء تفكر لقد وقف الكهنة حاملوا تابوت العهد في وسط الماء ووقف جريان النهر ليعبر الشعب على اليابسة في قلب النهر لساعات أم لأيام أم لأسابيع ؟.

أيها الشيخ أيها الكاهن أيها القارىء تفكر بخمسة ملايين على حميرهم ودوابهم وشيوخهم ونسائهم وأطفالهم يعبرون طريقا صعبا هو انحسار النهر فورا ولو يبس قعره فورا فهل انهدمت شواطؤ ه فورا؟ فكر وأجب كم يستغرق مرور هذا الشعب العظيم؟.

الاصحاح السادس/١ وكانت أريحا مغلقة بسبب بني اسرائيل لا أحد يدخل ولا أحد يخرج/٢ فقال الرب ليشوع أنظر قد دفعت بيدك أريحا وبها جبابرة الباس/٣ تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب المدينة مرة واحدة هكذا تفعلون ستة أيام/٤ وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت وفي اليوم السابع تدور من دائرة المدينة سبع مرات والكهنة يضربون بالأبواق/٥ ويكون عند امتداد صوت قرن الهتاف عند استماعكم صوت البوق أن جميع الشعب يهتف هتافا عظيما فيسقط سور المدينة في مكانه ويصعد الشعب كل رجل مع وجهه.

مدينة أريحا تلك المدينة التي صمدت في وجه بني اسرائيل طوال عهد موسى عليه السلام الذي فتح عدة ممالك وذبح الملايين من أهلها على زعم المؤرخ تسقط هكذا في يوم ويذبح جميع أهلها في تمام ذلك اليوم الا راحاب الزانية واخوتها وأمها والوالد الشريف مع أن بيتها يلاصق الصور.

مدينة أريحا المدينة الأولى من فلسطين في يد الاسرائيليين والتي عظمها القوم وحاصرها سبعمائة ألف جندي ومعهم جميع شعبهم ودوابهم ومواشيهم فأين محل اقامة تلك الملايين ؟.

معاملة يوشع لأهل أريحا بما جاء في كتاب العهد العتيق

وتم فتح المدينة كما في الاصحاح السادس من سفر يشوع/١٢ فبكر يشوع في الغد وحمل الكهنة تابوت الرب/١٣ والسبعة الكهنة الحاملون أبواق الهتاف السبعة أمام تابوت الرب سائرون سيرا وضاربون بالأبواق والمتجردون سائرون أمامهم والساقة سائرة وراء تابوت الرب كانوا يسيرون ويضربون بالأبواق/١٤ وداروابالمدينة في اليوم الثاني مرة واحدة ثم رجعوا إلى المحلة هكذا فعلوا ستة أيام.

/١٥ وكان في اليوم السابع أنهم بكروا عند طلوع الفجر وداروا دائرة المدينة على هذا المنوال سبع مرات في ذلك اليوم فقط داروا دائرة. المدينة سبع مرات/١٦ وكان في المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أن يشوع قال للشعب أهتفوا الآن الرب قد أعطاكم المدينة/١٧ فتكون المدينة وكل ما فيها محرما للرب. راحاب الزانية فقط نحيا هي وكل من معها في البيت لأنها قد خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما/١٨ وأما أنتم فاحترزوا من الحرام لئلا تُحَرَّمُوا وتأخذوا من الحرام وتجعلوا نحلة اسرائيل محرمة وتكدروها/١٩ وكل الفضة والذهب وانية النحاس والحديد

تكون قدسا للرب وتدخل في خزانة الرب/٢٠ فهتف الشعب وضربوا بالأبواق وكان حين سمع صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما فسقط السور في مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة/٢١ وَحَرَّمُوا أهلها كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحدالسيف /٢٢ وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا الأرض ادخلا بيت المرأة الزانية وأخرجا من هناك المرأة وكل مالها كما حلفتما لها/٢٣ فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجا راحاب وأباها وأمها واخوتها وكل مالها وأخرجا كل عشائرها وتركاهم خارج محلة اسرائيل/٢٤ وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها انما الفضة والذهب وانية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب/٢٥ واستحيا يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها وسكنت في وسط اسرائيل إلى هذا اليوم ترى أي يوم كان ذاك اليوم ؟ إنه ولا شك القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد.

في يوم واحد يدور الجيش بأكمله سبع مرات حول مدينة أريحا وطبعا سيبعد عن السور مسافة رمي القوس ورمي المقلاع كي لا يصاب الجند بالرمي فكم هو محيط تلك المدينة التي دار الجيش حولها في يوم واحد سبع مرات فلنفرض أن محيط الدورة أو دائرة الدورة أربعة كيلو مترات فيكون سيرهم وهم مثقلون بالسلاح ثمانية وعشرون كيلوا مترا فكم هو محور دائرة محيطها ثلاثة كيلو مترات ؟.

اذا فقطر المدينة أنذاك لا يعدو تسعمائة وخمسون مترا السور والساحة والساحات والشوارع والطرقات هذه هي مدينة أريحا تلك التي حاصرتها الملايين وامتنعت على نبي الله موسى ثم دخلها يشوع وحَرَّمَهَا ولم يخجل الكاتب من ذكر تحريمها بذبح الشيخ العاجز والمرأة والطفل وينسب هذا إلى الله ويفتري على الله الكذب فقد جعل رسالة موسى ونتاجها ترويض وتدريب على كيفية الذبح والبعج وكيف يبعج بطن الحامل هل هذا صحيح وأن يشوع قد حرم قرية أريحا وعاي ؟.

شَيْخاً أو كَهْلاً قَتَلُوهُ	قَالُوا لِلْقُرْبَىٰ قَتَلْنَاهُ
كَذَبُوا في كُلِّ حُرُوفِهَا	فَاللهُ لِهَذا يَأْبَاهُ
هَلْ يَخْلُقُ خَلْقاً بَارِؤُهُمْ	وَيَرَاكَ بِذَبْحٍ وَيَرَاهُ
كَذِبٌ في هَذَا مَا نَزَلَتْ	لَوْ نَزَلَتْ يَبْقَىٰ مَعْنَاهُ
فِرْعَوْنُ بِحَقٍّ يَقْتُلُهُمْ	لَوْ يَذْبَحُ طِفْلاً وَأَبَاهُ
لَوْ تَدْفَعُ في عَيْنِكَ عُوداً	يُؤْلِمُكَ وَمِثْلِي يَلْقَاهُ

قَلَبُوا التَّوْرَاةَ لِغَايَتِهِمْ   جَعَلُوْا التَّلْمُوْدَ هُوَ اللهُ
كَمْ مِنْ ذي عَهْدٍ قَتَلُوْهُ   قَالُوا بِالحَقِّ قَتَلْنَاْهُ
لِنَبِيٍّ قَتَلُوْا وَنَبِيٍّ   قَتَلُوْا المُكْتَفِ بِنَجْوَاهُ
فَالقَوْمُ بِهَوَى أَنْفُسِهُمْ   ظَلَمُوا التَّارِيخَ وَدُنْيَاْهُ
لَيْسَ التَّارِيخَ هُوَ التَّوْرَاه   هَلْ لِلْتَوْرَاةِ كَتَبْنَاهُ؟
فَاللهُ يَقُوْلُ وَقَوْلَتُهُ   لَنْ تَعْدُوَا حَقًّا أوصَاهُ
إنَّ التَّوْرَاةَ وحَقِيْقَتُهَا   لَا تَعْدُو سِفْرَاً مَرُوَاهُ
ذِكْرُ التَّشْرِيعِ لِدَوْلَتِهِمْ   وَلَمَنْ فِي الدُّنْيَا يَرْضَاهُ
فَاشْتَطَّ القَوْمُ بِمَا نَسَبُوْا   للهِ حَدِيْثَاً يَأْبَاهُ
جَعَلُوا التَّارِيْخَ لَهُمْ وَكَفَى   وَبِهَمْسٍ قُلْ وَكَذَا اللهُ

ليسقط منه الجنين فيتلذذ يهوه بذلك المشهد الذي لا يقبله أو يعقل التفكير فيه من يمت إلى الانسانية بصله والغريب أن يُقبل هذا في عصر العلم والنور وعصر التفكير والمعرفة وأن يبقى هذا على تقديسه وتصديقه ويُعلَّمُ مثل هذا ويدرب عليه أبناء روحانيون ويصدقه علماء مسلمون ونصارى وربيون ؟.

ذكروا أن أسدا جائعا هاجم جماعة ففر الناس وسقط صغير من يد أمه في لفافته فأخذه الأسد فمشت الأم خلف الأسد تبكي فنظر إليها الأسد فوضع الصغير على الأرض ومضى فكيف بيوشع النبي ومن قبله موسى الرسول وكل رسول رسالته تحث على مكارم الأخلاق والرحمة فلم نلوم فرعون وهو الذي يريد حماية بلاده من الغرباء فجعل يذبح الأطفال الذين يولدون قبل أن يعرف أحدهم ما هو الموت وقبل أن يتعرف عليه أبواه ومع ذلك يذبح فترة ويترك فترة كي لا يفنى القوم.

إن لفرعون الحق على مذهب القوم في أن يفعل الذي فعله ويحق لنا أن نقدم له وسام رحمة وأنه رحيم بالنسبة لموسى وأنه لطيف بالنسبة ليشوع يقول تعالى في أول سورة النساء: ﴿يا أيها الناس اتقو ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء واتقو الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾.

انتهت الأسفار الأولى مع عهد موسى.

يقول تعالى في كتابه العزيز في سورة البقرة الآية/٨٣: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين * وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وأتو الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون﴾ وفي الاصحاح العشرين من سفر الخروج جاء ما يلي وكرر مرات لقد جاء في التوراة هذا/٣ لا يكن لك الهة أخرى أمامي/٤ لا تصنع تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض/٥ لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب الهك غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي.

/٧ لا تنطق باسم الرب الهك باطلا لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا. /١٢ أكرم أباك وأمك لكي تطول ايامك على الأرض التي يعطيك الرب الهك/١٣ لا تقتل/١٤ لا تزن/١٥ لا تسرق/١٦ لا تشهد شهادة الزور ـ لقد زادوا فيها على قريبك فهل تحل شهادة الزور على غير القريب ؟.

/١٧ لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك إن كلمة القريب تلك أباحت لهم كل شيء من الغريب ومُنَزِلُ التوراة يأبى هذا لأن الخلق كلهم عيال الله ولو شاء لهدى الناس إلى الطريق السوي في دينهم ودنياهم.

وفي الاصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج/٢٠ من ذبح لألهة غير الرب وحده يهلك/٢١ ولا تضطهد الغريب ولا تضايقه لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر/٢٢ لا تسيء إلى أرملة ما ولا يتيم/٢٣ فإن أسأت إليه فإني إن صرخ إلى أسمع صراخه/٢٤ فيحمى غضب الرب عليكم فأقتلكم بالسيف فتصير نساؤكم أرامل وأولادكم يتامى/٢٥ إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي لا تضعوا عليه ربا.

وفي الاصحاح التاسع عشر لاويين جاء هذا/٨١ لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا تغدروا أحدكم بصاحبه/١٢ ولا تحلفوا باسمي للكذب فتدنس اسم الرب الهك/١٣ لا تغضب قريبك ولا تسلب ولا تبت أجرة أجير عندك للغد/١٤ لا تشتم الأصم وقدام الأعمى لا تجعل معثرة بل اخش الهك أنا الرب.

/١٥ لا ترتكبوا جورا في القضاء لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير/١٦ بالعدل تحكم لقريبك لا تسع بالوشاية بين شعبك لا تقف على دم قريبك.

/٣٥ لا ترتكبوا جورا في القضاء لا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل.

ومن الاصحاح الثالث والعشرين سفر التثنية جاء هذا/١٩ لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو بربا شيء مما يقرض بربا/٢٠ للأجنبي تقرض ربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا.

يقول تعالى في سورة الاسراء الآية/٣٢: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا * ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا * وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا * ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا * ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا * كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها﴾.

إذا أردت أن تتعرف على حقيقة التوراة التي أنزلها الله على موسى فإنك تتعرف عليها من كتاب الله القران الكريم الذي نفا عنها كل ما ألصق فيها. أو حَوَّرَ وَبَدَّلَ فيها والقران الكريم حفظه الله تعالى حتى الآن فلم يضف إليه شيء أو يغير أو يبدل منه شيء وقد تعهد تعالى حفظه بقوله في سورة الحجر الآية/٩: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ كما قال أيضا في سورة فصلت الآية/٤١: ﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾.

وقد قال تعالى في سورة المائدة الآية/٤٤: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون * وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون * وقفينا على اثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وأتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين * وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون * وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب (ومهيمنا عليه) فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم فينبؤكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ لقد

جمع الله جل وعلا خصائص الكتب السماوية كلها حسب الذي أنزله الله على رسله ونفا عنها كل ما أُدْخِلَ لعنصرية أو لغاية حاكم أو لترتيب قصص أو تاريخ مفترى أو احتكار دين أو شرف أو تعقيد كهنة أو ادعاء كلام الله وهو ليس من كلام الله فلعن فيه الكافر ولعن الظالم ولعن المنافق ولعن الكاذب وقد جمعت هذه اللعنات جميع الملاعن في الكافر والظالم والكاذب والمنافق ونفاالله احتكارالله فالله تعالى لكل من سلك الطريق القويم شرط الايمان المنوه عنه في كتاب الله وبيانه في حديث وسيرة رسول الله.

لقد حصل تطور في القران الكريم عن الذي في الكتب السابقة وهو تطور سليم لا يخل بالمعنى الذي كان لأجله انما هو امتداد وتتمة للاسلام الذي كان عليه ابراهيم وموسى حتى وعيسى عليهم صلوات اللهومن أفضل ما يُرَدُّ به على العنصرية المدخلة في كتب الله قوله تعالى في سورة الحجرات الآية/١٣: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ فكل ما خرج عن قاعدة هذه الآية في أي كتاب فليس من الله في شيء فآدم هو الأب الأول لكل مولود من البشر وقد روى البزار في مسنده عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلكم بنوا آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بابائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجُعْلَانِ».

وروى الامام أحمد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «انظر فإنك لست بخير من أحمر وأسود إلا أن تفضله بتقوى» وروى أيضا عن عقبة بن عامر قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن أنسابكم هذه ليست مسبة على أحد كلكم بنو ادم طف الصاع لم يملؤه ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو تقوى وكفى بالرجل بذيا بخيلا فاحشا».

تلك الكلمات الزمردية التي لا تفرق بين تابعي القران الكريم فيما بينهم في التعامل وبين غيرهم من تابعي الديانات الأخرى وقد حرم الله الربا بين القريب والبعيد بين الوطني والأجنبي وحرم الزنا مع القريب والغريب وحرم القتل للغريب وللقريب والسرقة وكذلك الشتم وبذاءة اللسان كذلك فالقران للجميع للعربي والعجمي والحكم فيه للجميع للمسلم ولليهودي والاثنان في القضاء بين يدي القاضي على قدم المساواة.

لقد دخل يشوع إلى فلسطين مع جيل مؤمن تربى على يد موسى النبي ولم يقتل النساء والأطفال كما زعم الكاتب ولم يكن عميل زانية فقد كان الشعب الذي يسكن أريحا شعب يعبد الأوثان ولا يزيد انذاك سكان أريحا عن بضعة الاف فر معظمهم عندما رأوا الغلبة إلى القرى المجاورة والجبال العالية ففتح يوشع المدينة فقتل من لم يترك عبادة الأوثان وسبى الذرية كما هي

حال الدول انذاك وقد أثبت كتاب العهد العتيق عدم تماسك أهل فلسطين انذاك وأنهم كانوا شعوبا متباينة وأن لكل بلد سلطة وأمير فقد عد في فلسطين مع صيدا التي سماها صيدون العظيمة أكثر من ثلاثين ملكا تساقطوا في تلك البقعة الصغيرة بيد اسرائيل وذكر استيلائهم على حاصور مع أن الساحل اللبناني بدء من صور لم يستسلم لهم أبدا فقد بقيت صور مدينة ذات دولة مستقلة أبدا لم تخضع لأحد حتى كان عهد الاسكندر المكدوني وهذا سليمان الصديق الوفي الذي يقول لملك صور أخي بما ذكر الكتاب نفسه لقد ذكر الكاتب القتل في التوراة للأطفال وللنساء حتى تقتدي اليهود بذلك في عصره عصر المكابيين ويظن أن ملكهم سيعود لما كان عليه عصر داود وسليمان.

لقد كان كتاب العهد العتيق كتاب تاريخ وهو الوحيد الموجود في ذلك العصر وقد حافظ عليه التقديس منذ القرن الخامس أو الرابع والثالث قبل الميلاد ولم يوجد قبل هذا مكتوبا إلا التوراة التي أحرقت قبل السبي وفي أثنائه فجاء من بعد السبي من كتبه وأكثره بالتخمين فأدخل عليه وغير فيه ومات يشوع خادم موسى وهو المذكور مع موسى عليه السلام في سورة الكهف بقوله تعالى في الآية/٦٠: ﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا﴾ وكان أيضا مع موسى عندما قتل الخضر غلاما ليعلم موسى بعض ما وصل إليه من العلم وما القتل إلا صوريا ليعرف موسى حدوده من الغلم فقال موسى: ﴿حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا﴾ الكهف/٧٤ لم يكن الغلام من قوم موسى ليدافع عنه وهو قاتل القبطي قبل أن يصبح رسولا إنما دافع عن بريء حسب علمه ولا ندري كيف كتبوا وجعلوا موسى في كتابهم يقتل مائة ألف طفل وامرأة من نساء مدين من أبناء عمومته وأخوال أولاده؟.

ولكنهم جعلوا يشوع يقتل مئات الألوف من أطفال فلسطين ونسائهم لاستثناء للبنت أو المرأة والشيخ والكهل حتى الغنم والماعز والبقر والحمير أيضا والبعير الذي لا يأكلون لحمه والبغل وأما الدجاج وصغاره لم يذكروا كيف قتلوه والعصفور عجزوا عن قتله هذا هو التحريم.

أما الآن في هذا العصر الذي نحن فيه بدؤا يكرهون هيئة الأمم لمراقبتها أفعالهم فمنعتهم من التحريم وإذا طال الأمر ولم يسيطروا على هيئة الأمم فإنهم سيهدمونها وقد فعلوا بعض هذا نعم لقد ترك بما كتبوا راحاب الزانية وأهلها وقد ذكروا أنها مع أهلها إستقرت في اسرائيل.

ففي الاصحاح السادس من سفر يشوع جاء هذا/٢٢ وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا الأرض إدخلا إلى بيت المرأة الزانية وأخرجا من هناك المرأة وكما حلفتما لها/٢٣ فدخل الغلامان

الجاسوسان وأخرجا راحاب وأباها وأمها وإخوتها وكل مالها وأخرجا كل عشائرها وتركاهم خارج محلة اسرائيل/٢٤ وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها إنما الفضة والذهب وانية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب/٢٥ واستحيا يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها وسكنت في وسط اسرائيل إلى هذا اليوم لأنها خبأت المرسلين اللذين أرسلهما يشوع لكي يتجسسا أريحا.

لنتحدث عن كلمة (إلى اليوم) التي تقال عشرات المرات في مناسبات كهذه فأي يوم يكون مع أن مثل هذا كثير ويقال في اخر عهد بني اسرائيل كما يقال في سفر التكوين وهذا في سفر يشوع فأي يوم هذا أليس يوم كتبوا ذلك في عهد اليونانيين ؟.

ونذكر هل بقيت راحاب تزني وهي في بني اسرائيل يا ترى أم أنها تابت؟ مع أنهم لم يذكروا عن توبتها شيئا ولكن إذا تابت فمن أين تأكل وقد أحرقت أريحا بالنار كلها وهدمت تماما ولعن يشوع كل من يبني فيها فقد جاء في تتمة حديث الاصحاح هذا/٢٦ وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلا ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا.

إن يشوع لم يفعل هذا كما مر معنا إنما فعله الكاتب في ثورة المكابيين ليدلهم على كيفية يسيرون عليها متى ملكوا ولكنهم بحمد الله لم يملكوا من ذلك العصر وأما ملكهم اليوم فهو ملك بريطانيا وأميركا وأحلافهما امتدادا لصليبية كانت ولا تزال إنما تغير اسمها وطريقة فعلها والله أكبر وتولى كالب بن يفنه مكان يوشع وجعل يقضي في اسرائيل لسنوات ومشى كالب حسب مسيرة يوشع فيوشع وكالب هما الرجلان المنوه عنها في قوله تعالى في القرآن في سورة المائدة الآية/٢٧ : ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾.

ولم يطل عمر الرجل حتى مات وتغيرت الحال وبعد موته بدأ عهد القضاة وهو سفر بعد سفر يشوع ودام هذا قرابة قرن من الزمن بل أقل من ذلك رغم أن الكاتب يذكر عهد القضاة بأنه حوالي أربعمائة عام وسنبين ذلك بعد قليل ببيان تاريخي إن شاء الله.

لقد تعاقب الكنعانيون مع الاسرائيلين في الحكم طوال عهد القضاة يأخذ بعضهم الجزية من بعض وكذلك المؤابيون والمدينيون وعبد أكثر بني اسرائيل الهة وأصنام الأمم الأخرى وذلك بما كتبوا في كتابهم ففي الاصحاح الثالث من سفر القضاة جاء هذا/٥ فسكن بنوا إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين/٦ واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا الهتهم/٧ فعمل بنوا اسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب

الهم وعبدوا البعليم والسواري/٨ فحمي غضب الرب على اسرائيل فباعهم بيدكوشان وشغتايم ملك ارام النهرين فعبد بنوا اسرائيل كوشان ثماني سنين.

ولكن عثنيئل بن قناز وهو أخو كالب تلميذ موسى فخلصهم وبقي أربعين سنة وبعدها جاء مايلي/١٤ فعبد بنو اسرائيل عجلون مؤاب ملك مؤاب ثماني عشرة سنة.

ولكن أهود بن جير البنياميني اتخذ سيفا قصيرا له حدين وخبأه بثيابه ودخل إلى عجلون الرجل السمين جدا بهدية ثم صرف من كان معه من الوفد وقال لعجلون أيها الملك عندي كلام سر لك فأخرج الملك من كان عنده فضربه بالسيف وخرج هاربا وقد جاء في الاصحاح الثالث من سفر القضاة هذا/٢٦ فأما أهود فنجا إذْ هُمْ مُبْهَتُونَ وعبر المنحوتات إلى سعيرة/٢٧ وكان عند مجيئه أنه ضرب بالبوق في جبل أفرايم فنزل معه بنو اسرائيل عن الجبل وهو قدامهم/٢٨ وقال لهم اتبعوني لأن الرب قد دفع أعداءكم المؤابيين إلى أيديكم تنزلوا وراءه وأخذوا مخاوض الأردن إلى مؤاب ولم يدعوا أحدا يعبر فضربوا من مؤاب في ذلك اليوم عشرة الاف رجل كل نشيط وكل ذي بأس ولم ينج أحد.

فذل المؤابيون في ذلك اليوم تحت يد اسرائيل واستراحت الأرض ثمانين سنة.

/٣١ وكان بعده شمجر بن عناة فضرب من الفلسطينيين ستمائة رجل بمنساس البقر وهو أيضا خلص إسرائيل الاصحاح الرابع من سفر القضاة يقول هذا/١ وعاد بنوا اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب بعد موت أهود/٢ فباعهم الرب بيديا بين ملك كنعان الذي ملك في حاصور ورئيس جيشه سيسرا وهو ساكن في حروشة الأمم/٣ فصرخ بنو اسرائيل إلى الرب لأنه كان له تسعمائة مركبة من حديد وهو ضايق بني اسرائيل بشدة عشرين سنه /٤ ودبورة امرأة نبية امرأة لغيدوث وهي قاضية اسرائيل في ذلك الوقت/٥ وهي جالسة تحت نخلة دبورة بين الرامة وبيت إيل في جبل افرايم وكان بنو اسرائيل يصعدون إليها للقضاء/٦ فأرسلت ودعت باراق بن أبينوعم من قادش نفتالي وقالت له ألم يأمر الرب إله اسرائيل إذهب وازحف إلى جبل تابور وخذ معك عشرة الاف رجل من بني نفتالي ومن بني زبولون/٧ فأجذب إليك إلى نهر فيشون سيسرا رئيس جيش يابين بمركباته وجمهوره/٨ فقال لها باراق إن ذهبت معي أذهب وان لم تذهبي لا أذهب/٩ فقالت له أذهب معك غير أنه لا يكون لك فخر في الطريق التي أنت سائر فيها لأن الرب يبيع سيسرا بيد امرأة.

/١٥ فأزعج الرب سيسرا وكل المركبات وكل الجيش بحد السيف أمام باراق فنزل سيسرا

عن المركبة وهرب على رجليه/١٦ وتبع باراق المركبات والجيش إلى حروشة الأمم وسقط كل جيش سيسرا بحد السيف لم يبق ولا واحد.

وانتصرت دبورة وأنشدت نشيدها وفي اخر نشيدها جاء هذا واستراحت الأرض أربعين سنة.

وفي الاصحاح السادس قضاة/١ وعمل بنوا اسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين/٢ فاعتزت يد مديان على اسرائيل بسبب المديانيين عمل بنوا اسرائيل لأنفسهم الكهوف التي في الجبال والمغاور والحصون/٣ واذا زرع اسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنوالمشرق يصعدون عليهم/٤ وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض إلى مجيئك إلى غزة ولا يتركون لاسرائيل قوت الحياة ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا لأنهم كانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويجيؤون كالجراد في الكثرة وليس لهم ولا لجمالهم عدد ودخلوا الأرض ليخربوها فذل اسرائيل جدا من قبل المديانيين وصرخ بنو اسرائيل إلى الرب.

وفي تمام الاصحاح والذي يليه جاء هذا بمعناه فهيأ الله لبني اسرائيل جدعون بن يواش فخرج بجيش كثير فقال له الله أن يرجع الجيش الكثير ويأخذ معه فقط بعضه فكان معه ثلاثمائة رجل فحملهم جرار فارغة ومصابيح في وسطها وفي أفواههم أبواقا وكان قد قسمهم على جوانب الوادي الذي نزل به المديانيون وعلمهم كيف يصنعون وأنهم يفتدون به.

هذا في الليل فكسر الجرة ونفخ في البوق وحمل المصباح بيده وفعل الجميع مثل فعله فهرب المديانيون وضربوا بعضهم بالسيوف فلحقهم الاسرائيليون من كل مكان.

فأرسل جدعون رسلا في كل اسرائيل في جبل افرايم قائلا أنزلوا للقاء المديانيين وخذوا منهم المياه إلى بيت باره والأردن فاجتمع كل رجال أفرايم وأخذوا المياه إلى بيت باره والأردن وأمسكوا أميري المديانيين غرابا وذئبا وقتلوا غرابا على صخرة غراب وأما ذئب فقتلوه في معصرة ذئب وتبعوا المديانيين وأتوا برأسي غراب وذئب إلى جدعون من عبر الأردن.

من هذا نستخلص أشياء أولا: أن المديانيين عربا ثانيا إن المديانيين هؤلاء ذوو خيام، ثالثا: أنهم كما هي حال الأعراب يأتون للسلب والنهب وأنهم ليسوا كثرة فهم عند الحاجة يضربون ويهربون وتلك عادة البدو ساكني البادية فغراب اسم عربي وذئب اسم عربي والأهم أن النسخة الكاثوليكية تذكرهما وهي التي نظمت بلغة عربية سليمة تذكرها باسم زيب وعوريب والغاية من ذلك معروفة للبصير وتذكر عن الاصحاح السادس والثلاثين من سفر التكوين هذا/ ٣٩ ومات

بعل حانان بن عكبور فملك مكانه هداد وكان اسم مدينته فاعو واسم امرأته مهيطئيل بنت مطرد بنت ماء ذهب يذكرها بنت ميزهب يريدون نفي العروبة في العهود السابقة عن فلسطين وما جاورها.

ثم يذكر الكتاب في الاصحاح السابع والثلاثين من سفر القضاة هذا وهو أن جدعون لحق بالمديانيين بعد قتل غراب وذئب/١٠ وكان زبح وصلمناع وهما في الحقيقة ذابح وصل مناع في قرقر جيشهما معهما نحو خمسة عشر ألفا كل الباقين من جيش بني المشرق والذين سقطوا مئة وعشرون ألف رجل مخترطي السيف.

/٢٢ وقال رجال اسرائيل لجدعون تسلط علينا أنت وابنك وابن ابنك لأنك قد خلصتنا من يد مديان/٢٣ فقال لهم جدعون لا أتسلط عليكم أنا ولا يتسلط ابني عليكم الرب يتسلط عليكم/٢٤ ثم قال لهم جدعون اطلب منكم طلبة أن تعطوني كل واحد اقراط غنيمته/٢٦ وكان وزن أقراط الذهب ألفا وسبع مائة شاقل ذهبا ما عدا الأهلة والحلق وأثواب الأرجوان التي على ملوك مديان/٢٦ لأنه كان لهم أقراط ذهب لأنهم اسماعيليون/ وما عدا القلائد التي في أعناق جمالهم/٢٧ فصنع جدعون منه أفودا وجعله في مدينته في عفرة وزنى كل اسرائيل وراءه هناك فكان لجدعون وبيته فخا/٢٨ وذل مديان أمام اسرائيل ولم يعودوا يرفعون رؤوسهم واستراحت الأرض أربعين سنة.

ومات جدعون وقتل ابنه أبيمالك سبعين أخا له وفي الاصحاح العاشر من سفر القضاة جاء هذا.

/١ وقام بعد أبيمالك لتخليص اسرائيل تولع بن فواه بن دودو من يساكر كان ساكنا في شامير في جبل أفرايم/٢ فقضى لاسرائيل ثلاثا وعشرين سنة ومات ودفن في شامير/٣ ثم قام بعده يائير الجلعادي فقضى لاسرائيل اثنين وعشرين سنة.

لقد أسقط المؤرخ من المديانيين والاسماعيليين في لمحة قصيرة من غير أن يكلف نفسه العد مائة وعشرين ألفا من مخترطي السيوف ولا يوجد للاسرائيليين جيش منظم إنما أمرهم فوضى ولنرجع إلى الاصحاح العاشر/٦ وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت والهة ارام والهة صيدون والهة مؤاب والهة بني عمون والهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه/٧ فحمي غضب الرب على اسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون/٨ فحطموا في بني اسرائيل في تلك السنة ثماني عشرة سنة.

وصرخ بنوا اسرائيل إلى الرب ورجعوا إليه هذا الذي ذكره الكتاب واجتمعوا لحرب بني عمون وتصافوا معهم ثم قالوا من يفتح الحرب اليوم يكون رأسا لجميع سكان جلعاد ونتنقل إلى الاصحاح الحادي عشر.

/١ وكان يفتاح الجلعادي بن امرأة زانية وكان جبار بأس وجلعاد ولد يفتاح/٢ وولدت امرأة جلعاد له بنين فلما كبر بنوا المرأة طردوا يفتاح وقالوا له لا ترث في بيت أبينا لأنك أنت ابن امرأة أخرى/٣ فهرب يفتاح من وجه أخوته وأقام في أرض طوب فاجتمع إلى يفتاح رجال بطالون وكانوا يخرجون معه/٤ ثم ذهب الجلعاديون وطلبوا يفتاح ليترأسهم فرضي بشرط أن يترأسهم أبدا فوافقوه ومضى معهم للقتال ونذر أنه اذا انتصر على بني عمون أن من خرج للقائه من باب بيته يصعده محرقة للرب.

وانتصر الرجل على بني عمون فكان الخارج للقائه ابنته الوحيدة فأخبر بما كان وحزن على ابنته وتركها شهرين تبكي عذرتها وتندب حظها ثم أماتها وأصعدها محرقة للرب يتلذذ بشوائها لذلك صارت عادة في بنات اسرائيل ينحن كل سنة على بنت يفتاح أربعة أيام.

واجتمع رجال أفرايم يخاصمون يفتاح فحاربهم وقتل منهم في يوم واحد اثنين وأربعين ألفا ولا أدري كم هو غرام المؤرخ بسفك الدماء اذ يضرب الرقم بمئة أبدا.

وقضى يفتاح لاسرائيل ست سنين ومات الرجل ثم قضى ايصان من بيت لحم سبع سنين ثم قضى ايلون الزبولوني عشر سنين ثم قضى عبدون بن هليل الفرعتوني عشر سنين.

ثم ننتقل إلى الاصحاح الثالث عشر من سفر القضاة وفيه/١ ثم عاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة.

إن مجموع تلك السنين التي ذكرها حتى قصة شمشون أي من بعد موت يوشع وكالب قد بلغت أربعمائة سنة الا قليلا فإذا أضفنا إليها قضاء شمشون فتزيد تسع سنوات عن أربعمائة عام وها هو الكتاب بين يدي القارىء والآن سنمتع القارىء بقصة شمشون المقدسة وقد قضى لهم عالي أربعين سنة وفي عهده في اخره أخذ الفلسطينيون تابوت العهد.

قصة شمشون: الاصحاح الثالث عشر من سفر القضاة.

/٢ وكان رجل من صرعة من عشيرة الدانيين ـ أي من أبناء دان إبن يعقوب وأمه بلهة جارية راحيل التي زنا بها روبين بن يعقوب وهي مع أبيه ـ واسم الرجل منوح وامرأته عاقر لم تلد/٣ فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها ها أنت عاقر لم تلدي ولكنك تحبلين وتلدين ابنا/٤

والآن فاحذري ولا تشربي خمرا ولا مسكرا ولا تأكلي شيئا نجسا/٥ فها إنك تحبلين وتلدين إبنا ولا يعلوا موسئ رأسه لأن الصبي يكون نذيرا لله من البطن وهو يبدأ يخلص اسرائيل من يد الفلسطينيين/٦ فدخلت المرأة وكلمت رجلها قائلة جاء الي رجل الله ومنظره كمنظر ملاك الله مرهب جدا ولم أسأله من أين هو ولا هو أخبرني عن اسمه/٧ وقال لي ها أنت تحبلين وتلدين ابنا والآن فلا تشربي خمرا ولا مسكرا ولا تأكلي شيئا نجسا لأن الصبي يكون نذيرا لله من البطن إلى يوم موته.

/٨ فصلى منوح لله وقال أسألك يا سيدي أن يأتي إلينا أيضا رجل الله الذي أرسلته ويعلمنا ماذا نعمل للصبي الذي يولد/٩ فسمع الله لصوت منوح فجاء ملاك الله أيضا إلى المرأة وهي جالسة في الحقل ومنوح رجلها ليس معها/١٠ فأسرعت المرأة وركضت وأخبرت رجلها وقالت له هو ذا قد تراءى لي الرجل الذي جاء إلى ذلك اليوم/١١ فقام منوح وسار وراء امراته وجاء إلى الرجل وقال له ءأنت الرجل الذي تكلم مع المرأة فقال أنا هو/١٢ فقال منوح عند مجيء كلامك ماذا يكون حكم الصبي ومعاملته/١٣ فقال ملاك الرب لمنوح من كل ما قلت للمرأة فلتحفظ/١٤ من كل ما يخرج من جفنة العنب تأكل خمرا ومسكرا لا تشرب وكل نجس لا تأكل/١٥ فقال منوح لملاك الرب دعنا نعوقك ونعمل لك جدي معزى/١٦ فقال ملاك الرب لمنوح ولوعوقتني لا اكل من خبزك وإن عملت محرقة فللرب أصعدها لأن منوح لم يعلم أنه ملاك الرب/١٧ فقال منوح لملاك الرب ما اسمك حتى إذا جاء كلامك نكرمك/١٨ فقال له ملاك الرب لماذا تسأل عن اسمي وهو عجيب/١٩ فأخذ من منوح جدي المعزي والتقدمة وأصعدهما على الصخرة للرب فعمل عملا عجيبا ومنوح وامرأته ينظران / ٢٠ فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد في لهيب المذبح ومنوح وزوجته ينظران فسقطا على وجهيهما/٢١ ولم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب/٢٢ فقال منوح لامرأته نموت موتا لأننا قد رأينا الله/٢٣ فقالت له امرأته لو أراد الرب أن يميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة ولما أرانا كل هذه ولما كان في مثل هذا الوقت أسمعنا مثل هذه/٢٤ وولدت المرأة ابنا وسمته شمشون فكبر الصبي وباركه الرب/٢٥ وابتدأ يحركه الرب في محله دان بين صرعة وأشتاول.

حب شمشون الاصحاح الرابع عشر

/١ ونزل شمشون إلى تمنه ورأى امرأة في تمنة من بنات الفلسطينيين/٢ فصعد وأخبر أباه وأمه وقال قد رأيت امرأة في تمنة من بنات الفلسطينيين فالآن خذها لي امرأة/٣ فقال له أبوه وأمه أليس في بنات إخوتك وفي كل شعبي امرأة حتى أنك تذهب لتأخذ امرأة من الفلسطينيين الغلف

فقال شمشون لأبيه إياها خذ لي لأنها حسنت في عيني/٤ ولم يعلم أبوه وأمه أن ذلك من الرب لأنه كان يطلب علة على الفلسطينيين وفي ذلك الوقت كان الفلسطينيون متسلطين على اسرائيل - اسمع أيها القارىء من الذي يريد العلة على الفلسطينيين؟ وقس عليه القوم/٥ فنزل شمشون وأبوه وأمه إلى تمنة وأتوا إلى كروم تمنة واذا بشبل أسد يزمجر للقائه/٦ فحل عليه روح الرب فشقه كشق الجدي وليس في يده شيء ولم يخبر أباه وأمه بما فعل/٧ أسمعت أيها القارىء لقد حل عليه روح الرب لقتل الأسد فنزل وكلم المرأة فحسنت في عيني شمشون/٨ ولما رجع بعد أيام ليأخذها مال لكي يرى رمة الأسد وإذا دبر من النحل في جوف الأسد مع العسل/٩ فاشتار منه على كفيه وكان يمشي ويأكل وذهب إلى أبيه وأمه وأعطاهما فأكلا ولم يخبرهما أنه من جوف الأسد اشتار العسل.

/١٠ ونزل أبوه إلى المرأة فعمل هناك شمشون وليمة لأنه هكذا كان يفعل الفتيان/١١ فلما رأوه أحضروا ثلاثين من الأصحاب فكانوا معه/١٢ فقال لهم شمشون لأحاجينكم أحجية فإذا حللتموها لي في سبعة أيام الوليمة وأصبتموها أعطيكم ثلاثين قميصا وثلاثين حلة ثياب/١٣ وإن لم تقدروا تحلوها تعطوني أنتم ثلاثين قميصا وثلاثين حلة ثياب فقالوا له حاج أحجيتك فنسمعها/١٤ فقال لهم من الآكل خرج أكل ومن الجافي خرجت حلاوة؟

فلم يستطيعوا أن يحلوا الأحجية في ثلاثة أيام - أخي القارىء هل هذه أحجية ؟.

/١٥ وكان في اليوم السابع أنهم قالوا لامرأة شمشون تملقي رجلك لكي يظهر لنا الأحجية لكيلا نحرقك وبيت أبيك بالنار ألتسلبونا دعوتمونا أم لا فبكت امرأة شمشون إليه وقالت إنما تكرهني ولا تحبني قد حاجيت بني شعبي أحجية وإياي لم تخبر فقال لها هو ذا أبي وأمي لم أخبرهما فإياك أخبر/١٧ فبكت إليه السبعة أيام التي فيها كانت لهم الوليمة وكان في اليوم السابع أنه أخبرها لأنها ضايقته فأظهرت الأحجية لبني شعبها/١٨ فقال له رجال المدينة في اليوم السابع قبل غروب الشمس أي شيء أحلى من العسل وما أجفى من الأسد فقال لهم ، لو لم تحرثوا على عجلتي لما وجدتم أحجيتي/١٩ وحل عليه روح الرب فنزل إلى أشقلون وقتل منهم ثلاثين رجلا وأخذ سلبهم وأعطى الحلل لمظهري الأحجية وحمي غضبه وصعد إلى بيت أبيه/٢٠ فصارت امرأة شمشون لصاحبه الذي كان يصاحبه - لقد حل عليه روح الرب للقتل إذ قتل ثلاثين نفسا ترى ألم تصبغ الحلل بالدماء ؟.

ولم لم يحل عليه روح الرب دوما فينهي الفلسطينيين؟

أعمال شمشون البهلوانية الاصحاح الخامس عشر

/١ وكان بعد مدة في أيام حصاد الحنطة أن شمشون افتقد امرأته بجدي معزى وقال أدخل إلى امرأتي إلى حجرتها ولكن أباها لم يدعه يدخل/٢ وقال أبوها إني قلت أنك قد كرهتها فأعطيتها لصاحبك اليس أختها الصغيرة أحسن منها فلتكن لك عوضا عنها/٣ فقال لهم شمشون إني بريء الآن من الفلسطينيين إذا عملت بهم شرا/٤ وذهب شمشون وأمسك ثلاث مئة ابن اوى وأخذ مشاعل وجعل ذنبا إلى ذنب ووضع مشعلا بين كل ذنبين في الوسط/٥ ثم اضرم المشاعل نارا وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون/٦ فقال الفلسطينيون من فعل هذا فقالوا شمشون صهر التَّمْنِيِّ لأنه أخذ امرأته وأعطاها لصاحبه فصعد الفلسطينيون وأحرقوها وأباها بالنار/٧ فقال لهم شمشون ولو فعلتم هذا فإني أنتقم منكم وبعد أكف عنكم/٨ وضربهم ساقا على فخذ ضربا عظيما ثم نزل فأقام في شق صخرة عيطم.

ترى من ساعد الرجل على جمع ثلاثمائة بن اوى وفي النسخة الأخرى جعلها ثعالب وهي أصح ومن أين رتَّب تلك المشاعل؟ طبعا إن الذي رتبها هو المؤرخ فكانت للعجائز أساطير وحكايات فصعد الفلسطينيون ونزلوا في يهوذا وتفرقوا في لحي/١٠ فقال رجال يهوذا لماذا صعدتم علينا فقالوا صعدنا لكي نوثق شمشون لنفعل به كما فعل بنا/١١ فنزل ثلاثة الاف رجل من يهوذا إلى شق عيطم وقالوا لشمشون أما علمت أن الفلسطينيين متسلطون علينا فماذا فعلت بنا فقال لهم كما فعلوا بي هكذا فعلت بهم/١٢ فقالوا له نزلنا لكي نوثقك ونسلمك إلى يد الفلسطينيين فقال لهم شمشون احلفوا لي أنكم لا تقعون علي/١٣ فكلموه قائلين كلا ولكن نوثقك ونسلمك إليهم فأوثقوه بحبلين جديدين وأصعدوه من الصخرة/١٤ ولما جاء إلى لحي صاح الفلسطينيون للقائه فحل عليه روح الرب فكان الحبلان اللذان على ذراعيه ككتان أحرق بالنار فانحل الوثاق عن يديه.

/١٥ ووجد لحي حمار طريا فمد يده وأخذه وضرب به ألف رجل/١٦ فقال شمشون بلحي حمار كومة كومتين بلحي حمار قتلت ألف رجل/١٧ ولما فرغ من الكلام رمى اللحي من يده ودعا ذلك المكان رمت لحي/١٨ ثم عطش جدا فدعا الرب فقال إنك قد جعلت بيد عبدك هذا الخلاص العظيم والآن أموت من العطش وأسقط بين الغلف/١٩ فشق الله الكفه التي في لحي فخرج منها ماء فشرب ورجعت روحه وانتعش لذلك دعا اسمه عين هقوري التي في لحي إلى هذا اليوم وقضى لاسرائيل عشرين سنة.

ولكن أتدري أيها القارىء أي يوم هذا اليوم ؟ إنه يوم كتبت الأسطورة المأخوذه من أفواه العجائز اللواتي كن يحدثن بها أحفادهن بجانب المواقد في ليالي الشتاء الطويلة.

حب شمشون الثاني الاصحاح السادس عشر أسطورة شمشون أمُّ الأساطير.

/١ ثم ذهب شمشون إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها/٢ فقيل للغزيين قد أتى شمشون إلى هنا فاحاطوا به وكمنوا له الليل كله عند باب المدينة فهدأو الليل كله قائلين عند ضوء الصباح نقتله/٣ فاضطجع شمشون إلى نصف الليل وأخذ مصراعي باب المدينة القائمتين وقلعهما مع العارضة ووضعها على كتفيه وصعد بها إلى رأس الجبل الذي مقابل حبرون.

حب شمشون الثالث المقدس مع دليلة.

/٤ وكان بعد ذلك أنه أحب امرأة في وادي سورق اسمها دليلة/٥ فصعد إليها أقطاب الفلسطينيين وقالوا لها تملقيه وانظري بماذا قوته العظيمة وبماذا نتمكن منه لكي نوثقة لاذلاله فنعطيك كل واحد ألفا ومائة شاقل فضة/٦ فقالت دليلة لشمشون أخبرني بماذا قوتك العظيمة وبماذا توثق لاذلالك/٧ فقال لها شمشون اذا أوثقوني بسبعة أوتار طرية لم تجف أضعف وأصير كواحد من الناس/٨ فاصعد لها أقطاب الفلسطينيين سبعة أوتار طرية لم تجف فأوثقته بها/٩ والكمين لابث عندها في الحجرة فقالت له الفلسطينيون عليك يا شمشون فقطع الأوتار كما يقطع فتيل المشاقة إذا شم النار ولم تعرف قوته.

/١٠ فقالت دليلة لشمشون ها قد ختلتني وكلمتني بالكذب فأخبرني الآن بماذا توثق/١١ فقال لها اذا أوثقوني بحبال جديدة لم تستعمل أضعف وأصير كواحد من الناس/١٢ فأخذت دليلة حبالا جديدة وأوثقته بها وقالت له الفلسطينيون عليك ياشمشون والكمين لابث في الحجرة فقطعها عن ذراعية كخيط.

/١٣ فقالت دليلة لشمشون حتى الآن ختلتني وكلمتني بالكذب فأخبرني بماذا توثق فقال لها إذا ضفرت سبع خصل شعري مع السدى/١٤ فمكنتها بالوتد وقالت الفلسطينيون عليك ياشمشون فانتبه من نومه وقلع وتد النسيج والسدى/١٥ فقالت له كيف تقول أحبك وقلبك ليس معي هو ذا ثلاث مرات قد ختلتني ولم تخبرني بماذا قوتك العظيمة/١٦ ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم وألحت عليه ضاقت نفسه إلى الموت/٧ فكشف لها كل قلبه وقال لها لم يعل الموسى رأسي لأني نذير الله من بطن أمي فإن حلقت تفارقني قوتي وأضعف وأصير كواحد من الناس/١٨ ولما رأت دليلة أنه قد أخبرها بكل ما في قلبه أرسلت فدعت أقطاب الفلسطينيين وقالت اصعدوا هذه المرة فإنه قد كشف لي كل قلبه فصعد إليها أقطاب الفلسطينيين وأصعدوا الفضة بأيديهم/١٩ وأنامته على ركبتيها ودعت رجلا وحلقت سبع خصل رأسه وابتدأت بإذلاله

وفارقته قوته وقالت الفلسطينيون عليك ياشمشون فانتبه من نومه وقال اخرج حسب كل مرة وانتفض ولم يعلم أن الرب فارقه.

/٢١ فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به إلى غزة وأوثقوه بسلاسل نحاس وكان يطحن في بيت السجن/٢٣ وابتدأ شعر رأسه يطول بعد أن حلق

نهاية شمشون مع نهاية الحكاية

/٢٣ وأما أقطاب الفلسطينيين فاجتمعوا ليذبحوا ذبيحة عظيمة لداجون صنمهم ويفرحوا وقالوا قد دفع الهنا ليدنا شمشون عدونا/٢٤ ولما راه الشعب مجدوا الههم لأنهم قالوا قد دفع الهنا ليدنا الذي خرب أرضنا وكثر قتلانا/٢٥ وكان لما طابت قلوبهم أنهم قالوا أدعوا لنا شمشون ليلعب لنا فدعوا شمشون من بيت السجن فلعب أمامهم وأوقفوه بين الأعمده/٢٦ فقال شمشون للغلام الماسك بيده دعني ألمس الأعمدة التي البيت قائم عليها لأستند عليها/٢٧ وكان البيت مملوءا رجالا ونساء وكان هناك جميع أقطاب الفلسطينيين وعلى السطح ثلاثة الاف رجل ينظرون لعب شمشون.

/٢٨ فدعا شمشون الرب وقال يا سيدي الرب اذكرني وشددني يا الله هذه المره فقط فأنتقم نقمة واحدة عن عيني من الفلسطينيين/٢٩ وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائما عليهما واستند عليهما الواحد بيمينه والآخر بيساره/٣٠ وقال شمشون لتمت نفسي مع الفلسطينيين وانحنى بقوة فسقط البيت على الأقطاب وعلى كل الشعب الذي فيه فكان الموتى الذين أماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته/٣١ فنزل اخوته وكل بيت أبيه وحملوه وصعدوا به ودفنوه بين صرعة وأشتأول في قبر منوح أبيه وقضى لاسرائيل عشرين سنة. وانتهت حياة بطل الاسطورة المقدسة.

لقد تبين أن الذين قتلهم شمشون في حياته لا أحد لأنه لم يسقط المعبد أو البيت على أحد وما عليك الا أن تفكر قليلا كم بين العمود والعمود وكيف استطاع أن يقبض بيده على العمود ؟ كم هي سعة كفه ؟ وإذا رمى العمودين لماذا يسقط كامل البناء والسقوف كما هو معلوم انذاك أما أن تكون من الخشب أما أن تكون من الحجر فاذا سقط جانب فسيبقى الجانب الآخر ومن قول الكاتب أن شمشون قبض على العمودين اللذين قام عليهما البناء دل أنه في فسحة ليس عنده أحد إنما كان يرقص في الحلبة وهم ينظرون لقد نمى المؤرخ شعر الرجل ليعيد له قوته فلم لم يقطع السلاسل ليصير بحرية أكثر؟ ولم لم يذكر قطع السلاسل ليركض الرجل من عمود لآخر.

إن ما بين العمود والعمود خمسة أمتار على الأقل ولن تطول يداه إلى أكثر من مترين ثم هذا البناء المبني من طابق واحد ويستند إلى عمودين يمكن لرجل طويل أن يمسكها بيديه الاثنتين بآن واحد كيف يتسع سطحه لثلاثة الاف متفرج وطبعا من يجلس ليتفرج يجلس على الجوانب ليمكنه النظر إلى أسفل ولا ندري كيف يرضى اباء من علماء العالم وشيوخ من أفاضل العلماء قبول هذا وجعله يقف مع الزمن مقدسا ؟.

هذا أحد قضاتهم يخرج من بيت زانية إلى بيت أخرى وما قصته الا كقصة دون كيشوت في الاسطورة الاسبانية «طالوت منتخب النبي صموئيل»

لقد تسلط الفلسطينيون على الاسرائيليين تسلطا كاملا ولكنهم لم يفكروا باخراجهم من الأرض بل رضوا بأخذ الجزية منهم وقد كانت تثار حروب بينهم فيسبي الفلسطينيون من أبناء وبنات بني اسرائيل حتى وصل الأمر أن الفلسطينيين منعوا الاسرائيليين من الحدادة ففي الاصحاح الثالث عشر صموئيل الأول جاء هذا/١٩ ولم يوجد صانع في كل أرض اسرائيل لأن الفلسطينيين قالوا لئلا يعمل العبرانيون سيفا أو رمحا/٢٠ بل كان ينزل كل اسرائيل إلى الفلسطينيين لكي يحدد كل واحد سكته أو منجله وفأسه ومعوله/٢١ عندما كلت حدود السكك والمناجل والمثلثات والأسنان والفؤوس ولترويس المناسيس/٢٢ وكان في يوم الحرب أنه لم يوجد سيف ولا رمح بيد جميع الشعب.

لقد مضى على موت موسى عليه السلام وقت قصير لم يتملكوا حقيقة التملك في فلسطين شيئا إنما كان لهم حق الدخول كغيرهم بداوة يسرحون بمواشيهم ويعملون في الأرض لهم ولغيرهم ويدفعون ثمن المراعي ويؤدون الجزية في أكثر الأحيان وكان اقتسامهم الأرض لايعدو ما كان عليه ابراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام كانت الأرض لأصحابها وهم يرعون بمواشيهم فيها بمقابل أو بدون مقابل.

ثم تملك القوم وبدأت النزاعات بينهم فها إن يفتاح قد قتل من الافرانيين اثنين وأربعين ألفا وها إن البنياميين قد قُتِلُوا جميعهم الا سبعمائة رجل قتلهم اسرائيل هم ونساؤهم وأطفالهم خمسة وعشرون ألفا قد قتلوا بسيف المؤرخ وقد قتلوا قبل فنائهم من سبط يهوذا اثنين وعشرين ألفا وفي اليوم الثاني ثمانية عشر ألفا وقد حكموا من قبل الفلسطينيين في المرة الأخيرة كما ذكر الكتاب أربعون سنة حتى وأخذوا منهم تابوت العهد وفيه من أثار موسى وهرون وكانوا يقدمون هذا التابوت أمامهم في الحرب يستنصرون به فيئس الاسرائيليون من الحياة الحرة الكريمة فمشى كبارهم إلى نبي لهم كان له احترام وتقدير وطلبوا إليه أن يقيم لهم ملكا يجتمعون إليه ويحاربون تحت قيادته.

ومشوا إلى صموئيل النبي بما ذكر الكتاب وبما أخبر الله في كتابه العزيز في سورة البقرة الآية/٢٤٦ «ألم تر إلى الملاء من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين.

لقد وافق النبي على الملكية في اسرائيل ولكنه حذرهم من عواقب الملكية وأنهم لن يصبروا على عبوديتها وكانت موافقته بعد اصرارهم ويبدأ الرجل يفكر ويبحث عن الرجل الصالح للملكية حتى رأى رجلاطويلا جسيما متين التقاطيع فأعجبه في شكله ومنظره ثم امتحنه في كلامه وعقله فرضي منه وأعجبه فجمع بني اسرائيل ليقول لهم بما أخبر الله بعد الآية السابقة «وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم»

كيف أصبح طالوت ملكا على اسرائيل

لقد ذكر كتاب العهد العتيق عن شاؤل ذلك الشاب البنياميني الذي أضاع أُتُنَهُ فخرج يبحث عنها في القرى المجاورة حتى مر بجانب المدينة التي يقطنها النبي صموئيل فقال له غلامه تعال ندخل على رجل الله فيخبرنا عن أتننا فقال شاول لم يبق معنا خبز وماذا نعطي الرجل ليخبرنا؟ فقال الغلام معي نصف شاقل من الفضة فأعطيه لرجل الله فيخبرنا ويذكر كتاب العهد العتيق هذا فيقول في الاصحاح التاسع من صموئيل الأول هذا/٨ فعاد الغلام وأجاب شاول وقال هوذا يوجد بيدي ربع شاقل فضة فأعطيه لرجل الله فيخبرنا عن طريقنا/٩ سابقا في اسرائيل كانوا يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله هلم نذهب إلى الرائي لأن النبي اليوم سابقا كان يدعى الرائي/١٠ فذهبا إلى الرائي وصادفا فتيات ذاهبات لاستقاء الماء فقالا لهن أهنا الرائي ؟ فدلتاهما عليه ولما اجتمعا مع النبي أكرمهما ثم قبل طالوت وأخبره بأنه سيكون أول ملك على اسرائيل ويقول تعالى خبره في سورة البقرة يتم السابق: ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾.

ورضي القوم بتمليك طالوت وألغي عهد القضاة الذي استمر أكثر من قرن من الزمن وجمع طالوت الجيش وأراد السير للقاء جالوت الرجل الجبار الذي يقود الفلسطينيين وأراد اختبار طاعة

جيشه واختبار همتهم فقال بما أخبرنا الله : ﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ لقد تملك طالوت بعد أن جاء تابوت العهد وذكروا أن الفلسطينيين أرادوا نقله من مكان إلى اخر فجعلوه على عجلة تجرها البقر فسقط قائدها وركضت البقر إلى أرض الاسرائيليين تسوقها الملائكة فكانت اية لتبؤ طالوت الملك واختبر القوم بشرب الماء مع عطشهم فشرب أكثرهم وصبر القليل ولما رأى الاسرائيليون كثرة أعدائهم قالوا لا قدرة لنا على لقاء القوم وقال من رضي الشهادة إن النصر مع الصبر ووقف الطرفان وجالوت يطلب المبارزة فهابه الاسرائيليون وتدافعوا نحو الوراء ولكن شابا صغيرا ليس من رجال الجيش جاء يفتقد إخوته المحاربين فرأى الناس تخشى مبارزة جالوت فقال أنا أبارزه فضحكوا منه ولكنه أصر على ذلك فأخذ إلى طالوت الذي نهاه عن المخاطرة بنفسه ولكنه أصر وتقدم نحو جالوت الذي لم يأبه له.

من هو داود الذي قتل جالوت

لقد كان داود راعي غنم وتمرن على رمي المقلاع حتى أتقن الرمي به تماما فوضع الحجر في كف المقلاع وتقدم حتى حاذى جالوت أو استقبله ولم يدخل بال جالوت أو يخيفه فلم يتحصن من حجره أو مقلاعه وقذف داود الحجر التي أصابت جبهة جالوت فكانت القاضية وكان نصر طالوت وهرب أعداؤه.

ويتم الله تعالى لنا خبر هذا: ﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾.

لقد قتل جالوت الجبار وانتصر طالوت وأكرم الله داود وأحبه طالوت وزوجة من ابنته ميكال وكانت فتاة جميلة وذات عقل وفير ولكنها في مثل سن داود.

لقد كان الصابرون من جيش طالوت في قتال جالوت بعدد المقاتلين مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر وكانوا مع رسول الله ﷺ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا والمشركون تسعمائة وخمسون وانتصر المسلمون وروى البخاري عن البراء بن عازب قال: (كنا نتحدث أيام رسول الله ﷺ أن عدة أصحاب بدر كانوا بعدة أصحاب طالوت وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر).

ويذكر داود بالصيام فقد كان يصوم يوما ويفطر يوما فقد جاء في حديث رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن عمرو بن العاص «أفضل الصيام صيام داود فقد كان يصوم يوما ويفطر يوما».

وجاء أيضا في الحديث عنه أنه كان يأكل من عمل يده وقد سميت الدروع ذات الزرد باسمه إذ يقال لها الدروع الداوودية ويقول عنه تعالى في سورة الأنبياء/٨٠: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾.

وقد الان الله له الحديد ففي الآية العاشرة من سورة سبأ قال تعالى: ﴿ولقد أتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنّا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير﴾ وتملك داود بعد طالوت ولم يذكر القران الكريم شيئا عن كيفية تملك داود إنما ذكر عن قضائه بين الخصمين كما ذكر عن توبته وان الله جل وعلا أعطاه أحسن صوت في زمنه كما أعطاه الزبور وهل كان الزبور تلك المزامير المائة والخمسين قطعة جمعها كتاب العهد العتيق أم أن الزبور قد ضاع وأحرق أيام السبي.

إن الزبور أدعية وابتهالات صار يرددها ليل نهار وردت إليه من الله في توبته وفي الاصحاح الثالث عشر صموئيل الأول هـذا الذي جاء في كتاب العهد العتيق عن حرب طالوت وجالوت/٥ وتجمع الفلسطينيون لمحاربة اسرائيل ثلاثون ألف مركبة وستة الاف فارس وشعب كالرمل الذي على شاطىء البحر في الكثرة وصعدوا ونزلوا في مخماس شرقي بيت أون /٦ ولما رأى رجال اسرائيل أنهم في ضنك لأن الشعب تضايق إختبأ الشعب في المغاير والفياض والصخور والصروح والآبار/٧ وبعض العبرانيين عبروا الأردن إلى أرض جاد وجلعاد وكان شاول بعد في الجلجال وكل الشعب ارتعد وراءه.

/٨ فمكث سبعة أيام حسب ميعاد صموئيل ولم يأت صموئيل إلى الجلجال والشعب تفرق عنه/٩ فقال شاول قدموا إلى المحرقة وذبائح السلامة فأصعد المحرقة/١٠ وكان لما انتهى من اصعاد المحرقة إذا صموئيل مقبل فخرج شاول للقائه ليباركه/١١ فقال صموئيل ماذا فعلت فقال شاول لأني رأيت الشعب قد تفرق عني وأنت لم تأت في أيام الميعاد والفلسطينيون مجتمعون في مخماس/١٢ فقلت الآن ينزل الفلسطينيون إلى الجلجال ولم أتضرع إلى وجه الرب فتجلدت وأصعدت المحرقة/١٣ فقال صموئيل لشاول قد انحمقت لم تحفظ وصية الرب التي أمرك بها لأنه الآن كان الرب قد ثبت ملكك إلى الأبد/١٤ وأما الآن فإن مملكتك لا تقوم قد انتخب الرب لنفسه رجلا حسب قلبه وأمره الرب أن يترأس على شعبه لأنك لم تحفظ ما أمرك به الرب/١٥ وقام صموئيل ونزل إلى جبعة بنيامين.

ثلاثون ألف مركبة ؟ ترى هل عدها المؤرخ أم ينسب إلى الله عدها ؟ إنها لم تكن لرعمسيس الثاني الذي غزا سورية قبل هذا التاريخ بثلاثة قرون أو اثنين ولنتجاوز هذا إلى غيره.

ترى ماذا فعل طالوت حتى حرمه الرب من دوام ملكه أَلِخَطاءٍ بسيط ارتكبه فلم ينتظر النبي وأم لأن الرب قد وجد رجلا اخر غير طالوت ؟ ترى هل أغلق باب التوبة والاستغفار على طالوت؟ لقد جعل الكاتب صموئيل فوق مكان النبي في تنصيب الملك وفي سلب الملك عنه والأمر واضح جلي وهو أن الكتاب وقد كتب بعد سبعمائة عام من تلك الأحداث فرتب الكاتب أكثر الحالات بما يتفق والذي صار وفي كثير من الأمور كان هذا.

ونزل طالوت بجيش صغير بالنسبة للفلسطينيين لأن الإسرائيليين لما رأوا كثرة أعدائهم اختبئوا كما قال الكتاب وترى التخبط في سرد تلك الحوادث واضحا وضوحا جليا فلا تكاد تعرف أين البدء لأنك تظنه فتجد بدءاً اخر واصطف الجيشان ولنأخذ بعض ما في الكتاب عن أحوال تلك المعركة وأحوال طالوت وفي الاصحاح الرابع عشر من صموئيل جاء هذا/٤٧ وأخذ شاول المُلْكَ على اسرائيل وحارب جميع أعدائه من مؤاب وبني عمون وادوم وملوك صوبة والفلسطينيين وحيثما توجه غلب/٤٨ وفعل ببأس وضرب عماليق وأنقذ اسرائيل من يدنا هبيه/٤٩ وكان بنو شاول يوناثان ويشوي وملكيشوع وابنتيه ميرب وميكال.

قتل جالوت في كتاب العهد القديم

الاصحاح الخامس عشر

/١ وقال صموئيل لشاول اياي أرسل الرب لمسحك ملكا على شعبه اسرائيل والآن فاسمع صوت كلام الرب/٢ هكذا يقول رب الجنود إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر/٣ فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة وطفلا ورضيعا بقرا وغنما جملا وحمارا.

هذا كلام النبي على لسانه وأدعاؤه من الله ليذبح الطفل والرضيع وقد ذبح موسى عماليق في الاصحاح السابع عشر من سفر الخروج واستحضر طالوت الشعب وعده في طلايم فكان مئتي ألف راجل وعشرة الاف رجل من يهوذا ثم جاء شاول إلى مدينة عماليق وكمن في الوادي وقال للقينيين أخرجوا من وسط عماليق كيلا أهلككم معهم/٧ وضرب شاول عماليق من حويله حتى مجيئك إلى شور التي مقابل مصر/٨ وأمسك أجاجا ملك عماليق وحرم جميع الشعب بحد السيف/٩ وعفا شاول والشعب عن أجاج وعن خيار البقر والغنم والثنيان والخراف وعن كل الجيد ولم يرضوا أن يحرموها.

/ ١٠ وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا ندمت أني قد جعلت شاول ملكا لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي.

ثم ثار صموئيل على شاول فقال له شاول اغفر لي خطيئتي وارجع معي لأسجد للرب /٢٦ فقال صموئيل لشاول لا أرجع معك لأن الرب رفضك من أن تكون ملكا على اسرائيل/٢٧ ودار صموئيل ليمضي فأمسك بذيل جبته فانخزق/٢٨ فقال له صموئيل يمزق الرب مملكة اسرائيل عنك اليوم ويعطيها لصاحبك الذي هو خير منك/٢٩ وأيضا نصيح اسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس انسانا ليندم.

ترى كم مرة جعلوه يندم؟ عشرات المرات بل مئاتها/٣٢ وقال صموئيل قدموا لي أجاج ملك عماليق فذهب إليه أجاج فرحا وقال أجاج حقا قد زالت مرارة الموت/٣٣ فقال صموئيل كما أثكل سيفك النساء كذلك تثكل أمك بين النساء فقطع صموئيل أجاج أمام الرب في الجلجال.

أتدري لم زاد غضب الرب على شاول؟ لأنه ترك أجاج ملك عماليق حيا.

ومن الاصحاح السابع عشر من صموئيل أقرأ هذا وقد ذكر مرات/١ وجمع الفلسطينيون جيوشهم للحرب ونزلوا بين سوكوه وعزيقه في أفس دميم/٢ واجتمع شاول ورجال اسرائيل ونزلوا في وادي البطم واصطفوا للحرب للقاء الفلسطينيين/٣ وكان الفلسطينيون وقوفا على جبل من هنا واسرائيل وقوفا على جبل من هنا والوادي بينهم/٤ فخرج رجل مبارز من الفلسطينيين واسمه جليات من جت طوله ستة أذرع وشبر/٥ وعلى رأسه خوذه من نحاس وكان لابسا درعا حرشفيا ووزن الدرع خمسة الاف شاقل نحاس/٦ وجرموقا نحاس على رجليه ومزراق نحاس بين كتفيه/٧ وقناة رمحه كنول النساجين وسنان رمحه ست مئة شاقل حديد وحامل الترس كان يمشي قدامه/٨ فوقف ونادى صفوف اسرائيل لماذا تخرجون وتصفون للحرب أما أنا الفلسطيني وأنتم عبيد لشاول إختاروا لأنفسكم رجلا ولينزل الي/٩ فإن قدر علي يقتلني ونصير لكم عبيدا وإن قدرت أنا عليه وقتلته تصيرون أنتم لنا عبيدا/١٠ وقال الفلسطيني أنا عيرت صفوف اسرائيل هذا اليوم أعطوني رجلا فنحارب معا/١١ ولما سمع شاول وجميع اسرائيل كلام الفلسطيني هذا ارتاعوا وخافوا جدا.

/١٦ وكان الفلسطيني يتقدم ويقف صباحا ومساء أربعين يوما

ولنلخص من نفس الاصحاح من هو داود/١٢ وداود هو ابن ذلك الرجل الأفراتي من بيت لحم يهوذا الذي اسمه يسّى وله ثمانية بنين وكان يسّى شيخا كبيرا وقد أرسل ثلاثة من أولاده

ليكونوا مع شاول وداود أصغر أبنائه فأرسله والده بزاد من خبز ولحم إلى إخوته فوصل إلى ذلك الميدان الذي جمع الجيشين ورأى جالوت يصول ويجول وقد خاف منه الاسرائيليون فقال داود ما هذا الرجل فأخبروه وقالوا من قتل هذا الفلسطيني فإن الملك سيغنيه غنى جزيلا ويزوجه من ابنته فتقدم داود إلى الملك برغبته في مبارزة الرجل فنهاه ولم يقبل وانتصر داود على جليات وقتله وأعدنا القول بهذا مرتين لاعادته في الكتاب أكثر من هذا وقد خلط فيه معرفة شاول بداود قبل الحرب ثم إنكاره وعدم معرفته لأنه كان يعزف له ليذهب عنه الروح الرديء وتزوج داود من ابنة شاول وأراد شاول قتل داود غيرة منه وحسدا له وهذا مما ورد في كتاب العهد العتيق في الاصحاح الثالث عشر/٦ وكان عند مجيئهم حين رجع داود من قتل الفلسطيني أن النساء خرجت من جميع مدن اسرائيل بالغناء والرقص للقاء شاول الملك بدفوف وبفرح وبمثلثات/٧ فأجابت النساء اللاّعبات وقلن ضرب شاول ألوفه وداود ربواته فاحتمى شاول جدا وساء هذا القول في عينيه وقال أعطين داود ربوات وأما أنا فأعطينني الألوف وبعد فقد تبقى له المملكة/٩ فكان شاول يعاين داود من ذلك اليوم فصاعدا الربوات الفرق التي تجمع الآلاف.

لم يكن الفلسطينيون يريدون حرب اسرائيل تماما ودليل هذا أن جليات ظل يطلب الحرب والبراز أربعين يوما وكانوا يريدون ارجاعهم إلى الطاعة ولم تكن تلك الأعداد في المعركة ولا عشرها بل أقل من ذلك ولم تكن للفلسطينيين حتى ذلك اليوم رابطة أبدا فَلِجَتْ مملكة ولغزة مملكة ولكل إقليم من الفلسطينيين مملكة واجتمع الاسرائيليون كلهم على طالوت فشكلوا أكبر قوة في فلسطين وماجاورها وأسسو المملكة لأول مرة فكانت القوة الكاسحة لفترة من الزمن حين اكتسح الآشوريون البلاد الشامية بأسرها في سنة ثمانمائة واثنين وأربعين قبل الميلاد ولم تستطع المملكة الاسرائيلية فناء الفلسطينيين بل دخلوا في طاعة المملكة وجيوشها وسنثبت هذا إن شاء الله.

العداء بين طالوت أو (شاول) وبين داود

لقد ذكر كتاب العهد العتيق أن شاول وهو طالوت قد أبغض داود ولم يزوجه ابنته البكر ميرب ثم عاد ووافق على تزويجه البنت الأصغر وهي ميكال وأمهرها مائة غلفة من غلف الفلسطينيين ففي الاصحاح الثامن عشر من صموئيل الأول جاء هذا/٢٠ وميكال ابنة شاول أحبت داود فأخبروا شاول فحسن الأمر في عينيه/٢١ وقال شاول أعطيه إياها فتكون له شركا وتكون يد الفلسطينيين عليه وقال شاول لداود ثانية تصاهرني اليوم/٢٢ وأمر شاول عبيده تكلموا سرا مع داود قائلين هو ذا قد سربك الملك وجميع عبيده أحبوك فصاهر الملك/٢٣ فقال داود هل هو مستخف بأعينكم مصاهرة الملك وأنا رجل مسكين فقير وحقير/٢٤ فأخبر شاول

عبيده بمثل هذا الكلام تكلم داود/ ٢٥ فقال شاول هكذا تقولون لداود ليست مسرة الملك بالمهر بل بمئة غلفة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك وكان شاول يتفكر أن يوقع داود بيد الفلسطينيين/ ٢٦ فأخبر عبيده داود فحسن الكلام في عيني داود أن يصاهر الملك ولم تكمل الأيام/ ٢٧ حتى قام داود وذهب ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل وأتى داود بغلفهم فأعطاه شاول ميكال ابنته امرأة.

وجعل شاول يكيد لداود يريد قتله ولكن يوناثان ابن الملك وميكال ابنة الملك زوجة داود كانا ينبهان داود على مكائد شاول وفر داود من طريق شاول إلى جت أكبر الممالك الفلسطينية آنذاك ففي الاصحاح الحادي والعشرين جاء هذا/ ١٠ وقام داود وهرب في ذلك اليوم إلى أخيش ملك جت/ ١١ فقال عبيد أخيش له أليس هذا داود ملك الأرض أليس لهذا كن يغنين في الرقص قائلات ضرب شاول ألوفه وداود ربواته/ ١٢ فوضع داود هذا الكلام بقلبه وخاف جدا من أخيش ملك جت/ ١٣ فغير عقله في أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيدهم وأخذ يخربش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته/ ١٤ فقال أخيش لعبيده هو ذا قد ترون الرجل مجنونافلماذا تأتون به الي.

وخرج داود وفر ثانية مع بعض رجاله إلى ملك جت.

وفي الاصحاح الثاني والعشرين جاء هذا/ ٣ وذهب داود من هناك إلى ملك مؤاب وقال له ليخرج أبي وأمي إليكم حتى أعلم ماذا يصنع لي الله فودعهما عند ملك مؤاب.

وتزوج داوود من امرأتين غير زوجته ميكال ابنة شاول وذهب مع ستمائة رجل إلى أخيش ملك جت وطلب من أخيش أن يعطيه بلدة صقلغ ليقيم بها مع رجاله فأعطاه إياها وأكرمه - وهذه من مغالطات الكتاب في كل يوم يقتل داود من الفلسطينيين وقد قتل جليات الجتي ثم يأتي إلى ملك جت فلما عرفه جعل نفسه مجنونا ثم يأتي إليه بستمئة رجل فيعطيه بلدة يقيم فيها ثم يفعل هذا الذي يذكر في الاصحاح السابع والعشرين /٨ وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجرزيين والعمالقة لأن هؤلاء من قديم سكان الأرض من عند شور إلى أرض مصر/ ٩ وهي الأرض التي أعطاها كاتب الكتاب في يوم إلى اسماعيل بن ابراهيم وضرب داود الأرض ولم يستبق رجلا ولا امرأة وأخذ غنما وبقراوجمالا وثيابا ورجع وجاء إلى أخيش/ ١٠ فقال أخيش إذا لم تغزو اليوم ؟ فقال داود بلى على جنوبي يهوذا وجنوبي البرحمليين, وجنوبي القينيين/ ١١ فلم يستبق داود رجلا ولا امرأة حتى يأتي إلى جت إذ قال لئلا يأتوا ويخبروا عنا قائلين هكذا فعل داود وهكذا عادته في كل إقامته في بلاد الفلسطينيين/ ٣ فصدق أخيش داود سبحان الله إن المؤرخ يفعل فعل

النعامة إذ تغطي رأسها بالرمل وتغمض عينيها هل يصدق هذا عاقل وكأنما كتب لأطفال وصدقوه أيها القارىء نعم صدقوه حتى يومنا هذا.

ثم كانت حياة داود في فلسطين حتى صعد الفلسطينيون لحرب اسرائيل بجملتهم وجمع شاول الاسرائيليين فذهب داود مع الفلسطينيين ولكن القوم لم يأمنوا له فرجع إلى صقلغ حيث كانت أسرته وأسر رجاله فوجدوا أن العمالقة قد غزو صقلغ وأحرقوها بالنار وإليك هذا من الاصحاح الثلاثين صموئيل الأول/١ ولما جاء داود ورجاله إلى صقلغ في اليوم الثالث كان العمالقة قد غزوا الجنوب وصقلغ وضربوا صقلغ وأحرقوها بالنار/٢ وسبوا النساء اللواتي فيها لم يقتلوا أحدا لا صغيرا ولا كبيرا بل ساقوهم ومضوا في طريقهم/٣ فدخل داود ورجاله المدينة فإذا هي محرقة بالنار ونساؤهم وبنوهم وبناتهم قد سبوا/٤ فرفع داود والشعب الذين معه أصواتهم وبكوا حتى لم تعد لهم قوة للبكاء/٥ وسبيت امرأتا داود أخينوعم البزرعيلية وأبيجايل الكرملية/٦ فتضايق داود جداً لأن الشعب قالوا برجمه/٧ ثم قال داود لأبياثار الكاهن قدم الأفود فقدم أبياثار الأفود إلى داود/٨ فسأل داود من الرب قائلا إذا لحقت هؤلاء الغزاة فهل أدركهم فقال له الحقهم فإنك تدرك وتنقذ/٩ فذهب داود هو والست مئة رجل وجاؤا إلى وادي البسور والمتخلفون وقفوا/١٠ وأما داود فلحق هو وأربع مئة رجل/١١ فصادفوا رجلا مصريا في الحقل فأخذوه إلى داود وأعطوه خبزا فأكل وسقوه/١٢ وأعطوه قرصا من التين وعنقودين من الزبيب فأكل ورجعت روحه لأنه لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء في ثلاثة أيام وثلاث ليال/١٣ فقال له داود لمن أنت ومن أين أنت فقال أنا غلام مصري عبد لرجل عماليقي وقد تركني سيدي لأني مرضت منذ ثلاثة أيام/١٤ فإنا غزونا على جنوبي الكريتيين وعلى ما ليهوذا وعلى جنوبي كالب وأحرقنا صقلغ بالنار/١٥ فقال له هل تنزل بي على هؤلاء الغزاة.

/١٦ فنزل به وإذا هم منتشرون على كل الأرض يأكلون ويشربون ويرقصون بسبب جميع الغنيمة التي أخذوها من أرض الفلسطينيين ومن أرض يهوذا/١٧ فضربهم داود من العتمة إلى مساء الغد ولم ينج منهم رجل إلا أربع مائة غلام الذين ركبوا جمالا وهربوا/١٨ واستخلص داود كل ما أخذ عماليق وأخذ داود امرأتيه /١٩ ولم يفقد لهم شيء لا صغير ولا كبير ولا بنون ولا بنات ولا غنيمة ولا شيء من جميع ما أخذوا.

ألا ترى أيها القارىء هل كتب هذا لمن يفتح عينيه وقلبه ؟ أم للمستسلم بدون تفكير ؟ وهذا الذي كان إن العمالقة لم يقتلوا أحدا أبدا ولم يفقد قوم داود لو طفلا ولكن العماليق هرب منهم فوق الجمال أربع مئة وهل قرأت هذا أن الكاهن إذا قدم الأفود. كلم الله وجاوبه وقد كنا نظن أن موسى فقط هو الذي كلم الله ولكن جميع كهنة اليهود يسألون الله ويجيبهم فهذا أمر لم

نأخذ به نحن المسلمين والنصارى من قبلنا واسمع هذا الأهم من كل ما مضى ففي الاصحاح الثامن والعشرين جاء هذا/٣ ومات صموئيل وندبه كل اسرائيل ودفنوه في الرامة وكان شاول قد نفى كل أصحاب الجان والتوابع من الأرض/١٤ واجتمع الفلسطينيون وجاؤا وجمع شاول جميع اسرائيل ونزل في جلبوع/٥ ولما رأى شاول جيش الفلسطينيين خاف/٦ فسأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحكام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء/٧ فقال شاول فتشوا لي عن امرأة صاحبة جان فاذهب إليها وأسألها فقال له عبيده هو ذا امرأة صاحبة جان في عين دور.

/٨ فتنكر شاول ولبس ثيابا أخرى وذهب هو ورجلان معه وجاؤا إلى المرأة ليلا فقال اعرفي لي بالجان وأصعدي لي من أقول لك/٩ فقالت له المرأة هو ذا أنت تعلم ما فعل شاول كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض فلماذا تضع شركا لنفسي لتميتها/١٠ فحلف لها شاول بالرب قائلا حي هو الرب لا يلحقك إثم في هذا الأمر/١١ فقالت المرأة من أصعد لك فقال أصعدي لي صموئيل/١٢ فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم وكلمت المرأة شاول لماذا خدعتني وأنت شاول/١٣ فقال لها الملك لا تخافي فماذا رأيت فقالت المرأة لشاول رأيت الهة يصعدون من الأرض/١٤ فقال لها ما هي صورته فقالت رجل شيخ صاعدا وهو مغطى بجبة فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه وسجد/١٥ فقال صموئيل لشاول لماذا أقلقتني بإصعادك إياي فقال شاول قد ضاق بي الأمر جدا الفلسطينيون يحاربونني والرب فارقني ولم يعد يجيبني لا بالأنبياء ولا بالأحلام فدعوتك لكي تعلمني ماذا أعمل/١٦ فقال صموئيل ولماذا تسألني والرب قد فارقك وصار عدوك/١٧ وقد فعل الرب لنفسه كما تكلم عن يدي وقد شق الرب المملكة من يدك وأعطاها لقريبك داود.

ترى هل صح تحضير الأرواح في تلك الأيام السحيقة أليس هذا افتراء وهل تدري أيها القارىء لأي سبب عاداه رب اسرائيل؟ إليك السبب تمعن فيه.

/١٨ لأنك لم تسمع لصوت الرب لم تفعل حمو غضبه في عماليق لذلك قد فعل الرب بك هذا الأمر اليوم/١٩ ويدفع الرب اسرائيل أيضا معك ليد الفلسطينيين وغدا أنت وبنوك تكونون أيضا معي ويدفع الرب جيش اسرائيل ليد الفلسطينيين/٢٠

لقد طرد شاول أصحاب الجن والتوابع وأهل السحر والطلاسم وفعل هذا الذي أوصى به الرب ولكن الأمر أعظم لأن شاول استبقى ملك العماليق حيا وبعض أنعامهم لتصعد محرقات للرب.

وهل صدقت أيها القارىء هذا الذي كان من حضور النبي صموئيل على يد الجان أو صاحبة الجان ؟ وهل حضر النبي صموئيل بين يدي المنجمة راضيا أو مرغما؟ وهل يجب أن نكون مع تلك المرأة أم مع التوراة؟لقد جاء في الاصحاح العشرين سفر اللاويين هذا/٦ والنفس التي تلتفت إلى الجان والى التوابع لتزني وراءها أجعل نفسي ضد تلك النفس وأقطعها من شعبها/٧.

/٢٧ وإذا كان في رجل وامرأة جان أو تابعة فإنه يقتل بالحجارة يرجمونه دمه عليه.

هذا بعض الذي جاء عن أصحاب الجن والتوابع وفي الاصحاح الثاني والعشرين سفر الخروج/٨٨ لاتدع ساحرة تعيش.

ولكن كيف تسمح النفس أو العلم والعقل بقتل مثل تلك المرأة التي استطاعت أن تحضر الأرواح وتدع طالبها يكلمها ويسألها عن حاجة لا بد منها؟ حتى وأنها تستطيع احضار أرواح الأنبياء فأين هي الأرواح هل هي بيد الجان أم بيد الملائكة ؟.

ولم غضب الرب على شاول ؟ لم نر سبب غضب أتى به شاول ولا يغفر كما أننا لم نر سببا لمنع موسى وهرون من دخول الأرض المقدسة فلم غضب الرب على شاول ولم منع موسى وهرون من دخول الأرض المقدسة ؟ إن السبب بل الأسباب التي يستحق داود بها غضب الرب تساوي مئة ضعف بل ألف ضعف عن الأسباب التي حرمت موسى وهرون دخول الأرض المقدسة أو عداء الله لشاول ولكننا نحن لسنا نحمل على داود أبدا فإنه نبي وإنه أواب وإنه ليس بالسفاك. وليس بالزاني. ولكن الذي كتب لحرمان موسى وأخيه أو لغضب الرب على شاول إنما هو افتراء وحث على سفك الدماء.

إنه لأمر خطير أن يقبل مثل هذا والأخطر أن يكون مقدسا أيقلد فلان وسام سفك للدماء من بعد موته ويدخل الوسام في التاريخ ويكون الوسام على درجات بقدر سفك الدماء التي سفك صاحبه وأيضا هناك وسام التحريم وهو قتل الرجل والمرأة والشيخ والكهل والفطيم والرضيع والحلال والحرام من كل ما دبٔ وحبیٔ وسائر الأموال إلا الحبيب المحبب من المفضض والمذهب إنه لمضحك أن يصدق وإنه لمؤلم أكثر من أن يقدس مثل هذا وإليك هذا من الاصحاح السادس عشر صموئيل.

/١ فقال الرب لصموئيل إلى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته أن يملك على اسرائيل إملأ قرنك دهنا وتعال أرسلك إلى يشى البيتلحمي لأني قد رأيت لي في بيته ملكا/٢ فقال صموئيل

كيف أذهب إن سمع شاول يقتلني فقال الرب خذ بيدك عجلة من البقر وقل قد جئت لأذبح للرب/٣ وادع يشى إلى الذبيحة وأنا أعلمك ماذا تصنع وامسح لي الذي أقول لك عنه/٤ ففعل صموئيل كما تكلم الرب وجاء إلى بيت لحم فارتعد شيوخ بيت لحم لمجيئه وقالوا أسلام مجيئك/٥ فقال سلام جئت لأذبح للرب فقد سوا وتعالوا معي إلى الذبيحة وقدس يشى وبنيه ودعاهم إلى الذبيحة.

ثم طلب صموئيل من يشى أن يحضر أبناءه فأدخل الأول وكان طويل القامه وظن صموئيل أن هذا مسيح الرب فقال الرب لصموئيل الناس ينظرون إلى الانسان بعينيه والرب ينظر إلى قلبه ثم أدخل الثاني حتى دخل أبناء يشى السبعة فلم يكن فيهم الطلب فقال صموئيل أليس هل كملوا الغلمان قال بقي الصغير وهو يرعى الغنم فقال النبي أحضره لنا فلما راه قال له الرب قم فامسحه لأنه هو فقام صموئيل فمسحه بين اخوته وحل على داود من ذلك الوقت روح الرب.

وذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح روي أي روح شيطانية وأصبح شاول يشعر بضيق في نفسه فأشار عليه أتباعه أن يبحثوا له عن انسان عازف يعزف له موسيقى تدفع عنه الروح الردي أي حتى تطيب نفسه ولنعد إلى الاصحاح السادس عشر وفيه/١٨ فأجاب واحد من الغلمان وقال هو ذا قد رأيت ابنا ليسّى البيت لحمي يحسن الضرب وهو جبار بأس ورجل حرب وفصيح ورجل جميل والرب معه/١٩ فأرسل شاول إلى يشى يقول أرسل إلى داود ابنك الذي مع الغنم/٢٠ فأخذ يس حمارا حمله خبزاً وخمراً وجدي معزى وأرسله بيد ابنه داود إلى شاول/٢١ فجاء داود إلى شاول ووقف أمامه فأحبه جدا وكان له حامل سلاح/٢٢ فأرسل شاول إلى يشى قائلا ليقف داود أمامي لأنه وجد نعمة في عيني/٢٣ وكان عندما جاء الروح من قبل الله أن داود أخذ العود وضرب بيده فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الرديء وإليك هذا من الاصحاح السابع عشر صموئيل.

التخبط في كيفية معرفة شاول بداود.

/٥٠ فتمكن داود من الفلسطيني بالمقلاع والحجر وضرب الفلسطيني وقتله ولم يكن سيف في يد داود/٥١ فركض داود ووقف على الفلسطيني وأخذ سيفه واخترطه من غمده وقتله وقطع به رأسه فلما رأى الفلسطينيون أن جبارهم قد مات هربوا/٥٢ فقام رجال اسرائيل ويهوذا وهتفوا ولحقوا الفلسطينيين في طريق شعرايم إلى جت والى عفرون/٥٣ ثم رجع بنو اسرائيل من الاحتماء وراء الفلسطينيين ونهبوا محلتهم/٥٤ وأخذ داود رأس الفلسطيني وأتى به إلى أورشليم ووضع أدواته في خيمته. هل هذا صحيح وهل كانت أورشليم أورشليم وطالما كانت فمن سماها ؟.

/٥٥ ولما رأى شاول داود خارجا للقاء الفلسطيني قال لأبنير رئيس جيشه إبن من هذا الغلام يا ابنير فقال ابنير وحياتك أيها الملك لا أعلم/٥٦ فقال الملك اسأل ابن من هذا الغلام/٥٧ ولما رجع داود من قتل الفلسطيني أخذه أبنير وأحضره أمام شاول ورأس جليات بيده/٥٨ فقال له شاول ابن من أنت يا غلام فقال داود بن عبدك يشى البيتلحمي.

ترى هل يعرف شاول داود أم لا يعرفه؟ وهل الرواية الأولى أصدق أم هذه؟.

وهل تدري أيها القارىء أن شاول كان نبيا ففي الاصحاح العاشر من صموئيل جاء هذا/١٠ ولما جاؤا إلى هناك إلى جبعة إذا بزمرة من الأنبياء لقيته فحل عليه روح الله فتنبأ في وسطهم/١١ ولما راه جميع الذين عرفوه منذ أمس أنه يتنبأ مع الأنبياء قال الشعب الواحد إلى صاحبه ماذا صار لابن قيس أشاول أيضا بين الأنبياء؟ فذهبت مثلا أشاول أيضا بين الأنبياء.

وفي الاصحاح التاسع عشر جاء هذا/٢٤ فخلع هو أيضا ثيابه وتنبأ هو أيضا أمام صموئيل وانطرح عريانا ذلك للنهار كله وكل الليل لذلك يقولون أشاول أيضا بين الأنبياء.

نهاية شاول وهو طالوت في الكتاب العهد العتيق: الاصحاح الحادي والثلاثين ٧٩

وصعد الفلسطينيون لحرب شاول وجمع شاول جميع اسرائيل ودارت الحرب بين الطرفين لأيام ولم تكن معركة فاصلة حتى كان اخر أيامها وفي كتاب العهد العتيق جاء هذا.

/١ وحارب الفلسطينيون اسرائيل فهرب رجال اسرائيل من الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع/٢ فشد الفلسطينيون وراء شاول وبنيه وضرب الفلسطينيون يوناثان وأبينا داب وملكيشوع أبناء شاول/٣ واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة رجال القسي فانجرح جدا من الرماة/٤ فقال شاول لحامل سلاحه استل سيفك واطعني لئلا يأتي هؤلاء الغلف فيطعنوني ويقبحوني فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جدا فأخذ شاول السيف وسقط عليه/٥ ولما رأى حامل سلاحه أنه قد قتل سقط هو أيضا على سيفه ومات معه/٦ فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم.

/٧ ولما رأى رجال اسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الأردن أن رجال اسرائيل قد هربوا وأن شاول وبنيه قد ماتوا تركوا المدن وهربوا فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها/٨ وفي الغد لما جاء الفلسطينيون ليعروا القتلى وجدوا شاول وبنيه الثلاثة ساقطين في جبل جلبوع/٩ فقطعوا رأسه ونزعوا سلاحه وأرسلوا إلى أرض الفلسطينيين في كل جهة لأجل التبشير في بيت أصنامهم

وفي الشعب/ ١٠ ووضعوا سلاحه في بيت عشتاروت وسمروا جسده على سور بيت شان/ ١١ ولما سمع سكان يابيش جلعاد بما فعل الفلسطينيون بشاول١٢٦ قام كل ذي بأس وساروا الليل كله وأخذوا جسد شاول وأجساد بنيه عن سور بيت شان وجاؤا بها إلى يابيش وأحرقوها هناك/ ١٣ وأخذوا عظامهم ودفنوها تحت الأثلة في يابيش وصاموا سبعة أيام.

وخبر الأمر داود من غلام عماليقي كان قد رأى المعركة وادعى أنه قد قتل طالوت وكان يحمل أساور طالوت معه بناء على طلب طالوت فأمر داود بقتله.

ويظهر أن الفلسطينين وبعض الاسرائيليين كانوا ضد طالوت ولا ندري تماما عن صحة الخصام بين طالوت وداود الخصام الذي ذكره كتاب العهد العتيق وجعل من طالوت طاغية يذبح جميع الكهنة في بلدهم نوب وقد أمر دواغ الأدومي في الاصحاح الثاني والعشرين أن يفعل هذا/ ٨ فقال الملك لدواغ در أنت وقع بالكهنة فدار دواغ الأدومي ووقع هو بالكهنة وقتل في ذلك اليوم خمسا وثمانين رجلا لابسي أفودكتان/ ١٩ وضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف الرجال والنساء والأطفال والرضعان والثيران والحمير والغنم بحد السيف وملك الأمر داود وأطاعته البلاد إلا ولدا من أولاد شاول واسمه إيشبو شت فأخذه أبنير قائد جيش شاول إلى الجانب الشرقي من اسرائيل وملكه هناك حوالي السنتين ثم قتل هذا الملك ولكن بعد أن أعاد أخته ميكال إلى داود ويزعم الكتاب أن طالوت قد زوجها إلى رجل اخر غير داود واسمه فلطمئيل بن لايش فقد جاء في الاصحاح الثالث من سفر صموئيل الثاني ما يلي/ ١٤ وأرسل داود رسلا إلى ايشبوشت بن شاول يقول أعطني امرأتي ميكال التي خطبتها لنفسي بمئة غلفة من الفلسطينيين/ ١٥ فأرسل ايشبوشت وأخذها من عند رجلها فلطميئيل بن لايش/ ١٦ وكان رجلها يسير معها ويبكي وراءها إلى بحوريم فقال له ابنير إذهب ارجع فرجع. وضم داود ميكال ابنه شاول إلى نسائه الآخرين وتزوج عشرات النساء هذا الذي ورد في كتاب العهد العتيق ومن العجيب والغريب أن نقرأ هذا في الاصحاح الثامن/ ٣ وضرب داود هددعزر بن رحوب ملك صوبه حين ذهب ليرد سلطته عند وادي الفرات.

وهؤلاء الفلسطينيون قد قتلوا الملك في عقر داره وهم ينازعونهم السلطة في نفس فلسطين فأين التملك إلى وادي الفرات لمسيرة نصف شهر؟.

وقد مدح كتاب العهد العتيق داود مدحايفوق المديح لغيره ولكنه أورد عنه ما لم يرد عن غيره من أعمال تخالف التوراة وتغضب الرب فوصمه بالزنى ووصمه بالدياثة وإليك هذا من الاصحاح الحادي عشر صموئيل الثاني.

/١ وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملك أن داود أرسل يؤاب وعبيده معه وجميع اسرائيل فأخرجوا بني عمون وحاصروا ربة وأما داود فأقام في أورشليم/٢ وكان وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدا/٣ فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بششبع بنت أليعام زوجة أوريا الحثي/٤ فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها/٥ فحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى/٦ فارسل داود إلى يؤاب يقول أرسل الي أوريا الحثي فأرسل يؤاب أوريا إلى داود/٧ فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يؤاب وسلامة الشعب ونجاح الحرب/٨ وقال داود لأوريا إنزل إلى بيتك واغسل رجليك فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من بيت الملك/٩ ونام أوريا على باب الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته/١٠ فأخبر داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته فقال لأوريا أما جئت من السفر؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟/١٩ فقال أوريا لداود إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنين في الخيام وسيدي يواب وعبيده نازلون على وجه الصحراء وأنا أتي إلى بيتي لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتي وحياتك لا أفعل هذا الأمر فقال داود لأوريا أقم هنا اليوم وغدا أطلقك فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده/١٣ ودعاه داود فأكل معه وشرب وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده والى بيته لم ينزل/١٤ وفي الصباح كتب داود مكتوبا إلى يؤاب وأرسله بيد أوريا/١٥ وكتب في المكتوب يقول إجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت/١٦ وكان في محاصرة يؤاب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع اللذي علم أن رجال البأس فيه/١٧ فخرج رجال المدينة وحاربوا يؤاب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضا/١٨ فأرسل يؤاب وأخبر داود بجميع أمور الحرب/١٩ وأوصى الرسول وقال عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب/٢٠ فإن اشتعل غضب الملك وقال لماذا دنوتم من المدينة أما علمتم أنهم يرمون من على السور/٢١ من قتل أبيمالك بن يربوشت ألم ترمه امرأة من على السور فمات في تاباص لماذا دنوتم من السور فقل له قد مات أوريا الحثي أيضا.

/٢٢ فذهب الرسول وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يؤاب/٢٣ وقال الرسول لداود قد تجبر علينا القوم وخرجوا الينا إلى الحقل فكنا عليهم إلى مدخل الباب/٢٤ فرمى الرماة عبيدك من على السور فمات البعض من عبيد الملك ومات عبدك أوريا الحثي/٢٥ فقال داود للرسول هكذا تقول لمؤاب لا يسوء في عينيك هذا الأمر لأن السيف يأكل هذا وذاك شدد قتالك على المدينة وأضربها وشدده/٢٦ فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات زوجها ندبت بعلها/٢٧ ولما مضت

المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب» وكانت المرأة بما ذكروا أم سليمان فهل صح هذا؟.

هل فعل هذا داود؟

لا يمكن لنبي أن يزني ولا يقبل الله ارسال رسول قد زنا فأمر الزنا عظيم والزنا من المنهي عنه في الكلمات العشر في التوراة ثم من اضطجع مع بهيمة قتلا يقتل فكيف مع امرأة متزوجة وفي الاصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين جاء هذا/ ٢٠ لا تجعل مع امرأة صاحبك مضجعك لزرع فتتنجس بها.

وفي الاصحاح العشرين من سفر اللاويين هذا/ ١٠ وإذا زنا رجل مع امرأة فإذا زنا مع امرأة قريبه يقتل الزاني والزانية وجاء في الاصحاح الثاني والعشرين من سفر التثنية جاء هذا/٢٢ إذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة.

كيف يثبت زنا داود ومنزل التوراة يرضى عنه. أيعاقب الله الفقير والمسكين ولا يعاقب الغني والقوي؟

ماذا فعل شاول حتى غضب الرب عليه ولم يستجب لندامته؟

هل هذا صحيح وهل يسكت على مثله داود؟

ثم اتهموا داود بالدياثة فإليك هذا أيها القارىء ففي الاصحاح الثالث عشر من صموئيل الثاني جاء هذا /١ وجرى بعد هذا أنه كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبها أمنون بن داود ـ أخوها لأبيها ـ/٢ وأحصر أمنون للسقم من أجل ثامار أخته لأنها كانت عذراء وعسر في عيني أمنون أن يفعل لها شيئا/٣ وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعي أخي داود وكان يوناداب رجلا حكيما جدا/ ٤ فقال له يوناداب يا إبن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح أما تخبرني فقال له أمنون إني أحب ثامار أخت أبشالوم أخي /٥ فقال له اضطجع على سريرك أو تمارض وإذا جاء أبوك ليراك فقل له ادع ثامار أختي تأتي وتطعمني خبزا وتعمل أمامي الطعام فأكل من يدها/ ٦ فاضطجع أمنون وتمارض فجاء الملك ليراه فقال أمنون للملك دع ثامار أختي فتأتي وتصنع أمامي الطعام فأكل من يدها/٧ فأرسل داود إلى ثامار إلى البيت قائلا إذهبي إلى بيت أمنون أخيك واعملي له طعاما/٨ فذهبت ثامار إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكتين وخبزت الكعك/ ٩ وأخذت المقلاة وسكبت أمامه فأبى أن يأكل وقال أمنون أخرجوا كل انسان عني فخرج كل انسان عنه/ ١٠ ثم

قال أمنون لثامار ايتي بالطعام إلى المخدع فأكل من يدك فأخذت ثامار الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع/١١ وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعالي اضطجعي معي /١٢ فقالت له لا ياأخي لا تذلني لأنه لا يفعل هكذا بإسرائيل لا تعمل هذه القباحة/١٣ أما أنا فأين أذهب بعاري وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء والآن كلم الملك فإنه لا يمنعني منك/١٤ فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها/١٥ ثم أبغضها أمنون بغضا شديدا جدا أشد من المحبة التي أحبها إياها وقال لها أمنون قومي انطلقي/١٦ فقالت له لا سبب هذا الطرد أشر مما عملت بي فلم يشأ أن يسمع لها/١٧ بل دعا غلامه وقال أطرد هذه واقفل الباب وراءها/١٨ وكان عليها ثوب ملون لأن بنات الملك العذارى كن يلبسن جبات مثل هذه فأخرجها الخادم وأقفل الباب/١٩ فجعلت ثامار رمادا على رأسها ومزقت الثوب الملون الذي عليها ووضعت يدها على رأسها وكانت تذهب صارخة.

/٢٠ فقال لها أبشالوم أخوها هل كان أمنون أخوك معك فالآن يا أختي اسكتي أخوك هو لا تضعي قلبك على هذا الأمر فأقامت ثامار في بيت أخيهاأبشالوم مستوحشة/٢١ ولما سمع داود بجميع هذه الأمور اغتاظ جدا/٢٢ ولم يكلم أبشالوم أخاه أمنون بشر ولا بخير.

وبعد سنتين أراد أبشالوم جزاز غنمة فدعا الملك وجمع إخوته أبناء الملك ليحضروا حفلة عنده بمناسبة الجزاز فأبى الملك أن يذهب وسمح لأبنائه بالذهاب وفيهم أمنون ولما جلس القوم إلى الطعام وشربوا قام غلمان أبشالوم فقتلوا أمنون بالسيف فهرب جميع أبناء الملك وبلغ الخبر إلى داود/٣١ فقام الملك واضطجع على الأرض ومزق ثيابه.

/٢٧ فهرب أبشالوم إلى تلماي بن عميهود ملك جشور وناح داود على ابنه الأيام كلها. لقد جعلوا داودملكا وجعلوا اتصاله بربه بواسطة نبي اسمه ناثان ولكن القران الكريم بما قال الله فيه كان نبيا وأتاه الله الزبور وهو أدعية منظومة كانت تخرج من فم داود بصوت شجي بالغ الروعة حتى أن الطيور كانت تردد وتستمع لصوته الشجي ففي الآية/١٠ من سورة سبأ قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد﴾ لقد كانت أصداء صوته تردد له ومعه ذلك الصوت الشجي صوت النادم على أمر كان أقرب للخطأ واستوجب من الله العقاب وقد أخبرنا تعالى عن خطئه وتوبته وإن لم يوضح لنا الأمر برمته ففي سورة «ص» الآية/١٧ قوله تعالى: ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب * إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق * والطير محشورة كل له أواب * وشددنا ملكه وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب * وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوروا المحراب * إذا دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا

تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط * إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾.

لقد عرف داود أنه المقصود في هذه الفتوى فخر على وجهه تائبا لربه مستغفرا من ذنبه وجعل يبكي بكاء مرا وكان داود يصلي في محرابه ضمن دائرة من حرس خاص لكي لا يستطيع الدخول عليه أحد إلا بإذنه فلم يشعر إلا ورجلان قد دخلا عليه بلا إذن ولا خبر.

قصة الخصمين مع داود.

لقد فزع داود لدخول رجلين عليه بلا إذن ولا معرفة سابقة وأخذته الدهشة فلما رأيا فزعه قالا له لا تخف جئناك لنستفتي عندك ثم بادره أحدهما بقوله إن أخي هذا عنده تسع وتسعون نعجة وأنا عندي نعجة واحدة فقط فطلب مني ضمها لنعاجه فغلبني على أمري وحرمني نتاجها وأخذها مني عنوة فما هو قولكم دام فضلكم؟.

فقال داود بعد أن سأل الخصم فصدق قول المدعي لقد ظلمك بضم نعجتك إلى نعاجه وقد تبينت أن الخلطاء يبغي بعضهم على بعض إلا أهل الصلاح منهم وهم قلة في المجتمع فضحك الخصمان وقالا لقد قضى الرجل على نفسه فعلم أنه المقصود فمادت به الأرض وأغمي عليه وكانت توبته المشهورة.

وغاب الرجلان بعد صيحة منه وخرج داود إلى الجبال والسهول يبكي خطيئته وَيَنْشُدُ وَيناشِدُ ربه يطلب قبول توبته لقد كانت الطيور تعكف عليه والجبال تردد صدى صوته وأوحى إليه جل وعلا الزبور فكان يقرأه ترتيلا فيخرج من فمه للذة صوته نغما فسمي مزاميرا ويتم لنا تعالى قصة توبته ﴿وظن داود أن ما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب﴾ وأوصاه الله بعد قبول توبته بهذا ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾.

إن داود النبي لم يزن ولا يمكن أن يزن فلو زنا لن يبقى نبيا وإن الله العادل سيعاقب بما قرر في التوراة من عقاب للزاني فإذا لم يعاقب في الدنيا لقدر قدره فإنه لن يرضى عن الفاعل ويذكره بما هو أهله وها قد جاء في الاصحاح السابع من صموئيل الثاني ما يلي/١٢ متى أكملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته/١٣ هو يبني

بيتا لاسمي وأنا أثبت كرسية ومملكته إلى الأبد/١٤ أنا أكون له أبا وهو يكون لي إبنا إن تعوج أو أدبه بقضيب الناس.

ويضربات بني ادم/١٥ لكن رحمتي لا تنزع منه كما نزعتها من شاول الذي أزلته من أمامك/١٦ ويأمن مملكتك إلى الأبد أمامك.

كرسيك يكون ثابتا إلى الأبد. وهذا ما ورد عن دوام ملك داود في كتاب القوم فهل صح هذا؟ لقد تملك سليمان من بعد أبيه ملكا هنيا وعاش عيشا مرضيا وبعد موته مباشرة خرج عن ملكه عشرة أقسام من اثني عشر قسم وبعد قرنين أو أقل من ذلك بدأ أبناء داود يدفعون الجزية إلى الأشوريين وبعد موت سليمان بحوالي ثلاثة قرون إنتهى ملك سليمان ولم يعد بعدها أبدا إلى عصر نعيش فيه أي بعد سليمان بثلاثة الاف سنة تقريبا.

قد يقول قائل من المسيحيين إن ملك سليمان قد ورثه المسيح وإن ملك المسيح باق وأنه سيعود فذلك يُرَدُّ بقولين.

الأول: إن الكتاب كتاب اليهود وإن داود يهوديا فماشأن المسيحيين بهذا؟ واليهود لا يعترفون مطلقا بالمسيح ولا برسالته فضلا عن أنه إله أو إبن الاله ولو سلم من لسانهم لكان الخير له ولهم.

ثانيا: إن المسيح ليس إبن داود الجميع يعرف أن المسيح ليس إبن داود إلا اليهود ينسبونه ظلما إلى داود فالمسيحي يحرم عليه إن أراد البراءة أن ينسب المسيح إلى داود فإن المسيح بعقيدة المسيحي ثالث ثلاثة وهو أحد الأقانيم أو أنه إله ونستغفر الله.

أما إذا جعل وصل المسيح إلى داود بواسطة مريم فالخطأ أكبر لأنه يخرج المسيح ثم داود عن يهوذا وعن يعقوب لأن داود يعرف اليهودي والمسيحي أن جدته راعوث المؤابية فيكون داود من أبناء لوط أليس كذلك أيها القارىء الكريم.

ثالثا: إن المسيحي يخرج عيسى عن أنه من البشر إنما وضع في رحم مريم إستيداعا نزل فيه لفترة تسعة أشهر رضيها حتى يصير من لحم ودم كي يفدي عبيده بنفسه وفعل كما قالوا لفرض أجبر عليه ومات عيسى ولم يدم ملكه إلى الأبد فتلك الآية مدخلة وليست من قول الله فالله جل وعلا لا يتراجع عن وعد وعده للقوم أو لغيرهم.

بعد كل هذا وصموه بالزنا وعنده من النساء عشرات بل وبالاجرام بحق زوجها وصموه والذي يحلل ضمن الشرع والتشريع في كتبهم وكتب المسلمين كما في القران أن داود رأى المرأة

فأعجبته وهي على إحدى حالتين أما أنها في بيت أهلها خطبت لأوريا الحثي ولم يدخل بها فقدم الرجل إلى مكان من الخطر فاستشهد الرجل وتزوجها داود بعد استشهاده.

أو أن الرجل تزوجها وكانت مع أهله وذويه بعد ذهابه إلى الحرب فرأها داود صدفه فأعجب بها وعرف أنها زوجة أحد جنوده فأرسل إلى قائده بتقديمه لمواقع الخطر فاستشهد الرجل وتزوج داود المرأة دون أن ينظر إليها ثانية فكان بعدها في موقف ملوم من ربه وطلع الخبر فشاع على ألسن الناس حتى وزاد عليه المغرمون والمولعون أمثال الكاتب بمثالب الناس وأصبح قصة يهون على أمثال الكاتب العمل كنسيجها وجعلها تحمل من داود بالزنا ثم أمات ولدها وأما قصة أمنون مع أخته فهي تتمة تعريف على امكان التجاوز عن الأفعال المنكرة بل والرضا عن فاعلها ولا نقبل هذا أو نقره لأن داود لن يقر الخبث والمنكر في بيته ولن يقبل الله من داود التجاوز والسكوت عن مثل هذا فلا يقبل لعنة الرب على أحد أولاده إذ أن الله قد لعن أمثاله في التوراة كما هو معلوم في الاصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية/٢٢ ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه.

والتوراة يقرؤها داود ويطبق على الناس أحكامها وهو الذي بشهادتهم في كتابهم يقيم فرائض الرب ووصاياه ففي الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول وغيره جاء هذا ومثله/٣٤ ولا أخذ كل المملكة من يده بل أصيره رئيسا كل أيام حياته لأجل داود عبدي الذي اخترته الذي حفظ وصاياي وفرائضي.

ومع هذا كتبوا أنه سكت على ابنه فلم يقم عليه حدا وحزن عليه جدا إذ قتله أبشالوم أخو الفتاة لأمها ثم عادوا ووصموا داود بجريمة بشعة نكراء قل أن يعرف التاريخ لها مثيلا فقد جاء في الاصحاح الثاني عشر من صموئيل الثاني ما يلي/٢٦ وحارب يؤاب ربة بني عمون وأخذ مدينة المملكة/٢٧ وأرسل يؤاب رسلا إلى داود يقول قد حاربت ربه وأخذت أيضا مدينة المياه/٢٨ فالآن اجمع بقية الشعب وأنزل إلى المدينة وخذها لئلا أخذ أنا المدينة فيدعى باسمي أنا عليها.

/٢٩ فجمع داود كل الشعب وذهب إلى ربه وحاربها وأخذها/٣٠ وأخذ تاج ملكهم عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم وكان على رأس داود وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جدا/٣١ وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أتون الأجر وهكذا صنع بكل مدن بني عمون ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم.

هل تصدق هذا أيها القارىء ؟ وهل يمكن أن يكون هذا صحيحا ؟ داود الزاني داود

القاتل داود الذي يقر الخبث في أهله وولده داود المجرم في حقوق العباد وقاتل المرأة والطفل بكل هذا ويبقى محبوب الله ولأجل داود تبقى المملكة في عقبه إلى الأبد وأي أبد هذا؟

الانسان من حيث هو الانسان يهزأ من كل قلبه بنسب هذا إلى التقديس ويهزأ من كل قلبه بمن يصدق هذا عن داود ويهز من كل قلبه من كل من يؤمن بقدسية هذا.

إن هذا لا يمت إلى الانسانية بصلة لأن الله خلق الانسان لغاية نبيلة ليست كهذه الغايات والعياذ بالله فإن الله جل وعلا يقول في كتابه العزيز في سورة الأنبياء الآية/١٦: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين * لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين * بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾.

لو أراد الرب ألعوبة وحاشاه لصنع المنتزهات الإلهية وما يتناسب مع عظمته في نظرة إليه وربما ولا ندري ما يصنع سبحانه ويقول في سورة الدخان الآية/٣٨: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾.

هل خلق الله السموات والأرض لتكون السموات والأرض للاشيء؟ أم خلقهما للملائكة في السموات كما يجب وللانسان في الأرض ليكون كما يجب؟ أم خلق السموات والأرض لبني اسرائيل ولموسى وداود ليتعلما ويعلما بني اسرائيل كيف هو ذبح الانسان وكيف يكون ذبح المرأة والطفل؟ وهل يذبح الطفل أمام أمه أم تذبح الأم أمام طفلها؟ وهل يذبح الجميع أمام بعضهم وينظرون إلى جبال اللحم وأنهار الدماء أم تعصب أعين الجميع؟ وماذا نقول لمقدسي هذا؟ وبماذا نصفهم؟.

لم كان هذا نساء وأطفال يقتلون ليحل محلهم نساء وأطفال اخرون لم؟ لقد وصف الكاتب راعوث فإذا هي امرأة ليس لها في بنات اسرائيل من مثل وممن هي المرأة إنها مؤابيه من الذين قاسهم داود بالحبل ترى ألا يستطيع الرب أن يرسل على أولئك الأطفال وأمهاتهم بل وتلك الشعوب البلاء والوبا فيهلكم وإذا كان يحب رائحة الشواء كما جاء بعد انتهاء الطوفان ألا يرسل عليهم نارا فيشويهم وتصعد إليه رائحة الشواء.

ترى كيف ينظر الرب إلى من وضع النساء والأطفال والشيوخ تحت نوارج الحديد ومناشير الحديد وأمرهم في أتون الأجر؟ هل ينظر إليه على أنه البطل أو أنه المجرم عدو الانسانية؟ وأخيرا أنظن أن القوم يقولون هذا لقد خلق الله كل شيء لأجل اليهود حتى والانسان.

تملك داود كان برضا جميع من سكن فلسطين انذاك.

لقد ملك داود فلسطين برضا أهلها وجمع القلوب حوله ولم تكن طاعة الاسرائيليين لداود أكثر من طاعة الفلسطينيين وبقيت ملوك الفلسطينيين كل واحد في ملكه وإليكم ببعض الدلائل المؤكدة لهذا فعند ما ثار أبشالوم على أبيه داود وأراد الهرب داود وذلك بما يذكر الكتاب كان الفلسطينيون معه كغيرهم فقد جاء في الاصحاح الخامس عشر صموئيل الثاني ما يلي/١٧ وخرج الملك وكل الشعب في أثره ووقفوا عند البيت الأبعد/١٨ وجميع عبيده كانوا يعبرون بين يديه مع جميع الجلادين والسعاة وجميع الجتيين ست مئة رجل أتوا وراءه من جت وكانوا يعبرون بين يدي الملك.

/١٩ فقال الملك لاتاي الجتي لماذا تذهب أنت أيضا معنا إرجع وأقم مع الملك ـ أي أبشالوم ـ لأنك غريب ومنفي أيضا من وطنك... إلى اخر هذا.

لقد جاء في الاصحاح الثامن من صموئيل الثاني هذا/١ وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم وأخذ داود زمام القصة من يد الفلسطينيين. إنها كلمة تعني أن أمر الملك سلم إليه ومعناه أن الجميع رضوا بداود أن يكون ملكا على فلسطين لأنه أقام مع الفلسطينيين كل مدة هربه من شاؤل وتزيد عن خمس سنوات ثم نذكر هذا المذكور عن فعله بأخواله فجدته راعوث المؤابية هي أم جده عوبيد وقد ذكر الكتاب هذا في نفس الاصحاح/٢ وضرب المؤابيين وقاسهم بالحبل أضجعهم على الأرض فقاس بحبلين للقتل وحبل كامل للاستحياء وصار المؤابيون عبيدا لداود يقدمون الهدايا.

إن مدينة جت هي إحدى مدن فلسطين وقد هرب إليها داود بما ذكر الكاتب بعد قتله جالوت أو جليات ليكون عند ملكها أكثر من نصف سنة وقد أعطاه كما مر معنا أخيش ملك جت وما حولها مدينة صقلغ ليسكنها مع جماعته الأربعمائة رجل وأهلهم.

ويذكر الكتاب أن من رجال داود كان صالق العموني ونحراي البيروتي وأوريالحثي ونظن أن رجال الجيش كانوا من عموم فلسطين وأن الحروب التي مرت على تلك المنطقة هي حروب طوائف مرة وحروب عنصرية أخرى وحروب التسلط أكثر تلك الحروب تماديا.

إن تلك الحروب ربما كانت تتسم بوحشية تلك العصور ولكن رجال القتال فيها لا يزيدون عددا في التحاماتهم عن عدة الاف قد لا تزيد عن العشرة فإذا رأو الكسرة هرب أكثرهم وقتل البعض وأسر البعض فللأسير في تلك الأيام ثمن أكان للخدمة أو العمل أم كان للفكاك والبدل.

أما النساء والأطفال فالمعلوم أنهم في كل بلد كانوا يباعون ويشرون كما هي السوائم ولكن كاتب الكتاب عن العهد العتيق قد ثبت لنا أنه مغرم بتعداد الجيوش وكثرتها عامة وتعداد القتلى في الحروب خاصة لقد صنف كثرة الجيوش تصنيفا والقتلى عدهم بالآحاد لمئات الألوف عدا أما الذهب والفضة فلها في قلبه المكان الأسمى حتى نسب للرب أيضا وصف الذهب والجزع والأحجار الكريمة فقد ذكر في الاصحاح الثاني من سفر التكوين ما يلي/ ١٠ وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس/ ١١ إسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب/ ١٢ وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع.
ترى هل يحتاج الرب لوصف كهذا؟

ترى هل كانت الحية تتكلم؟

ولكن الذي كتب عن الحية والمرأة ما كتب وصدقه الناس إنما هو من أهل الحظوظ بل هو صاحب الحظ الأول في الكون الأرضي حيث قدس ما كتب فمن الاصحاح الثالث من سفر التكوين قرأنا هذا/ ١٣ فقال الرب الاله للمرأة ما هذا الذي فعلت فقالت المرأة الحية التي غرّتني فأكلت/ ١٤ فقال الرب الاله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع بهائم الأرض ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك/ ١٥ هل كان هذا؟ وهل تأكل الحية ترابا فقط إنها أبدا تأكل بيض الطيور وغيرها وتأكل كل ما تصل إليه من طيور وزواحف وما حبى ودبا من الأرانب فما دونها حتى وأولاد قتلتها كالثعالب وأنواعها غذاؤها البيض واللحم وليست وحدها من المخلوقات التي تنام شتاء فإن ما لا يقل عن مائة نوع من المخلوقات تنام شتاء وتستيقظ صيفا فما دخل هذا القول في أكل الحية التراب كل أيام حياتها وينسب هذا إلى الله.

/ ١٥ وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يستحق رأسك وأنت تسحقين عقبه وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حملك بالوجع تلدين أولادا وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك/ ١٧.

الكلام لا يصلح إلا بفم كفم الانسان وأي تغير بالفم يغير الكلام.

لقد ذكرنا أن جميع المخلوقات تعادي الحية قبل خلق ادم لأنها تأكل أولادهم وإذا استطاعت أكلتهم ويكرهون زحفها ويخافون قربها وليس الانسان فقط.

ثم إن جميع إناث الحيوانات والمخلوقات تتعب في حملها وحبلها وتلد مع الآلم والأوجاع وهل يكون حملها في جراب متى شاءت أفرغته؟

والمرأة تماما كغيرها تحمل في رحمها وتغذي ولدها فيه من غذائها ومتى ولدت يخرج المولود من باب ضيق يؤلم خروجه الوالدة والمولود على حد سواء ولكن المولود لا يتذكر من أمر ذلك شيئاوهكذا عاش داود أول العمر بكفاح توجه بأمبراطورية جمعت أكثر من عشر قوميات ومات بعزٍ ونعمة رضي الله منه وأرضاه وملك قبل موته سليمان الحكيم بقول كتاب العهد العتيق وسليمان نبي بما جاء في القران الكريم وفي سورة الأنبياء بدء الإخبار عنه ففي الآية/٧٨: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾.

فذكر الله هذا جاء لسليمان وأبوه لا يزال حيا يملك ثم تولى الأمر بعد أبيه فوجد ملكا موطدا لم يحتج فيه إلى حرب أو جهد إنما ذكر كتاب العهد العتيق أنه قتل أخا له أراد السيطرة على الملك قبل وفاة أبيه وكذلك أن أباه أوصاه بقتل قائد جيوشه المظفرة واسمه يؤاب بن صرويه وقتل رجلا اخر من أقرباء طالوت فنفذ وصايا أبيه.

لقد أوتي داود الزبور وهو أحد الكتب السماوية ولكنه لا يحوي تشريعا ولا يغير من شريعة التوراة شيئا إنما هو أدعية وصلوات فيها مناجاة الخالق واستغفاره وشكره تفتح كيس البخيل وتوقف شحنة الغضب وتردع عن الخطيئة فكانت لداود يرددها صباح مساء واتخذها له وردا ومما روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «خفف على داود القران - أي قرأه الزبور - فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القران قبل أن تسرج دوابه وكان يأكل من عمل يديه» والزبور هل هو هذه التي يسمونها المزامير؟.

لقد كان العصر الذهبي لبني اسرائيل خاصة هو عصر سليمان وهو أيضا يمكن أن نسميه بالعصر الفضي لشعوب بلاد الهلال الخصيب برمته وقد توسع ملكه فشمل جميع فلسطين مع بقاء جميع ممالك الآخرين وكان الأمر الناهي فيهم حتى أن جميع بلاد الشام لم ترحربا في عصره إذ كان يتوسط لحل جميع خلافاتهم ثم كانت كلمته نافذة بينهم وأمن الناس وازدهرت التجارة وكثر المال.

لقد كان سليمان كما ذكرنا نبيا كما كان أبوه داود نبياً ودعا سليمان ربه أن يؤتيه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأتاه الله تعالى كما ذكر لنا في سورة الأنبياء: ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وفي سورة سبأ تأكيد هذا والزيادة في الخبر ففي الآية/١٢: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه

بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير * يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾.

ومما كان من ملكه ما ذكر الله في سورة النمل الآية/١٦ : ﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين * وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون * حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون * فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين * وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ لقد شكر سليمان ربه على تلك النعم التي وهبها الله له ومنها أنه كان يعرف لغة الطير فيخاطبها وتخاطبه وكانت الطير ترافقه في بعض أسفاره وحديث الهدهد هذا وقصته ذكرها لنا جل وعلا باختصار شديد وكانت لبيان بعض ما أعطى الله جل وعلا سليمان من نعم.

سليمان وبلقيس ملكة سبأ

لقد كانت سفن الفينيقيين في خدمة سليمان وذاك أن الفينيقيين في ذلك العصر كانوا أمهر من ركب البحر وكانت الصداقة متينة بين (حيرام) ملك صور على ساحل لبنان وقد تزوج سليمان من إبنته وصارت المنافع متبادلة بينهما فأنشأ الفينيقيون سفنا في البحر الأحمر على ميناء إيلات العقبة صارت تمخر عباب البحر الأحمر إلى باب المندب لتذهب إلى المحيط العربي والهندي وساحل إفريقيا الشرقي فتتجر وتأتي بالتوابل وغيرها من نتاج تلك البلاد وكانت مملكة سبأ لها السيطرة على مضيق باب المندب وصارت تعترض السفن وهل كانت تحتجزها وتأخذها أم كانت تأخذ الأتاوات الكثيرة لا ندري؟

فأراد سليمان تأمين تلك السفن وضمان سيرها ولذا أرسل الهدهد أم غيره ليخبر له حال مملكة سبأ ففي الاصحاح العاشر من سفر الملوك الأول جاء هذا/١١ وكذا سفن حيرام التي حملت ذهبا من أوفير أتت من أوفير بخشب الصندل كثيرا جدا وبحجارة كريمة/ وأوفير هي بلاد الهند والله أعلم.

وأراد سليمان أن يغزو بلاد سبأ وربما كان كما ذكرنا ليضمن إجتياز السفن في البحر الأحمر وإجتياز القوافل من موانيء الجنوب العربي وسار الجيش وعند بدء المسيرة تفقد جيشه والطير فلم يجد الهدهد ويقال أن الهدهد يخبر الماء من تحت جلدة الأرض. فإذا أراد سليمان السير في المفاوز

يرسل الهدهد ليخبر الماء فيحفر الآبار ويستقي الماء للجيوش.

وغاب الهدهد وانتظر سليمان مجيئه وتوعده لغيابه دون إذن من سليمان وربما كان هذا الهدهد يتزعم غيره أو أنه من فصيلة تُخْبِرُ أمر الماء أكثر من غيرها ولكل نوع من مخلوقات الله عمل وحالة يختص بها ولم يطل الفصل بعد أن توعد سليمان ذلك الهدهد حتى سلم عليه الهدهد وقدم نفسه كما قال تعالى: ﴿فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين * إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون * ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما كنتم تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم * قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾.

وجاء الهدهد الذي أخبر سليمان بأنه مر على مدينة سبأ المدينة التي تحادد صحراء الربع الخالي وهي عاصمة اليمن انذاك فنزل على قصر مِلِكَّتِهَا ورأى العرش فوجد أن حاكم القوم امرأة وقد لفت نظره عظمة عرشها فقد كان كثيرالزينة عظيم الحجم والهيكل يثير الاعجاب لعظمته وكثرة ذهبه وجمال صنعه ومع هذا رأيتهم وقد دخلت الشمس قاعة ملكهم.

من كوى في سقف القاعة وجدرانها فسجدت الملكة للشمس وسجد القوم لسجودها وقد عاب الهدهد فعلهم هذا وسجودهم وعبادتهم لغير الله.

فقال سليمان للهدهد سنرى صدق قولك من كذبه فكتب كتابا وأعطاه للهدهد بقوله فيما ذكر الله يتم به القصة في سورة النمل فأخذ الكتاب وألقاه من إحدى الكوى إلى الملكة فتلقته ثم قرأته أو أقرأته ثم جمعت أكابر قومها وقالت لهم: ﴿يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين﴾.

كانت تلك رسالة سليمان المختصرة إلى ملكة سبأ وكانت المرأة ذات عقل ورأي فلما قرأت الرسالة قالت «يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون» لقد كان حكم الملوك في كل مكان حكما مطلقا ولكن الملك العاقل لا يفعل أمرا خطرا حتى يستشير خاصة قومه والملأ يقال للخاصة اختصاصا ويقال للمجموع عموما فرد عليها القوم بقولهم: ﴿نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾ لقد أخبروها أنهم حسب إرادتها ولا يخشون الحرب ولكن أمرها فوق رأيهم فقالت: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾.

لقد برهنت عن عقل كبير فهي لا تريد الحرب للحرب أو التوسع فعاقبة الحرب ذميمة فالمنتصر يفسد الأرض والقرى قيسبي الذرية بعد قتل المقاتلة فمن حسن السياسة المفاوضة ولنرى قصد الرجل وغايته وسأرسل له هدية ثمينة أختبره فيها وفعلا أرسلت الهدية ويظن أن سليمان كان على مقربة من سبأ.

فلما وصلت هديتها إلى سليمان وهي من الطيب والأحجار الكريمة وبعض الصناعات المحلية رد الهدية مع قوله لرئيس الوفد: ﴿فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما أتاني الله خير مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون * إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ لقد استعرض سليمان جنده بحضرة وفد سبأ فأراهم من التنظيم وأنواع وأجناس الجنود ما لم يعرفوه من قبل وعرف أنهم سيذعنون له فقال لملائه بعد ذهاب الوفد: ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا اتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا اتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رأة مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أءشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾.

لم يكن سليمان يريد الحرب أبدا إنما كانت الحكمة تحل له المشاكل والمعضلات وقد عرف بعد أن عرض جيوشه أمام وفد سبأ أن القوم سيأتون إليه ليفاوضوه لما يجب أو يطلب فعله فأراد أن يزيد في قوة الجيوش بمعجزة تجعل وفد سبأ يستسلم لمطالبه دون التعرض لخطر الحرب.

إن الهدهد قد ذكر لسليمان عظمة عرش الملكة فأراد أن يراه وأن يجعله وسيلة لاختبار عقلها ولبيان مقدرة دولته على فعل عظائم الأمور فعرض إحضار عرشها على الملأ الذين يحفون مجلسه فقال أحد قادة الجن أنه يحضره قبل انفكاك المجلس وهذا أمر عظيم فسليمان يريد حضور العرش قبل حضور الوفد والوفد قد يحضر بعد أيام أو ساعات لأنه لن يؤتى به إلا بعد مغادرتها مجلسها مع الوفد فربما طلب سليمان حضوره في نفس اليوم وهذا يوحي بأن سليمان كان على مقربة من سبأ والله أعلم.

وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا اتيك به قبل ارتداد طرفك إليك وهذا أمر عظيم جدا فكيف تفسيره وأرى أن أصح شيء في تفسيره دعاء سليمان لربه فيحضر بقدرة الله.

وهناك قول أن الرجل صاحب علم الكتاب كان يعرف الاسم الأعظم وقول اخر أن الرجل كان من رجال القلم والله أعلم أي ذلك كان وحضر السرير بين يدي سليمان وراه مستقرا عنده

فشكر الله على نعمه وقال لمن حضر مجلسه نكروا لها العرش ويظن أن التنكير هو تشبيههم إياه بعرشها بقولهم أهكذا عرشك؟ وقال سليمان لحاشيته: ﴿نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك؟ قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين﴾.

ولما حضرت المرأة رأت أمامها في مجلس سليمان عرشا كعرشها فنظرت إلية وجعلت تتأمله فقيل لها هل هذا يشبه عرشك؟ فقالت المرأة كأنه هو فكان اختبار العقل بهذا إذ لم تقل هذا سريري فمن جاء به وعرض عليها سليمان التوحيد وعبادة الله وترك عبادة الشمس والأوثان فلم ترض ولم ترفض وكان لسليمان قصر قد بلطت أرضه بالزجاج الشفاف ولما أرادت الدخول رفعت ثيابها فكشفت ساقيها فقيل لها إنه ليس الماء حتى تخوضيه إنما القصر قد بلط بالزجاج فهان عليها ملكها وامنت بالله وأصبحت كسليمان في العقيدة.

قيل أنه ذكر لسليمان أن في عقلها بلاهة وأن جسمها قد ستره الشعر كجلد الماعز فاختبر عقلها بعرشها واختبر جسمها بكشف ساقيها من نفسها لتخوض في الماء ولكنه كان الزجاج والله أعلم.

هل تزوج سليمان ملكة سبأ

لقد استعاض سليمان عن الحرب بالحكمة وكان امبراطورا على فلسطين يحكم جميع ممالكها وقومياتها وهم من العرب وأمم السواحل والعبرانيين وكثرت الجاليات الأخرى في فلسطبن وكان صديقا حميما لملك صور الفينيقي واسمه حيرام وكان يعبد عشتار وقيل أن سليمان قد صاهره ومن المعلوم أن الفينيقيين كانوا رجال بحرٍ وتجارةٍ ولم يذكر أن سليمان تسلط حيرام أو ملك ارام أي أنه لم يملك سوى فلسطين ولو ملك دمشق لنقل ملكه إليها.

لقد استخدم سليمان البحرية الفينيقية استئجارا وضمن لها حرية الملاحة في البحر الأحمر والسفر إلى الهند بواسطة الصداقة مع مملكة سبأ التي دخلت اليهودية وتركت عبادة الشمس ومن ذلك العصر صار ملوك اليمن يهودا ولكنها لم تجبر أحدا من أهل اليمن على اعتناق اليهودية.

لقد ذكروا أن سليمان أُقْصِيَ عن الملك أربعون يوما وهذا يؤخذ من تفاسير قد وضعت ولا تستند إلا إلى كلمة واحدة في القران الكريم فصنفوا عليها أقوالا لم تستند إلى حديث عن رسول الله ﷺ ولا عن آيات أخرى والآية الكريمة هي قوله تعالى في سورة «ص» الآية/٣٤: ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسية جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي

لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ فكان له ما أراد من الملك الذي لم ينله من بعده أحد وذلك بقوله تعالى: ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص واخرين مقرنين في الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ ولا ندري عن تفسير ذلك شيئا إلا أنه قد أطاعته الشياطين ببعض أنواعها وللانس شياطين أيضا وسخر الله له الريح بدعائه.

وذكر المفسرون أن سليمان تزوج من ملكة سبأ وسموها بلقيس وهذا لم يحدث أبدا إنماحضرت إليه مع وفد من بلادها وعقدا معاهدة تجارية بين بلديهما وعادت إلى بلادها لقد ملك سليمان على بعض الانس وبعض الجن وبعض الطير وعرف لغاتها من حيث قصدها ومع ذلك عندما انتهى أجله كان الموت وانتقل إلى رحمة ربه ومات سليمان واقفا يستند إلى عصاه فقد أخبرنا الله جل وعلا عن موته وكيفيته في سورة سبأ الآية/١٤ : ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ إن كذابين من الانس يدعون استخدام الجن ويدعون استخدامها في كشف الأمر الغيبي فهم يكذبون بإدعاء الاستخدام ويكذبون عندما ينسبون علم الغيب لمستخدميهم من الجنه.

هل تعلم الجن علم الغيب؟

حتى أن الجن أنفسهم يموهون على بعضهم الادعاء بعلم الغيب فقوله تعالى: ﴿فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ فالله جل وعلا يكذِّبُ أولئك الذين يدَّعُون استخدام الجن وأن الجن يعلمون الغيب.

كان سليمان يحمل عصاه ويمشي في بعض أروقة قصره أو في مكان يكثر من ارتياده فوافاه الموت فاتكأ على عصاه وأسلم روحه لبارئها ورأه من كان يراه فلم ينكر من أمره شيئا وبقي الخدم من الجن على عادتهم وكذلك الخدم من الانس حسب عادتهم فإذا جاءت نوبة الحرس والخدم تبادل الطرفان ولم ينكر شيئا هؤلاء يظنون أن الملك قد جاء بنوبة أولئك والآخرون يظنونه قد جاء بنوبة الآخرين ويبقى سليمان على هذه الأيام حتى أكلت السوسة العصا فلم تطق العصا بعد ذلك حمله فانكسرت وسقط الملك على جنبه وكان موته شتاء فلم تكن له رائحة.

ومن هذا عرف عامة الجن كذب خاصتهم إذ بقي هؤلاء في خدمة سليمان ودولته لأيام بعد موته وقد نسب اليهود في تلمودهم أو تفاسير إلى سليمان السحر وقد جاء في كتاب الله في سورة البقرة الآية/١٠٢ : ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين

كفروا يعلمون الناس السحر وماأنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾.

الخلاق الحظ والنصيب ولا يكون الضرر إلا بقدر من الله ولم يعمل سليمان بالسحر إنما تسلط على الجن بأمر الله ولو كانت الشياطين تتعاطى السحر ويوصلون طالبي السحر إلى هذين الملكين اللذين يقال أن الملائكة أرادوا من الله القضاء على هذا الانسان الذي جعل همه الفساد أو الافساد فطلب الله إلى الملائكة أن يختاروا من بينهم ملكين فيدب الله فيهما شهوة الانسان ويبقى لهما عزيمة الملائكة وكان هذا واختاروا هذين الاثنين هاروت وماروت فنزلا إلى الأرض يقضيان بين الناس حتى كانت الفتنة فلم يصمدا إليها وذلك أن امرأة جميلة جدا جاءت ليقضيا بينها وبين زوجها فلم يلبثا أن طلبا وصالها فأبت حتى يعبدا صنمها فرفضا وذهبت ثم عادت في اليوم الثاني فأعادا طلبهما ورفضت ولكنها طلبت في المرة الثالثة أن يشربا من خمر أحضرته معها أو أن يقتلا زوجها أو يسجدا لصنمها وغلبتهما الشهوة فرضيا بشرب الخمر فأخذ فيهما مأخذا عظيما وطلبا منها فقالت لهما إقتلا هذا الغلام وكان معها خادم كي لا يتحدث عنها فقتلاه ثم وقعا عليها فبهذا كانت الخمر أم الكبائر شربا فسكرا فطاوعاها على القتل ثم سجدا لصنمها ثم زنيا بها وهذا بعض ما ذكر في هذا الأمر والله أعلم.

وقيل أنهما كانا في عهد إدريس النبي أي قبل الطوفان فأتيا إليه يطلبان منه أن يستغفر لهما وذكرا له خبرهما فسأل ربه فأوحى إليه أن يتخيرا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فاستخارا عذاب الدنيا فهما يعذبان حتى تقوم الساعه ويقال بأنهما يعذبان بالعطش الشديد فوق الماء من نهر دجلة التي تمر بجانب بابل والله أعلم بكل هذا.

لقد ذكر كتاب العهد العتيق أن سليمان تزوج من إبنة فرعون وليست إبنة حيرام ثم ذكر الكاتب أن سليمان رأى ربه في المنام مرتين ثم بنى بيت الرب أي هيكل سليمان ثم بعد ذلك سجد للأصنام واشرك لقد جاء في الاصحاح الثالث من سفر الملوك الأول/٥ في جبعون تراءى الرب لسليمان في حلم ليلاً وقال الله إسأل ماذا أعطيك/٦ فقال سليمان إنك قد فعلت مع عبدك داود رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبرٍ مَعَكَ فحفظت له هذه الرحمة العظيمة وأعطيته إبنا يجلس على كرسيه ثم سأل سليمان ربه الحكمة فأعطاه الحكمة وفي الاصحاح التاسع أيضا من نفس السفر جاء هذا/١ وكان لما أكمل سليمان بناء البيت للرب وبيت الملك وكل مرغوب

سليمان الذي سر أن يعمل/٢ أن الرب تراءى لسليمان ثانية كما تراءى له في جبعون/٣ وقال له الرب قد سمعت صلاتك ودعاءك الذي تضرعت به أمامي قدست هذا البيت الذي بنبته لأجل وضع اسمي فيه إلى الأبد وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام/٤ وأنت تعلم أن سلكت أمامي كما سلك أبوك داود بسلامة قلب واستقامة وعملت حسب ما أوصيتك وحفظت فرائضي وأحكامي/٥ فإني أقيم كرسي ملكك في اسرائيل إلى الأبد.

هذا الذي جاء عن رؤيا سليمان لربه ولكن هذا لم يدم لأن المملكة قد انقسمت بعد موته بقليل إلى دولتين وكتب هذا الكتاب حتى مع فناء الدولتين فجعل الكاتب لذلك أسبابا نذكرها.

ففي الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول جاء هذا/١ وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موأبيات عمونيات أدوميات صيدونيات وحثيات/٢ من الأمم الذين قال لهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون إليهم ولا هم يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء ألهتهم فالتصق سليمان وراء هؤلاء بالمحبة/٣ وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه/٤ وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء الهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه/٥ فذهب سليمان وراء عشتورث إلهه الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وهكذا طعن الكاتب بنبوة سليمان وفي حكمة سليمان وزاد عن هذا أن طعن في دينه.

نعود لنذكر أن داود وسليمان قد أطاعهما الفلسطينيون مع بقاء ملوك كل طائفة من الفلسطينيين لأن سليمان قد تسلم عن أبيه سلطة موطدة وقد عاش داود سنوات مع الفلسطينيين عندما هرب من وجه شاول ولو أخذنا بما جاء في الكتاب لربما ندخل فيه أن كثيرين من اليهود قد حاربوا شاول عندما قتل وقد أرجع ملك جت داود في المعركة التي قتل فيها شاول برأي من أقطاب الفلسطينيين ففي الاصحاح التاسع والعشرين من سفر صموئيل الأول جاء هذا.

/١ وجمع الفلسطينيون جميع جيوشهم إلى أفيق وكان الاسرائيليون نازلين على العين التي في يزرعيل/٢ وعبر أقطاب الفلسطينيين مئات وألوفا وعبر داود ورجاله في الساقة مع أخيش/٣ فقال رؤساء الفلسطينيين ما هؤلاء العبرانيون فقال أخيش لرؤساء الفلسطينيين أليس هذا داود عبد شاول ملك اسرائيل الذي كان معي هذه الأيام وهذه السنين ولم أجد فيه شيئا من يوم نزوله إلى اليوم/٤ ولكن الفلسطينيين رفضوا نزول داود معهم لحرب شاول ورجع داود وقتل شاول في تلك المعركة وأولاده الثلاثة وكان داود بما ذكر الكاتب يعيش مع الفلسطينيين.

جاء في الاصحاح السادس من سفر الملوك الأول هذا/١ وكان في سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على اسرائيل في شهر زيو وهو الشهر الثاني أنه بنى البيت للرب.

إن هذا التاريخ يعلن أن الخروج من مصر كان في السنة الألف وخمسمائة قبل الميلاد وأنه كان في العهد الأول للسلالة التاسعة عشرة وأن الخروج كان قبل عهد رعمسيس الأول وأن القول بأن رعمسيس الثاني كان فرعون عهد موسى ليس له ثبات فإذا صح هذا فإن أول فرعون من الأقباط بعد عهد الرعاة كان عهد الخروج وأن رعمسيس الثاني عندما عبر فلسطين كان عهد القضاة ولم يذكر عهد القضاة شيئا عن عبور المصريين إلى سوريا حيث كانت معركة قادس الشهيرة التي كانت بين الحثيين وبين رغمسيس الثاني وهذا لا يمكن أن يكون أبدا لأن الحثيين كانوا انذاك أقوياء لا يمكن للاسرائيليين محاربتهم وقد كانت المعركة في سنة ألف ومائتين وتسعين تقريبا قبل الميلاد وطبعا إن الجيوش لن تسير على خط واحد كسير القطار إنما اكتسح فلسطين قبل غيرها فأين كان الاسرائيليون؟

فالخروج كان من بعد موت رعمسيس أكان هو فرعون الخروج أم أحد الذين من بعده فإذا كان هذا فإن تاريخ ملك سليمان يحدده التاريخ مع أبيه على رأس السنة الألف قبل الميلاد أليست هنالك مغالطات؟

إن موت رعمسيس الثاني في سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين قبل الميلاد واكتساح شلمناصر ملك اشور لفلسطين في سنة ثمانمائة واثنين وأربعين قبل الميلاد ويحصر المدة بثلاثمائة وثمانين عاما فكيف هذا؟

أعداء سليمان

مات سليمان ومضى معه عهد الرفاهية والازدهار في جميع الأرض التي كان يعيش عليها الاسرائيليون وقد ذكروا أن شابا هرب من وجه سليمان إلى مصر عاد بعد موت سليمان ليستولي على أكثرية بني اسرائيل فقسمت مملكة سليمان إلى قسمين سميت الأولى وهي الأصغر بدولة يهوذا وسميت الثانية وهي الأكبر بمملكة اسرائيل ففي الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول جاء هذا.

/٢٣ وأقام الله له خصما اخر هو «روزون بن اليداع» الذي هرب من عند سيده «هددعزر» ملك صوبة/٢٤ فجمع حوله رجالا فصار رئيس غزاة عند قتل داود إياهم فانطلقوا

إلى دمشق وأقاموا بها/ ٢٥ وكان خصماً لاسرائيل - فكيف جعل الكاتب دمشق تابعة لسليمان أو لداود من قبله؟

- مع شرهدد فكره اسرائيل وملك على أرام.

/٢٦ ويربعام بن نباط الافرايمي من صردة عبد لسليمان واسم أمه صروعة امرأة أرملة رفع يده على الملك/٢٧ وهذا هو سبب رفع يده على الملك أن سليمان بنى القلعة وسد شقوق مدينة داود أبيه/٢٨ وكان الرجل يربعام جبار بأس فلما رأى سليمان الغلام أنه عامل شغلاً أقامه على كل أعمال بيت يوسف/٢٩ وكان في ذلك الزمان لما خرج يربعام من أورشليم أنه لاقاه «أُخَيَّا الشيلوني» النبي في الطريق وهو لابس رداء جديداً وهما وحدهما في الحقل فقبض أخيا على الرداء الجديد الذي عليه ومزقه اثنتي عشر قطعة/٣١ وقال ليربعام خذ لك عشر قطع لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل هاأنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة منها/٣٢ ويكون له سبط واحد من أجل عبدي داود من أجل أورشليم المدينة التي أخذتها من كل أسباط إسرائيل/٣٧ لأنهم تركوني وسجدوا لعشتاروت إلهة الصيدونيين ولكموش إله المؤابيين وللمكو لم إله بني عمون.

/٤٠ وطلب سليمان قتل يربعام فقام يربعام وهرب إلى مصر إلى شيشق ملك مصر وكان في مصر إلى وفاة سليمان.

وانقسمت مملكة سليمان فكان «لرحبعام» بن سليمان سبطين من اثني عشر سبطاً أسباط اسرائيل «وليربعام» بن نباط عشرة أسباط هي التي أعطاه إياها أخيا الشيلوني ترى ماذا فعل هذا الذي مزق الله ملك سليمان لأجله فأعطاه خمسة أسباط وترك سدساً واحداً لابن سليمان فلنسمع هذا من الاصحاح الثاني عشر سفر الملوك الأول/٢٥ وبنى يربعام شكيم في جبل افرايم وسكن بها ثم خرج من هناك وبنى فنوئيل/٢٦ وقال يربعام الآن ترجع المملكة إلى بيت داود/٢٧ إن صعد هذا الشعب إلى أورشليم ليقدموا ذبائح للرب في أورشليم يرجع قلب هذا الشعب إلى سيدهم إلى رحبعام ملك يهوذا ويقتلوني ويرجعوا إلى رحبعام ملك يهوذا/٢٨ فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب وقال لهم كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم هو ذا الهتك يا اسرائيل التي قد أصعدتك من مصر ووضع واحداً في بيت أيل وجعل الآخر في دان/٢٠ وكان هذا الأمر خطية وكان الشعب يذهب إلى أمام أحدهما حتى دان/٣١ وبنى بيت المرتفعات وصير الكهنة من أبناء الشعب لم يكونوا من بني لاوي. هذا الذي مزق الله ملك سليمان من أجله فانظر أيها القارىء الكريم إلى هذه التعديلات وفكر؟

انقسام ملك سليمان

إن تقسيم اسرائيل إلى قسمين يعود سببه إلى ما قبل عهد داود إلى عهد القضاة فقد كان لكل إقليم يسكنه اليهود قاض يحكم لهم وينزلون على حكمه ومن رغب عن ذلك لجأ إلى غيره فلو حسبنا السنين التي مرت في كتاب العهد العتيق بحسب مدة قضاء كل من قضى ومدة تسلط الآخرين على اليهود من عهد الخروج إلى ملك سليمان لوجدناها سبعمائة عام وهي لا تعدو المائتي عام بل أقل من ذلك ومنها.

إن كتاب العهد العتيق لم يذكر أبدا غزو المصريين لبلاد الشام ولم يذكر عن رعمسيس الثاني شيئا كما أنه يذكر أن الاسرائيليين بنو لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس وذلك بما جاء في الاصحاح الأول لسفر الخروج في/١١ منه فالخروج جتما جاء بعد الألف والمأتين قبل الميلاد أي بعد موت رعمسيس الثاني أو أنه هو فرعون موسى فمن العهد الذي كان فيه القضاة تفرق اليهود إلى ما يشبه الحكم الاقطاعي فهذا أولاده كانوا يركبون أربعين جحشا وذاك أولاده يركبون سبعين جحشا فتسلط على الاسرائيين في كل مكان جيرانهم وأخذوا منهم الجزية ومن أبى حاربه جيرانه وسبى أولاده حتى اضطروا إلى طلب الملكية التي سألوا أكبر أنبيائهم في ذلك العصر وهو صموئيل ليختار لهم ملكا يجمع تشتتهم.

وقد ذكرنا خبر الله جل وعلا عن هذا وهو قوله: ﴿ألم تر إلى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم أبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾.

فلما عين لهم طالوت البنياميني رفضوه ولكن النبي أصر على تمليكه فملكوه عليهم ليجمعوا أمرهم على أحدهم فلما تملك الرجل لم يألوا جهدا في العمل لصالحهم ولكنهم أعانو عليه حتى استشهد بعد أن أنقذهم ولكن قتله كان عليهم أمر من ذي قبل فأجمعوا على داود ولكن اسرائيل لم تبايع داود من القلب إنما كانت مبايعتهم لأنهم لم يتفقوا على أحد منهم وحاولوا نصر أبشالوم عليه فلم يفلحوا وكان قتل أبشالوم ضربة قاصمة لهم.

لقد كان الاسرائيليون أكبر قومية في فلسطين ولم تتفق قوميتان معا ضد اسرائيل أبدا ولما تملك داود ضم جميع القوميات تحت تاجه بعضهم راضيا وبعضهم مكرها واستقر ملكه حتى مات وبويع لسليمان واتفقت جميع القوميات على تملك سليمان وسار العدل بين الجميع ولم يكن حرب أو قتال في عهد سليمان ولم يحاول فرض سيطرة الاسرائيليين على بقية القوميات وحاول القوم فرض سيطرتهم وأرادوه أن يفرضها فأبى عليهم.

لقد نسبوا إليه توسع المملكة وأوصلوا ملكه في كتبهم إلى نهر الفرات حتى وتعدوه إلى اصطخر.

اسرائيل والآثار.

مع أن الكتاب يناقض نفسه فيقول إن روزون بن اليداع انضم إلى شرهدد الآرامي واستقر في دمشق يعادي سليمان طوال حياته ثم يقول إن سليمان بنى تدمر وهي من وراء دمشق بمائتي كيلو مترا وقد ذكر الكاتب أن سليمان بنى مدنا كثيرة في لبنان وفي سورية وقد رافقت ذلك دعايات وصارت مقدسة يتطوع لنشرها وإذاعتها علماء من أبناء الكنعانيين المسيحيين والمسلمين يظنون هذا من الدين ويقسمون على حقيقته ويظنون فعلهم هذا من الجهاد.

لقد جاء في الاصحاح التاسع من سفر الملوك الأول ما يلي/١٦ وصعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين بالمدينة وأعطاها مهرا لابنته امرأة سليمان

إن جازر من مدن فلسطين ولم تكن في حكم داود ولا في حكم سليمان حتى تسلطها ملك مصر فكيف وصل ملكهم إلى الفرات؟/١٧ وبنى سليمان جازر وبيت حورون السفلى/١٨ وبعله وتدمر في البرية في الأرض/١٩ وجميع مدن المخازن التي كانت لسليمان ومدن المركبات ومدن الفرسان ومرغوب سليمان الذي رغب أن يبنيه في أورشليم وفي لبنان وفي كل أرض سلطنته.

إن أثار تدمر قد اكتشفت تماما وظهر خبر بنائها ومن بناها ومن سكنها وظل يسكنها إلى هذا العصر فهل بناها سليمان؟ لقد قال من بناها قولة صدق وهي «تلك اثارنا تدل علينا» كان سليمان نبيا وأتاه الله من الملك ما لم يصل من أحد إلى مثله وهو استخدام الجان والجان تعمل العمل ويزول بزوالهم فالجان لا تعمل عملا يبقي أثرا.

فالشياطين عرفوا السحر وعلموه لليهود فرغب به أولئك وتميزوا به في كل بلد ذكر فيه السحر ومن شاء فليتابع البحث ليعرف مع أن التوراة تقول «لا تدع ساحرة تعيش»

ولو استطاع اليهود لادعوا بناء دمشق وقلعتها وبناء حلب وقلعتها وكما ذكرنا أن علماء من أهل الكتاب ومن المسلمين روجوا لمثل هذا بنية طيبة ولم يأمرهم الدين بشيء من ذلك.

لقد أخذ الطبري في تاريخه الكثير عن يهود أسلموا وبثوا ما يعلمون من أخبار التلمود وتفاسير اليهود لما وضعوا من أساطير ولم يكونوا على معرفة من غاياتها التي كانت تنشر لأجلها وكان وهب بن منبه اليماني حبرا من الأحبار في تلك الأخبار فإذا قرأت عنه وجدت التعثر فيه وكيف يحاول ربطه بالاسلام وكذا ابن اسحق كانوا يقرؤون كتب اليهود ومن ألف ضمن حلقة

أساطيرهم وينقلونها إلى طلبة العلم من المسلمين على أنها ضمن اطار المسلك الديني الاسلامي وكانت الأساطير تلك تقبل في عصر مضى عصر الظلم والظلام وإليك نقطا من هذا:

الأساطير وكيفية تطورها ونقلها.

عوج بن عناق من عماليق فلسطين صادف النقباء الذين أرسلهم موسى عليه السلام ليتحسسوا له الأرض فأخذهم جميعهم ووضعهم في كمه وهم اثني عشر رجلا ثم فرغهم بين يدي زوجته وأراد أن يسحقهم برجله فقالت له دعهم ليذهبوا ويخبروا قومهم بأمثالك فتركهم.

ثم ذكروا أن القتال قد دار بين موسى والعماليق وحضر عوج هذا فضربه موسى بعصاه وكان طول عصا موسى عشرة أذرع وطول موسى عشرة أذرع وقفز موسى في الهواء عشرة أذرع فأصاب كاحل الرجل عند كعبه فسقط ميتا.

وذكر القوم أن أحد أضلاعه نصب جسرا على نهر بلخ وقيل على النيل وقالوا أن عوج هذا إبن أخت نوح عليه السلام وأنه نقل له أخشاب السفينة من الهند وأنه رافق السفينة دون ركوبها وذكروا أن طوله ثلاثة الاف وثلاثمائة وثلاثون ذراعا.

لم يقبل سليمان العنصرية تماما ولم يشأ فرضها ولم يقتل أحدا بلا سبب فأراده القوم أن يفني بعض القوميات وخاصة التي تساكنهم كالأموريين واليبوسيين فرفض الرجل هذا فغضبوا عليه وادعوا سجوده للأصنام وذلك بعد أن أروه الله في المنام مرتين ثم طلب من ربه الحكمة ونالها وعَبَّدوه بعد ذلك الأصنام حملوه الحكمة وعَبَّدُوه الصنم إذا فحكمته قادته لذلك.

الكتاب المقدس مَن الذي حفظه ؟ وبعد ذلك نشره ؟ لقد كانت لكل قومية أساطيرها وكلها يحفظها الولد طفلا ويحافظ على حفظها ويباهى بكثرة ما يحفظ حتى يصير الرجل شيخا يقصها على أحفاده وتقصها العجوز على أحفادها وهي الجدة المعلمة التي تؤخذ الأسطورة من فمها نسيما يشم وماء يشرب وتكرر وتكرر حتى يحفظها الصغير ويقصها بدوره على جدته وأترابه.

إن بعض أولئك الشيوخ والجدات قد يتقن السمع وينتقد بعض تلك القصص فيعد لها حسب ما يجب أن تكون ثم يضيف إليها أو يحذف منها حتى تصير مقبولة من أصحاب العقول ثم يحدث بها بعد تنميقها في مجالس الرجال وتنتقل إلى مجالس الملوك وبعضها يدون ويحفظ هناك في خزائنهم وكان هذا في الهند وفي الصين منذ عهد قديم.

وأخذ اليهود من مصر طريق الأسطورة فصنفوا فيه الكثير ولكنه لم يكتب أبدا إلا الذي كتبه موسى عن ربه في خلواته ولم يتعد التوراة ولا تزيد عن سفر إذا جمعت ثم جاء عهد أنتقد فيه

الماضي كأن يقول أحدهم لو أن سليمان أفنى هذه القوميات لكان الجميع في فلسطين عنصرا واحدا قومية واحدة فشنعوا عليه فتراهم يمجدون كل قاتل من أسلافهم حتى ولو قتل الطفل والمرأة تخبر إبنها بمقتل أباه وتحثه على الانتقام والطفل سيصير رجلا وينتقم.

التحريم اليهود والماء.

وقد جمع يهود وكتبهم في القرون الخمسة التي سبقت الميلاد تلك الأساطير وهذبوها حتى صارت مقبولة من أكثرية الناس وكونوها الكتاب المقدس بعد أن أدخلوا فيه التوراة وتلقفه النصارى من بعدهم وخاصة أولئك الكنعانيون في أرض لبنان وقدسوه وحفظوه لأولادهم قدسا وذلك ليتخلصوا من كونهم من الكنعانيين.

لقد نسي هؤلاء أنهم المقصودون بسلب أرضهم حتى وتحريمهم أي قتل الذكر والأنثى والرجل والطفل وعرف الناس هذا مجددا فلما رأوا معرفة الناس لهذا وتيقظهم أشاروا إلى الغرب بأيديهم وقالوا بأفواههم هكذا يريد السيد الغرب أو الشرق.

إن أربعين مليون يهودي في العالم يحتاج نصفهم على الأقل أن يأتي ويطلب سكنا في فلسطين وطبعاإن فلسطين لا تتسع لأكثر من خمس إلى عشر ملايين فأين تسكن بقية العشر ملايين الأخرى ؟.

إن الأنهار التي تجاور فلسطين يجب أن تحول جميعها إلى فلسطين حتى تكفي لعشرة ملايين يهودي هذا يعد تصفية البقية من الفلسطينيين من فلسطين.

إن نهر الليطاني واليرموك والشريعة كل تلك ومنابعها يلزم أن تؤمن من قبل الأرض لليهودي لأن في الماء الحياة وأما الساحل اللبناني فهو من ضروريات التوسع الذي لا بد منه فلا مفر لأولئك الذين يدعون أنهم من الفينيقيين أن يكونوا في إحدى حالتين أما التحريم وقد عرفوا ما هو التحريم بل إنهم تمرنوا عليه ومثلوه مع غيرهم والتحريم يكون لمناسبات أما أن تكون حروب لا يسأل فيها حميم حميا وأما بطريقة الطب العصرية إنعدام التناسل أو التمويت الفني والترحيل الفني.

والحالة الثانية هي أن يكونوا فيها مواطنين طبعا درجة ثانية تتطور لتصير ثالثة ثم رابعة ثم مع الزمن للاستبعاد الكامل وهذا ليس من قبيل التخمين أبدا إنما هي الحقيقة التي قد رسمت منذ أمد بعيد إذ قدروا أن العالم بأكمله سيكون مستعبدا لهم استعبادا تاما ويموت من لا حاجة لهم به ولن يكون بعد ذلك موت.

لقد قرأت في صغري كتابا وقع بيدي ليس له جلد ولم أكن أعرف أو أفكر باسم الكتاب ومؤلف الكتاب إنما هذا الذي عرفت في قراءتي لذلك الكتاب ولم أفكر بأن اليهود سيشكلون دولة وتقصد التوسع دائما وإلا لتتبعت مصدر الكتاب.

دولة اسرائيل

وتملك يربعام بن نباط على اسرائيل وهي تجمع عشرة أسباط من أسباط بني اسرائيل وصنع عجلين من ذهب وأمر الناس بالذبح عندهما وقد جعل أحد العجلين في بيت إيل والثاني في أرض دان وهي إلى الشمال ومنع الناس من الذهاب إلى أورشليم كي لا يتذكروا ملك سليمان أبيه.

وصار الناس يذبحون نذورهم أمام أحد العجلين ودام هذا حوالي أربعة قرون فأين كان تقديس أورشليم ومعبدها ؟ لقد تناساه القوم وظهر التقديس عندهم على ما هو عليه اليوم بعد السبي أي أنه هناك ظهرت فكرة التقديس الحالي لتذكر الأرض.

ومن الأساطير التي استندوا على أمثالها أن الاصحاح الثالث عشر من سفر الملوك الأول ذكر أن نبيا من يهوذا أي من مملكة رحبعام جاء إلى بيت إيل حيث كان يربعام يوقد على المذبح الذي صنعه لاسرائيل فنادى يامذبح يامذبح يقول الرب أنه سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا يذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك وتحرق عليك عظام الناس وذكر علامة وهي أن المذبح سيشق ويذرى الرماد الذي عليه فنظر الملك نحو النبي وأشار بيده ليمسكوه فيبست يد الملك وانشق المذبح وتناثر الرماد فقال الملك للنبي تضرع إلى الله كي يرد لي يدي فتضرع النبي ورد الله يد الملك وطلب إلى النبي أن يذهب معه فيأكل عنده ويكرمه فأبى النبي ذلك ورجع في طريقه إلى يهوذا من طريق اخر إن هذا ربما حصل ولكن سرد القصة لم يؤت ثمرا بل كان فيه خبر يوشيا الذي سيولد إن ولد ولكن الأمر تعداه إلى نبي اخر من المسنين يسكن بيت إيل قال له بنوه الخبر الذي فعل النبي الآتي من يهوذا فوثب النبي الشيخ وأمرهم بأن يشدوا له على حماره وسألهم عن الطريق الذي سلكه النبي المذكور وسار خلفه حتى أدركه فسلم عليه وطلب منه الرجوع إلى بيته لينام عنده فقال النبي الغريب إن ربي قال لي لا تأكل من هناك خبزا ولا تشرب ماء وعد من طريق غير الذي ذهبت فيه أولا فقال النبي الشيخ أنا نبي مثلك أيضا وقال لي الرب إلحق به وأرجعه إلى بيتك ليأكل خبزا ويشرب ماء ـ لقد كذب النبي الشيخ على النبي الغريب ـ فرجع معه وأكل خبزا وماء.

والغريب بل والعجيب أمر النبوة هذا فبينما هما يأكلان على مائدة النبي الشيخ إتصل به الرب فقال الشيخ للنبي الغريب هكذا يقول الرب بما أنك خالفت أوامر الرب فرجعت وأكلت خبزا وشربت ماء فلن تدفن في قبور اباثك فركب النبي الغريب حماره وسار وإذا بأسد وثب عليه فقتله ولم يأكله ومر جماعة في ذلك الطريق فرأو جثة النبي الغريب في الطريق مطروحة والحمار يقف بجانب والأسد بجانب اخر فجاؤا وأخبروا في المدينة فذهب النبي الشيخ وأحضر الجثة ودفنهاومرض طفل ليربعام فقال لامرأته إذهبي متنكرة إلى شيلوه وهناك النبي أخيا الشيلوني الذي أخبرني بتملكي هذا فاسأليه عن حال الطفل وارجعي فذهبت المرأة إلى النبي الذي قد عميت عيناه فأخبره الرب قبل وصولها عن حقيقتها وما يجب أن يكلمها به.

ودخلت المرأة فقال لها أخيا يا مرأة يربعام إن إبنك يموت عند عودتك حالما تدوسين عتبة البيت وتندبه جميع اسرائيل ولن يدفن من أسرة يربعام غيره فكل عقبه من مات في المدينة تأكله الكلاب ومن مات في الحقل تأكله الطير فرجعت المرأة فمات الولد عند وصولها وملك يربعام اثنتين وعشرين سنة ومات وخلفه ابنه ناداب.

القوم يستجهلون الله في الأقوال والأفعال حتى يجعلون الله بمرات دون الرجل العاقل في التفكير بالأمور وبالعواقب وبالتقدير والتنظيم وبالأخذ والعطاء في الغضب والرضى في المضي والندم وسبحان الله الذي قدر هذا فكان.

وأما رحبعام بن سليمان فإنه بما ذكروا ملك سبعة عشر عاما وفي السنة الخامسة منها غزا فرعون ملك مصر رحبعام فأخذ جميع ما خلف سليمان من ذهب وكان ذهب سليمان وكنوزه مضرب المثل وإليك نبذة عنها ففي الاصحاح العاشر الملوك الأول والحديث عن ملكة سبأ/١٠ وأعطت الملك مئة وعشرون وزنه ذهب وأطيابا كثيرة جدا وحجارة كريمة لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة.التي أعطت ملكة سبأ للملك سليمان/١١ وكذا سفن حيرام التي حملت ذهبا من أوفير أتت من أوفير بخشب الصندل كثيرا جدا وبحجارة كريمة/١٢ فعمل سليمان خشب الصندل درابزينا لبيت الرب وبيت الملك وأعوادا وربابا للمغنين لم يأت ولم ير لخشب الصندل مثيلا حتى اليوم/١٣ وأعطى الملك سليمان لملكه سبأ كل مشتهاها الذي طلبت عدا ما أعطاها إياه حسب كرم الملك سليمان فانصرفت وذهبت إلى بلادها هي وعبيدها.

/١٤ وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ست مئة وستا وستين وزنة ذهب/١٥ ما عدا الذي من عند التجار وتجارة التجار وملوك العرب وولاة الأرض/١٦ وعمل سليمان مئتي ترس من ذهب مطرق/١٧ خص الترس الواحد ستة مئة شاقل من الذهب/١٨

وثلاث مئة مجن من الذهب خص المجن ثلاثة أمناء من الذهب هذا بعضٌ من كلٍ من ملك سليمان وقد حضر شبشق من مصر بقوة منعت رحبعام من الدفاع عن أورشليم وهذا بعد وفاة سليمان بخمس سنين فقط فكم كان ملك سليمان هشا ورخوا.

إذاً قام ملك سليمان على الجن فلما ذهب سليمان ذهب الجن ولما ذهب الجن ذهب أثرهم وبقي لنا الحديث عن ملك سليمان ولو لا أن جعل الله النصارى تبعا لليهود في تقديس ما قدسوا والمسلمين من بعدهم الذين قدسوا الكثير مما قدس اليهود والنصارى لما بقي شيء من ذكرى القوم ولكن الله قدر فكان.

وبدأت الحروب بين دولتي اليهود يهوذا واسرائيل واستعان أسا بن رحبعام على بعشا ملك اسرائيل بملك دمشق الأرامي واسمه بنهدد بن طبريمون بن حزيون فأنجده وبدأت الفتن تظهر في الدولتين والانقلابات فكان الله جل وعلا يضرب الظالم بظالم ثم يضرب الظالم باخر حتى كان عهد النبي إيليا أو إلياس بما ذكر القران الكريم حيث يقول عنه في سورة الصافات الآية/١٢٢ : ﴿وإن الياس لمن المرسلين * إذ قال لقومه ألا تتقون * أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب اباتكم الأولين * فكذبوه فإنهم لمحضرون * إلا عباد الله المخلصين * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على آل يسن * إنا كذلك نجزي المحسنين﴾.

إلياس النبي

وكان ملك اسرائيل انذاك أخاب بن عمري الذي سجد للبعل معبود الصيدونيين وتزوج من ابزابل ابنه أثبعل ملك صيدا وصارت كأنها ملكة على اسرائيل وكانت رسالة إلياس من الله إليه أي إلى أخاب بن عمري ويذكر كتاب العهد العتيق أن الله أمر إلياس أن يذهب ويختبى عند نهر كريث ويشرب منه وأخبره أن الله أمر الغربان بأن تطعمه في مخبئه فذهب وأقام هناك وصارت الغربان تأتي إليه بخبز ولحم في الصباح وخبز ولحم في المساء وكان يشرب من النهر الذي جف بسبب انقطاع المطر.

لم ذكروا الغربان والعرب يملؤن الأرض بأنعامهم ولم لم يقولوا العربان ومن أين كانت الغربان تأتي بالخبز ؟.

هل كانت الغربان تشعل النار وتخبز الخبز وتشوي اللحم ؟ إن الله قادر على كل شيء ولكن النهر الذي يشرب منه قد جف لانقطاع المطر بما ذكر الكتاب نفسه في الاصحاح السابع عشر من الملوك الأول/٦ وكانت الغربان تأتي إليه بخبز ولحم صباحا ويخبز ولحم مساء وكان يشرب من النهر/٧ وكان بعد مدة أن النهر جف يبس لأنه لم يكن مطر في الأرض.

وذهب إيليا بما ذكر الكتاب يختبيء عند امرأة أرملة وبارك لهاالله بطحينها وزيتها ومرض ابنها ومات فقام النبي وتمدد على الولد ينفخ في فمه ثلاث مرات ويصرخ إلى الله حتى أعاد الله له الروح.

ومضت على أخاب ومملكته ثلاث سنوات لم يروا مطرا فجاء إليه إلياس وكان أخاب يبحث عن اعشاب لتأكل البهائم والتقى بإلياس وطلب إليه إلياس أن يجمع عبدة البعل وكهنتة ليناظرهم واستطاع إيليا إفحامهم ثم ذبحهم عند نهر فيشون ونزل المطر بعد ذلك.

وعرفت ايزابل بقتل كهنة البعل فأرسلت إلى إيليا تقول وذلك المذكور في الاصحاح التاسع عشر من سفر الملوك/٢ فأرسلت إيزابل رسولا إلى إيليا تقول هكذا تفعل الآلهة وهكذا تزيد إن لم أجعل نفسك كنفس واحد منهم في نحو هذا الوقت غدا/٣ فلما رأى ذلك قام ومضى لأجل نفسه وأتى إلى بئر سبع التي ليهوذا وترك غلامه هناك/٤ ثم سار في البرية مسيرة يوم حتى أتى وجلس تحت رتمة وطلب الموت لنفسه وقال كفى الآن يارب خذ نفسي لأني لست خيرا من أبائي/٥ واضطجع ونام تحت الرتمة وإذا بملاك قد مسه وقال قم وكل «فتطلع وإذا كعكة رضف وكوز ماء عذب عند رأسه فأكل وشرب ثم رجع واضطجع.

لم هرب إلياس وهو يعلم أن الرب قد أرسله وقد ذبح من عبدة البعل أربعمائة وخمسين نبيا ألم يعرف أنهم على ضلال وأنه على حق فلم هرب إلياس؟

ومع كل هذا فإن الله بما ذكر الكتاب طلب إلى إيليا أن يأتي إلى دمشق ويمسح حزائيل ملكا على أرام ثم يمسح ياهوبن نمشي ملكا على اسرائيل ثم يمسح اليشع بن شافاط نبيا عوضا عنه ولنذكر بعض هذا من الاصحاح التاسع عشر سفر الملوك/١٥ فقال له الرب إذهب راجعا في طريقك إلى برية دمشق وامسح حزائيل ملكا على أرام/١٦ وأمسح ياهو بن نمشة ملكا على اسرائيل وامسح اليسع بن شافاط نبيا عوضا عنك/١٧ فالذي ينجو من سيف حزائيل يقتله ياهو والذي ينجو من سيف ياهو يقتله اليشع/١٨ وقد أبقيت في اسرائيل سبعة الاف كل الركب التي لم تجث للبعل وكل فم لم يقبله/١٩ فذهب من هناك ووجد اليشع بن شافاط يحرث واثنا عشر فدان بقر قدامه وهو مع الثاني عشر فمر إيليا به وطرح عليه رداءه/٢٠ فترك البقر وركض وراء إيليا وقال دعني أقبل أبي وأمي وأسير وراءك فقال له إذهب راجعا لأني ماذا فعلت لك/٢١ فرجع من ورائه وأخذ فدان بقر وذبحها وسلق اللحم بادوات البقر وأعطى الشعب فأكلوا وقام ومضى وراء إيليا وكان يخدمه.

ذاك إلياس النبي المرسل إلى أخاب ملك إسرائيل وزوج إيزابل الصيدونية التي أدخلت عبادة البعل إلى اسرائيل فصار يعبد مع الله ولم يرفضه إلا قليل من الناس وكانت ايزابل هي التي تسير الأمور وكثر الأنبياء واختلط الحابل بالنابل فهذا نبي صدق ويكذب وذاك نبي كاذب ويصدق وهان قتل الأنبياء على القوم وصارت النبوة علم يلقن ولم تعد على حقيقتها وحي يوحى.

وكتب كاتب الكتاب قصة حرب بين اسرائيل ومملكة دمشق الآراميين وكانت في تلك الحقبة من الدهر أي القرن التاسع قبل الميلاد أقوى مملكة في بلاد الشام تصنع دون أن تتكلم ولكن اليهود يتكلمون دون أن يصنعوا وذلك أن ينهدد ملك أرام بما جاء في الاصحاح العشرين من سفر الملوك الأول ونأخذ منه نبذاً.

/١ جمع ينهدد ملك أرام كل جيشه واثنين وثلاثين ملكا معه «من أين جاءت تلك الملوك» وخيلا ومركبات وصعد وحاصر السامرة وحاربها/٢ وأرسل رسلا إلى أخاب ملك اسرائيل إلى المدينة وقال له هكذا يقول بنهدد/٣ لي فضتك وذهبك ولي نساؤك وأبناؤك الحسان/٤ فأجاب ملك اسرائيل وقال حسب قولك يا سيدي الملك أنا وجميع مالي لك/٥ فرجع الرسل وقالوا هكذا تكلم بنهدد قائلا إني أرسلت إليك قائلا إن فضتك وذهبك ونساءك وبنيك تعطيني إياهم/٦ فإني في نحو هذا الوقت غدا أرسل عبيدي إليك فيفتشون بيتك وبيوت عبيدك هذا الذي ذكر الكتاب ليجعل سببا لنصر اسرائيل في معركة لم تكن.

فجمع أخاب شيوخ اسرائيل وطلب نبيا ليستشيره وكانت لا تزال إيزابل الوثنية ملكة فقال النبي بما جاء في نفس الاصحاح/١٣ وإذا بنبي تقدم إلى جانب ملك اسرائيل وقال هكذا يقول الرب هل رأيت كل هذا الجمهور العظيم هاأنذا أدفعه ليديك اليوم فتعلم أني أنا الرب/١٤ فقال أخاب بمن؟ فقال هكذا قال الرب بغلمان رؤساء المقاطعات فقال من يبتدي بالحرب قال أنت/فعد رؤساء المقاطعات فبلغوا مائتين واثنين وثلاثين وعد بعدهم كل الشعب كل بني اسرائيل سبعة الاف/١٦ وخرجوا عند الظهر وبنهدد يشرب ويسكر في الخيام هو والملوك الاثنان والثلاثون الذين ساعدوه/١٧ فخرج غلمان رؤساء المقاطعات أولا وأرسل بنهدد فأخبروه قائلين قد خرج رجال من السامرة /١٨ فقال إن كانوا قد خرجوا للسلام فأمسكوهم أحياء وإن كانوا قد خرجوا للقتال أمسكوهم أحياء/١٩ فخرج رؤساءالمقاطعات والجيش من ورائهم/٢٠ وضرب كل رجل رجله فهرب الآراميون وطاردهم اسرائيل ونجا بنهدد على فرس مع الفرسان/٢١ وخرج ملك اسرائيل وضرب الخيل والمركبات وضرب أرام ضربة عظيمة.

/٢٢ فتقدم النبي إلى ملك اسرائيل وقال له اذهب وتشدد فهؤلاء عند تمام السنة يصعد إليك ملك أرام وستنصر عليهم وأما عبيد بنهدد فقالوا له إن آلهة اسرائيل الهة جبال فلذلك تغلبوا علينا فسنحاربهم بالسهل/٢٦ وعند تمام السنة عد بنهدد الآراميين وصعد إلى أفيق ليحارب إسرائيل/٢٧ وأحصي بنوا اسرائيل وتزودوا وساروا للقتال فكانوا نظير قطيعين صغيرين من المعزى وأما الآراميون فقد ملؤ الأرض.

وبعد سبعة أيام اشتبكت الحرب فضرب بنو اسرائيل من الآراميين مئة ألف راجل في يوم واحد/٣٠ وهرب الباقون إلى أفيق إلى المدينة وسقط السور عليهم على السبعة والعشرين ألف الباقين وهرب بنهدد ودخل المدينة من مخدع إلى مخدع/٣١ فقال له عبيده إنا قد سمعنا أن ملوك بيت اسرائيل حليمون فلنضع مسوحا على أحقائنا وحبالا على رؤسنا ونخرج إلى ملك اسرائيل لعله يحيى نفسك/٣٢ فشدوا مسوحا على أحقائهم وحبالا على رؤسهم وأتوا إلى اسرائيل وقالوا يقول عبدك بنهدد لتحيا نفسي فقال أهو حي بعد هو أخي/٣٣ فتفاءل الرجال وقالوا أخوك بنهدد فقال ادخلوا خذوه فخرج إليه بنهدد فأصعده إلى المركبة/٢٤ وقال له إني أرد المدن التي أخذها أبي من أبيك وتجعل لنفسك أسواقا في دمشق كما جعل أبي في السامرة فقال وأنا أطلقك بهذا العهد.

هل صدقت أيها القارىء هذا بتمامه ؟ من هذا وأمثاله كون الكتاب وخلط مع التوراة المنزلة من الله تعالى مع الزيادة فيها والحذف منها مع أن إيليا النبي لا يزال هاربا من وجه الملكة إيزابيل.

وإليك بعض قصص تدل على كيفية النبوة التي وصموها بما ليست كهذا المذكور في الاصحاح الثاني والعشرين من سفر الملوك الأول/١ وأقاموا ثلاث سنين بدون حرب بين أرام وإسرائيل/٢ وفي السنة الثالثة نزل يهو شافاط ملك يهوذا إلى ملك اسرائيل/٣ فقال ملك اسرائيل لعبيده أتعلمون أن راموت جلعاد لنا ونحن ساكتون عن أخذها من يد ملك أرام/٤ وقال ليهوشافاط أتذهب معي للحرب إلى راموت جلعاد فقال يهوشافاط لملك اسرائيل مثلي مثلك شعبي كشعبك وخيلي كخيلك/٥ ثم قال يهوشافاط لملك اسرائيل إسأل اليوم عن كلام الرب/٦ فجمع ملك اسرائيل الأنبياء نحو أربع مئة رجل وقال لهم ءأذهب إلى راموت جلعاد للقتال أم امتنع فقالوا إصعد فيدفعها السيد ليد الملك/٧ فقال يهوشافاط أما يوجد هنا بعد نبي للرب فنسأل منه/٨ فقال ملك اسرائيل ليهوشوفاط يوجد بعد رجل واحد لسؤال الرب ولكني أبغضه لأنه لا يتنبأ على خيرا بل شرا وهو ميخابن يمله فقال يهوشافاط لا يقل الملك هكذا/٩

فدعا ملك اسرائيل خصيا وقال أسرع إليَّ بميخا بن يمله/ ١٠ وكان ملك اسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا جالسين عند مدخل باب السامرة وجميع الأنبياء يتنبؤون أمامهما/ ١١ وعمل صديقيا بن كنعنه قرني حديد وقال هكذا قال الرب بهذه تنطح الأراميين حتى يفنوا/ ١٢ وتنبأ جميع الأنبياء هكذا قائلين إصعد إلى راموت جلعاد وأفلح فيدفعها الرب ليد الملك/ ١٣ وأما الرسول الذي ذهب ليدعو ميخا فقد قال له جميع الأنبياء تكلموا للملك خيرا فقل مثلهم/ ١٤ فقال ميخاحي هو الرب إن ما يقوله لي الرب به أتكلم/ ١٥ فلما جاء إلى الملك قال له يا ميخا أنصعد إلى راموت جلعاد للقتال أم نمتنع فقال له إصعد وافلح يدفعها الرب ليدك/ ١٦ فقال له الملك كم مرة استحلفتك أن لا تقول لي إلا الحق باسم الرب/ ١٧ فقال رأيت كل اسرائيل مشتتين على الجبال كخراف لا راعي لها فقال الرب ليس لهؤلاء أصحاب فليرجع كل واحد إلى بيته بسلام/ ١٨ فقال ملك اسرائيل للملك يهوذا أما قلت لك أنه لا يتنبأ علي إلا شرا/ ١٩ فقال النبي إسمع إذاً كلام الرب قد رأيت الرب جالسا على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره/ ٢٠ فقال الرب من يغوي أخاب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا/ ٢١ ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال أنا أغريه وقال له الرب بماذا/ ٢٢ فقال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه فقال إنك تغويه وتقتدر فاخرج فافعل هكذا/ ٢٣ والآن ذا هو قد جعل الرب روح كذب في افواه جميع أبنائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشر. فتقدم صدقيا بن كنعنه وضرب ميخا على الفك وقال من أين عبر الروح مني ليكلمك/ ٢٥ فقال ميخا إنك سترى ذلك اليوم الذي تدخل فيه من مخدع إلى مخدع لتختبىء/ ٢٦ فقال الملك خذ ميخا ورده إلى امون رئيس المدينة والى يوآش بن الملك/ ٢٧ وضع الرجل في السجن يطعمونه القليل حتى يرجع الملك/ فقال ميخا إن رجعت بسلام وأشهد الناس على قوله/ ٢٩ فصعد ملك اسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا إلى راموت جلعاد/ ٣٠ فقال ملك اسرائيل ليهوشافاط إني أتنكر وأدخل الحرب وأما أنت فالبس ثيابك فتنكر ملك اسرائيل ودخل الحرب/ ٣١ وأمر ملك ارام رؤساء المركبات التي له الاثنين وثلاثين وقال لا تحاربوا صغيرا ولا كبيرا إلا ملك اسرائيل وحده/ ٣٢ فلما رأى رؤساء المركبات يهوشافاط قالوا إنه ملك اسرائيل فمالوا عليه ليقاتلوه فصرخ يهوشافاط/ ٣٣ فلما رأى رؤساء المركبات أنه ليس ملك اسرائيل رجعوا عنه/ ٢٤ وأن رجلا نزع في قوسه غير متعمد وضرب ملك اسرائيل بين أوصال الدرع فقال لمدير مركبته أرجعني لأني قد جرحت/ ٣٥ واشتد القتال في ذلك اليوم وأوقف الملك في مركبته مقابل ارام ومات عند المساء وجرى دم الجرح إلى حضن المركبة / ٣٦ وعبرت الرنة في الجند عند غروب الشمس قائلا كل رجل يرجع إلى مدينة وكل رجل إلى بيته.

هل قابلت أيها القارىء هذا الاصحاح وقصته بالاصحاح السابق وعرفت اسم ملك أرام أليس بنهدد والحرب السابقة التي قتل فيها من أرام مئة وسبع وعشرون ألفا من لم يمت في المعركة أماته الكاتب تحت سور المدينة؟ ترى هل كان الأنبياء تبعا للرب في بيوتهم ومجالسهم أم كان الأنبياء للملوك حسب رغبتهم ويهرجون لهم؟وكيف رأيت معركة راموت جلعاد وقد خسر الاسرائيليون الحرب فكم قتل منهم؟

ثم صار دور سفر الملوك الثاني ويبدأ من بعد موت أخاب وإليك أول إصحاح فيه لتسمع العجب وتسأل نفسك عن إيليا وأين كان/١ وعصى مؤاب على اسرائيل بعد وفاة أخاب/٢ وسقط أخزيا إبن أخاب من الكوة التي في عليته التي في السامرة فمرض وأرسل رسلا وقال لهم إذهبوا إسألوا بعلزبوب إله عفرون إن كنت أبرأ من هذا المرض/٣ فقال ملاك الرب لايليا التشبي قم اصعد للقاء رسل ملك السامرة وقل لهم أليس لأنه لا يوجد في اسرائيل إله تذهبون لتسألوبعل زبوب إله عقرون.

وعاد إيليا إلى العمل ومضى مع اليشع إلى أريحا فتلقاهما أبناء الأنبياء فتركوهم وضرب إيليا بردائه ماء الأردن فصار فيه برزخ وعبراه إلى أرض الأردن فقال إيليا لليشع ماذا تريد مني الآن قبل أن أوخذ منك وفي الاصحاح الثاني من الملوك الثاني نقتطف هذا/٩ فقال اليشع ليكن نصيب اثنين من روحك علي/١٠ فقال صَعَّبْتَ السؤال فإن رأيتني أوخذ منك يكون لك كذلك وإلا فلا يكون/١١وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء/١٣ وكان اليشع يرى وهو يصرخ يأبي يأبي مركبة اسرائيل وفرسانها ولم يره بعد فأمسك ثيابه ومزقها/١٣ ورفع رداء إيليا ووقف على شاطيء الأردن/١٤ فأخذ رداء إيليا وضرب به الماء وقال أين هو الرب إله إيليا ثم ضرب الماء فانفلق إلى هنا وهناك فعبر اليشع ورأه أبناء الأنبياء الذين في أريحا قبالته وقالوا قد استقرت روح إيليا على اليشع فجاؤا للقائه وسجدوا له على الأرض/١٦ وقالوا له هو ذا مع عبيدك خمسون رجلا ذوو بأس فدعهم يذهبون ويفتشون على سيدك لئلا يكون قد حمله روح الرب وطرحه على أحد الجبال أو الأودية فأصروا عليه حتى خجل وقال أرسلوا فأرسلوا خمسين رجلا ففتشوا ثلاثة أيام ولم يجدوه.

وبدأت المعجزات تكتب على اليشع حسب رأي الكاتب/١٩ وقال رجال المدينة لليشع هو ذا موقع المدينة حسن وأما المياه فرديئة والأرض مجدبة/٢٠ فقال أيتوني بصحن حديد وضعوا فيه ملحا/٢١ فخرج إلى نبع الماء وطرح فيه الملح وقال هكذا قال الرب قد أبرأت هذه المياه لا يكون فيها أيضا موت ولا جدب/٢٢ فبرأت المياه إلى هذا اليوم. يوم تذكر الكاتب الأسطورة/٢٣ ثم

صعد من هناك إلى بيت أيل وفيما هو صاعد في الطريق إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا إصعد يا أقرع إصعد يا أقرع/ ٢٤ فالتفت إلى ورائه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب فخرجت دبتان من الوعر وافترست منهم اثنين وأربعين ولدا/ ٢٥ فذهب من هناك إلى جبل الكرمل من هناك إلى السامرة. وهكذا أثبت الكاتب معجزة النبي ولا حول ولا قوة إلا بالله النبي أسمى من أن يدعو على الأولاد ويصبر على ابائهم ويصبر على ملوكهم وعلى الساجدين من الرجال والنساء للأصنام وللاصحاح الثالث من سفر الملوك الثاني نلخص ما يلي والعاقل يحكم

/ ١ لقد ملك يهورام عوضا عن أبيه وأخيه على اسرائيل وعمل الشردون أسلافه وكان ميشع ملك مؤاب يدفع الجزية إلى أخاب ملك اسرائيل وقد دفع لأخاب مئة ألف خروف ومائة ألف كبش فلما مات أخاب عصى على إبنه فأرسل يهورام إلى يهوشافاط إن ميشع ملك مؤاب قد عصى على فهل تصعد معي إلى حربة فقال نعم نفسي نفسك وشعبي شعبك/ من أين كان ميشع يأتي بتلك الخراف والكباش؟ وسار إلى برية أدوم وسار معهم ملك أدوم فمشوا سبعة أيام ولم يكن ماء للبهائم التي معهم وعطشوافقال ملك اسرائيل إن الرب أراد أن يدفع الملوك الثلاثة ليد المؤابيين فقال يهوشافاط ملك يهوذا ألا يوجد عندك نبي فوجدوا اليشع«ولا ندري هل كان اليشع يسير معهم في تلك الصحراء أم أنه حضر»فنزل إليه الملوك الثلاثة وسألوه فقال من أجل يهوشافاط أتكلم والرب يقول إجعلوا في هذا الوادي أبار فتكون لكم الماء وتشربون ويدفع ليدكم المؤابيين فتضربون كل مدينة وتقطعون كل شجرة وفي الصباح وإذا بالماء أتية عن طريق أدوم وكان المؤابيون قد سمعوا بقدوم الملوك لغزوهم فلموا أنفسهم ووقفوا للدفاع عن أرضهم وأهلهم ويقول الكاتب أن المؤابيين رأوا مياه حمراء قد ظهرت مع شروق الشمس فقالوا إن الملوك يحاربون بعضهم فاهجموا عليهم فقام الملوك وضربوا المؤابيين فهربوا وتبعهم الملوك يخربون حقولهم ويقطعون شجرهم كما قال اليشع ولكن الملك المؤابي جمع سبع مائة مقاتل وحاصر في قبر حارسة فحاصره الملوك فأخذ إبنة البكر وأصعده محرقة على السور فكان غيظ عظيم على اسرائيل فانصرفوا عنه ورجعوا إلى أرضهم.

وهل تدري أيها القارىء لم دب الغيظ في قلب اسرائيل؟ يقصد الكاتب أن الله أغاظ اسرائيل لأن ملك مؤاب قد شوى لحم ولده البكر ليشم ريحها الله فشم وتنشق ولا ندري أكل أم لا فرضي عن ملك مؤاب وأغاظ أعدائه والله إن روح الوثنية في تلك الأساطير والمضلات.

ومضى اليشع فصرخت إليه امرأة من نساء بني الأنبياء قائلة أن زوجها مات وأتى المرابي ليأخذ ولدي له عبدين والمرابي طبعا من اليهود فقال لها اليشع إجمعي أوعية فارغة من جيرانك وكثري وقال لها صبي من الزيت الذي عندك في هذه الأوعية وكان عندها قليل زيت يكفيها ليوم

فجعلت تصب منه في الأوعية حتى ملأتها ولم تبق أوعية فقال لها اليشع بيعي هذا الزيت وكلي أنت وأولادك وسدي ديونك ومضى إلى سونم فدعته امرأة إلى بيتها للضيافة وأكرمته وكانت قد عملت عليَّةً خاصة لأجل ضيافته فدخل تلك العلية وأرسل بطلب المرأة وقال لها ماذا تريدين أن أصنع لك هل أسأل لك الملك لحاجة أو رئيس الجيش فقالت لا أنا آمنة في سربي فقال له غلامه حجزي إنه ليس لها ولد.

فطلبها ثانية وقال لها في مثل هذا الميعاد نحو زمان الحياة تحتضنين ولدا أي بعد سنة أو ميعاد الولادة فقالت لا سيدي رجل الله لا تكذب على جاريتك لأن زوجي قد شاخ.

فحبلت المرأة وولدت في ذلك الميعاد نحو زمان الحياة كما قال اليشع وكبر الولد وذهب إلى والده وهو يحصد فلما رأى أباه صاح لألم رأسه فحمله إلى أمه فاضجعته على ركبتيها إلى الظهر ومات الولد فحملته إلى العليه وأضجعته على سرير اليشع وركبت حمارا حتى أتت إلى جبل الكرمل حيث كان اليشع.

ورآها اليشع من بعيد فأرسل غلامه جحزي للقائها وقال لها أرجلك في سلام الولد في سلام فقالت في سلام ثم أمسكت برجلي اليشع وقالت له هل طلبت منك ولدا؟ فلم خدعتني؟.

فقال اليشع لغلامه خذ عكازي هذا واذهب ولا تكلم أحدا في طريقك وإذا كلمك أحد فلا ترد عليه فقالت المرأة حي هو الرب لن أدعك حتى تذهب معي فقام وتبعها.

ودخل اليشع البيت وإذا الصبي ميت على السرير فدخل وأغلق الباب عليه وعلى الصبي وصلى إلى الرب ثم صعد واضطجع فوق الصبي ووضع فمه على فمه وعينه على عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه فسخن جسم الصبي ثم قام اليشع وسار في الغرفة تارة إلى هنا وتارة إلى هناك وصعد وتمدد عليه فعطس الصبي سبع مرات وفتح عينيه فدعا غلامه وقال نادي لأمه فلما جاءت قال احملي ابنك وجاء اليشع إلى دمشق ولايزال بنهدد ملكا عليها فأخبر بمجيء اليشع إلى دمشق فقال لحزائيل «ولا نزال نذكر ماجاء في الاصحاح التاسع عشر الملوك الأول حيث أن الرب أمر إيليا أن يمسح حزائيل ملكا على أرام ويمسح اليشع نبيا وياهو بن نمشي ملكا على اسرائيل»وقال بنهدد لحزائيل إذهب وخذ هدية لليشع وإسأله هل أشفى من مرضي هذا؟ وكان بتهدد مريضا فقابله وقد أخذ له هدية من كل خيرات دمشق حمل أربعين جملا وقال ياسيدي الملك هل يشفى من مرضه فقال اليشع شفاء يشفى ويموت موتا ونظر إلى حزائيل وبكى فقال حزائيل لماذا يبكي سيدي فقال اليشع وهذا من الاصحاح الثامن من الملوك الثاني/١٢ فقال حزائيل لماذا يبكي سيدي فقال لأني علمت ما ستفعله ببني اسرائيل من الشر فإنك تطلق النار في حصونهم وتقتل

شبانهم بالسيف وتحطم أطفالهم وتشق حواملهم/١٣ فقال حزائيل ومن هو عبدك الكلب حتى يفعل هذا الأمر العظيم فقال اليشع قد أراني الرب إياك ملكا على أرام/١٤ فانطلق إلى سيده وقال له قال لي أنك تحيا/١٥ وفي الغد أخذ لبدة وغمسها بالماء ونشرها على وجهه فمات وملك حزائيل عوضا عنه.

ومسح اليشع بعد ذلك ياهو بن شافاط ملكا على اسرائيل وقد عرفنا من أين جاءت في عصرنا هذا وفي بلاد المسلمين أن الأقطاب في الأرض يفعلون هذا وأمثاله كوكلاء لله على خلقه فهم في النصاري كما هم في المسلمين وهم في اليهود قبل الفريقين ولا نرى في اليابان أبدا مثل هذا ولا ندري لربما ولكن اليابان قد وقفت على رجليها بعد أن نبذت مثل هذا وألقته بعيدا.

إن الله جل وعلا جعل للانسان عقلا وأنزل عليه علما فمتى استعمل العلم بعقله وصل للطلب الذي أراد الله وما عدا هذا فإن الله قد اختص به وحده ويقول الله تعالى في سورة سبأ الآية/٢٢: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير﴾.

وكيف تأخر المسلمون وكيف تقدم الأوربيون لقد خنع المسلمون تحت يد أقطابهم وعمروا تكاياهم وكثروا دراويشهم وخضعوا لاقطاعهم فكانت الأقطاب تبعا للآقطاع والدراويش تبعا للأقطاب والشعوب الاسلامية خدما وخولا للجميع وكان هذا في أوروبا حتى وقفت الشعوب الأوروبية في وجه جميع هذا وألقته في البحر فوصل القوم بعلمهم إلى القمر والأجرام السماوية فضلا من الله ونعمة ولم نسمع بمن داس القمر من الأقطاب والعلم من الله هدية والنبي من الله للهداية والتعريف بما أنزل الله وقد ظلت اسرائيل عزيزة بعض الشيء حتى استغل المغرضون مثل هذا وإن إلياس نبي واليشع نبي ولكنهما لم يتعديا حدود البشرية ونحن الذين وصفناهما بما ليس فيهما صلى الله عليهما.

من الاصحاح الثالث عشر الملوك الثاني.

ومرض اليشع ونزل إليه ملك اسرائيل يعوده ورمى نفسه على وجهه وهو يبكي ويقول ياأبي ياأبي يا مركبة اسرائيل وفرسانها/١٥ فقال له اليشع خذ قوسا وسهاما فأخذ لنفسه قوسا وسهاما/١٦ ثم قال لملك اسرائيل ركب يدك على القوس فركب يده على القوس ثم وضع اليشع يده على يدي الملك/١٧ وقال افتح الكوه التي نحو الشرق ففتحها فقال اليشع ارم فرمى فقال سهم خلاص للرب وسهم خلاص من ارام فإنك تضرب أرام في أفيق للفناء/١٨ ثم قال خذ السهام وارم على الأرض فضرب ثلاث مرات ووقف/١٩ فغضب عليه رجل الله وقال لو

ضربت خمس أو ست مرات حينئذ ضربت أرام إلى الفناء وأما الآن فإنك إنما تضرب أرام ثلاث مرات/ ٢٠ ومات اليشع فدفنوه وكان غزاة مؤاب تدخل على الأرض عند دخول السنة/ ٢١ وفيما كانوا يدفنون رجلا إذا بهم قد رأو الغزاة فطرحوا الرجل الميت في قبر اليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه. ترى لم لم يدخلوا بعد ذلك أمواتهم ليمسوا عظام اليشع؟

في كل ما تقرأ في كتاب العهد العتيق عن العهد الذي مر بعد سليمان ترى المتناقضات فمثلا تقرأ عن آخاب ملك اسرائيل الذي أخذ معه يهوشافاط ملك يهوذا ليرجع راموت جلعاد لاسرائيل وقد قتل ورجع جيشه مغلوبا تقرأ بعدها أن إبنه جعل حفظة على راموت جلعاد خوفا من حزائيل ملك أرام.

ثم تقرأ عن تغلب أرام على اسرائيل حتى ويهوذا ثم تقرأ هذا في الاصحاح الرابع عشر من الملوك الثاني/٢٣ في السنة الخامسة عشرة لأمصيا بن يواش ملك يربعام بن يواش اسرائيل في السامرة إحدى وأربعين سنة/ ٢٤ وعمل الشر في عيني الرب لم يحد عن شيء من خطايا يربعام بن نباط/ ٢٥ هو ردتخم اسرائيل من مدخل حماة إلى بحر العربة حسب كلام الرب الذي تكلم به على لسان عبده يونان بن متاي الذي من جت حافر/ ٢٦ لأن الرب رأى ضيق اسرائيل مرّاً جداً لأنه لم يكن محجوز ولا مطلق ولا معين لاسرائيل/ ٢٧ ولم يتكلم الرب بمجد اسرائيل من تحت السماء فخلصهم بيد يربعام بن يوأش/ ٢٨ وبقية أمور يربعام وكل ما عمل وجبروته وكيف حارب وكيف استرجع إلى اسرائيل دمشق وحماة التي ليهوذا. هل هذا صحيح؟.

ثم تقرأ في الاصحاح السادس عشر من سفر الملوك الثاني هذا/ ٥ حينئذ صعد رصين ملك أرام وفقح بن رمليا ملك اسرائيل إلى أورشليم للمحاربة فحاربوا أحاز ولم يقدروا عليه/ ٦ في ذلك الوقت أرجع رصين ملك أرام «إيلة» للآراميين وطرد اليهود من إيله وجاء الآراميون إلى إيلة وأقاموا هناك إلى هذا اليوم؟ وذاك اليوم بعد الرجوع من المنفى واستنجد أحاز بملك أشور (تغلث فلا سر) بقوله/ أنا عبدك وابنك اصعد وخلصني من ملك أرام ومن يد ملك اسرائيل القائمين علي/ ٨ فأخذ أحاز الفضة والذهب الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك وأرسلها إلى ملك اشور هدية/ فسمع له ملك أشور وصعد إلى دمشق وأخذها وسباها إلى قيز وقتل رصين/ ١٠ وسار الملك أحاز للقاء تغلث فلا سر ملك أشور إلى دمشق ورأى المذبح الذي في دمشق وأرسل الملك أحاز إلى أوريا الكاهن شبه المذبح وشكله حسب كل صناعته/ ١١ فبنى أوريا الكاهن مذبحا حسب كل ما أرسل الملك أحاز من دمشق.

هل تقرأ هذه المفارقات وتتعظ أخي القارىء بأن تسعين في المئة تقريبا قد حرف وأدخل فيه

إنهم يملكون دمشق ولايرون المذبح الذي فيها إلا بحماية تغلت فلا سر فكيف هذا؟ وفي الاصحاح الثامن عشر الملوك الثاني جاء هذا/ ٩ وفي السنة الرابعة للملك حزقيا بن أحاز وهي السنة السابعة لهوشع بن أيلة ملك اسرائيل صعد (شلمناصر) ملك أشور على السامرة وحاصرها/ ١٠ وأخذها في نهاية ثلاث سنين ففي السنة السادسة لحزقيا وهي السنة التاسعة لهوشع ملك اسرائيل أخذت السامرة/ ١١ وسبى ملك اشور اسرائيل إلى آشور ووضعهم في حلح وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي.

/ ١٣ وفي السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا صعد سنحاريب ملك أشور على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها/ ١٤ وأرسل حزقيا ملك يهوذا إلى ملك أشور إلى الجيش يقول قد أخطأت إرجع عني ومهما جعلت علي حملته فوضع ملك اشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك.

وذكر الكاتب من الآيات التي لم تعط لأحد في العالم إلا لليهود على علاتهم تلك التي ذكرها وفاقت علل العالم بأجمعه فلم يدعوا محرما إلا فعلوه ولم يدعوا ممنوعا إلا اقتحموه ومع هذا كتب الكاتب هذا الاصحاح العشرين ونلخصه من سفر أخبار الأيام الثاني وذلك أن العمونيين والمؤابيين والأدوميين ثاروا على اليهود الذي يزعم الكاتب أنهم كانوا تحت حكم الدولتين وليهوذا تملكهم.

لقد وقف يهوشافاط أمام بني قومه ينادي ربه ويقول/ ١٠ والآن هو ذا بنو عمون ومؤاب وجبل ساعير الذين لم تدع اسرائيل يدخلون إليهم حين جاؤا من مصر/ ١٢ يا الهنا أما تقضي عليهم لأنه ليس فينا قوة أمام هذا الجمهور الكثير. فقال أحد الأنبياء أصعد مع الشعب عليهم ولا تخف فخرج يهوشافاط ملك يهوذا مع جيشه وجعل مغنين ومسبحين أمام الرب والجيش فجعل الرب «أكمنة» على بني عمون ومؤاب وجبل ساعير الآتين على يهوذا فانكسروا وقام بنوعمون ومؤاب على سكان جبل ساعير وحرموهم وأهلكوهم ولما فرغوا من سكان جبل ساعير ساعد بعضهم على إهلاك بعض.

ولما جاء يهوذا إلى حيث القوم وجدوا الجثث ساقطة على الأرض ولم يفلت أحد ووجدوا من الغنائم مالا يحصى ولم يقدروا على حملها وصارت هيبة الله على جميع ممالك الأرض حين سمعوا أن الرب حارب أعداء اسرائيل وتحالف يهوشافاط مع ملك اسرائيل فترة قبل القضاء على دولة اسرائيل ثم صار الخلاف وكان أول تعاون ملك اسرائيل مع ملك دمشق في محاصرة أورشليم ثم

رجعوا عنها كما ذكرنا سابقا ثم استنجد ملك يهوذا بـ «تفلث فلاسر» ملك أشور على ملك اسرائيل وملك دمشق وهذا في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد.

ثم صعد شلمناصر ملك أشور بعد ذلك على السامرة وأخذها وسبى سكان اسرائيل إلى شمال بلاد الشام ولم يبق سوى مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم ويقول جل وعلا في كتابه العزيز في سورة الاسراء الآية/٤: ﴿وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا * إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا * عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ إن من التوراة المفقودة حتى والحاضرة الكثير من الآيات المخبرة بفساد القوم والمنذرة بهلاكهم أيضا ويخبرنا جل وعلا في هذا عن عتوهم الأول بعد احتلالهم لفلسطين المتفرقة وكم قتلوا وسبوا ونهبوا الأموال والأولاد فعاقبهم جل وعلا ببعث جالوت واستظهاره عليهم مع الفلسطينيين ودام هذا عشرات من السنين فسبوا الأبناء منهم وأخذوا الأموال وفرضوا الأتاوات علاوة على الجزية.

واستغاث الصالحون منهم بربهم واستنجدوا بنبي لهم واجتمعوا إليه وطلبوا منه أن يتوج عليهم ملكا ليضم صفوفهم ويجمع كلمتهم ولكن النبي حذرهم فكان أن توج عليهم طالوت فتعنتوا عليه أولا ثم أذعنوا فنصروا على أعدائهم واستظهروا وكان ملك داود وسليمان وعادوا إلى مساوئهم أكثر من قرنين وعبدوا الأصنام وأرسل الله عليهم بختنصر في المرة الأخيرة وأنهى أمرهم تماماً وربما كانت المرة الأولى عهد بختنصر والثانية عهد الرومان لأنه لم يكن لهم في ذلك العهد مسجد فقد كان معبدهم من شعور الماعز وكان أكثرهم من أهل الخيام... ثم كانت الثانية ولهم المعبد أو بتسميتهم له الهيكل.

وأن أخبار الأيام الثاني يقول هذا في إصحاحه الأخير/٥ كان يهويا قيم ابن خمس وعشرين سنة حين ملك وملك احدى عشر سنة في أورشليم وعمل الشر في عيني الرب الهه/٦ فصعد عليه (نبوخذ نصر) ملك بابل وقيده بسلاسل نحاس ليذهب به إلى بابل/٧ وأتى نبوخذ نصر ببعض انية الرب إلى بابل وجعلها في هيكله في بابل وقد ملك يهوياكين بن ياقيم مكانه. ويذكر أنه عمل الشر في عيني الرب فأرسل نبوخذ نصر وأخذه إلى بابل مع انية بيت الرب وملك صدقيا أخاه مكانه على يهوذا وأروشليم.

لقد كانت الأولى في عهد يهوياقيم ويتم الاصحاح عن صدقيا ما يلي/١١ كان صدقيا إبن إحدى وعشرين سنة حين ملك/١٢ وعمل الشر في عيني الرب ولم يتواضع أمام أرميا النبي/١٣ وتمرد أيضا على نبوخذ نصر الذي حلفه بالله وصلب عنقه ولم يرجع إلى الرب /١٤ حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم/١٥ فأرسل الرب إليهم مبكرا مرسلا لأنه شفق على شعبه وسكنه /١٦ فكانوا يهزؤن برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء/١٧ فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم ولم يشفق على فتى أو عذراء أو على شيخ أشيب بل دفع الجميع إلى يده/١٨ وجميع انية بيت الرب الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بهم جميعا إلى بابل/١٩ وأحرقوا بيت الله وهدموا أسوار أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع انيتها الثمينة/٢٠ وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا إلى أن ملكت مملكة فارس/٢١ وبقوا في الأسر سبعين سنة.

نفي اليهود من فلسطين نفيا تاما

من هذا كانت الحملة الأولى من الآشوريين في عهد يهوياقيم والأخيرة في عهد صدقيا حيث هدم الهيكلْ وسور المدينة والمدينة أيضا بكاملها وأخذ سكانها إلى منطقة بابل كما قال تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلو المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾ ولم يبق في أورشليم من يعمرها حيث لم يبق فيها إلا من لا نفع له أو به ولا يرد عن نفسه ولا ينجب أولادا.

وفي الغربة والأسر اختلط القوم مع جميع الشعوب التي استولى الآشوريون عليها وقد سبوا أخيار أهلها إلى أرض الآشوريين كالأرمن والأكراد والعرب والآراميين والحثيين والفرس وما وراءهم من الشعوب واستعبد الجميع واستخدموا في القصور والمعابد وأعمال الدولة ودخل بعضهم قصر الملك وكان من بينهم أربعة فتيان من أجمل الشباب فيهم وأعرفهم وهم من أبناء الأمراء قد انتقوهم وأسماؤهم دانيال وحنانيا وميشائيل وعزرا وهو العزيز.

لقد كان دانيال شابا جميلا من أمراء اليهود كان قد تعلم على أيدي مربين من أحبار اليهود وربما كان أهله يطمعون بتملكه في يوم ولكن انهيار الدولة عاجلهم والترحيل أيأسهم لقد فضل الله جل وعلا ابراهيم على كثير من بني الانسان لإخلاصه في توحيده لله تعالى وثباته في الدفاع عن عقيدة التوحيد فأحبه الله وأحسن إليه واتخذه الله خليلا لأخلاق جعلها فيه وكمال

خليقة وخلق طيب وسجايا كريمة قد أحصن فرجه وعدل في قوله وفعله حجته قاطعه سبق إلى التوحيد من بعد نوح ومن أمن معه ثم أحسن الله إلى بنيه وبني بنيه لأجيال وسامحهم على كثير من الهفوات ثم جعل يعاقبهم على بعضها ويسامحهم على البعض الآخر فلم يأخذوا الدرس بما يستحق من عناية وتفهم والدروس في هذا كثيرة وقد عرفوها وشهدوا عليها ولم يرعووا لقد استهزأ القوم بخالقهم والذي أحسن إلى أبائهم وأسلافهم وتمادوا في استهزائهم وغيهم وقد مد الله لهم حبلا طويلا وصلوا آخره بل وقطعوه وقد قال تعالى في سورة البقرة الآية/١٢٤: ﴿وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي؟ قال لا ينال عهدي الظالمين﴾... وقد تمادى القوم وظلموا أنفسهم ومن تسلطوا عليه.

ويذكر تعالى فضله عليهم في سورة البقرة مرات منها الآية/٤٧: ﴿يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾.

وكثر تمادي الخاصة فيهم وتابعهم العامة في ذلك وأخبرنا تعالى عن ذلك ومثلة كثير في سورة الأعراف الآية/١٦٧: ﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم * وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾.

هذا قول مضى عليه ألف وأربعمائة عام لم يتبدل واليوم يريدون تبديله ولن يتبدل لأن عصر موسى مضى وأعقبه عصر ومضى وهذا عصرّ محمد صلى الله عليهم جميعا لن يتبدل أبدا وقد قال تعالى في سورة الأحزاب الآية/٤٠: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما﴾ وقد قال تعالى أيضا في سورة آل عمران الآية/٨٥: ﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾... وقد قال محمد ﷺ: «ولو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه إلا اتباعي».

واليوم أيضا كثر تماديهم واستهزاؤهم ويقولون لا تاريخ إلا تاريخهم ولكن العالم قد فطن بل وجد أن هذا التاريخ ملصق جله موضوع وقد جمع تسعين بالمئة مما فيه من الأباطيل والخرافات ألصقوها بما أنزل الله من حقيقة هي التوراة والزبور وبعض أقوال الأنبياء وكلها ضدهم وليت التوراة هي التي أنزلها الله كما أنزلت والزبور بحقيقته رغم أنه أدعية وتسابيح إنما حرفوا ما شاؤا وأثبتوا ما شاؤا بل وبدلوا ما شاؤا ودليل هذا أن التوراة لم تكن بيد الشعب الا نتفا منها أو ما غُيِّرَ وبُدِّلَ ففي الاصحاح الثاني والعشرين من سفر الملوك الثاني جاء ما يلي/٨ فقال حلقيا الكاهن

العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه/ ٩ وجاء شافان الكاتب إلى الملك ورد على الملك جوابا وقال قد أفرغ عبيدك الفضة الموجودة في بيت الرب ودفعوها إلى يد عاملي الشغل وكلاء بيت الرب/ ١٠ وأخبر شافان الكاتب الملك قائلا قد أعطاني حلقيا الكاهن سفرا وقرأه شافان أمام الملك/ ١١ فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه.

ثم راجعوا خلدة النبية امرأة شلوم بن تقوه حارس الثياب وقالوا أنها كانت لها انذاك كلمة الرب مع أنهم يقولون أنه يجلس فوق الكروبيم فهل الكروبيم عرشه؟

وهل حقيقة أنهم شعب الله المختار؟ والجواب لا فلكل أمة من أمم الأرض دور إذا أحسنت فيه طال دورها ومتى أساءت ضعف شأنها ومتى تمادت قضي أجلها.

إن تاريخ القوم قد سجلوه عصبيه لأنفسهم وقد شهدوا بما كتبوا أنهم دون غيرهم من الأمم والشعوب في حفظ المعروف والكرامة وأنهم دون غيرهم في الرحمة والانسانية وليتهم ساووا الناس والأمم في ذلك لقد أخذ الكلدانيون جميع الاسرائيليين من فلسطين ولم يبق فيها إلا من عجز عن السير والعمل ولم يأخذوا من قوميات فلسطين غيرهم وأصبحت أرض اليهود ملك دولة للآشوريين تلك مملكة يهوذا وأما أرض اسرائيل فقد سبقت ذلك بسنين حيث أسكنها الآشوريون أقواما من قوميات أخرى جاؤا بهم من شمالي بلاد الشام

لقد انقرضت دولة اسرائيل سنة سبعمائة واثنتين وعشرين قبل الميلاد وانتهت دولة يهوذا في سنة خمسمائة وست وثمانين قبل الميلاد ولم تقم لهم بعد ذلك دولة إلا تحت الحماية من دولة أخرى

لم يقتل بختنصر من اليهود إلا من قاتل رغم أنهم انقلبوا على دولته مرتين بشهادتهم في كتابهم ولم يفعل ذلك الوثني جزءا من مئة من فعل موسى كما ذكروا إذ قتل حوالي مئتي ألف ما بين امرأة متزوجة وولدها من الذكور والطفلات الصغيرات لأن فتيات الزواج اللواتي لم يقتلن اثنين وثلاثين ألفا حسب هذا وقتل داود بما ذكروا سكان مدن بني عمون الرجال والنساء والشيوخ والأطفال وضعهم تحت مناشير الحديد ونوارج الحديد وأمرهم في أتون النار ولم يفعل الجبار الوثني شيئا من فعل الأنبياء وكم قتل يوشع هم يعرفون هذا فكم هو رحيم بختنصر وكم هو حليم.

يقول تعالى في سورة آل عمران الآية/١١٢: ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة﴾.

لقد أخذ الآشوريون كل شيء يمكن أخذه من أرض يهوذا من بعد اسرائيل وأحرقوا كل شيء يمكن إحراقه ولم يبقوا أية نسخة للتوراة أو الزبور أو أقوال أنبياء مسجلة وكان التفتيش على هذا في ثلاث مرات وهم كما مر معنا لم يكونوا متمسكين بالتوراة وتشريعها ولا بأقوال الأنبياء وصارت أقوال الأنبياء مراثي يرثون بها ملك داود وسليمان وعصر داود وسليمان ويحاولون إعادة القوم إلى توراتهم الأصلية ولكنهم لم يستطيعوا إرجاع عجلة الزمن إلى الوراء لغضب الله على القوم.

لقد تنبأ كل عاقل في ذلك الزمن ليس الأنبياء وحدهم بزوال دولتي اليهود لأن العين البصيرة تنظر لأبعد من العين الكليلة وتمت التنبوءات ولوطال الفصل.

لقد كان الآشوريون قوم رحماء وكرماء لم يقتلوا من بني اسرائيل إلا من كان يحرض على أعمال الشغب والفتن أو يسرق الأموال أمثال من ذكرهم المؤلف ففي الاصحاح الخامس والعشرين سفر الملوك الثاني جاء هذا/١٨ وأخذ رئيس الشرط الكاهن الرئيس وصفنيا الكاهن الثاني وحارس الباب الثلاثة/١٩ ومن المدينة أخذ خصيا واحدا كان وكيلا على رجال الحرب وخمسة رجال كانوا ينظرون وجه الملك الذين وجدوا في المدينة وكاتب رئيس الجند الذي كان يجمع شعب الأرض وستين رجلا من شعب الأرض الموجودين في المدينة/٢٠ وأخذهم(بنو زرادان) رئيس الشرط وسار بهم إلى ملك بابل إلى ربلة/٢١ فضربهم ملك بابل وقتلهم في ربلة في أرض حماة/٢٢ فسبي يهوذا من أرضه.

لقد كان بختنصر رحيما جدا وهم الذين ذكروا هذا وهم الذين ذكروا التحريم والتحريم هو قتل كل نفس حية في مدينة أو قرية وقد ذكروا في الاصحاح الحادي والثلاثين من سفر العدد ما يلي/١٥ وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حية/١٦ إن هؤلاء كن لبني اسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب في أمر فقور فكان الوبأ في جماعة الرب/١٨ لكن جميع الأطفال الآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة رجل اقتلوها.

وأحصيت الفتيات اللواتي كن عذراوات فكن اثنين وثلاثين ألفا وطبعا كن من سبع سنوات إلى العشرين فكم كان عدد المتزوجات والأطفال الذكور والاناث فهل كان بختنصر أرحم من موسى؟

لقد كان بختنصر أرحم بكثير من يشوع النبي خليفة موسى ففي الاصحاح السادس من سفر يشوع جاء هذا/٢٠ فهتف الشعب وضربوا بالأبواق وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن هتفوا هتافا عظيما فسقط السور في مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه

وأخذوا المدينة/٢١ وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف.

لقد كان فرعون وشلمناصر وبختنصر أرحم بمئات المرات من داود عندما احتل ربة عمون عاصمة بني عمون أبناء لوط كما ذكروا ومدن بني عمون ففي الاصحاح الثاني عشر صموئيل الثاني ذكر ما يلي/٢٩ وجمع داود كل الشعب وذهب إلى ربه وحاربها وأخذها/٣٠ وأخذ تاج ملكها عن رأسه ووزنه وزنة من ذهب مع حجر كريم وكان على رأس داود وأخرج غنيمة المدينة وكانت كثيرة جدا/٣١ وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أتون الأجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون.

إن هذا محض كذب واختلاق لغاية دنيئة تستهدف يوم اختلقت في عصر دولة اليهود تحت حمايتها بيد الفرس تريد بذلك القضاء على قوميات فلسطين ولا عيب في هذا ولا مانع طالما أن أبطال وقادة اليهود في السابق قد فعلوا هذا ولم يدر الكاتب أن اليهود سيشردون ثانية إن هذا لا يصح من أنبياء ولا يأذن الله بمثل هذا ولا يفعل مثل هذا موسى أو يوشع أو داود إنما هو محض افتراء واختلاق فليعد القارىء إلى صوابه ويقرر اتجاهه فلا يقبل هذا أي انسان ينتمي إلى الانسانية فنساء مدين إن صح أنهن تزين ودخلن إلى خيام الاسرائيليين ليرغبن رجال اسرائيل على الزنا هل هن اللواتي أسرن بعد خمس وثلاثين سنه ؟.

وهل يسمح رجال مدين بن ابراهيم لنسائهم أن يفعلن هذا؟ مهما كان الرجال من الديانة بمكان رديء الحرب بين القوم وتذهب نساء القوم لخيام الأعداء؟ وهل ترك بلعام النبوة وعادى الله؟.

ولنقل كان هذا فلم يفعل ذلك رجال الله المختارون؟

الحديث عن عصر الأسر والنفي

لقد هدمت أورشليم تماما بيوتها بعد هدم الأسوار والأبراج وهدم الهيكل والقصور ولكن لم نعرف أين صار الكروبيم وأين ذهب الله نستغفره سبحانه عن مثل تلك الترهات

لم يبق فيها من يدخل أو يخرج كأنها لم تعمر في عصر سليمان أو بعده والجميع صاروا هناك في أرض بابل ودخل قصر بختنصر أنبياء بما ذكر اليهود يخدمون بختنصر وأعوانه وهم دانيال حننيا ميشائيل وعزار وقد انتقوا من فتيان السبي اليهودي.

لقد كان دانيال كما مر معنا من نسل ملوك يهوذا جميل الصورة جدا ذكي الفؤاد شجاع القلب قد ملأ قلبه الأسى على فراق أرضه ووطنه وقد غير الملك اسمه من دانيال إلى بلطشاصر كما غير أسماء إخوته الثلاثة لأسماء اشورية حيث صار اسم حننيا شدرخ وميشائيل ميشخ وعزار عبد نغو وخدم أولئك في قصر الملك: وهنا يوجد الخطأ في الكتاب العتيق فقد جاء في الاصحاح الثاني ما يلي/١ وفي السنة الثانية من ملك نبوخذ نصر حلم نبوخذ نصر أحلاما فانزعجت روحه وطار عنه نومه/٢ فأمر الملك بأن يستدعي المجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون ليخبروا الملك بأحلامه فأتوا ووقفوا قدامه/٣ فقال لهم الملك لقد حلمت حلما وانزعجت روحي لمعرفة الحلم/٤ فكلم الكلدانيون الملك بالآرامية عش أيها الملك إلى الأبد أخبر عبيدك بالحلم فنبين تعبيره/٥ فأجاب الملك قد خرج مني القول إن لم تنبؤني بالحلم تصيرون إربا إربا وتجعل بيوتكم مزبلة.

حلم بختنصر

وأصر الملك على علماء مملكته بأن يخبروه أولا بما رأى في حلمه ثم يخبروه بتعبيره وهم لا يعلمون الغيب فهددهم الملك بالموت ورغبهم بالعطاء ولكن القوم عجزوا هذا ما جاء في الكتاب وطلب دانيال وأصحابه ليقتلوا أيضا فسأل دانيال عن السبب فقيل له عن الحلم فدخل دانيال على الملك وطلب منه مهلة ليبين له الحلم والتعبير فأعطاه.

إن نبوخذنصر لم تكن سنته الثانية في الملك انذاك إنما كان له سنوات وسنوات ومن شاء فليراجع الكتاب نفسه.

ودخل دانيال على الملك بعد أن عرفه الله بما قالوا حلم بختنصر ونذكر ذلك في الاصحاح الثاني من سفر دانيال/٣١ أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم هذا التمثال العظيم البهي جدا وقف قبالتك ومنظره هائل/٣٢ رأس هذا التمثال من ذهب جيد صدره وذراعاه من فضة بطنه وفخذاه من نحاس/٣٣ ساقاه من حديد قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف/٣٤ كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما/٣٥ فسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا وصارت كعصافة البيدر في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملأ الأرض.

/٣٦ هذا هو الحلم فنخبر بتعبيره أمام الملك/٣٧ أنت أيها الملك ملك ملوك لأن إله السموات أعطاك مملكة واقتدارا وسلطانا وفخرا/٣٨ وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور

السماء دفعها ليدك وسلطك عليها جميعها فأنت هذا الرأس من ذهب/٣٩ وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة من نحاس فتتسلط على كل الأرض/٤٠ وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء/٤١ وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث أنك رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين/٤٢ وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قويا والبعض قصيا/٤٣ وبما رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين فإنهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بهذا كما أن الحديد لا يختلط بالخزف/٤٤ وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لا تنقرض أبدا وملكها لا يترك لشعب اخر وتسحق وتفني كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد/٤٥ لأنك رأيت قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب الله العظيم الذي قد عرَّفَ الملك ما يأتي بعد.هذا الحلم حق وتعبيره يقين/٤٦ حينئذ خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال وأمر بأن يقدموا له تقدمة وروائح سرور.

وهكذا بزغ نجم دانيال في قصر ملك بابل وارتفع مكانه إذ عرف حلم بختنصر ثم أوله له هكذا إن الرأس هو بختنصر ومملكته وأنه هو الرأس وستقوم من بعده مملكة أخرى ويقصد بها مملكة فارس ثم مملكة الاسكندر ثم يقصد الروم وفارس ثم الدول الصغيرة وهكذا أول المؤولون.

لقد أسجد المؤلف بختنصر لدانيال ثم جعله بعد ذلك يلقيه في أتون النار مع رفاقه الآخرين وبعد قوله لدانيال كما في الاصحاح/٤٧ حقا إن إلهكم إله الآلهة ورب الملوك وكاشف الأسرار إذ استطعت على كشف هذا السر/٤٨ وحينئذ عظم الملك دانيال وأعطاه عطايا كثيرة عظيمة وسلطه على كل ولاية بابل وجعله رئيس الشحن على جميع حكماء بابل/٤٩ فطلب دانيال من الملك فولى شدرخ وميشخ وعبد نغو على أعمال ولاية بابل أما دانيال فكان في باب الملك.

المؤامرة الكبرى التي قضت على دولة الآشوريين.

الكلدانيون والآشوريون تختلط بلادهم وهم من أصل واحد خرجوا من قلب الجزيرة العربية في يوم أما وهم مع أب واحد أو لأخوين وكان أبو الكلدان قد تزعم أولا وإن أخر ملوك الكلدان واسمه «نبونيد» قد اتخذ تيماء عاصمة له شمالي الحجاز وذكر من ذكره أنه كان في عام خمسمائة وخمسة وخمسين قبل الميلاد وقد صار الحكم لفرع اشور قبل ذلك بكثير وربما أن الملك المذكور صار هناك في ثيماء واليا ثم تملك بعد استيلاء الفرس على بابل والأصح الجميع من

مصدر عربي وقد خرجوا بموجة واحدة أو باثنتين فالله أعلم فقد أصبح ذلك علم غيب.

إن اختلاط الكلدان مع القوميات الأخرى التي خرجت في السابق من الجزيرة العربية والتي اختلطت من قبل ذلك بقوميات خرجت من أراض أخرى كصحراء ايران ومنغوليا أو الهند أو من الشمال قد ولد الكثير من اللغات وغير الكثير منها ومن تلك الذين سموا بابل «وحمورابي» صاحب التشريعات التي وجدت في تلك البلاد وحمورابي كان قبل ابراهيم بعهد وجيز فعهد حمورابي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وقد وجدت شرائعه منقوشة على ألواح من الآجر.

ووصل بختنصر إلى الملك فوسع ملكه فبلغ أوسع ملك في العالم أي فيه رقم قياسي في أول من وسع ملكه ملك في سنة (٦٠٤) ق.م ودام ملكه حتى سنة (٥٦١) قبل الميلاد فقد فتح بلاد الشام ومصر والأناضول وأرمينيا علاوة على بلاد فارس وما وراءها وقد جمع الحذاق من جميع تلك البلاد ليعملوا في بلاده وسبى الكثير أيضا من أهالي تلك البلاد وكان ذلك وبالا على مملكته وقد خلط الشعوب من جميع تلك البلاد مع بعضها فيأخذ أقواما من أرض يسكنهم في غيرها ويأتي من تلك بقوم إلى أرض الآخرين ليضعف حماس أهل الأرض فيشرك الأراضي مع بعضها وفي ذلك تجزئة للقوميات وضربها مع بعضها ظنه خيرا فكان له شرا لقد كان جيش الأشور يضم قوميات شتى من التي سيطر عليها وخاصة من الماديين والفرس وكثر هؤلاء في الجيش لحاجة التوسع إلى ذلك في المحافظة على البلاد الواسعة فمملكة الآشوريين أول دولة عرفها التاريخ بتوسعها وترامي أطرافها.

وفي هذا التوسع كثر الماديون والفارسيون في الجيش الآشوري وتعرف الفرس على اليهود وتعرف اليهود على الفرس وبدأ التفاهم وبدأت المؤامرة الكبرى ولعبت يد الخراب في السر والخفاء ورسمت خيوط المؤامرة الكبرى وكانت على درجتين الأولى وهي الأم وهي بين اليهود والفارسيين والثانية بين الفرس واليهود والماديين وقوميات أخرى.

لقد رسمت خطوط الجمعية الماسونية انذاك من قبل دانيال وإخوانه ومَنْ ماثلهم من اليهود زعامة ومقدرة وهناك من يقول أن الماسونية رتبت قبل الخروج من مصر ولما تمكن اليهود من الخروج تركوها ثم تم احياؤها في بابل تقصد العمل على إرجاع اليهود إلى بلادهم والصهيونية وليدتها.

لقد كان نصيب اليهود انذاك من العمل التجسس في جميع إدارات الدولة وفي جميع قصور النبلاء من جميع القوميات المستخدمة على الآشوري والكلداني والآرامي وحتى من الزعماء

المتنفذين في الجيش والادارة فاليهود يخدمون في كل قصر وادارة ولا يتحفظ منهم أحد فالقصر الملكي يعج بهم خاصة لأنهم يحافظون على النظافة والطاعة وهم أكثر ثقافة من سواهم انذاك.

لقد كان عهد بختنصر عهد قوة للدولة وكان الرجل مخيفا تخشاه القوميات والشعوب وأفراد الجيش وقواده ومضى عهده ولاشيء في المؤامرة إلا في التفكير فلما مات بختنصر وولي الأمر إبنه بيلشاصر وكان دون أبيه في كل ما يتصل بالملك وخاصة في سعة الأفق فنمت في عصره بذور الفتنة ويسرعة تم حبكها ولم يستيقظ إلا في ساعة تنفيذها.

لقد تهيىء الرجل من زين له أن يجمع قواده في حفل عظيم يضم كل من يقود فرقا فيما هو قريب من منطقة بابل ففعل هذا ليقدم له القواد دليل طاعتهم وحبهم وكذلك جميع أكابر دولته.

وقد جاء في الاصحاح الخامس من سفر دانيال ما يلي/١ بيلشاصر الملك صنع وليمة عظيمة لعظمائه الألف وشرب خمرا قدام الألف/٢ وإذا كان بيلشاصر يذوق الخمر أمر بإحضار الآنية التي أخذها نبوخذ نصر أبوه من الهيكل الذي في أورشليم ليشرب بها الملك وعظماؤه وزوجاته وسر ديه/٣ حينئذ أحضروا انية الذهب والفضة التي أخرجت من هيكل بيت الله التي في أورشليم وشرب بها الملك وعظماؤه وزوجاته وسراريه/٤ كانوا يشربون الخمر ويسبحون الهة الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب والحجر.

اليد الكاتبه

/٥ في تلك الساعة ظهرت أصابع يد إنسان وكتبت وراء النبراس على مكلس حائط قصر الملك والملك ينظر طرف اليد الكاتبه/٦ حينئذ تغيرت هيئة الملك وأفزعته أفكاره وانحلت خرز حقويه واصطكت ركبتاه/٧ فصرخ الملك بشدة لإدخال السحرة والكلدانيين والمنجمين فأجاب الملك وقال لحكماء بابل أي رجل يقرأ هذه الكتابة ويبين لي تفسيرها فإنه يلبس الأرجوان وقلادة من ذهب في عنقه ويتسلط ثالثا في المملكة/٨ ثم دخل كل حكماء الملك ولم يستطيعوا أن يقرؤا الكتابة ولا أن يعرفوا تفسيرها للملك/٩ ففزع الملك بيلشاصر جدا وتغيرت أحواله واضطرب عظماؤه.

الملكة تعرفه بدانيال

/١٠ أما الملكة فلسبب كلام الملك وعظمائه دخلت بيت الوليمة فأجابت الملكة وقالت عش أيها الملك إلى الأبد لا تفزعك أفكارك ولا تتغير هيئتك/١١ في مملكتك رجل فيه روح الآلهة القدوسين وفي أيام أبيك وجدت فيه نيرة وحكمة وفطنه كحكمة الآلهة والملك نبوكد نصر أبوك

جعله زعيم المجوس والسحرة والكلدان والمنجمين أبوك الملك/١٢ من حيث أن روحا فاضلة ومعرفة وفطنة وتعبير أحلام وتبيين الغاز وحل عقد وجدت في دانيال هذا الذي سماه الملك بلطشاصر فليدع الآن دانيال فيبين التفسير.

/١٣ حينئذ أدخل دانيال إلى قدام الملك فأجاب الملك وقال لدانيال أنت هو دانيال من بني سبي يهوذا الذي جلبه أبي الملك من يهوذا؟/١٤ قد سمعت عنك أن فيك روح الآلهة وأن فيك نيرة وفطنة وحكمة فاضلة/١٥ والآن أدخل قدامي الحكماء والسحرة ليقرؤا هذه الكتابة ويعرفوني تفسيرها فلم يستطيعوا أن يبينوا تفسير هذا الكلام/١٦ وأنا قد سمعت عنك أنك تستطيع تفسيرها وتحل عقدا فإن استطعت الآن أن تقرأ الكتابة وتعرفني تفسيرها فتلبس الأرجوان وقلادة من ذهب في عنقك وتتسلط ثالثا في المملكة فأجاب دانيال وقال قدام الملك لتكن عطاياك لنفسك وهب هباتك لغيري لكني أقرأ للملك وأعرفه التفسير/١٨ أنت أيها الملك فالله العلي أعطى أباك بختنصر ملكوتا وعظمة وجلالا وبهاء/١٩ وللعظمة التي أعطاها إياه كانت ترتعد أمامه جميع الشعوب والأمم والألسنة فأيا شاء قتل وأيا شاء استحيا وأيا شاء رفع وأيا شاء وضع/٢٠ فلما قسى قلبه وارتفعت روحه تجبرا إنحط عن كرسي ملكه ونزعوا عنه جلاله/٢١ وطرد من بين الناس وتساوى قلبه بالحيوان وكانت سكناه مع الحمر الوحشية فأطعموه العشب كالثيران وابتل جسمه بندى السماء حتى علم أن الله العلي سلطان في مملكة الناس وأنه يقيم عليها من يشاء/٢٢ وأنت يا بلشاصر ابنه لم تضع قلبك مع أنك عرفت كل هذا/٢٣ بل تعظمت على الرب فأحضروا قدامك أنية بيته وأنت وعظماؤك وزوجاتك وسراريك شربتم بها الخمروسبحت الهة الفضة والذهب والنحاس والحديد والخشب والحجر التي لا تبصر ولا تسمع ولا تعرف أما الله الذي بيده نسمتك وله كل طرقك فلم تمجده/٢٤ حينئذ أرسل من قبله طرف اليد فكتبت هذه الكتابة/٢٥ وهذه الكتابة هي التي سطرت.

«مَنَامَنَا تقيل وَفِرْسَينْ»،/٢٦ وهذا تفسير الكلام منا أحصى الله ملكوتك وأنهاه/٢٧ تقبل وزنت بالموازين فوجدت ناقصا/٢٨ فرسين قسمت مملكتك وأعطيت لمادي وفارس/٢٩ حينئذ أمر بيلشاصر أن يلبسوا دانيال الأرجوان وقلادة من ذهب في عنقه وينادوا عليه أن يكون متسلطا ثالثا في المملكة/٣٠ في تلك الليلة قتل بيلشاصر ملك الكلدانيين/٣١ فأخذ المملكة داريوس المادي وهو ابن اثنتين وستين عاما.

العقل والدين إلى أي مدى ارتباطهما مع بعضهما؟ إن القران الكريم أراد من القارىء والمستمع أن يستمعا إليه ويتدبرانه بعقلهما وبالتفكير السليم حتى لا يكونا من أهل التبعية

لغيرهما بلا فكر ولا تفكر فقد خاطب الله في كتابه القرآن ستة عشر مرة بقوله يا أولي الألباب ومرات بأولي الأبصار ومرات ومرات بقوله لقوم يعقلون ومرات ومرات لقوم يتفكرون ومرات ومرات لقوم يذكرون يقول جل وعلا في سورة النساء الآية/٨٢: ﴿أفلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾.

لقد مر زمن طويل على الناس يخشى أحدهم أن يمشي ليلا في خارج بلدة أو في غابة أو بين القبور يخشى من الجان أو حتى من الأموات أن يراهم يحملون أكفانهم أو يحاولون تخويفه وكثير هذا وفي صغرنا في أيام الجهل بين الناس الكثير من القصص التي أصبح الناس اليوم يضحكون منها ومنها رجلا شارطه أصحابه في ليل مظلم أن يذهب إلى مكان ما.عينوه له يدق فيه وتدا وله شرطه فذهب الشاب الجريء إلى ذلك المكان ودق الوتد ونهض بعد ذلك.

لقد وجد الشاب في اليوم التالي ميتا في مكانه الذي دق فيه الوتد وبدأ الناس يتحدثون عن كيفية موته فقال الكثيرون أماته الجن أما أهل العقول فعرفوا سبب موته وذلك أنه دق الوتد في ثيابه ونهض فأمسكه الوتد فظن أن الأرض أو الجن قد أمسكته فوقف قلبه من الرعب لما كانت القصص قد ملأت قلوب الناس من الأهوال والخرافات فصار الخوف يسيطر على الناس وصار الرعب قاتلا للكثيرين.

الدين ليس الخرافة وليس الدين الاستسلام لكل من حدث الحديث ونسبه للدين بل يناقش الحديث يتعقل وتفكر مع العلم بالمناقشة والتحقق فأهل الايمان يهديهم إيمانهم كما قال تعالى في سورة يونس الآية/٩: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾.

من فكر قليلا بعد قراءته لتلك السطور عرف الحقيقة التي غطاها جهل الناس في السابق واستسلامهم لقول الجد أو الكاهن لأن الأمر جلي واضح لكل ذي بصيرة.

لقد أدخل بختنصر السوس إلى قصره في فتيان وفتيات اسرائيل فإن معرفة حلم بختنصر لا يعلمه سوى الله وكما حصل مع قصة شمشون حصل معرفة حلم بختنصر فقول شمشون لو لم تحرثوا على عجلتي لم تعرفوا أحجيتي! إن بختنصر قد أدخل لقصره أجمل فتيات الأرض التي أدخلها إلى ملكه وكم من تلك الفتيات تحب زوال ملك ذلك الجبار فأخذت من بختنصر سر حلمه وهو في حالة سكره وهيامه بها وكان دانيال قد طلب المهلة لمعرفة الحلم لمعرفة الحلم وتفسيره وذلك في الاصحاح الثاني من سفر دانيال وهي/١٦ فدخل دانيال إلى الملك وطلب أن يعطيه وقتا فيبين للملك التعبير.

لقد حيكت المؤامرة بليال كثيرة وحبكت تماما حتى أن أوانها وانتهى أمر بيلشاصر حسب ترتيبها ليوم حفل معلوم فكانت تلك الكتابة إن صحت اخر حرب نفسية شنت على الملك وأعوانه من الكلدان والآشور.

لقد دخلت الملكة تقتحم الحفل لتذكر الملك بدانيال الذي طلب السحرة والمنجمين والعرافين ورئيسهم ألم يطلب؟ألم يكن رئيسهم دانيال؟ ففي الاصحاح الخامس من سفر دانيال جاء هذا/١١ والملك نبوخذ نصر أبوك جعله كبير المجوس والسحرة والكلدانيين والمنجمين أبوك الملك/١٢ يقول الملك لدانيال/١٦ وأنا قد سمعت عنك أنك تستطيع أن تفسر تفسيرا وتحل عقدا فإن استطعت الآن أن تقرأ الكتابة وتعرفني بتفسيرها فتلبس الأرجوان وقلادة من ذهب في عنقك وتتسلط ثالثا في المملكة.

إن دانيال ينتظر فرصا كتلك الفرصة ومع ذلك أجاب الملك/١٧ فأجاب دانيال وقال قدام الملك لتكن عطاياك لنفسك وهب هباتك لغيري لكني أقرأ الكتابة للملك وأعرفة بالتفسير.

وشرح كاتب الكتابة أو مدبرها للملك ما أراد أن يشرحه فقد جعلها للفارسيين والماديين والمخمورين والذين لم تكن لهم بها معرفة حكما إلاهيا قضى الله به على اشور.

لم رفض دانيال هبات الملك وعطاياه؟ لأنه يتأكد من انتهاء ملكه بل وانتهاء أمر اشور وكانت الملكة الطرف الوسيط أما بتأثير خدمها من اليهود أما بتأثير اخر لا ندريه.

إن كل اسرائيلي يمكنه أن يدبر مؤامرة لوحده وذلك شيء قد تعلموه في أورشليم حيث حطم بعضهم بعضا أما في المنفى فقد توحدت جهودهم وذلك بتوحيد مصيبتهم فنجحت المؤامرة ليعود القوم إلى الأرض التي تفيض لبنا وعسلا وتلك الدعايات عرفناها في عصر نعيش فيه بعد ألفين وستمائة عام هل غضب الرب على بلشاصر لأجل انية الذهب والفضة هل الأكل والشرب في انية الذهب والفضة المنسوبة للرب وحاشاه توجب غضب الرب أكثر من انتهاك حرمات شعب الرب؟ ألم تسب العذارى وتنتهك الأعراض وتزهق الأرواح لشعب الرب وما قيمة الذهب والفضة عند الرب وهو مليك كل شيء وهل انية الذهب والفضة أعظم حرمة من هدم بيته وذبح أوليائه؟ ترى في تلك الأزمنة أين كان تابوت العهد الذي إذا أدخل دار قوم هدمت؟.

لقد جاء في تقريع دانيال لبيلشاصر أن أباه بختنصر جن في ذات يوم فهام على وجهه ليعيش مع الحمر الوحشية ويطعم الحشائش كالثيران ثم عاد إليه عقله بعد أن عرف قدرة الله وأن الله رب كل شيء وذكروا أنه رأى حلما في ذات يوم فجاء بدانيال ليقص له حلمه ويخبره دانيال بتعبيره

وذلك في الاصحاح الرابع هذا/١ من نبوخذ نصر الملك إلى كل الشعوب والأمم والألسنة الساكنين في الأرض كلها ليكثر سلامكم/٢ الآيات والعجائب التي صنعها معي الله العلي حسن عندي أن أخبريها/٣ اياته ما أعظمها وعجائبه ما أقواها ملكوته ملكوت أبدي وسلطانه إلى دور فدور.

وهكذا حلم بختنصر حلما بأن شجرة عالية وعظيمة وكثيرة الثمر يأكل منها الجميع ويستظل تحتها حيوان البر وتتفيؤا ظلال أغصانها طيور السماء وقد صرخ قدوس سماوي بقطع الشجرة ويترك جذرها ليخرج ثانية ويبتل بندى السماء ويكون مع الوحوش ليتغير قلبه وليعرف الانسانية لسبعة أزمنة يعرف فيها أن الله يرفع من يشاء ويخفض من يشاء.

وطلب إلى دانيال تفسير الحلم ففسر له الحلم بأن الشجرة هي بختنصر نفسه وأن قطع الشجرة سيكون طرد الملك من مملكته لسبعة أزمنة ليأكل من أعشاب الحقل وليبتل بندى السماء ويعيش مع حيوان البر تلك الأزمنة السبع ليتعرف على حقيقة الله وكم هي تلك الأزمنة يا ترى؟

الماسونية ومولدها

لقد ولدت الماسونية هناك في أرض بابل حيث تجمع الأمم انذاك وهناك رتبها حكماء اليهود الذين عرفوا الناس شعوبا كثيرة في موطن واحد ورتبت على أساس لا يمكن هدمه لأن الأساس لا يمكن معرفته ليهدم وكان أول نتاجها قتل بيلشاصر إن لم يسبقه البيات ضد بختنصر نفسه.

لقد كانت في تلك البلاد تجمع اليهود دون غيرهم ثم تطورت أو هي هناك بعد القضاء على الآشوريين صار تطورها للمحافظة على اليهود والعمل لصالحهم وأصبحت عالمية يظن أنها لخير الانسانية عامة بخطأ الظن لأنها بالتأكيد تتلقى الأوامر والتقارير من مجلس يهودي سري يأتي بها من ادارة لا يعرف أفرادها أي إنسان ولو كان والد العضو أو ولده أو زوجته أو أي صديق له ولو عرف لأعدم وقد ذكر بعض هذا الأستاذ جرجي زيدان في كتاب أورواية فتح الأندلس.

وقد حافظت على نفسها لقرون كثيرة وهناك ظن أن منشئها الأول على يد موسى في مصر ثم اندثرت بعد الخروج ولكنها ظهرت ثانية في المنفى وفي اخر الأمر أنجبت إبنتها العزيزة الصهيونية لقد كانت في مصر عامل خير تعمل للمظلومين ثم كانت في بابل أيضا لصالح القوم قصد العودة من المنفى ولما عاد القوم إلى فلسطين عملت لإعمار المتهدم بإخلاص لمدة وجيزة ثم تسلط عليها المجددون وبدأت تفعل لصالح المتسلطين ولما شردوا من فلسطين على يد الرومان جعلوا لها ظاهرا وباطنا فالباطن منتقى من كل أسباط اسرائيل بحسب الظن من كل سبط رجل ينتقي قبل

موته رجلا كخليفة له فيعطيه الرموز والاشارات والعلامات التي تخوله الدخول مكانه بعد موته فهم اثني عشر رجلا ينتخبون الرئيس لفترة معينة وأمين سر لا بد منه واجتماعهم كل خمس سنوات أو عشر سنوات مرة تدوم لأيام يصدرون فيها الأوامر لمجلس أوسع لا يقل عن الستين عضوا تستقبل ولا تعترض ومهمتها تصدير تلك المقررات بصيغة معقولة مقبولة وتهيئة الجو المناسب لإنباتها وإثمارها فتصل إلى المحافل الماسونية التي تحمل بظاهرها معاني الانسانية ولا يدري عضوها المسيحي أو المسلم أو الوثني غاية ما يوحى أو ينفذ فكم من مذهب أدخلوه في دين فمزقوه وكم من مذهب سياسي خلقوه فغايروا به مذهبا اخر أوجدوه من قبل وكم من ثورة اشعلوا نارها وفتنة نفذوا منها وفيها ما جر البلاء وأوصل الفناء وكأن الناس في نوم عن كل هذا يغطون وفيهم أساطين العلم ومخترعوا الالكترون كأنهم لا يوجدون إن اتفاق اليهود مع الفرس ضد الآشور والكلدان يبدأ بالقضاء على هؤلاء أولا وتسلم السلطة إلى داريوس الشيخ المادي ثم تنقل بطريقة حبكوها إلى كورش ويتسلم الفرس السلطة فيرجعون إلى فلسطين كل من أراد الرجوع من اليهود إلى أرض اللبن والعسل مع جميع ما فقد من هيكلهم وبلادهم وتكاليف الرجوع من دولة فارس ويكون اليهود حلفاء للفرس أبدا.

وتسلم كورش السلطة ونفذ لليهود جميع المتفق عليه فأرجع الاسرائيليين إلى فلسطين وقدم لهم وسائط النقل من جمال وبغال وحمير وأرجع لهم أواني الذهب والفضة والنحاس التي كانت قبل السبي في الهيكل. لقد صار اليهود حلفاء طبيعيين للفرس الذين ورثوا أملاك دولة الآشوريين حتى دخلوا مصر وصار اليهود محطة تموين ومصدر معلومات لحلفائهم الفرس في كل بلد وجد فيه اليهود.

لقد صار الوالي على اليهود من اليهود أنفسهم فعمروا الهيكل وعمروا مدينة أورشليم بعد مدة طويلة حيث قدم لهم الفرس الكثير الكثير من الأموال والحماية إذ ليس لليهود انذاك رجال قتال إنما للحراسة فيما بينهم فكأنهم محمية فارسية فقط.

كان الأسر للاسرائيليين عقابا ودرسا قاسيا فلو حفظوه لحفظوا أنفسهم وعودتهم تجربة لمفهوم الدرس وتطبيقه فهل اتعظ القوم بما مر عليهم من ذل وإذلال ومحن وبلاء دامت سبعين عاما فهل عرفوا فيها كيف تجب معاملة الجار وحسن التعامل.

عاد القوم إلى وطن سكنه أجدادهم فهذا عندما وصل بلدا ينتسب إليها وجدها خرابا يبابا كأن لم تعمر بيوم وذاك لم يعرف قرية أجداده لتهدمها وإحراق ونهب كل شيء منها وفيها وبدأ البناء بحماية الجيش الفارسي وأخلص لهم الفرس حسب اتفاقهم وساعدوهم بكل ممكن تماما كما

فعل البريطانيون الآن معهم وما أشبه اليوم بالبارحة إتفاق دانيال ووعد بلفور ذاك اتفق مع كورش وروتشيلد مع بلفور وكورش ساعد القوم بكل ما استغنى عنه والانكليز ساعدوا اليهود بكل ما استغنوا عنه الفرس حموهم من الفلسطينيين قبلا والانكليز حمو اليهود من الفلسطينيين ولكل ليل نهاية طالما الأرض تدور.

لم ينفع درس السبي إلا لفترة وجيزة ثم عاد القوم إلى ما كانوا عليه قبل السبي بل ولأشد من موبقات عصر أجدادهم فقد عرفوا موبقات الأقوام الأخرى واستعملوها.

والمهم أنهم لم يجدوا التوراة التي أنزلت على موسى عندما أرادوا العمل بموجبها فقد أحرق كل مخطوط لليهود قبل السبي عندما حكم الأشور واحتل القوم جميع يهوذا قبل هدم الهيكل ونفي الشعب ومليكه إذ أنهم لم يتركوا من كتابة على حجر أو على ورق أو على قماش فكل هذا أحرق

وكان القوم أي اليهود قد تناسوا كل ما يتصل بالدين في غمرة التسابق على أمور الدنيا ولذائذ الحياة فكان أن تسابق الكتاب في تدوين ما يدور في رؤوسهم مما أخذوه عن أجداد وجدات من أفواههم ليدونوا ذاك الذي كان على ألسنة العامة فخلطوا الصحيح الواحد بالعلل الكثيرة فضاع الصحيح في لجج الأسقام وتابع الناس هذا الذي وصل إليهم على أفواه زعمائهم وقادتهم.

لقد أريد من وراء هذا المدسوس الغاية التي ذكرت فيه فقتل موسى للنساء والأطفال يصبح تشريعا يحق لكل يهودي أن يقتدي به إذا سمحت له الظروف وقتل داود للنساء والرجال والأطفال والتمثيل بهم كجعلهم تحت النوارج وضربهم بالفؤوس وحرقهم بالأتون يعطي اليهودي حق الاقتداء.

الناس عند الله سواسية في الثواب والعقاب.

وتحريم الأنفس ففي الأراضي المحتلة من قبلهم كما فعل موسى ببلاد الأموريين بما ذكر الكتاب وما فعل خليفته يشوع في «أريحا» و«عاي» وما جاورهما من تحريم أهلها «أي يحرم كل مخلوق فيها أن يبقى حيا» من الرجال والنساء والأطفال حتى الأنعام بأصنافها.

لقد جاء هذا في كتابهم العهد العتيق وأعيد فيه مرارا وتكرارا وأوجبوا على أنفسهم فعله لأنه ورد في ما يسمونه التوراة وأنه فعل أنبيائهم فمن اقتدى بنبيه فلا شيء عليه بل ينال الثواب على كل فعل وحشي يقدر على فعله فلا ضمير ولا تأنيب إلا إذا كان الفعل بحق يهودي.

نحن لا نصدق هذا ولا يمكن أن يصدق أنه من أمر الله أو من فعل أنبيائه مهما كانت درجة النبي أو من مع النبي إنما جاء هذا من بعد رجوع القوم من السبي فكرهوا بني الانسان واستحلوا دمه لأنه ليس بيهودي حتى ويرفضون منه أن يتهود إلا ضمن شروط ووقت.

لقد استغل القوم حماية الفرس لهم فأرادوا إفناء القوميات الأخرى الموجودة في أرض فلسطين دون أن يتحملوا مقابل ذلك تضحية إنما تحت ظل الحراب الفارسية.

لقد أراد الكاتب أن ينتقم من القوميات التي بقيت في فلسطين لم تسب فكثرت ونمت أما هم فإن كل من نجح في الحياة بغير أرضه لم يعد إلى فلسطين إذ لم يعد إلا من ضاقت عليه سبل العيش فكان العائدون قلة بين القوميات أو العشائر الأخرى فكتب الكاتب وأوجب التحريم فعلى كل ذي عقل أن يسأل نفسه ويطرح السؤال على الآخرين فيقول لم خلق الله الانسان والجواب: ليعمر الأرض في عقله وعمله وهو نفس الجواب في كتاب الله القران الكريم ففي سورة الذاريات الآية/٥٦: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ الجن والإنس ليس اليهود فقط.

إن كل عمل يعمله الانسان ضمن حدود الشرع عبادة حتى إذا جلس يأكل من حلال عبادة وإذا اضطجع مع زوجه عبادة وإلا لم خلق الله الخلق؟ ولم جعل له العقل؟ والجواب ليتميز الانسان عن غيره من المخلوقات الأخرى ولمَ أيضا؟ والجواب ليعمل به ما يستطيع لخيره وخير الانسانية جمعاء ثم ليعرف أن عمل دنياه يتعلق باخرته والله جل وعلا يقول: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾.

لقد خلق الله جل وعلا هذا الانسان على رتبة واحدة وأراد له أن يصل إلى الغاية المرجوة له والمقدرة لبني ادم أن يعملوها وليجزى كل فاعل بما فعل كما هي حالته بدنياه.

فهل يخلق الله أطفالا منظرها يأخذ بشغاف القلوب كأنها الأزهار التي بدأت تتفتح ثم يسمح لآخر كالوحش خلقة وشكلا كحجر متحرك أو كشيطان مرعب يتقدم إلى تلك الأطفال بلا رحمة قد أمسك بسكينه أو يذبح ويدوس ويحرق بالأتون تلك الأطفال!.

وقدس هذا الكتاب وأخذ به وأنشأ أعداء الانسانية وأعداء الخالق دولة تقوم على أساسه أي أساس هذا الكتاب فوالله لا فضيلة عند الله لمن امن بصحته وأنه من الله.

فالتوراة كتاب أنزله الله وأملاه على موسى النبي عليه السلام وأنزل عليه فيه تشريعا يحوي سعادة من عمل به وفيه من الانسانية ما ليس في أفعال وقوانين الأمم السابقة أو المعاصرة وقد

كانت الحاجة فيه لمثل ذلك العصر ودليل ذلك استهجان التوراة لفعل فرعون بأبناء الاسرائيليين وقتلهم عند ولادتهم مع أن ذلك أهين من إلقاء الرعب في قلوب من يريدون قتله من طفل وفتى وفتاة فهل يصح هذا؟ أليس هذا بكاف لدحض مفترياتهم؟.

نعم أنزل الله عليه التوراة جمع فيها كلمتهم ووحد صفوفهم لينصف مظلومهم ويطعم جائعهم ويحمي أموالهم وأعراضهم فمثلا التوراة تقول «لا تزن» فمعنى ذلك لا تزن مع اليهودية وحسب وازن مع غيرها ويبيح ذلك؟ التوراة تقول «لا تقتل» ترى هل أرادت لا تقتل اليهودي فقط واقتل من شئت غيره؟ والتوراة تقول «لا تسرق» فهل أرادت لا تسرق اليهودي واسرق من شئت غيره والجملة التي تقول/٢٠ للأجنبي تقرض ربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا. إنها جملة مدخلة ولا ريب فكلامها لا يتناسب مع سابقه وحتى الذي بعده فالله للجميع وقاتل العمد يقتل إلا في حالة الحرب المشروعة وليست الظالمة فلا يقتل الأسير الذي يعطي العهد بأن لا يقاتل ثانية.

وفي الحروب الدينية كان يعرض على الأسير دخول الدين فإن أبى يقتل فإن أطاع عفي عنه أو قتل وقتله لأسباب سابقة لا يؤمن جانبه وفعل ما أوجب القتل أويفدي نفسه إذا تلك هي أقوال من التوراة توصي بكل ما هو خير ولا تقبل فعل الشر من أي كان.

إن القوم بعد رجوعهم من المنفى تركوا السنحدرين يدير شؤونهم فترة فقام بعمله خير قيام فبدأ البناء بحماية الجيش الفارسي وبقوا على هذا قرابة قرن من الزمن ولم يتفقوا فيه على ملكية أو أي نوع من شكل الحكم إنما قضاء كعهد القضاة تحت ادارة الفرس ولم يؤلفوا جيشا وكثر الخلاف والدس بينهم حتى جاء عهد الاسكندر الكبير المقدوني الذي حطم دولة الفرس وقضى عليها تماما وفتح سواحل البحر الأبيض وبنى المدن على سواحله وسماها باسمه تقريبا ففي مصر الاسكندرية وفي ساحل الشام الاسكندرونه

إن الاسكندر المقدوني ليس هو ذو القرنين فذلك أعمق عهدا بكثير وأقدم زمنا والله أعلم وقد سكن الجميع لحكم الاسكندر ولكن لم يطل زمانه فقد مات مبكرا عندما قفل راجعا من حرب الهند وفارس.

الأمم في السابق اما أن تكون غالبة أو مغلوبة فإذا أمة غلبت الأخرى وحرمتها فقتلت الرجل والمرأة والطفل وتأتي أمة أخرى فتفعل نفس الفعل مع الأخرى فهل يسمون ببني الانسان؟.

أريحا بلد يعيش أهله فيه كما يعيش جميع الناس في بلادهم فمن أراد احتلال بلدهم منعوه من ذلك اذا استطاعوا فإذا عجزوا يستسلمون للمعتدي وهذا بدوره يعاملهم بما لديه من تشريع متفق عليه ومعلوم للطرفين أو على الأقل لأهل التشريع.

لقد دخل يوشع أريحا فما ذنب أطفالها وصغارها حتى يذبحون ذبح الخراف وهل هذا صحيح؟ طبعا لا ونقول لا لأن يوشع خليفة نبي مرسل يسير بإلهام ووحي والله رب الجميع الغالب والمغلوب.

لقد أرسل موسى إلى فرعون من قبل الله لهداية فرعون إلى عبادة الله الواحد وليكف عن استعباد البشر من القوميات الأخرى فإن أبى يسمح للغرباء بالخروج من بلاد مصر أي يعتقهم وطال الأخذ والرد بين موسى وفرعون وكان فرعون يذبح أطفال الغرباء الذكور سنة ويتركهم سنة أو سنتين خوفاً من نمو القوم فيكاثروا المصريين في بلادهم ولكنه لم يمنع رجلا عن امرأته أو امرأة عن زوجها ولم يحرم منهم قرية أو بلدا فكم كانت شرائع فرعون رحيمة وعادلة ومع ذلك استحق الهلاك على أفعاله.

لقد خرج موسى مع بني اسرائيل من مصر لأرض فلسطين التي خبرها حين كان في أرض مدين وربما كانت حملة رعمسيس على بلاد الشام وحربه في العهد الذي كان فيه موسى بأرض مدين وعرف اتفاق الطرفين الذي نص على جعل فلسطين خالية من المقاتلين من الطرفين ويحق لكل جماعة صغيرة أن تعيش فيها بمعايشة أهلها فلا يسيطر عليها الفراعنة ولا يسيطر عليها الحثيون كأرض منزوعة السلاح ولا تتصادم قوى الدولتين الكبيرتين انذاك.

لقد خرج موسى مع بني اسرائيل ومن حالفهم من الأغراب والجميع لا يزيد عددهم عن عشرات من الألوف قد لا يزيد عن ثلاثة أو أربعة أو خمسة إذا غالينا في الكثرة الرجال والنساء والأطفال وهذا عدد كبير وكبير جدا على اثنين وسبعين نفسا نموا في مدة مائة وخمسين عاما ولا زيادة عن هذه المدة وطلب موسى من بني اسرائيل أن يدخلوا أرض فلسطين الذين منعهم أهلها من الدخول خوف التخريب لأنهم كثرة عن المألوف الذي لا يصل عددا إلى الألف فأرادهم موسى على الدخول عنوة عن المانعين فرفض الاسرائيليون الذين لا يعرفون القتال ولا يحملون السلاح مع أن موسى كان يعرف الاتفاق ويعرف من هم أهل فلسطين وأنهم قوميات شتى وليس بينهم تألف واجتماع على غاية واحدة.

ولذا ضرب الله عليهم التية أربعين سنة في صحراء سينا بل وارتحلوا شرقا وجنوبا في البادية وأنزل الله لهم فيها المن من نتاج الأرض وطير السلوى أو نقول القطا عاشوا عليه حتى عافته

أنفسهم فطلبوا من موسى الدخول إلى المعمور ليأكلوا من نتاج الأرض الحبوب والخضار والبقول فدخل بهم جوانب الأرض في جنوبي الأردن وخالطوا الناس فوافقهم البعض من أهل الأرض فصارت تحدث مصادمات يقتل فيها الرجل والاثنان والعشرة وربما عظمت فيقتل فيها المائة وهذا كثير ومضى على هذا أربعين سنة ومات هرون ومات موسى وقد كثر القوم حتى صارت مقاتلتهم عشرة الاف تقريبا إن لم تكن أقل من ذلك واستخلف موسى يشرع الذي دخل ببني اسرائيل أريحا والذين منعوه من الدخول أعواما ولم تكن مقاتلة أريحا لتزيد عن بضعة الاف أي دون العشرة فغلب يشوع أهل أريحا ودخل الأرض ولم يهدم لها سور انذاك ولم يقتل النساء ولا الأطفال بل دخل الأرض ورعت أنعام بني اسرائيل في الأرض وقاسم أهل أريحا وما حولها نتاج أرضهم وكانت مقاطعة أريحا ومقاطعة عاي لكل منهما حاكم اقطاعي فلم ينصر من الآخرين.

وبقي يشوع في هاتين المقاطعتين حتى مات وتوسع القوم قليلا إلى مدة كما هي حالهم اليوم في كل فترة يدخلون الأرض بقدم ولكنهم كانوا يصعدون حتى أنهم غلبوا على الأرض التي دخلوها وسبيت ذراريهم بعد خمسين أو ستين عاما من دخولهم أرض فلسطين حتى صار عصر طالوت وأعقبه داود.

وانقسم الاسرائيليون بعضهم مع داود وبعضهم مع طالوت وانضم بعض الفلسطينيين إلى بعض في حرب طالوت وأغمض داود ومن معهم أعينهم عن تلك الحرب التي انتهت بقتل طالوت وأبنائه واجتمع الاسرائيليون والفلسطينيون على داود وملكوه عليهم فأصلح بينهم وصالحهم حتى وأدخل بني عمون والأدوميين والمديانيين بسياسته تحت لوائه.

ومضى داود إلى بارئه وتسلم الأمر سليمان فكان أكثر حكمة وسياسة وعلما من أبيه وقد رضي به الجميع ملكا فتملك فلسطين مع بقاء إقطاعياتها وكذلك الجنوب ولم يحارب أو يحارب من أحد حتى مات ولم يقبل من اليهود مشاريع الاجلاء أو الافناء لأهل فلسطين ومات وأهل فلسطين أكثر بكثير من اليهود والآراميون على وفاق معه لم يقاتلهم أو يقاتلوه وأهل الساحل على وفاق معه أيضا وصاهرهم وساكنهم فغضب اليهود زعماؤهم من سليمان وظغنوا عليه وليس أدل على هذا من وصمة بعبادة الأصنام وأنه صار للنساء عبدا ومن ثم قسمت الملكة بعد موته بأربع سنوات فقط فكان معه سدس القوم ولم يفلحوا من بعده أبدا ولم يمض نصف قرن حتى قهرهم الآراميون وأخذوا حتى أيلة على البحر الأحمر ولم يتم القرن حتى أدو الجراية للآشوريين.

لقد سلط الله الاسكندر على جميع الممالك القديمة انذاك إذ أنه خرج من مقاطعة مكدونيا في جيش ذكر أنه لا يتجاوز الأربعين ألفا فاحتل اسيا الصغرى ثم الساحل السوري وأمن

المواصلات إليه من البحر وحاصر مدينة صور وطال حصاره لها وقيل أنه امتد لسبعة أشهر وهي المدينة الوحيدة انذاك في العالم الذي وصل إليه قد صمدت للأسكندر تلك المدة ولم تعسره مملكة غيرها ثم هدمها بعد ذلك ويظن أن أكثر جندها استطاع الفرار في السفن الفينيقية الشهيرة آنذاك.

وكان قد بنى الاسكندرونة للتجمع والتموين ثم المنطلق وتقدم حيث طرد الفرس من مصر واستولى عليها وبنى مدينة الاسكندرية وعاد إلى فلسطين وسورية فالعراق وكان قد كسر وشتت جيوش الفرس في آسيا الصغرى وما حولها ثم تجمعت جيوش الفرس ثانية في شرقي العراق فضربها ثانية وتقدم ليقضي في معركة فاصلة على دارا ملك الفرس انذاك في أواسط بلاد فارس.

قد لايرى التاريخ مثيلا لهمة الاسكندر فعلى قلة جيوشة لم يتراجع عن محاربة مملكة الهند المترامية الأطراف والكثيرة الغابات والوحوش وكثرة أهلها وانتصر عليهم وعاد أدراجه وقد جعل لكل اقليم احتله واليا من قبله يذعن له بالطاعة ويرسل إليه بعض الأموال ولما وصل أرض بابل مرض وكانت منيته ولم يثمر ولدا فتقاسم القادة مملكته تلك فكانت مصر من نصيب بطليموس أحد قواده وكانت بلاد الشام من نصيب سلوقوس وكانت العراق وفارس لها تبعا فقد بنى مدينة أنطاكية وجعلها مقر مملكته.

لقد سجل التاريخ من حيث هو التاريخ حروب الاسكندر وفتوحات الاسكندر والمدن التي بناها الاسكندر ولا تزال اثاره ظاهرة وبناؤها عامرا وليس لها من التقديس شيء ولم يغمض أمر بنائها على أحد فأين أثار القوم؟ أنظر إليها تراها في الكتب قد ذكرت وعند البحث ما وجدت إنما هي أدعاء وعلى الانسانية افتراء ولم يقبل الشعب المختار باليونانيين سادة للأرض بدلاء عن الفرس وبادلهم القوم بعضا ببعض حتى وأهملوا شأنهم وقهروهم.

وأراد السلوقيون جعل الديانه في مملكتهم واحدة وعملوا على هذا ولكن جهودهم لم تفلح فكل قومية لها اعتقادها وصارت في اليهودية من فلسطين احتجاجات واستغلها يهوذا المكابي وصارت نزاعات في جميع المدن التي يسكنها يهود فقمعها اليونانيين بالقوة فخرج يهوذا إلى البر ليتخذ الغابات له سكنا ويهاجم الجنود اليونانيين كما هي حرب العصابات بل هي نفسها إذا انتصر تقدم ودخل المدن وإذا داهمته قوى كبيرة فر مع رجاله إلى الغابات أو إلى البادية وقد ذكر سفر المكابيين الذي هو مذكور في النسخة الكاثوليكية أنه كان يذبح من اليونانيين عشرات الألوف حتى وفي بعض المعارك مئات الألوف ولا ندري كيف ترجم هذا ورضيه عقل أبناء اليونانيين أنفسهم.

لقد جعل من يهوذا المكابي أسطورة عهد السلوقيين فقد قتل مئات الألوف من الجند اليوناني ولكنه ينسى فيذكر أن يهوذا هذا يعيش محاصرا في الجبال ثم يعود فيضفي عليه القوة الالهية فيقتل مع جنوده المئات أو العشرات فيذكرها الكاتب عشرات الألوف من جند السلوقيين.

وينسى فيذكر خصومه من اليهود وأن جل الشعب معهم لقد ذكر مدنا في فلسطين تحرسها حاميات يونانية بل جميع مدن فلسطين ثم ذكر أن جيوش ناثان المكابي غزت تدمرا

إن الأمر في هذا واضح جلي وذلك أن يهوذا وأخاه كانا مطالبين من ولاة البلاد لإخلالهما بالأمن ففرا إلى الجبال مرة والى البادية مرة ومعهما كل خارج على القانون وهؤلاء يطلبون معاشهم مع أسرهم من الغزو والنهب والسلب فيهاجمون الجنود القليلة أو القوافل التجارية أو عشائر البدو الذين لا يؤونهم فينهبون البيوت والخيام ويطلبهم أولئك وربما أدركهم فجردوهم من غنائمهم وقتلوا منهم.

ولكن الكاتب أبى إلا أن يقلد من سبقه من كتاب العصر الذي سبقه متأثراً بما كتبوا ولم يجد سوى سيرة المكابيين فجعلها على غرار قصة جدعون وقصة شمشون ولكنه لم يذكر فيها نبوات بل معجزات وربما كان كاتب السفر الثاني ليس كاتب السفر الأول لأن السفر الثاني يحوي كثيرا من معارك وحوادث السفر الأول.

ومن فكر في حوادث السفر الثاني يجد أن المكابي يسعى لإرضاء الملك وأن الحروب المزعومة ليست سوى فتن وقلاقل وكأنها تنازع على السلطة الداخلية بين اليهود أنفسهم فهذا حزب المكابيين الذي يقلد أعمال داود بلا جدوى والآخر حزب اليهود الذين يريدون الأمن والسلام ويعلمون أن الفتن لا تؤدي إلا إلى الخراب.

ولكن الكاتب جعل تلك الأحداث بطولة وعشرات القتلى جعلها الافا وجل الكتاب مر على هذا النحو ولكن أثار السلوقيين لا تزال على الساحل السوري وفي البلاد وكانت دولتهم مستتبة أوضاعها حتى جاء الرومانيون وكانت الحروب التي دارت بين الروم واليونان ولم يسمع فيها بصوت واحد لليهود وانتصرت دولة الرومان لاختلاف اليونانيين أنفسهم على الملك لقد ذكر سفر المكابيين أن الحزب المكابي أرسل رسلا إلى روما عاصمة الروم انذاك يدعو الروم إلى احتلال بلاد الشام ويرغبهم بالمجيء ويعدهم بالمساعدة.

إن الرومانيين لم يكونوا بحاجة إلى من يحثهم على المجيء فهم يتشوقون إلى ذلك ولكن متى سنحت الفرصة وواتت الظروف وهم أمة توسع وتسلط.

وتعددت الرسائل مع الرسل بين الحزب المكابي وبين الرومانيين وأرسلوا مفاوضا إلى روما بصدد ذلك وظن القوم أنهم يستعيضون عن الفرس بالروم ولكن خاب ظنهم لأنهم كانوا بهذا يحفرون قبورهم بأيديهم فقد جاء الروم وملكوا وأرادوا فرض غايتهم التي يرونها صالحة في قوانينهم وأرادوا نشرها في جميع أنحاء الامبراطورية فرفض اليهود هذا يظنون أنهم أحلاف وأن لهم الميزة عن غيرهم وكانوا بالطبع يحتقرون الروم لوثنيتهم وكانوا يعرفون ان الروم أيضا يحتقرونهم لأنهم حسب قوانين الروم وتربيتهم الاجتماعية أهلا لذلك.

ورضي الروم بترك القوم في عيشهم وذلك يكون على حساب الشعب اليهودي فقسمت فلسطين أرباعا فجعلوا ربعا تحت ادارة الكهنة في أورشليم وما حولها وربع الجليل يحكمه ملك يوناني الأصل لأن الساحل ·جله من أصل يوناني وبقية فلسطين من أقوام شتى والكثرة منهم من العرب المستعربة والمتجمعة من بقايا القبائل الأخرى.

وكان للملك اليهودي اليوناني الذي لا يقيم للدين أي وزن سلطة في بعض الأمور على أورشليم وعليه أن يسلك المسلك اليهودي.

أما الكلمة الأخيرة في البلاد فهي إلى الوالي الروماني وتوطيد الأمن ولليهود حكم بعضهم وادارة شؤونهم وجباية الأموال وتقديم حاجة الجند الروماني منها أولا وما تبقى منها تصرفها الكهنة بعد إعطاء الملك قسمة أوفر.

ليس لليهود أي سلطة على غيرهم من القوميات الأخرى فاليهود أقل من ربع سكان فلسطين انذاك وجلهم وأكثرهم في منطقة أورشليم المكتظة بالسكان لحج يهود العالم إليها وإنفاقهم فيها واللغة المستعملة انذاك أكثر من غيرها الآرامية.

وبقي اليهود على هذا فيهم المؤمنون وفيهم الفسقة حتى جاء عصر الميلاد وكان فيهم من يطمع بدولة خاصة بهم واستقلال تام وكان ملكهم واسمه هيرودس الثاني وأبوه هيرودس أيضا وفي عهده ولد نبي الله يحيى ونبي الله ورسوله عيسى عليهما السلام.

وقد جاء في الأناجيل أن هيرودس الأصغر هو الذي قتل نبي الله يحيى لإرضاء إبنة أخيه فيلبس واسمها سلومه والله أعلم.

/١ وهذا ما جاء عن قتل يوحنا عليه السلام وذلك في انجيل متى الاصحاح الرابع عشر/٢ في ذلك الوقت سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع/٢ فقال لغلمانه هذا يوحنا المعمدان . قد قام من الأموات ولذلك تعمل به القوات/٣ فإن هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه

وطرحه في سجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه/ ٤ لأن يوحنا كان يقول له لا يحل أن تكون لك/ ٥ ولما أن أراد أن يقتله خاف من الشعب لأنه كان عندهم مثل نبي/٦ ثم لما صار مولد هيرودس ـ أي عيد ميلاده ـ رقصت ابنه هيروديا في الوسط فسرت هيرودس/٧ من ثم وعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها/٨ فهي إذ كانت قد تلقنت من أمها قالت إعطني ها هنا على طبق رأس يوحنا المعمدان.

/ ٩ فاغتم الملك ولكن من أجل الأقسام والمتكلمين معه أمر أن يعطي/ فأرسل وقطع رأس يوحنا في السجن/١١ فأُحْضِرَ رأسه على طبق ودفع إلى الصبية فجاءت به إلى أمها/١٢ فتقدم تلاميذه ورفعوا الجسد ودفنوه ثم أتوا وأخبروا يسوع.

/١٣ فلما سمع يسوع انصرف في سفينة إلى موضع خلاء منفردا أي من الجليل ركب في سفينة كانت في بحيرة طبريا فسمع الجموع وتبعوه مشاة من المدن.

إن من دخل إلى المسجد الأموي في دمشق يرى مقاما ذكروه لنبي الله يحيى ترى ما معنى مقام نبي الله يحيى؟ هل هو مدفون في ذلك المكان أو أن رأسه الذي أخذته الصبية سلومه إبنة فيلبس على صينية إلى أمها جائزة رقصها؟.

ترى من أين أخذ المسلمون هذا الخبر والعلم هل هو من كتاب الله أو من حديث رسول الله أم شهود عدول رأوا هذا وشهدوا على وجوده فصنعوا له هذا المقام ودعوا له على المنابر حيث قالوا إلى من نحن في جواره وتحت أعتابه نبي الله يحيى فما نقول لهذا إلا كما قال ﷺ: «لتحذن حذو من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى إذا دخلوا جحر ضب دخلتموه».

وقد طلب اليهود من هيرودس أن يجبه عيسى فلم يقبل.

لقد مرت على اليهود فترة ذهبية لم يستفيدوا منها سوى الضغينة فيما بينهم وتلك هي اخر أيام داود وعهد سليمان ودل على الضغينة تلك انقسامهم فورا بعد موت سليمان وكأن تلك الفترة لم تكن ولكنهم نسبوها لهم كاملة ليس لغيرهم فيها نصيب.

ولكن الحقيقة التي أخفيت عن مسامع الناس وعيونهم هي أن داود كان مملكا من جميع قوميات فلسطين ولهم النصيب الأوفى في تمليكه ثم عاضدت تلك القوميات سليمان حتى استتب ملكه دون إخوته وعرف لهم فضلهم وأكثرهم من العرب ودليل هذا وصول ملكة سبأ إليه لصالحها وصالحه في أجرة حماية التجارة في البحر الأحمر وصالحه في تأمين الوصول.

وأراد اليهود من سليمان القضاء على القوميات في فلسطين ولم يتجاوز ملكه التجاوز الصحيح حدود فلسطين وقومياته وذلك باتفاق الجميع فرفض هذا لأنه يعرف تماما أن اليهود لا يجتمعون عليه وصح هذا من حدث سليمان ودليل هذا ما جاء في الاصحاح الثاني عشر من سفر الملوك الأول/١ وذهب رحبعام إلى شكيم لأنه جاء إلى شكيم جميع اسرائيل ليملكوه/٢ ولماسمع يربعام بن نباط وهو بعد في مصر لأنه هرب من وجه سليمان الملك وأقام يربعام في مصر/٣ وأرسلوا فدعوه أتى يربعام من مصر وأتى يربعام وكل جماعة بني اسرائيل وكلموا رحبعام قائلين/٤ إن أباك قسّى نيرنا وأما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك/٥ فقال لهم إذهبوا إلى ثلاثة أيام أيضا ثم إرجعوا إلي فذهب الشعب.

/٦ فاستشار الملك رحبعام الشيوخ الذين كانوا يقفون أمام سليمان أبيه وهو حي قائلا كيف تشيرون أن أرد جوابا لهذا الشعب/٧ فقالوا له إن صرت اليوم لهذا الشعب عبدا وخدمتهم وأجبتهم وكلمتهم كلاما حسنا يكونون لك عبيدا كل الأيام/٨ فترك مشورة الشيوخ وكلم الأحداث الذين نشأوا معه/٩ فكلمه الأحداث قائلين له تقول لهم إن خنصري أغلظ من متن أبي/١١ وأبي حملكم نيرا ثقيلا وأنا أزيد على نيركم أبي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب.

لقد كان اليهود يكتبون ولم تكن قوميات فلسطين والعرب بكاتبين لقد أثبت اليهود حقوقا وضاعت حقوق الآخرين وطال الزمن ونسي الأمر وهذه أثار العرب في جنوبي البحر الميت ومن شرقيه أكبر بكثير من أثار اليهود في فلسطين ولكن الفاجر أكل مال التاجر.

كان الرومان من عبدة الأوثان وقد أعطاهم الله أكثر مما أعطى اليهود بألف مرة ومن قبلهم كانت دولة فارس أهم بكثير من اليهود وكان الآشوريون عبدة الأوثان أعظم بمئات المرات وكانت الأمم من قبل ومن بعد وأهم وأعظم من اليهود بمئات المرات ولم يعدهم الله بشيء ولم يقدسوا ولم يقولوا نحن شعوب الله المختارة وقد ملكوا فعلا لا قولا من الفرات إلى النيل فيا معشر الأمم غير اليهود عودوا إلى صوابكم وفي يوم من حكم الروم لفلسطين أراد اليهود أن يجربوا حظهم مع الروم كما فعلوا مع السلوقيين ولكن الروم كانوا أقسى بكثير من اليونانيين فكان تأديبهم مرا حتى كانت السنه السبعين للميلاد ميلاد عيسى عليه السلام فقاموا في القدس وما حولها بثورة عارمة على بعض جند الرومان وقتلوا منهم عشرات وظنوا أنهم يحسنون صنعا ولو كتب كاتبهم الذي كتب عن المكابي لنصر المكابي على الروم ولكنه لم تتح له الفرصة لأن الروم لم يتركوا من اليهود في أورشليم رجلا واحدا حيث قتلوا كل من عمل في الفتنة ونفوا من بقي من اليهود وتبعهم جميع

يهود فلسطين وشردوا دون نفي وخلت منهم فلسطين أكثر مما خلت في عهد الآشور والنفي وظل الأمر على هذا حتى عصرنا مما جعل العرب يفتحون فلسطين ولم يكن فيها من اليهود أحدا.

لما جاء العرب إلى فلسطين لم يكن فيها ولو قرية واحدة من اليهود والتاريخ يتحداهم في هذا حتى جلوا من اسبانيا فحمتهم تركيا انداك ونزل بعضهم في فلسطين أسر صغيرة في مدن فلسطين بين السكان العرب لقد ترك اليهود فلسطين وهاموا على وجوههم وكانوا يُقْتَلُونَ في كل وجه توجهوا فيه لأن الرومان أرادوا هذا وشجعوا عليه فحماهم العرب في أذرعات والأردن وهام بعضهم على وجهه إلى داخل بلاد العرب فقطعت بهم الأسباب وتشتتوا في المغاور وخبر العرب أمرهم فجاؤا إليهم من كل صوب يحملون الماء والطعام وأنقذوهم حتى وصلوا تيماء وآووهم حتى عرفوا أين هم وجعلوا يتمددون إلى الداخل فتعرفوا على خيبر ووصلوها وساكنهم أهلها وأضافوهم حتى طابت نفوسهم.

ماذا كان قول أشعياء وتنبؤه ففي الاصحاح الحادي والعشرين من سفره جاء هذا/١١ وحي من جهة دومة/ صرخ إلى صارخ من سعير يا حارس ما من الليل يا حارس ما من الليل/١٢ قال الحارس أتى صباح وأيضا ليل إن كنتم تطلبون فاطلبوا إرجعوا تعالوا/١٣ وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين/١٤ هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبره/١٥ فإنهم من أمام السيوف هربوا من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب.

التوراة الصحيحة التي أنزلها الله على رسوله موسى بن عمران تحوي الأحكام الصحيحة لعصر كانت فيه أو كان فيه نزولها حتى عصر عيسى عليه السلام ليتبع الجميع عيسى فتدون أحكامه ينفي عنها أي عن التوراة ما ألصق فيها ولكنهم عادوه فتركهم الله وشأنهم وحرموا من خيره.

والتوراة لا تحرم أو تفني أمما أو شعوبا ولا تقتل امرأة ولا طفلا ولا عاجزا ولا طائعا ولا تطرد الناس من بيوتهم وديارهم إلا إذا أصروا على العداء وكانوا مصدر شر وطلبها الأول توحيد الله رب الجميع إن كل عاقل إذا تفكر وهو يقرأ مقدسهم لعرف أنهم جعلوه لفنائنا أو لاستعبادنا فهل نستيقظ قبل فوات الأوان.

كان الله ولم يكن شيء سواه وأراد أمراً فبدأ وخلق فكان أول خلقه القلم. ثم مايكتب عليه. وأمر الله القلم أن يكتب واستفسر القلم عما يكتب فقال أكتب ماكان من قدر الله وما سيكون من مرادٍ ونتاجه من عمل إلى يوم انتهاء المراد والعمل ولانهاية للمراد ولاللعمل إلا بمشيئة الله.

إن هذا ليس استنتاج فلسفي من مثلي أو غيري إنما جاء من قوله تعالى في سورة الكهف وسورة لقمان ففي سورة الكهف قبل آخر آية من السورة قوله تعالى: ﴿قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾.

وفي سورة لقمان الآية/٢٧/ قوله تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾. فالقلم الأول يكتب كل ما سَيَجدُّ من كلمات وملايين الملايين من الأقلام تكتب وتبقى تكتب طالما يمكنها أن تكتب أبداً إلى ماشاء الله.

ودليل أَوْلَوِيَّةِ القلم من حديث عبادة بن الصامت الذي رواه أبو داود والامام أحمد والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ماأكتب ؟ فقال اكتب ماكان وماهو كائن إلى الأبد».

وخلق الله الماء وكيف ومن أين خلقه ذاك بعلمه. وخلق عرشه على الماء ثم خلق حسب مشيئته الأرض والسماوات ثم جعل السموات والأرض من تحت كرسيه وذاك من قوله تعالى في سورة هود الآية/٧/: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ ثم من أعظم آية أنزل وهي آية الكرسي قوله تعالى في الآية/٢٥٥/ من سورة البقرة: ﴿الله لاإله إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولانوم له مافي السموات ومافي الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايحيطون بشيء من علمه إلا بماشاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾.

أما كيف خلق السموات والأرض فلم يعطنا بياناً أفضل من قوله تعالى في سورة فصلت الآية/٩/: ﴿قل ءإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إتيا طوعاً أوكرهاً قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها﴾.

ففي هذه الآيات بيان مدة الخلق ولكن بعلمه فيوم عند الله كألف سنة مما نعد واليوم حقب والحقب حين والحين غير محدود وكذلك الحقب ففي سورة المعارج الآية/٤/ : ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾. وهذا يوم الحساب والله أعلم.

إن الأيام المذكورة والله أعلم هي أيام البدء ثم يتم التكوين ولانرى توالي الأيام شرطاً وفي تلك الآيات بيان البركة وتقدير الأرزاق فهي دائمة وموجدة أبداً لكل من خلق الله على الأرض ويصل إليها إذا لم يوجد المانع عن الوصول شرط التعاون وإعطاء كل ذي حق حقه.

وبعد خلق السموات والأرض بملايين أو مليارات السنين صارت الأرض صالحة لسكن الخلق وعيشهم من بين ملايين الكواكب وهل للأرض من مثل بين الكواكب الأخرى فذاك عند الله علمه فالانسان في علمه وكشفه لم يصل إلى ذلك حتى اليوم وإن كان في بلبلة أفكار من جهة هذا.

وبعد خلق المخلوقات الجبارة التي خلقها الله وجعلها تستطيع مقاومة ظروف الحياة القاسية آنذاك من حر شديد وقر عتيد وتبدل مفاجىء من الحر الشديد إلى البرد الشديد ظلت مئات الألوف من السنين تتوالد وتتكاثر حتى فوجئت بمالم تستطع التعايش معه فهلكت أو أنها نفسها فتكت ببعضها حتى تفانت بقدر الله.

وصلحت الأرض واستقرت وخلق الله الانسان ليعمرها حسب مشيئة الله في المتناقضات التي تضطره دائماً لطلب الجديد الأفضل وكان الحسد والكيد وكان الظلم وعمل الانسان ولايزال يعمل علّه يصل إلى الأفضل وهو يراه ولايقدر على تحقيقه والسبب معلوم وهو قدر الله وهل يمكن تجاوزه ؟ وما هو المانع ؟.

أنا لا أشك بأن المانع هو الأنانية حب الذات وأخطره حب التسلط واستغلال الغير في ظل العنصرية والجهل في الدين يقول جل القائل في سورة هود الآية/١١٨/ : ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ فالمتناقضات في دنيا الانسان هي السبب الحافز للوصول إلى المسميات والمسميات هي هذه المصنوعات التي وصل إليها الانسان وصنعها في تصَوُّرٍ ثم تصير حقيقة ماثلة.

إن الانسان لم يصل بعد إلى كل المطلوب فالمطلوب كثير وكثير جداً فمتى وصل الانسان إليه فقد انتهى عمر الأرض هذه ويبدأ عيش جديد على أرض غير هذه فالأرض هذه لاتتسع لجزء

بسيط من آلاف أجيال الانسان التي عاشت وماتت فيها والتي لم تخلق حتى الآن إلى انتهاء وجود هذا الانسان على ظهرها.

يقول جل وعلا في سورة الزمر الآية/٦٣: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون * ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون * وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لايظلمون * ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون﴾.

كان قدر الله للأشياء وما سيكون منها وكيفية التكوين قبل خلق الانسان بكثير وخلق الله بذور البشر قبل خلقهم بأجسامهم وخلق آدم وجعل البذور في صلبه خلقه بيده خلقاً متكاملاً كامل النُمُوّ ليس على شكل الخالق فالخالق ليس كمثله شيء ففي سورة الشورى الآية/١١: ﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

ومن ثم نفخ الله في آدم من روحه هذا العقل في نسمة الحياة ثم أمر الملائكة بالسجود لهذا المخلوق الذي جعل له العقل الذي ليس عند المخلوقين غيره مثله وكان السجود بأمر الله لهذا المخلوق سبب عداء بين الانسان والشيطان ففي سورة البقرة الآية الثلاثون قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون * وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسماهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون﴾.

لقد اختلف المفسرون في ماهي المسميات ليست الطيور والوحوش وماخلق الله على وجه الأرض إنما أراهم الله مالم يكن آنذاك كما نرى في التلفاز مثلاً. وهي ماسيصنع الانسان هذا المودع في صلب آدم وكان الله قد علم آدم أسماء تلك والحاجة إليها فلما عجزت الملائكة التي لن تصنع منها شيئاً قال الله لآدم أخبرهم عنها فأخبرهم آدم ونجح بقدر الله ومراده في الاختبار.

وأمر الله الملائكة وإبليس ممثل الجان بينهم أن يسجدوا لآدم إقراراً منهم بتفوقه وصنعه مالا يمكنهم صنع مثله فسجد الملائكة الممثلون لغيرهم بجملتهم لم يتأخر منهم أحد طاعة لله وتنفيذاً لأمره وأبى إبليس السجود لآدم مدعياً أنه لايقر لأحد بتفوقه عليه سوى الله وحده.

وسأل الله إبليس لمَ لمْ تسجد لمن أمرتك أن تسجد له ؟ فأجاب أنه خير منه فكيف يسجد له وتابع أنه خلق من النار وآدم من الطين والنار أفضل من الطين وقد أخبرنا تعالى عن جدال إبليس لربه في أمر التفضيل ولمَ لمْ يسجد في عشرات الآيات ونذكر منها ماجاء في سورة الكهف الآية/٥٠/: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ لقد كان إبليس من الجن وهم غير الملائكة فالملائكة أجسام لطيفة خلقها الله من النور والجان أجسام غير مرئية للانسان في الحياة الدنيا خلقها الله من لهب النار ولايمكن للانسان حسب قوانين خلقه التي خلقه الله بموجبها أن يرى الملائكة أو الجن وفي سورة الاسراء الآية/٦١/ يخبرنا تعالى عن بعض الخبر بقوله: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال ءأسجد لمن خلقت طيناً * قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً * قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً * واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾.

وقال الله تعالى لآدم اسكن الجنة مع زوجتك وطرد الشيطان من رحمةٍ وسعت آدم وذريته وذهب الشيطان يبحث عن وسيلة كيد يكيد بها آدم هذا الذي قدمه الله عليه وأمره بالسجود له وقال الله تعالى لآدم بما أخبرنا سبحانه ونذكر ذلك من سورة الأعراف الآية/١١/: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك أن تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين * قال انظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين * قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين * قال اخرج منها مذؤماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾.

هذا الحوار أو جدال إبليس للرب وجواب الله وحكمه على إبليس ومن تبعه من أبناء آدم ومات على تبعيته في فعل المنكر بإغراء إبليس وأعوانه من الجن والانس الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً.

وقال تعالى لآدم في سورة الأعراف/٩/: ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ هذه الشجرة المخصصة للسبب المباشر لاهباط آدم إلى الأرض وهي بعلم الله شجرة من أشجار الأرض غرسها الله في الجنة للسبب الذي

يهبط فيه آدم إلى الأرض يصحب زوجته وخطيئته وعدوه الأول والأكبر وكل هذا قد قُدِّرَ قبل خلق آدم فخلقه ليعمر الأرض ولايختلف عاقلان في هذا فها نحن نرى الأرض وآدم في شخص أولاده يكدون ويجدون في إعمارها راغبين مجدين يعملون لأنفسهم إلى أن يتركوا ما عملوه مكرهين إلى دار أخرى.

وسكن آدم وحواء الجنة يصحبان بعضهما بالود والحب البريء دهراً طويلاً يتعلم من أوامر ربه الكثير الكثير فهو في مدرسة ربه يأخذ العلم منه ويخزنه في بذوره وبذوره حتى آخر مايأتي من أولاده من علم لانتهاء الأرض.

وكان إبليس يراقبه ويتألم ويحترق حسداً حتى صار قدر الله للاهباط فوصل إبليس إلى حواء وسألها عن عيشهما في الجنة فأخبرته بطيب العيش وأخبرته بمنعهما الأكل من شجرة واحدة بعينها فوجد إبليس باباً وطريقاً لمعصية آدم لربه وهو مخالفة أوامر الله ولم يكن الله غائباً عن مناجاة إبليس لحواء فهو يعلم السر وأخفى وأخبرنا تعالى ماكان من آدم وحواء مع عدوهما الخبيث يتم لنا من سورة الأعراف: ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا إن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾.

وتم قدر الله الذي لابد منه ليهبط آدم إلى الأرض ويعمرها ولاشيء سوى هذا وتم الاغراء وأتم لنا تعالى الخبر: ﴿ فدلّهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوأتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن هذه الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ لقد استطاع الشيطان الوصول لبغيته بواسطة المرأة ولكن الشيطان لم يصل إلا إلى المقدر وكان هو الواسطة للوصول وكما قال تعالى في سورة آل عمران الآية/٥٤/: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾.

ولنسأل أنفسنا هل خلق آدم إلا لهذا الأمر العظيم وهو إعمار الأرض حتى تكون نهاية الأرض والفناء ؟ ثم العيش الجديد.

الشجرة وماهو نوعها ؟ وماهي خواصها ؟

قال البعض هي شجرة التفاح وقال البعض هي كذا وكذا وقال كتاب العهد العتيق هي شجرة المعرفة معرفة الخير والشر مع أنه قد ذكر معرفة آدم للأسماء قبل أن يأكل من الشجرة وذكر

أيضاً شجرة الحياة وأنها في وسط الجنة وبهذه السهولة يعرف الخير والشر.

ونقول إن الشجرة التي نهى الله جل وعلا آدم وحواء عن الأكل منها هي شجرة من أشجار الأرض مادية لها خواص شجر الأرض إذ ليس في الجنة مايعقب القذر ويحتاج الخروج فطعام الجنة يخرج من الجسم رشحاً له رائحة المسك فلا يتغوط أهل الجنة ولايبولون ولايتفلون ولايتمخطون وأزواجهم مطهرة فلا حيض ولا ولادة أو نفاس لقد روى الامام مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون» قالوا: فما بال الطعام ؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النَّفَسَ» وروى أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه».

وأكل آدم وحواء من تلك الشجرة وهضمت المعدة الطعام فلم يخرج من جسميهما رشحاً وأراد المخرج وتمعر الوجه وتمددت الأمعاء وانقبضت وتنفخت في طياتها وتقلصت وصاحت حواء تطلب من آدم النجدة وصاح آدم من الألم واستغاث بربه والله عليم بكل ماجرى حيث كان بقدره وكان آدم يكتم آلامه ولكن للتحمل قدر حسب الطاقة وهذا فوق الاستطاعة ونادى آدم ربه وانفتح المخرج وعرفا ماهي العورة فجعلا يأخذان من أوراق شجر الجنة حتى يسترا بها سوأتيهما والآلام لاتزال في جسميهما وناداهما الله ألم أنهكما عن تلك الشجرة ؟ ألم أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ؟ فأقرا بالخطأ وقالا ربنا لقد غرر بنا هذا الشيطان فاغفر لنا وارحمنا.

وقال تعالى اهبطوا إلى الأرض يعادي بعضكم بعضاً وفي الأرض تعيشون فيها وتموتون ومنها عند يوم القيامة تخرجون وأهبط الجميع إلى الأرض التي خلق منها آدم عجينة متكاملة الجسم قبل نفخ الروح فيه ويكى آدم على فراق الجنة ونسي الذي عرفه فيها وكان مع بذور أبنائه كهذا الشاعر الذي حفظ عشرة آلاف بيت من الشعر ثم نسيها وبعد حين بدأ ينظم الشعر هو من جديد ليجعل لنفسه شعراً وهذا ماكان من آدم والبذور فقد نسي الجنة وأنسيت بذوره الجنة والعلم وكلما تباعد أبناء آدم عن العلم المحفوظ الذي أخذوه عن ربهم جل وعلا كلما صاغوه من أفكارهم الناسية علماً جديداً له ميزاته وله أهدافه وغاياته ويقول تعالى في سورة الأعراف التي نصفها تقريباً عن بدء خلق الانسان والعيش في الجنة والاهباط والنصح من الله بعد الاهباط وقيام الساعة والجنة والنار ومحادثة أهليهما وتميز البعض عن البعض وتَذَكُّر الأتباع من غرر بهم ولعن بعضهم كما قال تعالى في الآية/٣٨/: ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾.

وقال عن أهل الجنة وعيشهم فيها في الآية/٤٣/: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾.

وفي نفس السورة الآية/١٧٢/ قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾.

وعاش آدم ونسي الجنة وصار يستعيض عنها بجنان الأرض وأحبها ورغب لها وعرف زوجته وولدت له البنين والبنات وكان يعبد ربه على الأرض كما كان يعبده في الجنة وكثر أولاده وتكاثروا وتباعدوا وبدأ يظلم بعضهم بعضاً وبدلوا المعروف من الدين بالمجهول والمنكر وتاهوا في دياجير الجهل والظلم عشرات الألوف من السنين أو مئاتها ولانحدد ذلك فعلمه عند ربي وفي أول سورة الدهر يقول تعالى: ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾.

وشاء الله أن يعرف الانسان نفسه فكانت القبيلة وتوسعت وأصبحت القبيلة دولة وتجمعت القبائل أو جمعت قهراً وأرسل الله جل وعلا الرسل لكل أمة ففي سورة فاطر الآية/٢٤/: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ وكان الطوفان في عهد نوح منذ أكثر من عشرة آلاف عام فملحمة جلجامش السومري الذي كان في القرن الثلاثين قبل الميلاد يذكرها مفصلة كما هي في الكتب المقدسة مع اختلاف هو أن الله مرسل الطوفان وهو يقول الآلهة وأن جده أو أحد أجداده بدل نبي الله نوح ويجعل تاريخه بالتقريب في الألف الرابعة قبل الميلاد ثم كان إبراهيم في التاريخ المكتوب وجاء عصر بنيه ودخلوا مصر وهربوا منها وأنقذهم الله وأنزل التوراة على موسى ومشى حسب أوامره ومن بعده وبدأ الانحراف وجاء عصر داود فثبت التوراة وأنزل الله عليه الزبور أدعية وخلفه سليمان وبعد موته صار الانقسام وبدأ القوم بالتحريف كل حسب هواه وبعث الله الأنبياء ولم يزدد القوم إلا تمادياً في الغي والتحريف وجاء بختنصر بعد حكم طويل لأسلافه الذين كانوا يأخذون الجزية من بني إسرائيل فسبى الاسرائيليين وساقهم إلى أرض بابل واستعبدهم سبعين سنة وحررهم كورش لتعاونهم معه بالتآمر على ابن بختنصر وذهبت دولة الكدانيين والآشوريين إلى غير رجعة وصار الاسرائيليون حلفاء أوفياء للفرس فقد صار الفرس لهم حماة وصار الاسرائيليون لهم عيوناً وعوناً لهم في كل مكان وملك الفرس ملك الآشوريين في كل مكان لأن جيش الأشوريين كانت أكثريته من الفرس والماديين وساح اليهود في

مملكة الفرس من بابل والمدائن وجميع أرض فارس مع أرمينية إلى مصر علاوة عن بلاد الشام وربحت تجارتهم وصارت أكثريتهم خارج فلسطين.

ولم يطل الأمر حتى ظهر الاسكندر الذي قضى على دولة فارس قضاء تاماً ومذهلاً وملك الاسكندر مملكة فارس علاوة على ملك اليونان وما حولها واكتسح الهند أيضاً.

ولكن الاسكندر مات مبكراً ولم يكن له وارث فاقتسم القادة في جيشه ملكه الواسع فكانت بلاد الشام من نصيب سلوقس ومصر بطليموس ورجع اليهود إلى ذل تجسسهم الذي اكتشفه اليونانيون سريعاً فكان العقاب الذي جعل اليهود يستكينون إلى الواقع ومن ثم ظهرت ثورات المكابي.

وفي تلك الفترة من حكم اليونانيين وحرب المكابي كتب كتبة العهد العتيق كتابهم هذا فإنه لم يكن قبل ذلك وكانت لديهم بعض فصول التوراة والمزامير مشتتة مغرقة وكذلك أقوال الأنبياء من بعد فجعل الكتبة يبنون على الحبة قباباً وأنشأوا سفر التكوين من بعض أقوال منقولة ومتداولة عن أنبياء أخذوها من صحف إبراهيم الغير المكتوبة فأضافوا إليها تسعين بالمئة من بنات أفكارهم وصار السفر المكتوب وأضافوا إلى سفر الخروج كل ماكان من أقوال وأفعال تهضم حقوق الآخرين من الأمم التي جاوروها كما أضافوا إليه جميع حروب موسى وفتوحاته ودليل الاضافة معها ويشهد على من أضافها فإن القوم مع موسى قد عجزوا أربعين عاماً عن دخول قرية أريحا ولنقل مدينة أريحا. وقد فتح الكاتب على يد موسى عليه السلام الأرض شرقاًوجنوباً حتى وشمالاً ماهو أوسع وأقوى من أريحا بمئات المرات وها هو كتابهم الذي قتل على يد موسى مئات الألوف من نساء مدين فقط علاوة على مئات الألوف من نساء وأطفال الأموريين حتى أفسدوا بكذبهم معنى الرسالة والنبوة وباعدوا بينها وبين قدسيتها فالرسالة والنبوة من الله رحمة جعلوها عذاباً.

وجاء سفر القضاة الذي يريد الكتبة فيه أن يثبتوا ملكية الأرض فيه ولم تكن لهم ملكية إلا في بعض أجزاء فلسطين حتى ولم يكن للقوم مساكن يأوون إليها إنما كان أكثرهم في الخيام حتى وبقي بعضهم على هذا إلى أيام حكم الأشوريين ومن أراد التأكد فليراجع الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر أرميا وفيه مدح الركابيين أبناء يوناداب ابن ركاب ومن سفر القضاة يكفيك ماسبق من احتلال أريحا وتحريمها واحتلال عاي وتحريمها وقصة التحريم كافية لتثبت أن اليهود أعداء الانسانية جمعاء ولسنا بقولنا هذا نقر بصدق ماكتب عن ذلك لكن المكتوب ينبيء عن نية الكاتب والمصدق ومن رضيه وقدسه.

ومن سفر القضاة الكثير من المضحك والمخجل فهو من الأساطير والخرافات التي تحدث بها العجائز أحفادها في ليالي الشتاء حول المواقد وإليك بعضه فتلك قصة دبورة وبالاق في حرب سيسرا ونبوة المرأة ونشيدها وهذا حرب جدعون في جيشه الصغير الذي لايملك السلاح يقتل في معركة مائة وعشرين ألفاً من جيش المديانين البالغ عدده مائة وأربعون ألفاً وكيف حدث هذا ؟ ومن أين هذا العدد في جيش مدين أو قتلاه ؟

وهذا شمجر الذي ضرب من الفلسطينين ستمائة رجل بمنساس البقر وهذا شمشون الذي لم يأت الدهر بمثله ولا بمثل فريته التي قدسها المقدسون وهو ينتقل من بيت زانية إلى أخرى وكيف جمع ثلاث مئة من بنات آوى.

ثم في سفر صموئيل ثم قصة داود وزنا داود الذي وصموه به وجرائم داود الكثيرة التي جعلوها في عنقه فإن من جعل شمشون يقتل من الفلسطينين ألفاً بفك حمار. قد جعل داود يقتل من نساء وأطفال وشيوخ بني عمون مئات الألوف وبأبشع طريقة لقتل الأحياء وإليك ماهو منقولاً من الكتاب المقدس في الاصحاح الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني /٢٦/ وحارب مؤاب ربة بني عمون وأخذ مدينة المملكة /٢٧/ وأرسل مؤاب رسلاً إلى داود يقول قد حاربت ربة وأخذت مدينة المياه /٢٨/ فالآن اجمع بقية الشعب وانزل على المدينة وخذها لئلا آخذ أنا المدينة فيدعى باسمي عليها /٢٩/ فجمع داود كل الشعب وذهب إلى ربة وحاربها وأخذها /٣٠/ وأخذ تاج ملكهم عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم وكان على رأس داود وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً /٣١/ وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤس حديد وأمرهم في أتون الأجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون//.

هل هذا صحيح ؟ إن القرآن الكريم يذكر عن داود النبوة وكتابهم يذكر أن داود قد رأى ربه في الرؤيا وأنه وعد ببقاء كرسيه للأبد فهل يفعل نبي الله في خلق الله الضعفاء مثل هذا ؟ وهل بقي ملك داود ؟

ووسع الكاتب ملك بني إسرائيل إلى الفرات شمالاً والبحر الأحمر جنوباً فهل صح هذا في يوم وبلغه اليهود ؟ وهل ملك اليهود يوماً مدينة دمشق ؟ وهل صحيح أن سليمان بنى مدينة تدمر ؟ إن آثارها تكذب هذا الادعاء.

وصدَّق النصارى كتاب العهد العتيق وبعض علماء المسلمين نقل عنه بعض مافيه وقدسه النصارى وهو يدعو إلى استعبادهم أو تحريمهم وكله جائز عندهم ومقبول.

واستعدى اليهود روما على اليونانيين وجاء الرومانيون واحتلوا شرقي البحر الأبيض المتوسط وأكرموا اليهود ولكن اليهود لم يحتملوا الأكرام فأرادوا أخذه عنوة فأبادهم الرومانيون من فلسطين وخاصة من أورشليم حيث كانت مذبحة اليهود فيها سنة سبعين للميلاد وانتهى أمرهم على يد الروم.

وأرسل الله عيسى كما أرسل الرسل من قبله وكانت ولادته من مريم بلا أب إنما هو بذرة وكلمة القاها جبريل إلى مريم بأمر الله ليكون آية للناس وفتنة لبعضهم وكان آدم قبله قد أوجده الله بلا أب ولا أم وكانت حواء أيضاً بلا أم إن كانت من ضلع آدم أو من منيه وعلم ذلك عند ربي.

وعاش عيسى مع أمه حوالي الثلاثين من السنين وهو كغيره من بني الانسان وتكلم في المهد وبعثه الله بعد الثلاثين.

بسم الله الرحمن الرحيم

بداية العهد الجديد

نزل الروم بلاد الشام شرقي البحر الأبيض في القرن الأول قبل الميلاد وتغلبوا على اليونانيين حتى في بلادهم نفسها وكونوا أكبر دولة في العالم آنذاك إذ ملكوا سواحل البحر الأبيض جملتها وجعلوه بحيرة رومانية بلا منازع.

وقد مر معنا أن زعماء اليهود السياسيين قد كتبوا كتباً كثيرة يطلبون فيها من روما أن ترسل بجيوشها إلى شرقي البحر وأنهم سيكونون عوناً لها ضد السلوقيين ولكن الرومانيين لايحتاجون إلى من يحثهم على ذلك إذ أن الأشياء مرهونة بأوقاتها فلما تهيأ الأمر نزل الرومان السواحل واحتلوا فلسطين كغيرها وقد سمحوا لليهود آنذاك بممارسة طقوس دينهم وتسيير أمورهم الداخلية ضمن قوانين روما.

وقد قسمت فلسطين أرباعاً سموا ربع الجليل واستقر الوالي الروماني في قلعة عند أوفي أورشليم وكانت فلسطين آنذاك قوميات شتى ولكن اليهود كثرة في ربعي الجليل وأورشليم وما عدا ذلك فهم أقل من غيرهم.

وكانت اللغة السائدة آنذاك الآرامية واليونانيون والآراميون قد غلبوا في كثرتهم على الساحل والعرب في الغرب والجنوب. وكان لليهود ملك قد سماه السلوقيون قبل الرومانيين واسمه هيرودس وقد بقي ملكاً في عهد الروم وهل كان والياً يونانياً أم كان عبرياً أو عربياً فلم يثبت نسبه التاريخ تماماً وقد وصفه إنجيل متى بأنه سفاحاً ظالماً وولده من بعده كذلك وقد ذكر إنجيل متى عنه قصة لايؤيدها العلم بالتاريخ عن قوانين الروم الممثلين والمتثبتين في فلسطين آنذاك.

يقول إنجيل متى في الاصحاح الثاني هذا/١/ ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس إذا مجوس من المشرق قد جاؤا إلى أورشليم/٢/ قائلين أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له/٣/ فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه/٤/ فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح/٥/ فقالوا له في بيت لحم اليهودية لأنه هكذا مكتوب بالنبي/٦/ وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء اليهودية لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل/٧/ حينئذ دعا هيرودس المجوس

سراً وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر/٨/ ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له/٩/ فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف حيث كان الصبي/١٠/ فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً/١١/ وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه فخروا وسجدوا له ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومراً/١٢/ ثم إذا أوحي إليهم في حلم أن لايرجعوا إلى هيرودس إنصرفوا في طريق أخرى إلى كورتهم.

/١٣/ وبعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه /١٤/ فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر وكان هناك إلى وفاة هيرودس لكي يتم ماقيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت إبني /١٦/ حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا منه غضب جداً فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس /١٧/ حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل /١٨/ صوت سمع في الرامة نوح وبكاء كثير وعويل راحيل تبكي على أولادها ولاتريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين//.

النجم قد عرفنا ماهو النجم لايطلع لأجل أحد ولا يغيب لأجل أحد وقد ورد في الحديث الصحيح أن ابراهيم بن محمد ﷺ توفي وله من العمر سنتان فدمعت عينا رسول الله عليه فقيل له من بعض أصحابه وأنت يارسول الله ؟ فقال: «إن القلب ليخشع والعين لتدمع وإنا على فراقك ياإبراهيم لمحزونون» وذهبوا بالصبي ليدفنوه وصادف أن كسفت الشمس آنذاك فصاح البعض كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال محمد ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لاتكسفان لموت أحد ولا تطلعان لولادة أحد».

فكيف عرف المجوس عَبَّادوا الأصنام بولادة المسيح ؟ وكيف دل النجم على مكانه ؟ وكيف تتبعه المجوس ؟ وأين كان النجم هل هو هناك على بعد ملايين الأميال أم فوق الرؤوس ؟ ثم من أي أرض جاء المجوس ؟.

علينا أن نأخذ بالحقائق وندع زرع المعجزات جانباً فقد زرعها زارعوها فلم تنتج سوى هز الرؤوس في الدنيا والحيرة وضياع الأبناء غداً بين يدي الخالق تظهر المفتريات.

إن القوانين التي أوجدتها روما لاتسمح أبداً بذبح الأطفال وتعاقب عليها حتماً وفوراً وفي

عهد ولادة عيسى عليه السلام كان حكم الرومان وطيداً وجيوشهم في أورشليم وماحولها ثم إن راحيل ليست بأم يهوذا فلم لم يقل ليئة تندب وتبكي أولادها ؟.

لقد تميز عصر إرميا ومن سبقه من أنبياء إسرائيل بالندب من أنبياء بني إسرائيل والبكاء المرير لأنهم يرون قومهم يسيرون إلى الهاوية ولايقبلون التحذير يرونهم ينزلقون بسرعة إليها ولم تستطع إيدي إرميا وغيره من الأنبياء انتشالهم.

إنهم يرون جيوش الأشوريين تدور الأرض بحثاً عن صيد كمثل إسرائيل ويهوذا دولتا اليهود وهاهم يقضمون أطراف الأرض من تخوم الدولتين العجوزتين وقد أفل نجمهما فندب إرميا كان لراحيل:

جـاء الـرومـان بـكلكـله ... طـرد الـيـونـان وأجـلاه
ملكـوا للبحـر سـوا حله ... وامـتـدوا شرقـاً أعـلاه
ويهـود تـظن حصـانتهـا ... كـحليـف الـروم وأشـبـاه
إذ أن رسـائـل مـرسلة ... من بعض يهـود تـرجـاه
ضـد اليـونـان وسلطتهم ... والأمـر تهـيـأ أتـلاه
وتـغـير ذاك عـلى زمـن ... عـرف الرومـان خفـايـاه
فيهـود تـظن الأمـر لهـا ... والـروم بشرع تهـداه
أمضت قـانـون سيـادتهـا ... ومشى الـقـانـون بمجـراه
فـيـهـود وقـبـط وآرام ... وكـذا اليونـان على مـاهـو
تمشي بـنـظام ذي حـزم ... قـد ملك الأمـر بـدنيـاه

زوجة عمران تنذر حملها

والـدين يكـون لـتـابعـه ... بـحـدود الـدين وممـشـاه
والمـعبـد فيـه جهـابـذة ... تـعـنـو لـلدين وتـرعـاه
ولأسرة عـمـران حـديـث ... بـالحـب يـتـوج ذكـراه
قـد نـذرت حنة مـاحملت ... لله يكـون عـلى مـاهـو
حمـلي لـك ربي منـذوراً ... فـتـقـبـل مـني وارضـاه
والـرب تقبـل مـانـذرت ... والحمـل تكـامـل مبنـاه

إن عيسى عليه السلام لم يملك إسرائيل ولو يوماً واحداً ثم هو لم يطلب في حياته أن يكون ملكاً على إسرائيل أو غيرها وكيف يرعى شعب إسرائيل ولم يرعاه في يوم ولم يقبله في رسالته ولو جزء من مئة من اليهود ومتى يرعى شعب إسرائيل ؟.

هل عرفت أيها العربي متى يرعى المسيح شعب الله إسرائيل ؟ لقد تظافر جهد فلان وجهد فلان لانشاء إسرائيل الجديدة ليأتي المسيح الجديد ويرعى شعب الله إسرائيل بعد جمع الشتات من مسمى اليهود وكلهم من عناصر شتى لاتجد فيهم عشرة بالمئة من أصل يهودي وانظر بنظر علماء الأجناس ومن هذا برىء اليهود من دم المسيح والصق الدم بالوالي الروماني الذي أراد بما ذكرت الأناجيل إطلاقه ورفض اليهود وحملهم بيلاطس دمه فحملوه.

حنة أم مريم تنذر حملها لله

وقيل أن هيرودس الكبير هذا قد طلب من المجمع اليهودي أن يقر له طلباً فأبى بعض أعضائه أن يقر الطلب وكان زكريا زوج امرأة طيبة كريمة المنبت واسمها اليصابات كما تذكر الأناجيل ولها أخت أوابنة عم واسمها حنة هي مثل أختها أو ابنة عمها في طيبة المنبت ولها زوج كريم شريف واسمه كما ذكر القرآن الكريم عمران وفي الأناجيل لم يذكر اسمه وحملت حنة من زوجها وهل مات وهي في حملها أم مات فيما بعد لم يصل إلينا خبر الرجل وهل كان لحنة أولاد أم لا ؟ يظن أنه لم يكن لها غير حملها الذي نذرته لأنه لم يرد خبر عن ذلك.

لم يصل علم صحيح عن أم مريم وحملها إلا في القرآن الكريم وذلك في سورة آل عمران الآية/٣٣/ : ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم * إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك مافي بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾.

لقد نذرت المرأة حملها ليكون خادماً للمعبد وعابداً لله ولم تذكر أية مصادر عن هذا سوى القرآن الكريم وأخبرت الكهنة عن طريق زكريا زوج أختها أو ابنة عمها أو ابنتها الكبرى بنذرها ولما تم حملها ولدت فإذا بالحمل أنثى ولما صارت في سن تستغني فيه عن أمها أرادت أن تسلمها للكهنة فاجتمعوا لذلك وقد كان شكل الفتاة يرضي الناظر والخاطر وأراد كل واحد من الكهنة كفالتها فاقترعوا على ذلك بإلقاء أقلامهم في الماء فمن طفا قلمه كانت الفتاة مريم في كفالته وألقوا أقلامهم فطفا قلم زكريا ويخبرنا جل وعلا عن هذا في كتابه العزيز الآية/٤٤/ من سورة آل عمران : ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم إذ يختصمون﴾.

لقد أوشك أن يتطور الخصام بينهم إلى شجار رغبة في الكفالة لمريم حتى تم الاقتراع وتعهد أمرها زكريا الذي ذكر القرآن نبوته ففي الآية/٨٥/ من سورة الأنعام قال: ﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾. وذكر ست مرات غيرها وتعهدها الرجل وأخبرنا تعالى عن هذا في سورة آل عمران/٣٧/: ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يامريم أنَّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

لقد كفلها زكريا يتعهد شؤونها ويشرف عليها وهي تتعبد وعند دخوله إلى حيث تتعبد كان يجد عندها مالم يجده في بيته أو البلد الذي كان يسكنه فمثلاً يجد فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها من أين هذا يامريم فتقول هو من عند الله فاشتهى الرجل الولد الصالح عسى أن يكون كمريم في تقواه وعبادته فجعل يدعو لربه أن يرزقه ولداً صالحاً وذلك في محرابه كل صلاة ويخبرنا تعالى عن ذلك في سورة الأنبياء وغيرها ففي سورة الأنبياء الآية/٨٩/: ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لاتذرني فرداً وأنت خير الوارثين * فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾.

وفي سورة آل عمران عندما رأى عبادة مريم يخبرنا تعالى عن قوله في الآية/٣٨/: ﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء. فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين * قال رب أنَّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء * قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والابكار﴾.

لقد أحب زكريا الولد رغبة بعبادة مريم وصلاحها ورؤيته لما تكرم الله به عليها من قبول وفي سورة مريم يخبرنا تعالى أوسع من هذا خبراً ففي أول السورة قول الله: ﴿كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفياً * قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً * وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً﴾.

لقد قبل الله دعاء زكريا وأصلح له زوجه وبشره بملائكته بمولود ذكر فقال تعالى: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً * قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت الكبر عتياً * قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم

تك شيئاً * قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً * فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً﴾ ثم أخبرنا تعالى عن يحيى يتم الخبر: ﴿يايحيى خذ الكتاب بقوة وأتيناه الحكم صبياً * وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً * وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً * وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾.

لقد ذكر يحيى في القرآن الكريم ست مرات وأخبر الله أباه بنبوته حيث قال في سورة آل عمران كما مر معنا: ﴿أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين﴾.

لقد كان زكريا نبياً صالحاً يؤمن بقدرة الله تعالى وأنه إذا أراد شيئاً كان مراده ولكنه استغرب مايستغرب لكبر سنه وعقر زوجته فرد الله عليه رداً حاسماً في قوله: ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾.

وَتَذَكُّرُ هذا من الانسان قريب وقريب جداً وهو متى كان ولد الانسان قبل أن يرى النور بتسعة أشهر!

وهل ترى بذرة الانسان والحيوان المنوي الذي هي في داخله بالعين المجردة ؟ والجواب لا لأنه يكون مع كثير مثله والبذرة جزء من الحيوان المنوي والبذرة داخله إذاً لم يكن الانسان قبل خلقه شيئاً ثم كان.

وتكوين الانسان من الماء فقد قال تعالى في سورة النور الآية/٤٥/: ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله مايشاء إن الله على كل شيء قدير﴾.

لقد طلب زكريا الآية ليطمئن قلبه للحمل فقال له ربه وحياً آية ذلك أن لاتستطيع الكلام لثلاث ليال واذكر ربك في قلبك كثيراً فأشار إلى أهله إشارة أن يسبحوا الله وانطلق لسانه بعد ثلاثة أيام وحملت اليزابت بيحيى وولدته بعد تمام الحمل وقد جاء في الاصحاح الأول من إنجيل لوقا هذا /٣٩/ فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا /٤٠/ ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات /١٤/ فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت اليصابات بالروح القدس /٤٢/ وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك /٤٣/ فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي // ترى أين هي العقول لتدبر مثل هذا وصدق الله العظيم: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾.

وولدت اليزابت يحيى ونما في بيت تقوى وصلاح وقرت به عيون والديه حتى إذا صار يكرس لم يتعرف تماماً على عيسى ولم يسجد له كما سجد له وهو جنين في بطن أمه ولم يتابعه وَيُعَرِّف الناس بربهم إلا أنه أقر له بالنبوة وصدقه برسالته ولو كان عيسى ليحي رباً لما فارقه لحظة ولكان من بعض حواريه فيحيى نبي أوحى الله إليه وعيسى رسول ونبي يوحى إليه والله أكبر وأعظم مما وصل إليه ظن الناس.

في الاصحاح السابع ليوقنا/١٨ فأخبر يوحنا تلاميذه بهذا كله /٩ فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه قائلًا: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر. فكيف سجد له وهو في بطن أمه ؟ إن في الأرض وعليها ملايين المخلوقات وآلاف الأجناس ذات فصائل شتى ولم يكن لعيسى علم ببعض أجناسها أو فصائلها وقد قال تعالى في سورة هود الآية/٦/: ﴿ومامن دابة في الأرض إلا على رزقها ويعلم مستقرها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾.

لقد كان زكريا متزوجاً من قريبة مريم أهي أختها أم خالتها أم ابنة عمها فقد قال ﷺ في حديث المعراج المتفق عليه: «ثم صعد بي إلى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبريل: قيل ومن معك قال محمد قيل: أوقد بعث إليه ؟ قال: نعم قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة».

وفي الاصحاح الأول من إنجيل لوقا جاء هذا /٥٧/ وأما أليصابات فقد تم زمان حملها فولدت ابناً /٥٨/ وسمع جيرانها وأقرباؤ ها أن الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها /٥٩/ وفي اليوم الثامن جاؤوا ليختنوا الصبي وسموه باسم أبيه زكريا /٦٠/ فأجابت أمه وقالت لابل يسمى يوحنا /٦١/ فقالوا لها ليس في عشيرتك أحد تسمى بهذا الاسم /٦٢/ ثم أومؤا لأبيه ماذا يريد أن يسميه /٦٣/ وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم وبارك الله /٦٥/ فوقع خوف على كل جيرانهم وتحدث في هذه الأمور جميعها في جبال اليهودية /٦٦/ فأودعها جميع السامعين في قلوبهم قائلين أترى ماذا يكون هذا الصبي وكانت يد الرب معه.

القرآن الكريم يقول الله فيه طلب زكريا آية الحمل ويجيبه الله: ﴿رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً﴾ أما إنجيل لوقا فيقول في الاصحاح الأول /١٩/ فأجاب الملاك وقال له أنا جبريل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا /٢٠/ وأنت تكون صامتاً لاتتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا الأمر لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته/ وصدق الله العظيم.

يحيى يشب على التقوى

لقد كان زكريا كما مر معنا نبياً وقد أعطى الله جل وعلا يحيى النبوة أيضاً مع بلوغه مبلغ الرجال في نمو الجسم ونبات الشعر إذ أخبرنا الله بهذا في سورة مريم بقوله الذي مرمعنا ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وأتيناه الحكم صبياً﴾ لقد أوتي يحيى العقل والفهم مع تمييزه فلم يعبأ باللعب واللهو كغيره من الأطفال ونبّه أفكاره للعلم مبكراً بمشيئة الله وتابع أبويه في العبادة منذ عرفها ولم يتركها إذ أخذها.

لقد ذكر متّى أن يحيى سجد لعيسى وهو في بطن أمه وعيسى أيضاً في بطن أمه لقد عرفه وهو جنين ولم يبحث عنه ويعبده بعد تمييزه وبلوغه فلم هذا ؟ وكيف هذا ؟.

لقد جعل يحيى وعظه للناس أيضاً مبكراً وقبل بلوعه سن الرجولة وصار يعظ في الساحات والطرقات ولم يعظ في الهيكل والمعبد واجتمع عليه الناس وخشيت منه الكهنة في الهيكل والأحبار في كل كنيس لأن وعظه كان قاسياً لم يداهن فيه أبداً إنما أظهر المساءات وشنع على فاعليها من كهنة وكتبة وحكام وصار يجول في القرى والمدن ويصعد إلى الجبال وتتبعه الناس فنزل إلى نهر الأردن يعمد الناس فيه وذلك بغسل الناس من ذنوبهم كغسل الجسم بالماء لتخليصه من الأوساخ وتكون التوبة من المعمد والعهد بأن لايعود للذنوب حين الغسل وبذلك يتم تعمده.

لقد ذكرت الأناجيل أن عيسى سمع بتعميد يحيى للناس فأتى إليه ليعمده وكان يوحنا يقول للمذنبين الذين خرجوا إليه ليعمدهم كما جاء في إنجيل لوقا وذلك في الاصحاح الثالث وفيه /٢/ في أيام رئيسي الكهنة حنانا وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية /٣/فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا /٤/ كما هو مكتوب في سفر أشعيا النبي القائل صوت صارخ في البرية يقول أعدوا طريق الرب إصنعوا سبله مستقيمة /٥/ كل واد يمتلىء وكل جبل واكمة ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة والشعاب طرقاً سهلة /٦/ ويبصر كل بشر خلاص الله /٧/ وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليتعمدوا منه يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي /٨/ أثماراً تليق بالتوبة ولا تبتدؤا تقولوا لأنفسكم لنا ابراهيم أباً لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لابراهيم//.

وإذا كان الشعب ينظر والجميع يفكرون بقلوبهم عن يوحنا لعله المسيح /١٦/ أجاب يوحنا قائلًا أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلًا أن أحل سيور حذائه /١٧/ وبأشياء أخرى كثيرة كان يعظ الشعب ويبشرهم /١٩/ أما هيرودس رئيس الربع فإذا توبخ منه

لسبب هيروديا إمرأة فيلبس أخيه ولسبب جميع الشرور التي كان هيرودس يفعلها /٢٠/ زاد هذا عن الجميع أنه حبس يوحنا.

وفي إنجيل يوحنا في الاصحاح الأول يذكر قول يوحنا /١٩/ وهذه هي شهادة يوحنا (النبي) حين أرسل اليهود من اورشليم كهنة ليسألوه من أنت /٢٠/ فاعترف ولم ينكر وأقر إني لست المسيح /٢١/ فسألوه إذاً ماذا إيليا أنت فقال لست أنا إذاً النبي أنت ؟ فأجاب لا /٢٢/ فقالوا من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك /٢٣/ قال أنا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب كما قال أشعيا النبي /٢٤/ وكان المرسلون من الفريسيين /٢٥/ فسألوه فقالوا فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي /٢٦/ فأجابهم يوحنا قائلاً أنا أعمد بماء ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه /٢٧/ هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه.

الكهنة يسألون بحيى عن إلياس الذي كذبه أجدادهم من عدة قرون وعندهم أقوال لبعض مؤ رخيهم أن إلياس سيعود وأنه قد ركب المركبة النارية وارتفع بها ولكن إلى أين؟ لم يذكر أين ذهب وقيل إلى السماء وإنه سيعود يوماً. فسأل الكهنة يحيى من أنت ؟ وهل أنت إيليا. فأجاب لا.

وعادوا فسألوه هل أنت المسيح ؟ وتلك النبؤة أن المسيح يأتي ليصير يوماً ملكاً على إسرائيل ويجعل إسرائيل سيدة العالم بأسره ولذا سألوه هل أنت المسيح فيقول ولم ينكر أنا لست المسيح والمسيح بين ظهرانيهم ويكذبونه. ويحيى يقول لهم ولكن في وسطكم قائم لاتعرفونه//.

لقد عرفنا من هو إلياس ومتى كان وعرفنا المسيح وكانوا ينتظرونه فلما جاء كذبوه. ولكن من هو النبي الذي ينتظرونه ؟ فقد سألوه «إذاً النبي إنت» فأجابه لا هم يسألون عن النبي وينتظرون زمناً يكون فيه ويوحنا لم ينكر هذا عليهم فمن هو النبي ؟

لقد مضى على الحديث قرابة ألفي عام ولم يأت النبي المنتظر فمن هو النبي ؟

لقد جاء في الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية أي في التوراة قول الله لموسى /١٥/ يقيم لك الرب إلهك نبياً «من وسطهم» من إخوتك مثلي له تسمعون /١٦/ حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة إيضاً لئلا أموت /١٧/.

قال لي الرب إلهي قد أحسنوا فيما تكلموا (من هو النبي) /١٨/ أقيم لهم نبياً من وسط

إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ماأوصيه به /١٩/ ويكون أن الانسان الذي لايسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه//.

لقد جاء في حاشية المجلد الأول للكتاب المقدس الطبعة الكاثوليكية في تفسير هذه الآيات ١٥-١٦-١٧-١٨-١٩ مايلي:

في هذه الآية نبوة مختصة بالمسيح وحده لأن الروح القدس عنده فسرها في هذا المعنى ووجهها إلى مخلص العالم جلياً في كتاب أعمال الرسل «٢ :٣٣- و ٧ :٣٧ وقد اتفق الآباء القديسون كلهم على هذا التفسير» وعلى هذا نعلق مع الأسف الشديد أن يكون هذا التفسير لمثل هذه الأسباب يجب ألا تخفى على أي دارس وعالم أولاً. نسأل هل كان عيسى نبياً أم رسولاً نبياً أم هو أحد الثلاثة الأب والابن والروح القدس ؟ نحن نعرف أن عيسى كان رسولاً نبياً نؤمن بهذا ولانتحول عنه ولكن هل يرضون هذا ؟ ثانياً إن سؤال الكهنة ليوحنا هل أنت المسيح بمعنى سؤالهم فيقول مقراً إني لست أنا المسيح//. ثم يسألونه ولم ينكر عليهم قولهم - إذاً النبي أنت فأجاب لا - يعترف بأن المسيح ليس النبي وأن المسيح قائم بينهم ولايعرفونه وأن النبي لابد سيكون ويأتي في يوم وقد مضى على هذا ألفا عام فمن هو النبي ؟ وثالثاً.

إن جملته /١٨/ أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك//. أقيم لهم من بني إسماعيل الابن البكر لابراهيم فقد قال تعالى في سورة القيامة الآية/١٦/ : ﴿لاتحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه﴾.

ومن لايتابعه أكون في يوم أنا مطالبه لأنه خاتم الأنبياء في دنياهم ونكرر هل كان عيسى رسولاً نبياً ؟ فإذا كان هذا ينهي الخلاف حول النبوة أو التالية ومع هذا فإن عيسى من وسط إسرائيل ليس من وسط إخوتهم فإخوتهم بنو إسماعيل لامراء في هذا أبداً. وإن كان عيسى بذرة لم تدخل صلب آدم أو صلب نوح أو ابراهيم أو داود إنما كان بذرة لم تدخل الأصلاب نقلها جبريل بأمر الله ونفخها في فرج مريم فدخلت فرجها وهي بكر وعذراء لم تدنس من قبل أحد وقد قال تعالى في آخر آية من سورة التحريم: ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾.

اليهود والنصارى قد اتفقوا وإن لم يجتمعوا على بعث عيسى المسيح وكان المسيح ولم يرض به اليهود وهم حتى يومنا هذا ينتظرون المسيح واليهود والنصارى قد اتفقوا حسب سؤال الكهنة ليوحنا وجوابه لهم على أن نبياً سيبعث وقد بعث النبي ولم يرضوا به وقد حمل جميع المواصفات

التي وردت عن الأنبياء في وصفه ومكانه وسيرته وأخلاقه ولم يبعث من بعده نبي فلم يصدقوه ولم يتابعوه وهو من وسط إخوتهم من أبناء إسماعيل بن ابراهيم ؟

لقد جعل يحيى يكرس ويهدي في وعظه إلى التوبة ويغسل الأجساد وليغسل أصحابها قلوبهم من الرجاسات والموبقات وليعودوا إلى صلب التوراة يحلون حلالها ويحرمون حرامها فأبى عليه كل ثري غني وكل صاحب سلطة حتى وصل بوعظه إلى الملك هيرودس وقسى عليه في نصحه وتلك أحوال جميع أو أكثر أصحاب السلطان ولكن يحيى أبى أن يفرق بين الملك والمملوك. فإن خطيئة الملك بنظره ونظر الشريعة أكبر من خطيئة المملوك وهذا هو نظر الاسلام أيضاً فقد جاء في حساب المملوك والمملوكة نصف حساب الحر والحرة ففي سورة النساء الآية/٢٥/: ﴿فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾.

لقد اتهم الناس هيرودس بأنه قد دس لأخيه أسباب المرض حتى مات أو جن أو أقعد لم يثبت التأكيد في شيء من هذا إنما ذكروا أن هيرودس تزوج من امرأة أخيه «فيلبس» واسمها هيروديا وقد فضح النبي يحيى ذلك الزواج وعده زنا كما تقول الروايات عن ذلك.

لقد كبرت الملكة هيروديا التي أسرت في يوم بجمالها الملك السفاح هيرودس وهي من نفس أسرته وذوى جمالها وأدركها الذبول ولكن لم تستجب لسنن الدهر وطغى عليها حب الملك والسيطرة فأبغضت يوحنا بغضاً شديداً فجعلت تطلب من الملك أن يقتله ولم يجسر الملك على ذلك حتى أسمعت الملك بإذنه وعظ يحيى وحملته فيه على الملك فاعتقله وجعله في السجن مكرماً.

وكانت لهيروديا ابنة جميلة جداً في ميعة الشباب في الثامنة عشرة من عمرها قل أن يرى لها في الجمال مثيلاً واسمها «سلومة ابنة فيلبس بن هيرودس الكبير» قد نضجت أنوثتها وصرخت الفتنة فيها ورأتها أمها وأرادت بواسطتها أن تبلغ من يوحنا أربها.

وعمل الملك حفلاً كبيراً لمناسبة معلومة أعد لها قبل يومها وفكرت هيروديا التي رأت الملك وقد بدأ يميل عنها فأعدت ابنتها إعداداً طاغياً يسلب إرادة من يراها حتى إذا أخذ الخمر من الملك مأخذه أدخلت عليه ابنتها سلومة فلم يتمالك الملك أن مد يده إلى الفتاة فقالت أمها إنها لك أيها الملك وتريد طلباً واحداً فقال وماهو قالت رأس يوحنا ولما كان في حالة السكر لم يمانع فأرسلت هيروديا حالاً قبل أن يفيق الملك من سكره. من يأتي برأس يوحنا فذهب أحد عملاء الملكة وجاء برأس النبي يوحنا في منتصف الليل ونالت هيروديا أربها. هذا ماذكر في قتل النبي يحيى عليه السلام وبقي علينا أن نعرف كيف جاء رأسه إلى معبد دمشق ؟.

كان المعبد في دمشق مملوءاً بالأصنام والتماثيل وكان يوحنا يبغض الأصنام بغضاً مؤكداً فهل جاء لتشمت به الأصنام ؟ كيف جاء الرأس إلى دمشق هل جاء محمولاً أم جاء حاملاً ؟.

ربما قال من قال جاءت به الملائكة فدفن في المعبد الذي أصبح فيما بعد كنيسة للنصارى ولهذا نقول إن معبد أورشليم كان ولايزال إذا وجد به المصلون أفضل من مسجد دمشق فهو عند اليهود كما نعلم وعند النصارى به فضل وعند المسلمين ثالث الحرمين فلم جاء رأس يحيى إلى دمشق ؟.

لقد كانت الأصنام والتماثيل تملأ معبد دمشق بعد موت واستشهاد يحيى مدة ثلثمائة سنة حتى صار المعبد كنيسة ففي سنة ثلاثمائة وخمسة عشر أعلنت الدولة الرومانية دينها النصرانية فهل بقي رأس يحيى بين تلك الأصنام طوال تلك الفترة.

لقد حوى كل عصر مستغلين وأفضل من يُسْتَغَلْ ذاك الذي يملأ قلبه الايمان فإنه يهب تعبه بنية طيبة صادقة ولكن أشنع وأسوأ من يَسْتَغِلْ هو هذا الذي يستغل المؤمنين ليملأ بطنه وجيوبه. يضحك على الله قبل أن يضحك من أولئك الأبرياء السذج.

وحدثني رجل حديثاً قال فيه: تزوجت من امرأة قد توفي زوجها وبعد أسبوع من زواجي منها جاءت إلي أمها «حماتي» وقالت ياصهري العزيز إن زوجتك فلانة قد نذرتُ منها جزءاً إلى النبي يحيى فلما تزوجت في المرة الأولى أخذت قسم النبي يحيى إلى المسجد الأموي وأعطيته للسادن هناك والآن أرجو أن تسافر معي إلى دمشق لنعطي قسم النبي يحيى من مهرها للسادن وتلك هي المرة الثانية لقد كانت المرأة أثيرة عندي فذهبت مع أمها إلى المسجد حيث قبر النبي يحيى كما يزعمون فرأيت شيخاً يدرس في حلقة من طالبي العلم فنظرت إليه عن بعد ونظر إلي وقد عرف أن لي سؤالاً فقلت لحماتي سأسأل كيف نتصرف في المبلغ. وأسرعت نحو الشيخ دون أن أنتظر جواب الحماة. ووصلت إليه وهو ينظر إلي وقلت أريد أن أسأل وقصصت عليه الأمر فقال: هل للزوجة أقرباء في حالة فقر ؟ قلت: لا فقال: هل في جيرانها فقراء ؟ قلت: نعم. فقال: إذهب إلى بلدك ووزع المبلغ على الجيران الفقراء.

فرجعت إلى حماتي فوجدت عندها ثلاثة رجال وقوفاً. فأخبرتها بما قال الشيخ. والرجال يسمعون فقالوا لها ستموت ابنتك إن لم تفعلي كما أخبرناكي قالت بل سأفعل كما قلتم ومضت أمامي تقفو أثرهم وسرت خلفها حتى وصلت جانب القبر المسور بالحديد وأدخلت يدها خلف الحديد من فتحة فيه وقالت: يانبي الله هذا قسمك من مهر ابنتي فلانة وألقت المال من يدها قذفاً على القبر وأنا أنظر مدهوشاً وفي رأسي سؤال كيف يؤخذ هذا المال وقبل أن أسألها لمَ فعلت

ذلك ومن سيأخذ المال رأيت الرجال الثلاثة يحمل كل واحد منهم عصاً طويلة وطعن بها من فتح حديد القبر على قطع النقود وجذب عصاه إليه ليأخذ من رأسها قطعة النقد ويضعها في جيبه ثم يطعن ثانية حتى نقلوا النقود إلى جيوبهم وأنا وحماتي ننظر إليهم وكان على رأس كل عصا شمعة ملصقة فمتى لامست الشمعة قطعة النقود لصقت بها فنظرت إلى الشيخ وأنا أبتسم بفمي وقلبي يتألم والشيخ يهز رأسه أسيً ولاحيلة له. إن جميع المرتفعات التي أوجدتها الوثينة القديمة حيث كانوا يذبحون عندها ويقدمون القرابين عندها وربما كانت القرابين بعضها من البشر قد توارثها اليهود من بعد عهد موسى ويوشع كما ذكروا في كتاب العهد العتيق وأنها بقيت لعدة قرون ثم توارثها من بعد اليهود من سار على دربهم ثم في عهد الظلام ومن بعد القرن الثالث الهجري وأول القرن العاشر الميلادي بدأ عند المسلمين هذا وأصبح في المرتفعات تلك وفي المساجد الكبيرة مقامات للصحابة لبعضهم وفي المرتفعات التي ذبح عليها لغير الله يذبح من جديد لغير الله وعاش عليها مستغلون وأيدهم وناصرهم وقدم لهم العون حكام ليسوا من العرب بل من أعاجم وأتراك وأكراد وجعلوا تلك المرتفعات أو المساجد قبور أنبياء وأولياء وأقاموا لبعضها التكايا وعندها تطعم الفقراء وتجمع الدراويش ليقوموا بطقوس في الاسلام يأباها الاسلام ويرفضها ولكن المستغلين الذين قاوم أمثالهم الأنبياء في يوم أصبحوا الآن أكثر قوة من عهد الأنبياء فإن العامة قد أصبحت بفضل الدول والحكام الذين يجهلون ما هو الاسلام يقفون مع العامة الجاهلة التي تؤيد الرقص الديني والموسيقى الدينية والرقى والتمائم ودفع الأجور وقد صاروا كسيل يعسر الوقوف بوجهه.

العقل يدلنا على شيء ولكن الأمور حسب هوى النفوس إن يحيى أي يوحنا ليس في المسجد الأموي ولا دليل على وجوده في هذا المكان ومع ذلك تؤخذ النذور إلى القبر المزور مع أنه يحرم أخذ النذور إليه لو كان حقيقة ولكن المستغلين في كل دين ومذهب وفي كل العصور يروجون الاشاعات الكاذبة بقصصٍ مفترياتٍ، تحث على أخذ النذور حتى يعيش الطفيليون بعز.

مريم ابنة عمران

لقد كفل مريم زوج خالتها أو ابنة عم أمها نبي الله زكريا ورأى عبادتها فاشتهى الولد الطائع الصالح وكانت تعيش عيش الفتاة المنذورة حقاً والمعتقدة تمامًا أنها قد نذرت لله قصداً وغاية.

ولم يذكر أنها كانت مع فتيات غيرها في معبدها أو في حياتها الاجتماعية المبكرة فلم تسرح أو تمرح كما تفعل الفتيات في مثل سنها.

كانت بكفالة نبي الله زكريا يشرف عليها إشرافاً تاماً يعلمها ويدلها على كيفية العبادة وأحبت هي ذلك النهج والمسلك الذي تكون فيه المرأة الصالحة ولم تعر اللعب والعبث أي اهتمام ولم يكن لها ميول كما هي ميول الشباب فحماها الله من أدرانه.

وكانت تختلي بنفسها أحياناً في مكان مأمون يبعد عن علم الناس وفضولهم حتى عن المعبد أو ربما كان بستان وقف تابع لذلك المعبد.

وفي يوم من أيام إحدى تلك الخلوات لم تكد تستقر فيه حتى فوجئت برجل يمشي نحوها ولم تكن ترى رجلاً يدخل إليها في خلوتها فالمكان حصين أمين فانكمشت على نفسها حتى وصل إليها في مكانها فبادرته قائلة: إني أعوذ بالله منك إن كنت مؤمناً كيف دخلت علي في خلوتي وأنا أمة الرحمن المنذورة له فاتق الله وابتعد عن خلوتي قبل أن ينالك المحذور.

لقد أخبرنا جل وعلا عن هذا في سورة مريم الآية/١٦/: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً * فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً * قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً * قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾.

إن القرآن الكريم قد أعطى مريم حقها من الاحترام والتقدير لحفظ كرامتها وإحصانها لفرجها فالقرآن ذكر عنها أن أمها نذرتها وهي في الرحم لله تعالى أكانت ذكراً أم أنثى وبعد الولادة أخبر عن كفالتها وكيفية الكفالة فقد تبين أن كل واحد من الأحبار آنذاك يريد ويرغب إلى كفالتها ويذكر لنا أن القوم ألقوا أقلامهم في الماء فمن طفا قلمه سيكون كفيلها وكان قلم زكريا هو الطافي وكفلها زكريا.

ويخبرنا جل وعلا عن ذلك في سورة آل عمران الآية/٤٣/ بقوله: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾.

ومتى كانت الكفالة فقد سبقت في سورة آل عمران الآية/٣٥/: ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك مافي بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وَكَفَّلَها زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً قال يامريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

لقد أخبرنا تعالى عن ترهبها ولم تخبر بذلك الأناجيل فتربيتها كانت تنبىء عن أنها محصنة وأنها كانت الراهبة الأولى بحق الترهب والخوف من الله فلم يذكر أي رجل في حياتها سوى تزاحم الأحبار على كفالتها فليس هناك ابن عم أو خطيب وخاطب إسمه يوسف ولم يلحق القرآن الكريم نسب المسيح ابنها بمخلوق آخر أبداً ولم تعرف رجلاً بعد عيسى وولادته ولم تلد آخر ولم يذكر القرآن لعيسى إخوة فكل هذا يساعد على مد إصبع الاتهام إليها.

فالقرآن الكريم يقول عنها في آخر آية من سورة التحريم: ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾.

كما قال عنها في سورة الأنبياء الآية/٩١/: ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ وقال عنها في سورة المؤمنين الآية/٥٠/: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ لقد ذكر الله مريم في القرآن الكريم أربعاً وثلاثين مرة أكثرها في الاضافة إلى ابنها وقد ذم الذين تكلموا عليها بالسوء فقد قال في سورة النساء الآية/١٥٦/: ﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾.

لم يحمد ويمدح مريم سوى القرآن الكريم ولم ينسب إليها مكالمة الملائكة لها بحق سوى القرآن الكريم ففي سورة آل عمران الآية/٤٢/: ﴿وإذا قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهركي واصطفاك على نساء العالمين﴾.

ولما بلغت سن الحيض واختلت خلوة عبادة رأت ذلك الرجل الذي أخافها فاستعاذت بالله منه فأخبرها عن مهمته ثم نفخ باتجاه فرجها ولربما كانت عارية تغتسل من حيض ومضى في سبيله وذلك من خبر الله الصحيح: ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ وحملت وتمت أشهر الحمل كما هي أشهر الحمل عند النساء.

إن أطيب ماقيل عن مريم في الأناجيل الذي قال لوقا في إنجيله في الاصحاح الأول /٢٦/ وفي الشهر السادس «ويقصد من حمل أم يوحنا» أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل إسمها ناصرة /٢٧/ إلى عذراء مخطوبة إلى رجل من بيت داود إسمه يوسف واسم العذراء مريم /٢٨/ فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها العذراء الرب معك مباركة أنت في النساء /٢٩/ فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ماعسى أن تكون تلك التحية /٣٠/ فقال لها الملاك لا تخافي يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله /٣١/ وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع /٣٢/ هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي أبيه داود

/٣٣/ ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولايكون لملكه نهاية /٣٤/ فقالت مريم للملاك وكيف يكون لي هذا وأنا لست أعرف رجلاً /٣٥/ فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي العظيم تظللك فلذلك القدوس المولود «منك» يدعى ابن الله /٣٦/ وهو ذا اليصابات نسيبتك أيضاً حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقر /٣٧/ لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله /٣٨/ فقالت مريم هو ذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك فمضى من عندها الملاك /٣٩/ فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا ٤٠/ ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات /٤١/ فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين ببطنها وامتلأت اليصابات من الروح القدس /٥٦/ فمكثت مريم عندها نحواً من ثلاثة أشهر ثم رجعت إلى بيتها.

لم تلد اليصابات ومريم عندها لأنها جاءت إليها في شهرها السادس من حملها وبقيت عندها ثلاثة أشهر وعند دخول مريم إلى اليصابات كم كان لمريم من أيام حمل ؟

أناس يصنعون القنابل الفانية للبشر ولم ينظروا في أمر تعديل الانجيل الذي عدل عدة مرات حتى تتماسك القصة مع بعضها فارتكاض الجنين في البطن ليسجد لبذرة بدأت فكيف استطاع الجنين السكون طوال الأشهر الثلاثة التي بقيت مريم عند اليصابات والبذرة صارت جنيناً في الرحم تراها كل يوم ؟ هذا أهم ماكتب عن مريم وهو لايدل على أن ولدها ابن الله أو أن ولدها كان هو الله ونستغفر الله من مقولة كتلك وبقي الله أو ابنه في رحم مريم طوال تسعة أشهر يأكل من بعض ما تتغذى منه مريم حتى ولدت نعيد القول ونستغفر الله العظيم من كل هذا.

وحملت مريم تسعة أشهر بالبذرة التي نفخها جبريل حتى إذا تمت أيام الحمل غلب عليها الخوف من تكذيب الناس ومن خبر تبشيرها في سورة آل عمران جاء هذا في الآية/٤٥/: ﴿إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين * قالت رب أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل * ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ شتان بين الخبرين فتاة مخطوبة لرجل ويحرم تبديل أمر الخطوبة دون بحث وموافقة من الطرفين وبين المنذورة من قبل أن تولد فلما ولدت أصبحت عابدة مكرسة لله لا تخطب من أحد لأنها أصبحت راهبة ولمَّ ترك الله جل وعلا أمر الخطوبة يتم طالما أنه يريد تحميلها ولده أو جزءاً منه أو هو نفسه يحل فيها ليأكل من فضلة طعامها وصدق الله العظيم الذي قال في سورة المائدة الآية/٧٥/: ﴿ماالمسيح بن مريم

إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾ واشتد خوفها وجعلت تبحث عن مكان خالٍ من الناس حتى إذا ولدت نُظِرَ في أمر المولود وهل يكون كما أخبرت أنه ولد ذكر مميز بعلامات عن غيره يصح أن يكون آية للناس.

ولادة مريم لعيسى وتشجيعه لها

ويخبرنا تعالى بما كان من أمر الولادة في سورة مريم الآية/٢٢/ : ﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً * فاجأها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً * فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً * وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً * فكلي واشربي وقري عيناً فإما تَرَيِنَّ من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾.

لقد كانت في مكان منعزل حين جاءها الطلق فنسيت كل قول ووعد وخافت التهمة والفضيحة فقالت تطلب الموت لينقذها الموت من أفواه الناس فآوت إلى ظل نخلة بجانب عين ماء واشتد الطلق مع تمنيها أنها لم تلدها أمها ونزل المولود الذي كلمها عند نزوله لاتخافي ولا يهمك أمر الولد وقولي لمن يسأل إني صائمة عن الكلام وسأجيب عنك.

لقد كان جبريل رفيق الولد عند ولادته ومضت إلى أهلها فهالهم الأمر إذ رأوا معها مولوداً يرضع من ثديها ويخبرنا تعالى يتم ماقبله ﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فرياً يا أخت هرون ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغياً﴾.

الأمر عظيم فتاة عذراء تحمل ولداً وترضعه وتأتي به أهلها بجهار نهار إنه لأمر عظيم فقالوا لها بالتأنيب الحارق المتهكم ماهذا العمل ؟ يامريم ياأخت موسى وهرون يريدون أخت موسى التي يدعى صاحب كتاب العهد العتيق أنها نبية وكانوا ينظرون إلى مريم وتقواها فيقارنونها بها وزادوا التقريع وحق لهم ذلك بقولهم لم يكن أبوك في يوم من أهل الفسوق ولم تكن أمك من أهل المنكر.

لقد اطمأنت مريم بكلام ابنها فأشارت إليه كما عرفها كيف تتجنب الاجابة وأعادوا السؤال وأشارت إليه أيضاً فقالوا لها وهل يتكلم المولود فأجاب هو بلفظ سليم مقنع إني عبد الله ويخبرنا تعالى بجوابه: ﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً * قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أين ماكنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾. هذا

القول بدأ بخبر عبوديته لربه وأنه يحمل في المستقبل كتاباً وهو الانجيل وأنه نبي وأنه مبارك أين ماحل ونزل وقد فرضت عليه الصلاة والزكاة إن وجد المال ولم يكن عيسى في يوم صاحب مال.

ومضت من بعد كعادتها ... لله تشيد بنجواه
وشهور الحمل بدت تطوى ... وتكامل منها أوفاه
والطلق بيوم أدركها ... وتراءى الخوف بمعطاه
خوف من طعن كرامتها ... في هذا أمراً تخشاه
وبجذع النخلة أقعدها ... وبدا من طفل أعلاه
قالت لو موت أدركني ... ويغيب الأمر وأنساه
نادى المولود لك البشرى ... فدع الأحزان وأواه
والنخلة فوقك هزيها ... تلقي من رطب أحلاه
فكلي والماء بجانبك ... لقرار النفس ورياه
ومخافة عجزك بدفاع ... فدعي لي ذا أتولاه
واعتمدي أنتي لصيام ... عن لفظ القول بموحاه

مجيء مريم بالمولود لأهلها وتزكيته لها

وأتت للأهل بما وضعت ... فرأوه وصاحوا من ذا هو؟
أنزلت الفاحش في عمل ... وأخاً هرون نسبناه؟
أبواك بطهر عيشهما ... وأتيت الفجر وارداه؟
فأشارت للطفل فقالوا ... ماشأن الطفل ومحكاه
فأجاب الطفل بمفهوم ... من خير القول وأذكاه
أنا عبد الله وآتاني ... بالحق كتاباً أملاه
ونبي جئت وأوصاني ... بصلاتي حتى ألقاه
ويكون قدومي بركات ... بوصولي أرضا ترضاه
وبأمي براً وسلوكي ... درب الايمان وممشاه
وعلي سلام بحياتي ... ومماتي ثم ومحياه
هذا هو عيسى من أم ... والروح بنفخ أعطاه
وكذا حواء بلا أم ... والعز لآدم أولاه

لا أب لآدم أو أم بل رب الكون تولاه
والرب تفرد منفرداً ماشابه ربي أشباه
صمد لم يولد من أحد أو يولد أيا إياه
حي قيوم لا يغفو لو أغفى هذا معناه
لن يبقى شيء في حال من مد الكون ومسراه
فالخلق بأكمله عبد والروح كذاك ومعطاه
ومليك الموت وميكال وكذا الشيطان ومولاه

يذكر متى في إنجيله هذا في الاصحاح الأول /١٨/ أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس /١٩/ فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً /٢٠/ ولكن فيما هو منتظر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً يايوسف بن داود لاتخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس /٢١/ فستلد ابناً وتدعو إسمه يسوع لأنه مخلص شعبه من خطاياهم /٢٢/ وهذا كله كان لكي يتم ماقيل من الرب بالنبي القائل /٢٣/ هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا /٢٤/ فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته /٢٥/ ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع//.

من الذي وجدها حبلى أهو يوسف أم هي أخبرته ؟ ثم قال أنه مخلص شعبه من خطاياهم وكم عدد الذين اتبعوا يسوع من اليهود حتى يخلصهم من خطاياهم ؟ لقد عرف كل واحد في ذلك العصر أن الذين آمنوا مع عيسى في حياته من اليهود هو واحد من مئة وقد كذبه الباقون فزادت خطاياهم وهذا صحيح ثم يقول ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر فهل عرفها من بعد ؟

في الاصحاح الثاني عشر من إنجيل متى جاء هذا /٤٦/ وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجاً يطلبون أن يكلموه /٤٧/ فقال له واحد هو ذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً يطلبون أن يكلموك /٤٨/ فأجاب وقال للقائل له من هي أمي ومن هم إخوتي /٤٩/ ثم مد يده نحو تلاميذه ثم قال ها أمي وإخوتي /٥٠/ لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي//.

وفي إنجيل مرقس أيضاً الاصحاح الثالث /٣١/ فجاءت حينئذ إخوته وأمه ووقفوا خارجاً

وأرسلوا يدعونه /٣٢/ وكان الجمع جالساً حوله فقالوا له هو ذا أمك وإخوتك خارجاً يطلبونك /٣٣/ فأجابهم قائلاً من أمي وإخوتي /٣٤/ ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال ها أمي وإخوتي /٣٥/ لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي.

بر الوالدين وهل صار لمريم أولاد ؟ وهل عرفت رجلاً ؟

وفي الاصحاح الثامن من يوقنا جاء هذا /١٩/ وجاء إليه أمه وإخوته ولم يقدروا أن يصلوا إليه بسبب الجمع /٢٠/ فأخبروه قائلين أمك وإخوتك واقفون خارجاً يريدون أن يروك /٢١/ فأجاب وقال أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها//. ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر دليل هذا أنه عرفها بعد أن ولدت ابنها البكر:

الأناجيل الأربعة تقول أن له إخوة إلا إنجيل يوحنا الذي يوصي به المسيح يوحنا تلميذه بأمه لرعايتها ويوحنا هذا ليس صاحب الانجيل الذي يعرف به فصاحب الانحيل ليس من الحواريين.

لم يرد في أي إنجيل تصحيح خطأ هل كان له إخوة من أمه أم لا لقد بقي الأمر على وجهه البسيط لم يعدل كما عدلت أحكام كثيرة في الأناجيل الأربعة القائمة بيننا مرات حسبما رأى ذلك قديسون فيما بعد القرن الثالث الميلادي وخاصة بعد تدخل الأباطرة الذين تنصروا فيما بعد كما ألغي أكثر من ثمانين إنجيلاً تختلف أقوالهم تماماً إلا من التوافق القليل المأخوذ من بعض.

نحن نقر بالانجيل وأنه أنزل على نبي الله ورسوله عيسى بن مريم والقرآن الكريم يقر أن الله بعث الروح القدس وهو جبريل حيث نفخ بذرة عيسى في فرج مريم ودخل إلى الرحم حلولاً وصار الجنين في الرحم تماماً كما تصير الأجنة في الأرحام.

ثم يذكر نزاهة مريم وحفظها لنفسها وأن عيسى دخل رحمها كلمة وهي البذرة الصالحة وأنه كما قلنا من روح الله والروح ملك كريم من خلق الله جعله الله رسولاً منه إلى الأنبياء وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم تأييده عيسى بالروح القدس ثلاث مرات وذكر أن روح القدس نزل بالقرآن الكريم على محمد وقال أيضاً: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ وذكر الروح مرات ويقصده جبريل الملك.

القرآن الكريم يذكر برَّ عيسى لأمه ففي الآية/٣٢/ من سورة مريم: ﴿وَبرّاً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً﴾ ترى من صبر على مشيئة الله حتى تمت أكثر من مريم ؟ ترى من هي أو هو الذي هرب بعيسى إلى مصر واشتغل.

طبعاً وعمل وتعب في طريق عيسى أكثر من أمه وهل تقابل الأم بمثل هذا ؟ ترى ماذا يضر عيسى لو استقبلها واعتذر لها وتابع الوعظ ليعلم الناس بر وطاعة الأمهات.

لقد نقل بعض أصحاب الأناجيل عن بعضهم وكانت الأناجيل كثيرة ولم يرد أبداً أن إنجيلاً كتب بعد رفع المسيح بأقل من ثلاثين عاماً إنما كانت أحاديث وكتبت بعد عشرات من السنين وبقيت الأناجيل كثيرة حتى بدء القرن الرابع الميلادي حيث أبعدت كل تلك الأناجيل وأقروا الأناجيل الأربعة الموجودة الآن بين أيدينا. والقرآن الكريم المنزل من الله يعرف العهد العتيق والجديد وقد هيمن عليها كلها ذكر الصحيح وأغفل المدخل كله وقد قال تعالى في أول سورة آل عمران: ﴿الم * الله لاإله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوارة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾.

ثم جاء بعد قوله تعالى في سورة المائدة الآية/٤٤/: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولاتشتروا بآياتي ثمناً قليلاً. ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون * وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون * وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين * وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون * وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾.

هذا الذي كان ووجب ليسير عليه اليهود ومن دخل دينهم من بني البشر وفق ماجاء في التوراة والأنبياء والمعلمون والأحبار يرشدون إلى العمل بمافيها حتى إذا أرسل الله عيسى بن مريم نبياً ورسولاً إلى القوم وجب عليهم إتباعه إذ يُحِلُّ لهم بعض ماحُرِّمَ عليهم ويحرم عليهم بعض الذي استحلوه وأنزل الله عليه الانجيل فعلى اليهود أن يتبعوا عيسى المصدقَ الصحيحَ من التوراة ويسيروا بحكم الانجيل الذي يصدق توراتهم إلا المدخل فيها حتى إذا أرسل الله محمد وجب على الجميع إتباعه وأنزل عليه القرآن المصدق بالتوراة والانجيل ولكنها للتوراة

الصحيحة والانجيل الصحيح ليست المبدلة وليس المبدل وقد جعل الله القرآن جامعاً لكل صحيح في التوراة والانجيل وزاد عليه الواجب اتباعه وذكر فيه هذا.

لقد جاء في سورة الأحزاب الآية/٤٠/: ﴿ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً﴾.

لقد ختم الله بمحمد الأنبياء هذا منذ أربعة عشر قرناً فهل بعث نبي بعد ذلك خلال الأربعة عشر ؟ ويقول تعالى: ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ وصدق الله العظيم.

لقد أخبر الله جل وعلا بما قال جبريل لمريم قبل حملها مع الخبر: ﴿ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾ فكانت أول آية من عيسى للناس كلامه في المهد وحتى عند نزوله من الرحم وتشجيعه لأمه ثم إخباره لأهل أمه بأنه عبد الله وأنه أعطي أو سيعطىٰ من الله الكتاب والنبوة وأنه سيسير وفق الشريعة يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة مادام في حال الحياة وأول كلامه لهم أنه عبد الله حتى لا يأخذهم الاستغراب على أخذ فعله على غير ما هُوَ لَهُ. وذكر بأنه سيكون باراً بأمه ومحباً لها ولن يكون من الجبابرة والجبروت الذي قصده هو الخروج من دائرة معطاه.

لقد ذكر الله جل وعلا في سورة المائدة الآية/١١٦/: ﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب. ماقلت لهم إلا مأمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾.

إن الذي تكلم به عيسى لأهل أمه صح أن يكون عنواناً لكل ماوعظ به عيسى إلى أن رفع فقوله إني عبد الله فذاك سيد التوحيد لأنه إقراراً لعبوديته لله وقس عليه ماخص التعريف بالله في جميع أقوال عيسى عليه السلام وكان كثيراً ما يقول «إن أبي وأباكم الذي في السموات» قال كذا وأمر بكذا إنه بذلك لم يخص بها نفسه وتعنى العهدة لله على جميع خلقه ولله جل وعلا قد ذكر قوله هذا في القرآن الكريم مرات كثيرة منها قوله في سورة آل عمران الآية/٥١/: ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾.

وفي سورة المائدة الآية/٧٢/: ﴿وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار﴾ والآية/١١٧/ من سورة

المائدة: ﴿ما قلت لهم إلا ماأمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم﴾.

وفي سورة مريم الآية/٣١/: ﴿وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾.

وفي سورة الزخرف أيضاً الآية/٦٤/: ﴿وإن الله ربي وربكم هذا صراط مستقيم﴾.

إن عهدة الله على خلقه أعظم من عهدة الوالد لولده وقوله: ﴿أتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ أي أعطاه الانجيل ليرجع ماغير ويدل من التوراة ثم ليذكر نبوته ورسالة موسى يصدقه ويصدق كتابه بمانزلت من خالق البشر ليس فيها قتل بلا سبب ولاتحريم الانسان بأهله وولده كما تفعل الوحوش وليس كل الوحوش وقوله ﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾ لقد كان في وعظه يحث على القناعة بالقليل الطيب ليصبح كثيراً مباركاً. ويحث على حمد الله وتسبيحه كقوله «ليس بالخبز وحده يعيش الانسان ولكن بكل كلمة تخرج من فم الله» يعني بذلك التسبيح والتحميد وسلوك الطريق المستقيم الذي أمر الله به.

لقد أمر الله بكل مايصلح لحياة الانسان ونهى عن كل ما يضر الانسان في حياته وحياة الانسان في الدنيا عليها ارتكاز حياة الانسان في الآخرة فإذا صلحت الأولى عملياً مع الناس صلحت الآخرة فعلاً مع الله فمن هذا ليست المادة سر حياة الانسان.

وقوله: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً﴾ ولن أنسى رجوعي إلى ربي وما تأمر به الصلاة من أمر بمعروف ونهي عن منكر يشمل كل متعارف عليه وعلى أحقيته وجودته من قول وفعل لقد كان عيسى يصلي حتى وتلاميذه يغطون في نومهم فلمن كان يصلي ؟.

وقوله: ﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ تلك هي رسالة السلام وهي أصل رسالة عيسى فقد كان بحق رسول سلام ولكن لمَ لمْ تبق رسالته رسالة سلام ؟.

لأن السياسة والمغرضين أرادوا هذا فقلبوا المفاهيم وعكسوا القصد والغاية ولانذهب بعيداً أبعد من الحروب الصليبية ونسد آذاننا عن القول ها نحن جئنا يا صلاح الدين ونغمض أعيننا عن هذا الذي نحن فيه وما قضية فلسطين سوى امتداد للحروب الصليبية مغطاة بحفنة من اليهودية لقد كانت ضحايا الحروب الصليبية ملايين الأبرياء وكان بوقها الأول من فم ناسك ولم ندر من أين جاء ذلك الناسك الذي باسم عيسى ورسالة عيسى بدأ أبشع وأطول الحروب في العالم حتى اليوم هل كان ذلك الناسك بعقل أم كان بلسان دون قلب ؟ أم أنه أول داعية صهيونية تنصر لغاية دفعته إليها الماسونية التي في يوم استطاعت القضاء على الأشوريين إلى الأبد

وهناك بدأت حرب من النصارى كل النصارى والمسلمين واليهود تجار تلك الحروب تجارتهم بين الجماعتين واستغلا لهم للمعسكرين وتجسسهم كان لكلا الطرفين وأسعروا النار في شرقي البحر كله ولم يصلوا آنذاك إلى مطلوبهم فقد أتم القدر المدنة قبل فناء الطرفين الذي تقصده الماسونية ولكن العداوة بقيت كنار تحت رماد وأخذت الحرب شكلاً غير الأول فلبست ثوباً آخر.

لقد صار الاستعمار ولكنه لم يستطع الوصول إلى غاية المنظمة الدافعة الأولى للاستعمار ولم تصل هي إلى تلك الغاية فالذهب قد جذب الاستعمار والمنظمة بعيداً عن فلسطين إلى الشرق القريب والبعيد ووقفت تركيا تدافع عن شرقي البحر باسم الدين وقد منع الأتراك آنذاك أهل البلاد عن الاستعداد للدفاع عن أرضهم وبلادهم ومقدساتهم. ولما سقطت تركيا تركت أهل البلاد غنيمة وبلادهم سليبة للمتحكمين الذين وصلوا إلى غاية الحروب الصليبية.

لقد وصلت المنظمة إلى هدفها وأكثر من ذلك كانت تثير المشاكل في الخفاء على يد عملاء من وراء استار وهي ذليلة تشتم ولا ترد الشتم وتلطم ولا ترد اللطم ولكنها بقدرة مارد وصلت لامتطاء أعظم مطية وجدت حتى الآن لتجعل الحرب الصليبية باسمها هي فتعتلي صهوة عدوها الأول لتصل إلى عدوها الثاني ويقول جل وعلا عن عيسى عليه السلام بعد ذكر خبر حمل أمه به وولادتها وكلامه في المهد لأمه ولأهلهاوخبره عن نفسه ومهمته التي أوكلها الله إليه في سورة أمه في الآية/٣٤: ﴿ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * وإن الله ربي وربكم فاعبده هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾.

ويقول تعالى عن خلقه لعيسى في الآية/٥٩/ من سورة آل عمرا:ن ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على كاذبين﴾ كلمات زمردية بل أفضل من ذلك خلق الله آدم بلا أب ولا أم وخلق الله حواء بلا أم ولاأب إن لم يكن آدم أبوها في المعنى ومن ضلعه.

لقد خلق الله جل وعلا آدم بلا أب ولاأم وبالعقل نعرف أن هذا أعظم أهمية من المولود من أم فتلك بذرة قد حضنت ونمت في الرحم وغذيت من غذاء الأم حتى ولدتها أمها.

وقد خلق الله حواء بدون أم وهذا أعظم من المولود بدون أب إذ أنه لم يضمها رحم فكانت حواء وجميع الأديان تعترف بهذا وتأخذ به ولا ينكر كل هذا العلم.

لقد عرفنا الآن تماماً أن التلقيح صار ينقل بذرة الذكر إلى رحم الأم دون أن ترى الذكر وهذا طبعاً ليس في أي اتصال حتى وهي عذراء كما عرفنا أيضاً نمو أبناء الأنابيب ترى ألم يؤن الأوان لنعرف أن الخالق غير المخلوق وأن الصانع غير المصنوع.

ويقول جل وعلا في سورة المائدة الآية/١٧/ : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾.

إن أي جملة إذا أريد الجدال في تفسيرها توجه لليمين وللشمال وللجد وللهزل حتى وللتهكم وفي الأناجيل الأربعة المعترف بها يقول يحيى وينقل قول أشعيا النبي ففي إنجيل متى الاصحاح الثالث /١/ وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية /٢/ قائلاً توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات /٣/ فإن هذا الذي قيل عنه بأشعياء النبي القائل صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب إصنعوا سبله مستقيمة//. هذا من قول أشعيا الاصحاح الأربعين وقد جاء ه كذا /١/ عزوا عزوا شعبي يقول إلهكم /٢/ طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل إن إثمها قد عفي عنه إنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها.

/٣/ صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب قوموا في القفر سبيلاً لالهنا /٤/ كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمه ينخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً /٥/ فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر معاً لأن فم الرب تكلم وفي إنجيل مرقص الاصحاح الأول /٢/ كما هو مكتوب في الأنبياء ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك /٣/ صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب إصنعوا سبله مستقيمة//.

وفي إنجيل لوقا الاصحاح الثالث /٤/ كما هو مكتوب في سفر أشعيا النبي القائل صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب إصنعوا سبله مستقيمة//.

ترى لم فسر القوم أقوال أشعيا النبي التي تكلم بها قبل مئات السنين وتكلم بها يحيى لمن وأين الرب الذي يسير في الدروب المعبدة وهو رب الدروب والذي تطلب إليه من جميع خلقه أن يسهل دروبهم كيف ياأهل العقول السليمة ماذا تعني هذه الكلمات وماهو تفسيرها من كلام رجل قد رأى قومه في آخر أيام عزهم ينهارون تحت أقدام أعدائهم ويرى أعمالهم الشريرة هي لم تتبدل رغم الويلات النازلة عليهم ولا رجوع عنها.

فإذا كان يوحنا الصوت الصارخ أعدوا طريق الرب فإن عيسى يقول كما أخبر الله في القرآن

الكريم مرات ومرات ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ وهو طريق الرب الذي أمر به عباده لقد قال أشعيا في إصحاح سفره الأربعين /١/ عزوا عزوا شعبي يقول الرب إلهكم /٢/ طيبوا قلب أورشليم//. إلى آخره.

فماذا فعل المسيح لأورشليم ولأهل أورشليم لقد أرادهم أن يقوموا طريق الرب فرفضوا أن يسيروا وفق الصراط المستقيم فأبوا وبعد ثلاثين سنة قمرية من رفعه لم يعد صوت يرتفع لبنات وأبناء أورشليم ودام هذا الألف وتسعمائة عام فهل قول أشعيا يخص المسيح وأن المسيح هو الرب ؟

ياأهل العقول السليمة لقد تنبأ أشعيا عن كذا وكذا وكذا عن جميع مدن ودول الشرق الأوسط وكل إنسان يمكن أن يتنبأ بتبدل دول وتغيير دول ولم يتنبأ عن الهند والصين واليابان وألمانيا وهتلر.

لقد ندب وناح أشعيا عن وعلى كل من عرق فلم لم ينح على نساء مدين الذين قتلهم موسى بزعمهم وعلى بني عمون الذي داسهم داود تحت النوارج والفؤوس وحرقهم بأتون الأجر ؟

لَمَ لَمْ يتنبأ عن شهود يهوه الذين جعل هتلر أجسادهم لتغرية الأخشاب وغيرها ولم لم ينحْ عليهم وعلى ملايين ممن قتلهم هتلر من اليهود ؟ نحن نعرف ـ لأن هتلر لم يقتل أحداً ممن لايستحق القتل أبداً إنما جُعل هذا تمثيلاً لاستدرار عطف أعداء هتلر ولحث اليهود في العالم على الهجرة إلى فلسطين لانشاء هذه الدولة التي تعلن أنها ستنهج نهج ماذكر الكتاب المؤرخ لهم كيفية القتل والاستعباد.

ياأهل العقول السليمة لقد تنبأ أشعيا عن كل شيء حتى قيام الساعة فأين تنبؤه عن الاسلام الذي بقي تملكه لأورشليم لألف وأربعمائة عام ؟ وسيعود ويدوم إن شاء الله.

ياأهل العقول السليمة متى تملك المسيح بتملك الدول المسيحية التي لو كان المسيح على الأرض يحكم لحاربها بكل ماأوتي من قوة ؟ لماذا لأنها تعاكس تماماً رسالة المسيح وأهداف المسيح.

إن المنظمة الماسونية التي جلست الآن على أكتاف الأمم الغنية قد تلاعبت منذ ألف وستمائة عام تقريباً بعقول من رسمو تلك الخطوط المعوجة وفق أهداف المغرضين من أباطرة وحواشي الأباطرة وهو الأكيد اليقين. العالم الآن يضحك في دوامة مما يلزم فيه البكاء لايبالي ما سيكون في غده يتجرع السم رويداً رويداً ولايشعر بتحسيه يسير مع تلك الخطوط المعوجة على أنغام موسيقا

الترتيل الفارغ كهذا الذي يأخذ المخدر يستطيبه فإذا تمكن منه لم يستطع الاقلاع عن تعاطية ويعلم تماماً أنه البلاء القاتل وثم ينزل إلى الهاوية يغني ويغني للأقدار المغنية.

قوموا طريق الرب وهل يسير الرب على طريق كطرقنا في الحياة المضحكة والأمر بين ومعلوم لأهل البصائر قول يأمر بالسير وفق الشريعة /وبقية عدد قسي قيداوتقل لأن الرب إله إسرائيل تكلم//. الرب رب إسرائيل عدو كنعان وأبناء كنعان عدو الفينيقيين والمالطيين والأرواديين والقبرصيين والرودسيين فلما ذا يركض القسس والرهبان والبطاركة ليمسكوا بركاب الصهيونية بنت الماسونية يخدمونها في تراتيلهم وخطبهم ويحملون السلاح دفاعاً عن الصهيونية ضد أهلهم وقومهم وبيضتهم الحقيقة ؟.

الله مبدع الكون والانسان من إبداعه

ماقدروا الله بقدرته ... قد فاق الفوق وأعلاه
هو أحد حتى جوهره ... صمد يكفينا هو الله
ما احتاج لأحد يشركه ... في حمل العبء ومضناه
والخلق عبيد جملتهم ... إذ غذى الجسم مغذاه
لتراب كان على ماء ... فانحل ببعض لهداه
وارتفع وصار لنا طعماً ... والله لهذا أنشأه
بدخول الجسم بدا عملاً ... قد حير فيها أصفاه
بعض للدم سيرفده ... والبلغم يأخذ منحاه
والعظم له قسم فيه ... واللحم يريد مؤداه
والعصب كذا وكذا حتى ... يعطى الاحساس بدنياه
والخثل سيخرج منبوذاً ... وينجس أياً يلقاه
والله الأكبر عن هذا ... فالعصمة منه لايباه
فالأرض تكون بقبضته ... والسبع ستطوي يمناه
ولعيسى عيش بني الدنيا ... يسعى للعيش بدنياه
وتربى طفلاً وغلاماً ... والأم تحوط وترعاه
لم تأخذ خمراً من بول ... أو تخرج مسكاً أحشاه
يمشي في السوق لحاجته ... ويخاف الموت ويخشاه

إن الله جل وعلا أعظم من أن ينزل منزل بني الانسان وقد طلب موسى منه النظر فقال له الله الآية/١٤٣/ من سورة الأعراف: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمة ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعل دكاً وَخَرَّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾.

ليس الله كما قال أولئك المأبونون يسير معهم بنفسه ويقوم معهم ويصارع رجالهم وإنه في مذبحهم وفوق كروبيهم وأن موسى رآه مجابهة فصار وجهه يلمع وأن الله لهم وحدهم وأنهم شعب الله المختار ولذا جعلوا الله بما كتب مؤرخهم ألعوبة في أيديهم إذ خلط المقدس بالملبس ولالوم عليه لأنه يصنع لقومه تاريخاً ودستوراً يمنحهم فيه العز والفخر فقد قدس نفسه وقومه بلسانه. ولكن اللوم على من تابعهم يزف أمه إلى أبيهم ويصفق لهذا ويطرب يظن أنه يعبد الله وليس بعابد فالعبادة تكون بأحقية الفعل والمفعول ولكن هذا ببطلان الفعل والمفعول فالله للجميع والدين للجميع والحق فوق الباطل ويعلو الجميع.

يقول أشعيا النبي في الاصحاح الحادي والعشرين من سفره /١٥/ فإنهم من أمام السيوف قد هربوا من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب//.

لقد تنبأ عن الددانين الذين لجؤا إلى تيماء من سيوف الرومان والمسلمين ونسي أن ينوح على ربة بني عمون عند غزو داود لها بما جاء في الاصحاح الثاني عشر من صموئيل الثاني/وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً /٣١/ واخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أتون الأجر.

نحن نؤكد أن كل هذا كذب ومفترى ولكن تقديسه أمر يوجب ذكره ليعرف الناس المفروض عليهم تقديسه هل هذا من الله ؟ وهل يمكن أن يرضى الله بمثله ؟ ولم يفرض تقديسه ؟.

إن المسلم في صلاته المفروضة في اليوم والليلة يقول فيها ويكرر كلمة الله أكبر ثمان وتسعين مرة عدا النوافل وهي تزيد عن هذا لأن الله يذكُرُ بعظمة الله وأنه أكبر من كل شيء معلوم أو جال في الفكر عظمته فالله أكبر ففي الحديث المروي عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن مَلَك من ملائكة الله من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنيه إلى عظم كتفه مسيرة سبعمائة عام» والله أكبر وقال تعالى في سورة الزمر فالآية/٦٧/: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

ومنذ ألف وأربعمائة عام أنزل الله بآية الكرسي وهي/٢٥٥/ سورة البقرة: ﴿الله لاإله إلا الله هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولانوم له مافي السموات ومافي الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾.

لقد خلق الله جل وعلا الانسان واستخلفه على الأرض لينظر إليه كيف يكون في مسلكه تجاه ربه الخالق وتجاه والديه وتجاه بني الانسان في ضعفه وفي قوته في علمه وجهله في فقره وغناه. وقدَّر عليه كيف يكون وماذا يفعل حتى يصل الانسان إلى صنع المسميات تلك التي يصنع وليظهر الانسان من يديع علمه الذي أسند الله إليه معرفته وصنعه.

فوجود الانسان في ماديته التي أحاطت بذرته وحبست معها روحه التي تدل عليها وعليه لكي يوحى إليها بما تصنع. ووجود شيئياته تلك غاية الله ليتم ما أراد الله وكلها ضمن دائرة الشرع عبادة إن الله خلق آدم وقدَّرَ عليه الخطيئة ومغفرتها مقدَّرَةً مع تقديرها لأنه خلق الانسان ليعمر الأرض ليس ليسكنه الجنة هكذا بلا ابتلاء ولااختبار وليس لله من حاجة في أن ينزل إلى الأرض لكي يشاطر الناس آلامهم وحياتهم التي حوت المدنس والمقدس وهو يعلمها أكثر من بني الانسان بمرات ومرات.

إن خطيئة آدم لم تعدو الخطيئة وكان عقابها الآني هو الخروج من الجنة لآدم ولحواء ولذريتهما. إن النفس الأمارة بالسوء هي مع كل إنسان حتى مع آدم وحواء وزيادة على ذلك أنهما غررا.

ولكن إهانة الله في شخصه أو ولده أو جزئه فهو أمر أعظم بملايين المرات من معصيته في حالة والندم عليها. ومن ثم تطورت إهانة الرب في شخصه أو ولده أو جزئه إلى إماتة ذلك الرب أو ولده أو جزئه في ميتة مهينة بين لصين ونستغفر الله من كل هذا.

هل يعسر على الله الذي أحيا الميت على يد عيسى وشفى المرضى على يده وأنقذ المجنون والأبرص على يديه أن يلقي الشبه الذي لعيسى على ذلك الذي خانه فباعه بدريهمات ليصلب وينجو عيسى من الاهانة على يد اليهود أعداء الانسانية ؟

لقد خلق الله جل وعلا الانسان بذرة كبذور النباتات وجميع المخلوقات ثم جعل طريقة الخلق مابين الذكر والأنثى ثم بدأ النمو في الرحم من حيوان منوي وبيضة حصل فيهما الاختلاط ثم أرسلت الروح إلى الحسم الذي يتشكل كامل الخلق في غضون ثلاثة أشهر على الأغلب

فسجنت الروح لأمد قد قدره الله منه ستة أشهر أو ماحولها في الرحم والباقي في الحياة الدنيا حتى ينتهي العمر فترجع إلى بارئها ويبدأ الجسم ينمو ويزداد نمواً بغذائه الذي هو من الماء والتراب ومن هذا تشكل الانسان. يدخل الطعام والشراب من فمه إلى معمل حير الانسان العاقل بعملياته وإنتاجه الذي يتمثل إلى مايشكل الجسم الانساني المكون من لحم وعظم وأعصاب وبلغم ودم وغيره ويتبقى حثل يخرج مذموماً فيطرح وكل مخلوق مادي على هذا الكوكب لديه هذا المعلوم وكل مايطرح من الانسان نجس مكروه الرائحة وفي سورة المائدة وقد مر معنا في الآية/٧٥/ قوله تعالى: ﴿ماالمسيح عيسى بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنَّى يؤفكون﴾.

لقد كانوا يعيبون على الرسل أكلهم الطعام لما يعلمون من تمثله وكذلك المشي في الأسواق لقضاء الحاجات فكيف يأكل الله الطعام ويشرب الشراب ويعلوه التراب والذباب وفي سورة الفرقان الآية/٧/ قوله تعالى: ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾.

لم تذكر الأناجيل أن مريم قالت أو همست في أذن أحد أن ولدها لم يكن يبول أو يتغوط فقد كان يبول ويتغوط كغيره من الناس ورغم وجود من يتطوع لنشر مثل تلك الترهات لم نسمع أو نقرأ في كتاب بأن نبياً أو رسولاً وقديساً لايبول ولايتغوط فالله جل وعلا يتنزه عن مثل هذا.

كل من أكل وشرب يتغوط ويبول لأن الأكل والشرب يتمثلان في الجسم والله قد طهر الجنة عن مثل هذا بقدرته فالأكل فيها أي الطعام والشراب يخرجان من الجسم رشحاً وتعرقاً برائحة المسك.

ولكن لوقا في إنجيله الذي ذكر فيه نسب المسيح قد أوصل المسيح والانسان أيضاً إلى أنه ابن الله والنسب هذا قد دل التاريخ بطلانه حتى وبطلان تاريخ العهد العتيق برمته.

ومن نسب المسيح نرى أن الأبيض والأسود ويهوذا الأسخر يوطي أبناء الله والملك كله لله ولن يعذب أي كان من أولاده والبشر كلهم أبناء الله إذاً لمن كان المسيح يعبد ؟

ترى لمن كان المسيح يصلي في خلوته ؟ ولمن كان يعبد ؟ فإن كان هو الله فلن يعبد نفسه وإن كان ابن الله فلن يرضى الله بتعب ابنه وإن كان ثالث ثلاثة فهم أيضاً يصلون مثله فلمن صلاة الجميع ؟

وبالمناسبة هذه نذكر الكلمة التي نادى بها المصلوب وهو على الخشبة وقد ذكرت في إنجيلي متى ومرقص عند تسليمه الروح ففي الاصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى جاء هذا /٥٤/ ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض إلى الساعة التاسعة /٤٦/ ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لم شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني//. الاله بمن كان يستجير ؟ المسيح يستغيث واللصان لايستغيثان فكيف هذا ؟

وفي إنجيل مرقص الاصحاح الخامس عشر جاء هذا /٣٣/ ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة /٣٤/ وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: ألوي ألوي لما شبقتني الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني//.

لقد عرفنا في عصرنا هذا أن القول بأن المسح هو الله قد تغلب على القول بأن المسيح ابن الله فقد تم جمع الأقانيم لشخص واحد ولكن كيف نعمل بهذه الجملة التي تفوه بها المصلوب إلهي إلهي لماذا تركتني ؟

لايمكن تفسيرها أبداً ويستحيل بغير هذا وهو أن المصلوب يستجير بإلهه ولايستجير بنفسه إنه يعاتب ربه إنه يظهر التوبة والندم ويعلن عن ضعفه وكل ذي عقل من البشر يعرف أو يجب أن يعرف هذا.

ونسائل أنفسنا كيف تسجن روح الله في جسم مادي هو هذا الذي نعرفه طوال اثنتين وثلاثين سنة ومن كان يدبر هذا الكون في تلك السنوات ثم يأتي الذباب والغبار على ذلك الجسم الذي تحتله روح الله وأكثر من هذا أن يبقى في الرحم طوال تسعة أشهر بين الدماء والأقذار ونستغفر الله من كل هذا.

رسالة عيسى كغيره من الرسل

وتربى الطفل كأطفال	من حيث العيش بدنياه
لكن العقل على قدر	من حيث العمر بأوفاه
ومضت أعوام في هذا	للعيش يكد بمسعاه
لكن الحكمة ينطقها	ومراد الخير توخاه
ورقا واشتد لبعثته	فأتى من وعظ أسماه
وله الانجيل حقيقته	أولاه الله وأعطاه

إن الانجيل مقاصده   خير الانسان لدنياه
وينير الدرب لآخرة   كي يرضى العبد ومولاه
لاتسرق فيها لاتزن   لاتقتل واسمع فحواه
لاتكذب أو تعمل شراً   وضرار الناس تأباه
لاتفسد أو تقطع رحماً   ومراد الفجر توقاه
أبواك تعرف فضلهما   والجار برفق ترعاه
والناس وأنت على شرف   مادام الفعل تساواه
حاسن مادمت على حسن   فضل المعروف لأولاه
وأحب الناس بجملتهم   إن تلق الشر تناساه
ولك التوحيد به يسمو   روح الايمان لأعلاه
إياك الشرك فمن يشرك   خسر المجهود وأخراه
وعليك بطاعة ذي البشرى   واسلك من أحمد مسراه

ليس للانسان العاقل أن يرضى لنفسه إلهاً تناله أيدي عبيده ومخلوقاته بالسوء ولو ساعات فكيف لسنين وسنين لقد خالط عيسى مليوناً من البشر لم يعظ أو يعلم غيرهم فهل هو لهذا المليون رباً وإلهاً أم لسائر البشر ؟ إن مئات الملايين بل آلافها تريد أيضاً أن تراه وأن يخالطها فلم اقتصر في وعظه لجماعة صغيرة دون آخرين ؟ لم لم يتنقل تنقلات إلهية إلى مصر في وعظه وإلى سوريا وإلى روما وإلى الهند والصين ؟

إن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يتأله أبداً أو يدعي الألوهية أو النسب للاله فابن الاله لابد في يوم أن يصير إلهاً إذا لم نعده حالاً إلهاً صغيراً إن الذي نسب الألوهية لعيسى ذاك الذي ادعى في يوم أنه أصيب بالعمى لعدائه للمسيح وأتباعه ثم ادعى أنه قد بريء من العمى على يد بعض أتباع عيسى ثم أمَّمَ رسالة عيسى وذلك لغاية في نفسه أضرت به فيما بعد.

لقد كان بولص يمثل الجمعية الماسونية الخفية التي فكرت بجعل أتباع عيسى تحت صوت وسيف النقمة الذي يملكه الرومان ووصلت إلى ذلك ولكنها لم تفد من ذلك فالقدر أصاب بسيفه.

إن عيسى عليه السلام قد تربى كما تربت الأطفال وطالت طفولته كطفولتهم ولما ميِّز جعل يساعد عمه يوسف في صناعة المحاريث والأبواب ولم يخترع شيئاً زاد وصفه أو زاد نفعه عما كان

يصنع عمه طوال الأعوام الخمسة والعشرين أو الثلاثين حيث بدأ الوعظ.

إن كلمة أبي التي وردت في الأناجيل لو تتبعناها في كل جملة قيلت. كل مرة على حدة لوجدناها أخذت على غير ما قيلت له فالمسيحيون يقولون للكاهن ياأبونا فهل الكاهن أبوهم أو البابا لهم أب ؟

إن فلتات في الأناجيل تبين الحقيقة التي كان عليها عيسى فقد كان عيسى زاهداً عابداً موحداً ففي الاصحاح الرابع من إنجيل متى تجربة يسوع /١/ ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس /٢/ بعد ماصام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً /٣/ فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً /٤/ فأجاب وقال ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله /٥/ ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل /٦/ وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكيلا تصدم بحجر رجلك /٧/ قال له يسوع مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك /٨/ ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها /٩/ وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي /١٠/ حينئذ قال له يسوع إذهب يا شيطان لأنه مكتوب لله إلهك تسجد وإياه وحده تعبد /١١/ ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه//.

إن قول إبليس ليسوع إن كنت ابن الله كذبة مفتوحة لاتتفق وسياق القصة فلو كانت هكذا إن كنت مرسل من الله فقل كذا فقد أعطت القصة حقيقة عيسى كاملة فقد كافح ضد إبليس حتى خلص إلى نتيجة وهي قوله /١٠/ إذهب ياشيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد//.

تلك هي الحقيقة والتوحيد السليم وجاءت هذه في الاصحاح الأول من إنجيل مرقس /١٢/ وللوقت أخرجه الروح إلى البرية /١٣/ وكان هناك في البرية أربعين يوماً يجرب من الشيطان وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه ثم ذكرت القصة في إنجيل لوّقا على غرار ماهي عليه في إنجيل متى وفيها /١/ للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد.

من تفكر بتلك الكلمات وبدل «ابن» بكلمة «رسول» لوجد تجارب الرسالة وحقيقة الاقرار بعبودية عيسى لربه ثم يجد كلمة التوحيد هي الختام.

ليس بالخبز وحده يحيا الانسان وطبعاً إن الحياة الحقيقية ليست حياة الحيوانات إنما هي حياة

الفعل والتعقل ضمن إطار الشريعة وكما قال تعالى في سورة البقرة الآية/١٧٩: ﴿ولكم في القصاص حياة يأولي الألباب﴾ إن كلمة التوحيد هي لب الحياة للعاقل المفكر الذي رأى ويرى التسلط من الانسان على الانسان وبالتوحيد يعلم أن لكل حكم نهاية والحكم الأخير الدائم أبداً هو لله ولله وحده.

كلمات هي جوهر التوحيد ولب العبادة فلو عرف إبليس بأن عيسى هو الله أو ابن الله فمن ذلك الحقير الذي يقوم مقام المجرب لله أو لابن الله لوكان لله ولد ؟

إن الانجيل الصحيح كان من بعد رفع عيسى بقليل وأكبر الظن ممن يفكر فيصب الحقيقة في تفكيره أن «بطرس» الحواري قد كتب الانجيل الصحيح بحذافيره وبقي في أيدي المؤمنين وقد قضى عليه بالخفاء «بولص» فالدلائل تشير إلى أن إنجيل متى يصل العهد الجديد بالعهد العتيق ولا فرق بينه وبين العهود السابقة من حيث التقليد والمتابعة والأناجيل من بعده قد أخذت عنه وأنه أخذ الصحيح في إنجيله من الانجيل الصحيح ومن أخذ عنه خالفه في يهوديته وعلم هذا عند الله.

يقول جل وعلا في كتابه العزيز في سورة المائدة الآية/٧٧: ﴿قل يأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾.

إن في هذا بيان التزوير والتحريف المدخل وفق أهواء بعض من سبق ولا يحق لعاقل أن يغيب عنه أمر كهذا هل يمكن أن يكون لله ولداً ؟ والله كان ولايزال منذ فجر الوجود بل هو فجر الوجود وسر الوجود منذ ما لانهاية لبدئه آلاف آلاف الملايين من السنين فلو ولد لمات ولو شارك لخولف ولو صار الخلاف لفسد كل شيء وفي سورة المؤمنون قوله في الآية/٩١: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون * عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون﴾.

إن آلاف ملايين السنين لم تذكر الله أقانيم وإن إبراهيم قد عبد الله دهراً طويلاً لم يذكر عنه أنه جزء الله أو أنه جعل الله من أجزاء وعناصر ومن بعده أبناؤه وأحفاده وتلك التوراة التي قال عيسى أنه لم يأت لينقضها لم تجعل لله ولداً ولم تجعل له شريكاً ولم تجمعه من عناصر إنما ذكرته إلهاً واحداً بعنصر واحد واسألوا عن ذلك بولص.

زهد عيسى في الدنيا

عيسى لم ينظر للدنيا والزهد بصغر واتاه
والبعثة جاءته كهلاً في العقد الثالث أوفاه
لِيُذَكِّرَ أبناء الدنيا هل يأخذ أي مبناه
فبنوا اسرائيل مشوا عسفاً عبدوا الرومان ودنياه
ذكرهم أن يحيوا شرعاً يدَّعُوا التحريف وأشباه
أغلالاً جعلوا يقطعها يُغْلُوا للعدل وصاياه
والناس سواسية تبقى في حكم الشرع وقضواه
لايعلو هذا عن هذا إلا بالفعل وتقواه
تلك التوراة مبادؤها لكن الملصق ألغاه
صار المظلوم له تبعاً وكذا المغلوب بدنياه
أما الأعيان فقد رفضوا واستعدى كل مولاه
هذا عن جد مسلكنا أعطى إبراهيم وإبناه
وكذا التوراة بحوزتنا ولهذا موسى أمضاه
ثم التفسير بقدرتنا ماكان لقصد قلناه
وأتيت لترشد مجمعنا ولنا في العلم خفاياه

طلب اليهود الآيات من عيسى

ما الآية منك لتشعرنا بكتاب أرسلك الله
فأتى بالطين ومثله طيراً واستأذن مولاه
كن طيراً كان وأطلقه فعلا الأشجار وناغاه
والأكمه والأبرص حتى في إذن الخالق أبراه
قالوا بالسحر لك العليا أو أحي الميت بمثواه
فأتى للميت على ملاء نادى الله وناجاه
عن إذنك ربي قم هيا وبإذن الخالق أحياه
والمقعد قام على سعي والأعمى طابت عيناه

صدقه البعض على حذر ... فالمجمع يدحض دعواه
والكهنة في صف وقفوا ... عادوه بعنف وهداه

الحواريون يقبلون ميثاق عيسى

وبجمع نادى من يقبل ... دعواي ويترك دنياه
فأجاب البعض على ثقة ... وبصدق النية لباه
تركوا المذموم من الدنيا ... ورضوا من ليل بدجاه
واجتمع الناس على عيسى ... لسماع الوعظ ورؤياه
قد ذاع الصيت فجمعهم ... دنيا الانسان على ماهو
هذا ليطيب من البلوى ... والآخر فقر أضناه
والآخر يشكو مظلمة ... والآخر طلباً آملاه
والبعض يريد سماع هدىً ... والبعض لغي معناه
والناس بكثرتهم وقفوا ... والوقت لجوف أخلاه

إنزال المائدة

قال الأنصار لسيدهم ... هل يطعم ربك أسراه
فتفكر عيسى واستهدى ... ودعا لله وناداه
وأجاب الله لك البشرى ... بشروط العبد ومولاه
مائدة تعطي بركات ... ولها الأيمان بأوفاه
مَنْ يكفرْ بعد أعذبه ... بعذاب يلقى أقصاه
مائدة الله لقد بسطت ... أكل المجموع وأرضاه
علم الأحبار بما انتشرت ... أقوال الناس بذكراه
لم يؤمن حبر في عيسى ... مجموع الكهنة عاداه
ومشى للهدي وسنتين ... لم يألوا لجهد بهداه
واليوم الناس له تبعاً ... وغداً بغياب تنساه
فنبي الله بموطنه ... لن يكرم إلا بقواه

قد وصل البحر لساحله	والبر لشرق وافاه
قد جاء السامرة وأعطى	للشعب كلاماً أحلاه
وافقه البعض وخالفه	بعض في هذا عاصاه
والدهر مضى في سنته	يعطي الانسان عطاياه
هذا بالعز له عمراً	وأخوه يكف أساياه

لقد كان عيسى عليه السلام ينطق بالحكمة منذ صغره وتكلم في المهد مؤيداً بالروح القدس وبرأ في ذلك أمه وشجعها على مقابلة أهلها وأتاه الله العقل ولما بلغ الثلاثين من عمره بدأ الوعظ في الجليل وعاب الكثير من أعمال اليهود وأفعالهم وقال تعالى في سورة آل عمران/٤٨/ : ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل * ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * ومصدقاً لمابين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون * إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾.

كانت بعثته صلى الله عليه إلى بني إسرائيل خاصة ولم يحد عما جاء في التوراة التي هي التوراة وقد أنكر كل ماألصق بها فإن قال الكهنة من النصارى إنه لم ينكر من كتاب العهد العتيق فقد أبطلوا علمياً كل ما جاء به لأن العلم الصحيح يبطل أكثر من تسعين بالمئة مما جاء في كتاب العهد العتيق فهذا التاريخ الذي جعلوا فيه خلق آدم قبل ميلاد عيسى بثلاثة آلاف وسبعمئة وست وخمسين سنة وهذا ليس بصحيح أبداً فإذا قلنا وصدقنا هذا فإن حضارات كثيرة في مصر وغيرها عرفها العلم الصحيح قد كانت قبل هذا بآلاف السنين فهل يصح أن يصدق فخامة البابا أو البطريرك الشرقي أن آدم خلق منذ خمسة آلاف وسبعمائة وسبع وأربعين عاماً قمرية ونحن في عام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين شمسية ميلادية ؟ فهل صدق هذا عيسى وبنى عليه ؟

إن نسب عيسى الذي طلع به لوقا في إنجيله إلى الله فهل هو صحيح ؟ كل هذا يوحي أن عيسى لم يؤمن أبداً بكتاب العهد العتيق ولكنه آمن بالتوراة الصحيحة التي أنزلت على موسى.

هل آمن عيسى وهو رسول السلام بهذا الذي ذكر كتاب العهد العتيق وهو هذا الذي نقتطفه من سفر العدد الاصحاح الحادي والثلاثين /١٣/ فخرج موسى والعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة /٤/ فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساءالألوف رؤساء

المئات القادمين من جند الحرب /١٥/ وقال لهم هل أبقيتم كل أنثى حية /١٦/ إن هؤلاء كن لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب في أمر فغور فكان الوباء في جماعة الرب /١٧/ فالآن اقتلوا كل ذكر من الاطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة رجل اقتلوها /١٨/ لكن جميع الأطفال النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة رجل أبقوهن لكم حيات//.

هذا الأمر من بعد قضية فغور بخمس وثلاثين سنة عندما حصل الوباء في جماعة الرب لأنهم زنوا مع النساء المديانيات وهكذا قتل جماعة الرب أولئك النساء والأطفال البالغ عددهم أكثر من مائتي ألف وهل تدري كيف عرفنا العدد لما يأتي في آخر الاصحاح وهو هذا.

/٣٢/ وكان النهب فضلة الغنيمة التي اغتنمها رجال الجند من الغنم ست مئة وخمسة وسبعين ألفاً /٣٣/ ومن البقر اثنين وسبعين ألفاً /٣٤/ ومن الحمير واحداً وستين ألفاً /٣٥/ ومن الناس من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة رجل جميع النفوس اثنين وثلاثين ألفاً//.

لنسلم أن الغنم والبقر والحمير كلها صحيحة التعداد أما النساء وهن طبعاً من سن الخامسة لسن العشرين وفي السابق لم تكن الفتاة تبقى بكر للخامسة عشر من عمرها فكم هن النساء اللواتي عرفن الرجال وكم هو عدد الأطفال ؟ هل آمن المسيح بهذا ؟ وكان عيسى رسول السلام.

هل آمن عيسى من كتاب العهد العتيق بهذا /٢٠/ فهتف الشعب وضربوا بالأبواق وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافاً عظيماً فسقط السور في مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة /٢١/ وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والحمير والغنم بحد السيف//.

ترى هل آمن يسوع بأن هذا صحيح ؟ وأنه من التوراة أم من المقدسات ؟ وهذا من سفر يسوع الاصحاح السادس وهل آمن عيسى عليه السلام بما جاء في سفر صموئيل الثاني /١٢/ /٢٦/ وحارب مؤاب ربة بني عمون وأخذ مدينة المملكة /٢٧/وأرسل مؤاب رسلاً إلى داود يقول قد حاربت ربة وأخذت أيضاً مدينة المياه /٢٨/ فالآن اجمع بقية الشعب وانزل على المدينة وخذها لئلا أخذ أنا المدينة فيدعى باسمي عليها /٢٩/ فجمع داود كل الشعب وذهب إلى ربة وحاربها وأخذها /٣٠/ وأخذ تاج ملكها عن رأسه ووزنه وزنة من ذهب مع حجر كريم وكان على رأس داود وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً /٣١/ وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون//.

هل كان رسول السلام يؤمن بكل هذا ومثل هذا كثير وكثير جداً وهل رضي عنه وصدقه أقرؤا الأناجيل ليس ادعاءات التاليه بل الحكم والأمثال والوصايا والأقوال وهل يرضى رسول السلام ببعض هذا لقد تعلق التحريم وهو إفناء أهل المدينة أو القرية أو الكورة إفناء تاماً حتى ما يملكون من أرواح للعبيد والبقر والغنم والدواجن وفي هذا إتمام الايمان فهل آمن عيسى بهذا ؟ وهل كان هذا في صلب التوراة أو في أو من أعمال الأنبياء والرسل وهل كان داود جد المسيح البطل المنفذ لأبشع عمل إنساني يكون في بني عمون الذين تقول التوراة المزعومة أنهم من أبناء لوط بن عم إسحق لوط بن أخي إبراهيم نحن نعرف أن بني عمون من بعض قبائل العرب البائدة كما نعرف وتؤكد أن داود لم يفعل هذا كما نؤمن أن عيسى يعرف أن هذا ليس من التوراة. وإن هذا ليس صحيحاً. ولكن متى تركوا لعيسى مجالاً يفصح به أو يتم ماأرسل من لأجله. الانجيل يختلف تماماً عن كتاب العهد العتيق في مضمونه.

الانجيل يتم رسالة التوراة الصحيحة. والقرآن يتم رسالتيها الحقيقيتين. فاقرؤا الأناجيل رغم ماهي عليه فهل ترون فيها مايتم ماكتب كاتب العهد العتيق. من تحريم. وقتل ونهب وسبي حتى وملكية الأرض من النيل إلى الفرات من بحر سوف إلى النهر الكبير نهر الفرات؟.

لقد كتب المؤرخ في العهد العتيق في سفر التثنية آخر الاصحاح العشرين/١٠ حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح/١١ فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك. فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك/١٢ وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها/١٣ وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك. فاضرب جميع ذكورها بحد السيف/١٤ وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافي المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك/١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا/١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً. فلا تستبق منها نسمة ما/١٧ بل تحرمها تحريماً. الحثيين والأموريين. والكنعانيين. والفرزيين والحويين. واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك//.

ألا يتم الانجيل قول توراتهم التي كتبوها لأنفسهم وحسب رغبة الكاتب؟ قل يامن تؤمن بالأناجيل وبكتاب العهد العتيق. وإذا راجعت أصلك إن لم تكن عربياً فأنت ولاشك من بقية تلك الأمم التي يجب أن تحرم كل نسمة منها. حتى وإن كُنت أوروبياً أو أمريكياً وسكنت الأرض التي كان يسكنها مَن ذكرهم من حثيين وأموريين وكنعانيين. وفرزيين فوجب تحريمك ولكن ليس فوراً. بل يستعين بك إسرائيل فيجعلك مخلباً وناباً. وأداة فإذا قضى بك على غيرك . فلا بد من تحريمك مهما طال الزمن.

إن عيسى عليه السلام لم يكن يؤمن بأباطيل القوم وقد عرفها كلها. وقد رأى كيف كان أعيان اليهود يقيمون الحدود على الفقراء. ولايسألون غنياً عما فعل. ورأى الكهنة يسيرون وفق إرادة الحكام والمتنفذين ويتركون أحكام الشريعة. ورآهم يرغبون الناس بالنذور. ويزينونها لهم ثم يستغلونها لأنفسهم. ورأى الهيكل قد صار سوقاً رابحة للتجار والباعة.

لقد تبع عيسى عليه السلام كل ذي حاجة. هذا لسقمه. وذاك لظلامته. وآخر لخطئه وخطيئته وكثر هؤلاء من حوله، لقد قصده الكثيرون من ذوي الأسقام. فهذا المقعد وذلك الأبرص. والأعمى فكان يدعو الله لهم فيبرؤن بفضل الله. وجاءه من تملكته الأرواح الشريرة وهكذا تقول الأناجيل فطردها عنهم وقد ذكرت الأناجيل كثرة هؤلاء، وأكثرهم يسكن القبور، وهذا من المآخذ الكبيرة على الأناجيل.

لقد كان السحر في عصر موسى من أبرز ظواهر العلم حسب ماكان عليه اعتقادهم وعلى الكهنة أن يلموا بمبادىء السحر وربما قادة البلاد آنذاك ليشهد على عنايتهم بالعلم فكانت معجزة موسى العصا التي أعجزت السحرة في مجاراتها فتأكدوا عجز السحر عن إدراك سر تغلبها فآمن القوم بأن هذا سر من الله أعطي لموسى معجزة تثبت عجز فرعون المتأله عن إثبات تألهه فسقط القناع عن وجهه وعرفه المغترون به.

وأما عصر عيسى فقد تميز بالطب ولكل عصر ميزة في حقل من حقول العلم والأدب والفنون الأخرى فكان أن أيد الله عيسى بتلك المعجزات التي تشير إلى طبهم القاصر عن إدراك بعض ما عند الله فأي طب يحي الأموات بعد موتهم وذهاب الروح والأبرص الذي لم يجد الطب له دواء وهذا الطين الذي بعد جعله كهيئة الطير يصير طيراً ويطير وكل هذا مما جعل الطب الانساني قاصراً عن مثله أو بعضه.

لقد كان في عصر عيسى تلامذة الطب اليوناني والروماني وأحب الناس الحياة إذ ساد الرومان سواحل البحر الأبيض المتوسط تماماً ونشروا فيه الأمن وشجعوا كل دافع إلى الحضارة والرفاهية.

وكانت رسالة عيسى عليه السلام توجب تنقله في كل فلسطين فمن الجليل إلى أورشليم إلى السامرة ومن الناصرة إلى بيت لحم إلى الساحل يتكلم الحكمة ويعلمها ويريهم بعض مأعطاه الله من معجزات.

وجاء عصر محمد عليه السلام وذلك في أرض العرب الذين أحبوا البيان والبلاغة وتميزوا بذلك عن جميع بني الدنيا وأحبوا السير والتجوال وأحبوا التجارة والاستهداء بالمفاوز وقدموا

الأدب اللفظي على ما عداه فكان بيانهم وشعرهم يصب المعاني في النفوس شراباً مستساغاً فكانت المعجزة الكبرى القرآن الكريم الذي تحدى الله به الثقلين الانس والجن على أن يأتوا بمثل بعضه فعجز أهل البيان والشعر عن مجاراته وهجروا شعرهم بعد إيمانهم لقراءة القرآن مستسلمين لأوامره ونواهيه ولفظه في دواعيه ففي سورة البقرة الآية/٢٣/ : ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ أي إذا كنتم في ريب من أمر الرسالة فتجمعوا واعملوا سورة تماثل القرآن الكريم أنتم بمجموعكم ومن تعبدونهم في البيان والبلاغة والقصد.

وفي سورة الاسراء الآية/٨٨/ : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ وقد أعطى الله العصا معجزة لموسى ففعل فيها ما شاء الله له أن يفعل وذهب موسى وذهبت العصا وبقي اسم المعجزة وخبرها فقط دون عينها وغابت الآيات والمعجزات التي أيده الله بها.

وأعطى الله عيسى مناحي الطب وأنزل عليه الانجيل فأحيا أمواتاً وأبرأ مرضى ثم صنع الطير من الطين وقال له كن بإذن الله طيراً فكان ومات الميت الذي أحياه الله على يد عيسى ومات الأعمى والأبرص وماتت قطعتا الخنازير في بحيرة طبريا التي تقمصت الشياطين والتي استخرجت من أجسام المجانين وانتهى أمرها وكذلك ذهبت جميع تلك المعجزات مع ذهاب أصحابها وذهبت معها أسرارها إلا أن المعجزة الكبرى لمحمد ﷺ وصحبه لم تزل باقية.

فالآن وبعد مضي أربعة عشر قرناً لا يزال القرآن بجدته وأعجازه وآياته الموضحة لأسرار العلم منها المفسر في عصر نزوله ومنها التي فسرها الزمان الماضي حتى اليوم و منها ما سيفسره المقبل من الدهر ومنها بعد البعث الأخير وفي عصر نزوله قال عنه منزله تعالى أنه الآية العظمى ففي سورة العنكبوت قوله تعالى الآية/٥٠/ : ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ أليس هذا القرآن معجزة لهم وآية تتحداهم والسر المكنون فيه أعظم ؟

لقد جاء في سورة الأحزاب الآية/٤٠/ : ﴿ماكان مُحمَّد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً﴾ إن الآية هذه في خبرها إحدى معجزات القرآن الكريم إذ لم يأت بعد مُحمَّد ﷺ من شهد له الناس بالنبوة أو الرسالة رغم مرور دهر يزيد في مدته عن دهر بني إسرائيل منذ عهد إبراهيم إلى عهد موسى وعيسى عليهما السلام أليست هذه

معجزة أخبر الله بها في آية من آيات القرآن الذي هو معجزة وآية ؟

إن الآيات المعجزات في القرآن الكريم كثيرة نذكر منها قوله تعالى في سورة فصلت الآية/٩/ : ﴿قل ءإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ من فكر بعقل صائب سليم وجد أن الأيام ليست واحدة فلكل كوكب يومه وقد أخبرنا الله عن الأيام التي عنده حيث قال في سورة الحج الآية/٤٧/ : ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ وأخبرنا عن يوم الحساب في سورة المعارج الآية/٤/ : ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة * فاصبر صبراً جميلاً إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً﴾.

هذا يوم مقداره خمسين ألف سنة ولاندري تلك السنين أهي من سنيننا أم من سنين الله ؟ إن تلك الأيام بعلم الله مراحل حيث فجر الله الشمس أو الكتلة الشمسية كانت آنذاك لو سميناها قبل أن تنفجر وجعل الله نواة الأرض ونواة ماحولها من كواكب المجموعة الشمسية أو متفجرات كتلتها وبدأ التجمع حول كل نواة لآلاف وآلاف السنين ولنذكر أن الأرض قد ثقلت بتجمعها وكثافتها التي حصلت بدورانها فكادت أن تزول فجعل جل وعلا الجبال كمسننات وأشرعة لحفظ توازن الجسم وكذلك السماء فقد جاء في الآية/٤١/ من سورة فاطر: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً﴾ إن هذه وما قبلها من الآيات المحجوبة عن بيان كروية الأرض وسبحها في هذا الفضاء الفسيح ثم معرفة واردها ورزقها وأنه منها فقد كانت منذ نزول القرآن الكريم تثبت الذي تثبته اليوم ولكنها حجبت ولايزال هناك من يحجبها إلى اليوم فمراحل الأيام الأربعة بعد تكثيف الأرض هي جعل الجبال لضبط سيرها وبعد مرحلةٍ رتب فيها كيفية تبخير الماء ثم نزوله مطراً وسلوكه في الأرض ينابيع ثم يدور الجولة ويعود فتلك البركة الدائمة ومن الغازات كون الله السماء ولكل غاز لونه حيث تجمع بمصفاة القدرة الالهية ولاندري إلا ما ذكر لنا من تعداد السموات هذه التي بخبرنا ثم نعود لرسالة السيد المسيح.

لقد كان عيسى عليه السلام يعظ الناس في الجليل الأعلى والأدنى ينذر بني إسرائيل ويحذرهم ولايمنع من حضور وعظه الحثي والفينيقي والكنعاني والأرامي واليبوسي والجرجاشي والأموري واليوناني والعربي والعموني والمؤابي والمدياني وكل هؤلاء من العرب العاربة أو المستعربة أو المتولدة عن العرب.

وصار الكهنة والأحبار يتسقطون أخباره ويرسلون بعض كهنتهم يسألونه الأسئلة المحرجة ومع ذلك كان يوجد لهم الحل لمسائلهم وبدل إحراجهم له كان يحرجهم.

أتوه مرة بامرأة وادعوا أنها وجدت على زنا وسألوه رأيه في أمرها فخط على الأرض بإصبعه ثم قال لهم وقد ذكروا له أن موسى يقول برجمها فقال لهم من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها ولما كانوا كلهم من الخطاة وقد خافوا أن يفضحهم تركوها وانصرفوا فقال لها انصرفي ولا تعودي لفعل المنكر.

لقد شاهده كثيرون وقد أحيا ميتاً بإذن الله وشفى مشرفة على الموت وأحيا وأحيا ومع ذلك لم يعترفوا له بنبوته لأنه كما نظروه لايساير زيغهم وغايتهم.

لقد رأوا مقعداً منذ زمن بعيد يقوم ويمشي وأعمى يعرفونه منذ سنوات يمشي بدون قائد يبصر تماماً وكان شفاؤه لاولئك في يوم السبت فبدل أن يؤمنوا برسالته جعلوا يلومونه لمداواته في يوم السبت وفي يوم أرادوا اصطياده بحيلة يؤاخذه فيها الرومان فسألوه أيحق لنا أن ندفع الجزية للرومان وكان سؤالهم أمام بعض جند الروم فقال لهم أروني العملة التي يطلبونها ويأخذونها فأعطوه ديناراً فسألهم لمن تلك الصورة التي على الدينار ؟ قالوا لقيصر قال أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله فلم يجدوا له جواباً وانصرفوا.

نزول المائدة بأمر الله على عيسى

واجتمع على عيسى جمع غفير من الناس وجعل يعظهم ولما طال وقوفهم جاعوا وكانوا كثرة يعدون بالمئات وقيل أربعة آلاف وقيل خمسة فقال الحواريون لعيسى يامعلم إن الناس قد جاعوا جوعاً شديداً يمنعهم من المشي والوصول إلى منازلهم وهم يستمعون لوعظك فهل يمكن لنا إطعامهم ؟

وفي إنجيل متى الاصحاح الرابع جاء هذا /١٥/ ولما صار المساء تقدم إليه تلاميذه وقالوا الوقت قد مضى والوقت خلاء إصرف الجموع لكي يمضوا إلى القرى ويبتاعوا طعامهم /١٦/ فقال لهم يسوع لاحاجة لكي يمضوا أعطوهم أنتم ليأكلوا /١٧/ قالوا ليس عندنا هنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان /١٨/ فقال لهم آتوني بهم إلى هنا /١٩/ فأمر الجموع بأن يتكؤوا على العشب ثم أخذ الأرغفة والسمكتين ورفع نظره إلى السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع /٢٠/ فأكل الجميع وشبعوا//. وفي إنجيل مرقس مثلها تقريباً.

إن مثل هذا يجعله الله كرامة للمرسلين عند الحاجة الماسة إليه وقد كان مثل هذا مرات

لمحمد ﷺ ففي الحديث المتفق عليه عن جابر قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية شديدة «حجر صلب» فجاؤوا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا هذه كدية عرضت في الخندق فَقَالَ «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب على حجر «لشدة جوعه» ولبثنا ثلاثة أيام لانذوق ذواقاً فأخذ النَّبِيُّ ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل فانكفأت إلى امرأتي فقلت هل عندك شيء ؟ فإني رأيت بالنَّبِيِّ خمصاً شديداً «أي خلو بطن» فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير «أي كيلوين» ولنا بهمة داجن «جدي صغير أو سخلة» فذبحتها وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم بالبرمة «أي القدر الذي يطبخ فيه» ثم جئت النَّبِيَّ ﷺ فساررته فقلت يَارَسُولَ اللهِ ذبحنا بهمة لنا وطحنت صاعاً من شعير فتعال أنت ونفر معك «النفر دون العشرة» فصاح النَّبِيُّ ﷺ «يا أهل الخندق إن جابر صنع سؤراً فحي هلا بكم» وقال رَسُولِ اللهِ ﷺ: «لاتُنْزِلُنَّ برمتكم ولاتَخْبِزُنَّ عجينكم حتى أحضر».

وجاء فأخرجت له عجيننا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال: «ادعي خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولاتنزلوها «إقدحي أي اغرفي» وهم ألف فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو» متفق عليه.

ومرة أخرى عطش الناس في غزو مع رسول الله فطلب بعض الماء فجاؤه بامرأة معها قربتين من ماء على حمار مَجَّ في الماء ورده في القربة وفعل في الأخرى كذلك فشرب الجميع وملؤا أسقيتهم والماء على ماكان عليه ومرة أخرى خلص ونفذ زادهم في مفازة فجمعوا ما بقي معهم بطلب منه فكان ملء كفين ففتته قطعاً وذلك بعد رفع وجهه إلى ربه وذكر اسم الله فملؤا مزاودهم وفضل الزاد كماهو.

لقد ذكرنا هذين الحديثين بمعناهما لنثبت أن المعجزات تلك لاتوصل إلى تأليه وتغييره في بشرية من أعطيت له فإن هناك في الشرق عبدة أصنام يجمعون الأشجار الضخمة والأحطاب جبلاً ويشعلون النار فيها ثم إذا ما استجمرت وصارت كجحيم دنيا ويسقط حرها الطير لماتي متر دخلوا فيها يجرون من خلفهم شعراً أرسلوه فلا تحترق شعرة من أجسادهم فهل أولئك آلهة ؟

إن أكثر المرسلين أعطوا آيات فذاك نوح والطوفان وذاك صالح والناقة وإبراهيم والنار عليه برداً وسلاماً وفلق البحر لموسى وتفجر الصخر بالماء لضربة من عصا وتلك معجزات الله مع عيسى وهذا محمد صلى الله عليهم جميعاً قد جعلوا له كتب معجزات بعضها صحيحة وكثيرة منها سقيمة.

وهكذا كان لكل مرسل من يرفعه فوق ماله من مكانة حتى ألهوا الكثيرين منهم والأمر دوماً لله.

ومشى للهيكل يصحبه . .   من حب وأنكر ممشاه
فرأى في الهيكل أسواقاً   للبيع أحلوا مبناه
فرمى للخارج ماعرضوا   ورقى للوعظ تولاه
واجتمع الناس على سبب   كلٌ في أمر أعناه
والكهنة في حسد نظروا   قد أخذ الناس بفتواه
ورأوه يعيب إدارتهم   ويعيب الدس ومرماه
ورأوه يعيب تعاليهم   شأن السادات ومولاه
فبدا للأفعى ينسبهم   ليس إبراهيم وإبناه
يحيى من قبل تنقصهم   إذ جاؤوا الكبر لأقصاه
إن إبراهيم توالدكم   وأباه لشرك عاداه
كان إبراهيم على درب   لستم في السير كإياه
عيسى بالحق يجابههم   والجمع بذاك توالاه
كل قد عرف نبوأته   أما للحقد تناساه
قد شاؤوا الكيد فكايدهم   بلسان الحق ومهداه
راماهم حتى أعجزهم   فاستعلى الحق بمرساه
قد كلوا حتى غادرهم   فتنفس كل صعداه
ومضى للبر على ثقة   في أن القوم به تاهوا

ويخبرنا جل وعلا عن إطعام عيسى لمستمعي وعظه وذلك في سورة المائدة التي سميت باسم ذلك العشاء -أو الغداء الذي أطعمه للمستمعين وذلك في الآية/١١٢/ : ﴿إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾.

وهكذا أنزل الله البركة على خبز قليل وسمك قليل لايطعم عشرة فأشبع الله به آلافاً ولاغرابة إذا شاء الله أمراً فهو سهل يسير.

المسيح والهيكل

لقد ذهب عيسى إلى الهيكل مرات ومرات في صغره وبدء وعظه. ثم ذهب المرة التي قسى فيها بحق على القائمين على إدارة الهيكل وشؤون الدين عند اليهود، ودخل معه الهيكل خلق كثير لأنه كان يعظ الناس قبل دخوله ولما دخل المرة دخل معه من تابعه رغبة ودخل البعض ليرى ما يكون منه مع كهنة المعبد أو ما سيفعله في الهيكل. بعضهم يحبه وهم قلة في الناس لا حول لهم ولا قوة وبعضهم يبغضه. وهم الأقوى ولكن حجته كانت دائماً أقوى منهم.

ولما دخل رأى في الهيكل أسواقاً للبيع والشراء. فذاك الطعام وحتى الحمام. وغيره وغيره. فانكر هذا. وألقى ما عرض خارج المعبد. وقال إن بيت الله للعبادة وليس للبيع والشراء.

لقد كان الباعة من أتباع المتنفذين. فلما طردهم من الهيكل وكان البيع فيه مربحاً حقدوا عليه. وأضمروا له الشر وجعل الكهنة والكتبة يسألونه أسئلة كثيرة قصد الاعجاز فيسكتهم بإفحامه إياهم. فيبدأ الوعظ فيعارضونه لينسوا وعظه. وقد تعلقت قلوب الناس معه. فهال الكتبة والكهنة إقبال الناس عليه. وظنوا أنه يريد تملك الهيكل والسيطرة عليه. فإذا فعل سيطردهم من وظائفهم. وهم يعيشون على أكتاف العامة في بحبوحة من العيش ونعمة السلطة. وقد قدموا مصالحهم على صوت الحق الذي أعلنه لهم. فهو صوت صارخ يقول قوموا طريق الرب اجعلوا سبله مستقيمة. إرفعوا راية العدل. ساووا الناس في الحقوق.

هذا لا يتفق مع عيشهم فجعلوا يتسقطون منه كلاماً يمكن أن يعده الرومان تحريضاً عليهم. فيكتفون بذلك شر الايقاع به بغيرهم. فلو قتله الروم لأنقذوا أنفسهم من نقمة الشعب الذي رأوه يميل إليه ولكنهم لم يفلحوا إلا بشيء بسيط فأرادوا توسيعه وتضخيمه. وهو قوله أنه المسيح ملك إسرائيل. ومنقذ الشعب مما هو فيه من نقم وبلاء في أمر دينه ودنياه.

لقد كان الشعب آنذاك يعيش عيشة الكد والمرار ليحصل على الشيء الزهيد. ولكن الضرائب كانت تأخذ من فم الواحد منهم نصف كده وتعبه على الأقل. ففي تنقل الفرد يدفع ضريبة جند الملك وفي العبادة يدفع ضريبة الكهنة. وفي الهيكل يدفع رسوم دخوله لصيانة الهيكل. وعليه أن يحضر الجزية السنوية للمثلين من الروم. وأصبح جباة الضرائب قوة رابعة في البلاد فالروم سلطة عليا. وهيرودس سلطة الداخلية. والكهنة سلطة الدين. وعلى الجباة تأمين رواتب الجميع.

فمن هذه الكلمة جعلوا لهم حزاماً يشدون به ظهرهم كي يحاكم بقصد اغتصاب السلطة. بثورة يحرض الشعب عليها ضد الرومان. وعرف المسيح غايتهم. فصار يعظ في الهيكل نهاراً. ويخرج إلى جبل الزيتون ينام فيه مع أنصاره ليلاً.

ليس من حواري المسيح حبراً أو كاهناً من اليهود حتى ولا من الكتبة. فأكثرهم كانوا من صيادي السمك في بحيرة طبريا. وعددهم اثنا عشر رجلاً. وكان على نفقتهم أي أمين صندوقهم رجل يدعى يهوذا الأسخريوطي تسلم إليه الأموال التي يتصدق بها المحسنون فتحفظ وينفقون منها عند الحاجة حسب طلبهم.

كان الأسخربوطي محباً للمال. فقير الحال لم ير العيش الهنيء في حياته حتى وافق الحوارين. فصار أكثرهم شبعاً. لاستلامه النفقة وشرائه الحاجيات.

ربما كان عيسى عليه السلام يعرف حقيقة الرجل. وربما أن الرجل لم يأت بفعل يكشف حقيقته وذكرت الأناجيل أن عيسى عليه السلام كان يذكرهم بأن أحدهم سيسلمه إلى مبغضيه ولم يعين أحداً منهم. وذكر يوحنا في إنجيله الاصحاح الثالث عشر/١٨ الذي يأكل معي الخبز رفع على عقبه.

وإنجيل مرقص يقول الاصحاح/٢٢/١٧ ولما كان المساء جاء مع الاثني عشر/١٨ وفيما هم متكئون قال يسوع الحق أقول لكم أن واحداً منكم يسلمني الأكل معي/١٩.

وفي إنجيل متى/٣ حينئذٍ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم. ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ/٤ قائلاً قد أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً. فقالوا ماذا علينا أنت أبصر، فطرح الفضة في الهيكل وانصرف. ثم مضى وخنق نفسه/٦ ثم أخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم/٧ فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء//.

ويقول لوقا في الاصحاح٢٢/٢١ ولكن هو ذا يد الذي يسلمني هي معي على المائدة

ومن ثم لم يجد الكهنة خلاصاً من يسوع إلا بقتله فإنه يفضحهم. ويتنقصهم فاعتمدوا هذا وبدؤا بتنفيذ أو حبك مؤامرتهم الكبرى.

لقد كان عيسى وأصحابه ينامون في بستان في جبل الزيتون. وأرسلوا يهوذا الأسخربوطي يأتيهم بالطعام وكان هذا في اليوم نفسه بما ذكر متى في إنجيله الاصحاح السادس والعشرين/٢٠

ولما كان المساء اتكأ مع الاثني عشر/٢١ وفيما هم يأكلون. قال الحق أقول لكم أن واحداً منكم يسلمني/٢٢ فحزنوا جداً. وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل هو أنا يارب (القصد بكلمة رب المعلم والمربي كما هو وارد في أول الأناجيل) فكيف يمكن تسليم الرب للعبيد ليقتلوه/٢٣ فأجاب وقال الذي يغمس يده معي في الصحفة هو الذي يسلمني/٢٥ فأجاب يهوذا مسلمه وقال هل أنا هو سيدي. قال له أنت قلت//.

وذهب يهوذا كعادته. وكان قد اتفق مع الكهنة على أن يدلهم على مكان عيسى. ويدلهم عليه بشخصه وكما هو مذكور في الاصحاح الثاني والعشرين من إنجيل لوقا/٣ فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الأسخربوطي وهو من جملة الاثني عشر/٤ فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة. وقواد الجند كيف يسلمه لهم/٥ ففرحوا ووعدوه على أن يعطوه فضة/٦ فوعدهم وكان يطلب فرصة ليسلمه إليهم خلواً من جمع//.

لم يجد الكهنة ومستغلوا الشعب خلاصاً لهم من المسيح إلا بقتله. فاعتمدوا القتل وبدأوا تنفيذ مخططه ومن نفس الاصحاح جاء هذا/٤٧ وفيما هو يتكلم إذا جمع والذي يدعى يهوذا الأسخربوطي أحد الاثني عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله/٤٨ فقال له يسوع يا يهوذا بقبلة تسلم إبن الانسان.
لقد كان المسيح والحواريون ينتظرون مجيء يهوذا بالطعام. وإذا به يدخل أمام الجند. ويتقدم إلى عيسى يعانقه وألقى الله الشبه من عيسى إلى يهوذا. ومن يهوذا إلى عيسى. أو على الأقل صار عيسى غير ما كان عليه ولكن يهوذا صار بشبه عيسى والأمر أهين بمئة مرة من إبراء الأبرص علاوة على إحياء الموتى.

لقد أحيا عيسى أمواتاً بإذن الله وأبرأ المرضى بإذن الله. وأطعم الله من يده خمسة آلاف بخمسة أرغفة فهل وقفت جميع القوى التي كانت تسانده أمام حفنة من الجنود. هل هرب الروح القدس من أمام بعض الجنود إن الله أجل وأعظم من أن يدع أيدي فئة من اليهود عابدي المادة ينجسون جسم رسوله عليه السلام فقد ألقى الشبه الذي له على يهوذا الخائن ليقبض الثمن الصحيح لخيانته. وَأُخذ يهوذا بشبه عيسى لقد أخبر عيسى تلاميذه أن أحدهم سيخونه. وكان أول من استنكر الخيانة يهوذا الخائن نفسه. فلم لم يبرح عيسى مكانه ؟ لقد ذهب الخائن لمسافة كيلومتر. وبقي أكثر من ساعتين حتى وصل مع الجند. وعيسى يعرف أنه سيخونهم فلم لم يهرب عيسى مع أصحابه إلى مكان آخر؟

إن عيسى لم يحب الموت بما أوردوه في الأناجيل. وأثبتوا هذا بقوله: إيلي إيلي لمّ شبقتني بصياح عظيم فلم لم يهرب قبل أن يدركه الموت؟

لقد أخذ يهوذا إلى رئيس الكهنة. وتبعه بطرس يظنه عيسى. وجعل رئيس الكهنة يسأله. ولا يحير جواباً وجعل بعض الحاقدين يشتمه. وآخر يضربه. ولا يتكلم. لقد سألوه بالأمس كنت تتكلم وتتكلم فما بالك اليوم لا ترد سؤالاً. ولا تحير جواباً. لقد رأوه بشكل وَبِسِمَةٍ ليس شكل الأمس. ولا سمة الأمس لقد أعجزهم البارحة في كل سؤال سألوه. وأفحمهم في كل رد رده عليهم. فما باله اليوم يسكت على الشتم والضرب والاهانة فهل هذا هو عيسى؟ ترى لم جعلوه رباً.

لقد ذكرت الأناجيل كلها أن عيسى قد انتصر في اليوم السابق على الكهنة. وأفحمهم ولم يهرب منهم إنما كان ينام في بستان على جبل الزيتون. ويدخل الهيكل في النهار ليعظ الناس. فلم اشتروه بالمال من يهوذا؟ لقد ذكروا أنهم خافوا نقمة الشعب ولم لم ينقذه الشعب في اليوم التالي لقد ذكرت الأناجيل أن الشخص الذي حوكم باسم المسيح قد عجز عن أبسط قواعد الدفاع عن نفسه. ولما أخذ إلى الحاكم الروماني كان أعجز أيضاً عن الدفاع عن نفسه.
إن إمرأة الحاكم بما ذكرت الأناجيل قد حذرت الحاكم من التعرض للمسيح بشيء يؤذيه لما سمعت عن الأيات التي كانت تجري على يديه. وخوفته من عاقبة ذلك على أولادهما.

يقول متى في إنجيله/١٩/٢٧ وإذا كان جالساً على كرسي الولاية أرسلت إليه إمرأته قائلة. إياك وذلك البار لأني تألمت اليوم كثيراً في حلم من أجله//.

لقد أخبرنا الله جل وعلا في كتابه العزيز أن عيسى لم يصلب. وأنه شبه لصالبيه وأن المصلوب بالمستنتج الصحيح كان الخائن يهوذا. وأن عيسى قد رفعه الله إليه أي ارتفع عن مكان الصلب. وهذا من كرامات عيسى عند الله. ولكن المدعين صلبه يجعلون صلبه غاية وهي تكفير ذنوب الانسان. ينكرون خلق الله الانسان ليعمر الأرض. ينكرون القدر ولكن العذر كان أقبح بمليون مرة من الخطيئة. فهناك آدم وحواء عصيا ربهما وأكلا من الشجرة. وهنا الناس كثرة صلبوا ربهم: فكم هو الفرق بين العصيان مرة. والعصيان شهوة فقط. وبين الاصرار على قتل الرب وتنفيذه. إنه لمضحك هذا أن يصلب الرب ليكفر بصلبه عن ذنوب عباده. والعذر كما قلنا أقبح مليون مرة وأكثر من الذنب فيا للعقول السخيفة. فلو قالوا أن عيسى نبياً ورسولاً قد قتله وصلبه اليهود والذين أرسل إليهم لهان الأمر. ولكنه الرب. ثم عادوا فقتلوا أيضاً رسله فهذا بطرس وغيره وغيره يقتلون. وعيسى يتألم لهم ولا يستطيع أن يفعل شيئاً ويقول تعالى في سورة

النساء الآية/١٥٣ : ﴿يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم آية من السماء * فقد سألوا موسى أكبر من ذلك * فقالوا أرنا الله جهرةً فأخذتهم الصاعقة بظلمهم * ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات. فعفونا عن ذلك * وأتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾.

إن أكبر ما في الأمر سؤال بني إسرائيل رؤية الله جهرة. فكيف بمن رأى الله شيئاً وعاش معه وأكل وشرب معه وحادثه ثم رآه يصلب هل صلب الله أم ابنه أم أحد ثلاثة أجزائه؟ والعظيم في الأمران يصيح بصوت مرير إلهي لم تركتني ونتابع القول من الله ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم. وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً. وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً. فبما نقضهم ميثاقهم. وكفرهم بآيات الله. وقتلهم الأنبياء بغير حق. وقولهم قلوبنا غلف. بل طبع الله عليها بكفرهم. فلا يؤمنون إلا قليلاً. وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾.

لم يقروا أن عيسى ولد بلا أب. بل نسبوه إلى يوسف النجار الذي ادعوا هم والنصارى أنه كان خاطباً لمريم وأنه صار لها زوجاً فيما بعد عند النصارى وأنها ولدت له حسب حديث الأناجيل. ولكن من فسر الأناجيل دحض هذا. فقال إن إخوة عيسى هم أبناء يوسف من إمرأة أخرى وأن مريم كانت تعيش معه. كأخت له تحت إسم زوجة واليهود يقولون بأبوة يوسف لعيسى لا يتراجعون أبداً أبوة حقيقية.

والاسلام يقول أن مريم كانت منذورة لله. لم تعرف الخطوبة ولا الزوج وأنها حملت بعيسى من نفخة في فرجها من جبريل المرسل من الله ليكون عيسى آية للناس. ونبياً ورسولاً إلى بني إسرائيل. وأنها ولدته وعاشت معه بتولاً لم تعرف الزوج ولم تنضم إلى أحد. عاشت مع ابنها. وأنه عمل نجاراً مع ابن عم أمه حتى كانت الرسالة واحترمها الجميع لتبرأة ابنها في مهده لها. ومنهم يوسف النجار.

ونتابع من سورة النساء الآية/١٥٨ : ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه. ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾.

إن هذا الذي ورد عن أمر عيسى أو ادعاء صلبه أو قتله. وفي الحديث الشريف المتفق عليه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم عيسى بن

مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير. ويضع الجزية. ويفيض المال حتى لا يقبله أحد. حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها».

وعن عبد الله بن عمرو. قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض. فيتزوج ويولد له. ويمكث خمساً وأربعين سنة. ثم يموت ويدفن معي في قبري. وأقوم أنا وعيسى بن مريم في قبر واحد بين أبي بكر وعمر» رواه إبن الجوزي في كتاب الوفاء.

ولنعد الآن إلى إنجيل متى حيث يقول في الاصحاح السابع والعشرين/٢٧ فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية. وجمعوا عليه كل الكتيبة/٢٨ فعروه وألبسوه ثوباً قرمزياً/٢٩ وظَفَّرُوا إكليلاً من الشوك ووضعوه على رأسه. وقصبة في يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزؤن به. قائلين السلام يا ملك اليهود/٣٠ وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه/٣١ /٣١ وبعدما استهزؤا به نزعوا عنه الرداء. وألبسوه ثيابه ومضوا به إلى الصليب.

/٣٢ ولما مضوا به وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان فسخروه ليحمل الصليب/٣٣ ولما أتوا إلى موضع اسمه الجلجثة يعني الجمجمة/٣٤ أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب. ولما ذاق لم يرد أن يشرب//.

يا بني الانسان ألا تفيقون إذا كان هذا الرب يستسقي عبيده ليسقوه وقد أحرق العطش كبده أو ابن الرب ثم سقوه الخل بالمرار ألا يكيدهم بكأس من بلور قد ملأ بالماء البارد أو اللبن البارد. أو العسل شراباً يغيظهم بذلك؟ وإذا كان عيسى الذي تهرب المردة وأبناؤهم لرؤيته. ألا يريهم أعجوبة عند موته ليندموا على ما اقترفته أيديهم؟ إذاً هل نصدق أن يهوذا خنق نفسه.

/٣٥ ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها/ لكي يتم ما قيل بالنبي. إقتسموا ثيابي بينهم. وعلى لباسي ألقوا قرعة/٣ ثم جلسوا يحرسونه هناك وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة هذا هو يسوع ملك اليهود/٣٨ حينئذ صلب معه لصان. واحد عن اليمين وواحد عن اليسار/٣٩ وكان المجتازون يجدفون عليه. وهم يهزون رؤوسهم قائلين/٤٠ يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك إن كنت ابن الله إنزل عن الصليب/٤١ وكذلك رؤوساء الكهنة أيضاً وهم يستهزؤن مع الكتبة والشيوخ قالوا/٤٢ خَلَّصَ آخرين. وأما نفسه فلم يقدر أن يخلصها. إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به/٤٣ قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده. لأنه قال أنا ابن الله/٢٤ وكذلك حتى اللصان اللذان صلبا معه كانا يُعَيِّرَانِهِ// إن كل هذا صحيح لَمَ لَمْ ينقذ نفسه؟ لأنه ليس عيسى

/٤٥ ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض إلى الساعة التاسعة/٤٦ ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني. أي الهي الهي لماذا تركتني// ترى بمن استغاث يسوع؟ لقد استغاث يهوذا بإلهه الذي يظن أنه أحسن صنعاً بخيانة عيسى لأجله. فبداهة يعرف كل عاقل أنه لم يكن يؤمن حتى ولو برسالة عيسى عليه السلام.

ومن إنجيل مرقس الاصحاح الخامس عشر جاء هذا/١ والوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله. فأوثقوا يسوع ومضوا به. وأرسلوه إلى بلاطس/٢ فسأله بيلاطس ءأنت ملك اليهود. فأجاب وقال له أنت تقول/٣ وكان رؤوساء الكهنة يشتكون عليه كثيراً/٤ فسأله بيلاطس أيضاً قائلاً. أما تجيب بشيء كلهم يشهدون عليك/٥ فلم يجب يسوع أيضاً بشيء حتى تعجب بيلاطس.

/٦ وكان يطلق لهم في كل عيد أسيراً واحداً. مَنْ طلبوه/٧ وكان المسمى باراباس موثقاً مع رفقائه في الفتنة الذين في الفتنة فعلوا قتلاً/٨ فصرخ الجمع وبدؤا يطلبون. أن يفعل كما كان سابقاً يفعل لهم/٩ فأجابهم بيلاطس قائلاً. أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود/١٠ لأنه عرف أن رؤوساء الكهنة. كانوا قد أسلموه حسداً/١١ فهيج رؤساء الكهنة الشعب لكي يطلق لهم بالحري باراباس/١٢ فأجاب بيلاطس أيضاً وقال لهم. فماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود/١٣ فصرخوا أيضاً أصلبه/١٤ فقال لهم بيلاطس وأي شر عمل. فازدادوا صراخاً أصلبه/١٥ فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلده ليصلب.

/١٦ فمضى به العسكر إلى الدار التي هي دار الولاية. وجمعوا كل الكتيبة/١٧ وألبسوه أرجواناً. وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه عليه/١٨ وابتدؤا يسلمون عليه قائلين السلام يا ملك اليهود/١٩ وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه. ثم يسجدون له جاثين على ركبهم/٢٠ وبعد ما استهزؤا به. نزعوا عنه الأرجوان. وألبسوه ثيابه. ثم خرجوا به ليصلبوه.

فسخروا رجلاً مجتازاً كان آتياً من الحقل وهو سمعان القيرواني. أبو الكسندرس وروفس ليحمل صليبه/٢٢ فجاؤا به إلى موضع جلجثة الذي تفسيره جمجمة/٢٣ وأعطوه خمراً ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل/٢٤ فلما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ماذا يأخذ كل واحد/٢٥ وكانت الساعة الثالثة فصلبوه/٢٦ وكان عنوان علته مكتوباً ملك اليهود/٢٧ وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن شماله/٢٨ فتم الكتاب القائل وأحصي مع أثمة/٢٩ وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين. آه يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام/٣٠ خلص

نفسك وإنزل عن الصليب/٣١ وكذلك رؤوساء الكهنة. وهم مستهزؤن فيما بينهم مع الكتبة قالوا خلص آخرين. وأما نفسه فلم يقدر أن يخلصها/٣٢ لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب لنرى ونؤمن. واللذان صلبا معه يعيرانه.

/٣٣ ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة/ ٣٤ وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: ألوي ألوي لما شبقتني. الذي تفسيره. إلهي إلهي لماذا تركتني//:

إن بيلاطس في هذين الانجيلين متى ومرقس لا يريد صلب المسيح. وراجع الكهنة والكتبة في أن يطلقه فأبوا عليه فقدمه للصلب. ونحن لسنا في هذا نوافق أنه المسيح. ولكن بيلاطس في كل مرة يقول لا أرى به علة تستوجب القتل ومن إنجيل لوقا نكتب هذا من الاصحاح الثاني والعشرين/٣٩ وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون. وتبعه أيضاً تلاميذه/ ٤٠ ولما صار إلى المكان قال لهم. صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة/ ٤١ وانفصل عنهم نحو رمية حجر. وجثا على ركبتيه وصلى/٤٢ قائلاً ياأبتاه. إن شئت أن تجيز هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك/٤٣ وظهر له ملاك من السماء يقويه/٤٤ وإذ كان في جهاد وكان يصلي بأشد لجاجة. وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض/ ٤٥ ثم قام من الصلاة. وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن/٤٦ فقال لهم لماذا أنتم نيام. قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة.

/٤٧ وبينما هو يتكلم إذا جمع والذي يدعى يهوذا أحد الاثني عشر يتقدمهم. فدنا من يسوع ليقبله/٤٨ فقال له يسوع يا يهوذا. أبقبلة تسلم ابن الانسان/٤٩ فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا يارب. أنضرب بالسيف/٥٠ وضرب أحدهم عبد رئيس الكهنة. فقطع أذنه اليمنى/٥١ فأجاب يسوع. وقال دعوا لي هذا ولمس أذنه فأبرأها/٥١ وقال يسوع لرؤساء الكهنة. وقواد جند الهيكل. والشيوخ المقبلين عليه. كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي/٥٣ إذ كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمدوا على الأيادي. ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة.

/٥٤ فأخذوه وساقوه. وأدخلوه في بيت رئيس الكهنة. وأما بطرس فتبعه من بعيد/ ٥٥ ولما أضرموا ناراً في وسط الدار. وجلسوا معاً جلس بطرس معهم/٥٦ فرأته جارية جالساً عند النار فتفرست فيه. وقالت هذا كان معه/٥٧ فأنكره وقال لست أعرفه يا امرأة/٥٨ وبعد قليل رآه آخر. وقال وأنت منهم فقال بطرس يا إنسان لست أنا/ ٥٩ ولما مضى نحو ساعة واحدة أكد آخر قائلاً بالحق إن هذا كان معه لأنه جليلي أيضاً/ ٦٠ فقال بطرس ياإنسان لست أعرف ما تقول وفي الحال بينما هو يتكلم صاح الديك /٦١ فالتفت الرب ونظر لبطرس فتذكر بطرس كلام الرب

كيف قال له إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات/٦٢ فخرج بطرس إلى خارج وبكى بكاءً مراً//

لقد أمر عيسى عليه السلام تلاميذه أن يصلوا كي لا يبتلوا وهم الذين آمنوا معه ودخلوا أو وعدهم بدخول ملكوت السموات. فكيف يصلون وهو معهم؟ ولمن يصلون وهو معهم؟

لقد ابتعد عنهم رمية حجر وجثا على ركبتيه يصلي ولمن يصلي؟ إنه الله أو ابن الله فلمن كان يصلي لقد كان يقول (يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك) ترى من هو المخاطب؟ ترى من هو أبتاه؟ وظهر له ملاك من السماء يقويه هل يريد الرب أحد مخلوقاته ليعينه! أليست قدرة الله تصل إلى كل مكان؟ وظهر له ملاك من السماء يقويه) جملة مضحكة ورب السماء والتفت الرب إلى بطرس. فتذكر بطرس كلام الرب كيف قال له إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات. نعم فلو كتب الكاتب. أو ترجم المترجم هكذا (فالتفت المعلم إلى بطرس. فتذكر بطرس كلام المعلم كيف قال إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات) لصح الأمر أن تتناقله العامة والخاصة. وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿وما قدروا الله حق قدره * والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ثم نتم من إنجيل لوقا/٦٣ والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزؤن به. وهم يجلدونه/٦٤ وغطوه وكانوا يضربون وجهه. ويسألونه قائلين تنبأ. من هو الذي ضربك/٦٥ وأشياء أخرى كانوا يقولون عليه مجدفين ومن الاصحاح الثالث والعشرين/٣٨ وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية. وعبرانية (هذا هو ملك اليهود)/٣٩ وكان واحد من المذنبين يجدف عليه قائلاً إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا/٤٠ فأجاب الآخر وانتهره قائلاً. أولا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه/٤١ أما نحن فبعدل لأننا ننال إستحقاق فعلنا وأما هذا فلم يفعل شيئاً بمحله/٤٣ ثم قال ليسوع اذكرني يا رب في ملكوتك/٤٣ فقال له يسوع الحق أقول لك اليوم تكون معي في الفردوس//.

ومع هذا نادى بصوت عظيم قائلاً يا أبتاه في يديك استودع روحي. ولما قال هذا أسلم الروح// ولكن اللصين لم يناديا أحداً لم يستغيثا بأحد. لقد كان عيسى يستنجد بمن؟ بأبيه. بزميله. بنده الأب. وأين كان الروح؟ سيأتي كما قالوا عيسى غداً ليكون ملكاً ليهود وأين يكون النصارى أنذاك. إن اليهود كل اليهود لم يؤمنوا برسالة عيسى حتى وتكلموا في عرض أمه. ويضحكون إن قيل أنه الرب ومع ذلك سيكون رباً لهم. فما بال النصارى. وهم ليسوا من اليهود. فهل حقاً سيكونون كما يقول اليهود تبعاً لهم وخدماً.

قد قالوا الصلب لأسبابٍ	لخطيئة آدم أولاه
فالصلب فداء رسموه	لبني الخطاء لفدواه
هل يعجز ربك غفران	من دون صراخ رباه؟
من فرض الصلب على الباري	هل قدر كان وأمضاه؟
أم مجلس أرباب أعلى	قد أوجب ذاك وأجراه؟
سبحان الله فما هذا	لم كان؟ وكيف؟ ونرضاه؟
فالأرض لآدم في قدر	من قبل الخلق لدنياه
يعمرها في العيش ويفنى	وببعث يحييه الله
ليحاسب عن عمل صنعت	في دار الدنيا يداه
فخطيئة آدم يعلمها	بل راقب ذلك مولاه
لو شاء المنع لما وقعت	من ذا إبليس وأفعاه؟
فالمخطىء آدم يا هذا	ليس الخطاء هو الله

وقد تذكرت حادثة حقيقية كانت في سورية في إحدى سنوات العقد الثالث للقرن العشرين.

«وكان الاستعمار الفرنسي» في إحدى القرى النصرانية في سورية كان عمدة القرية قد جعل حارساً بدوياً مسلماً. من أعراب جيرانه. وجاء جابيي يهودي يجمع الرسوم المترتبة على المواشي ونزل ضيفاً على المختار. واجتمع الفلاحون لسهرات أول الربيع والحارس البدوي يجلس بينهم.

لقد بدأ اليهودي بتاريخ أجداده الأوائل منذ عهد يعقوب وكيف وعده الله بالأرض. وأين تزوج وكيف تزوج وكم ولد له. وكيف عاد إلى أرض الميعاد. وكيف صارع الله وأعجز الله في صراعه. وحدث عن يوسف وإخوانه وكيف خرج القوم من مصر وكيف صاروا شعب الله المختار وأن الله لهم وحدهم. وأن الله قد أنشأ الجنة لهم وكيف أنزل الله التوراة بل كتبها بيده لهم وأعطاها لموسى.

لقد وصف الجنة وهي الأرض هذه وأن الناس يصيرون لثلاثة أحوال قسم يموت ويفنى وينتهي أمره وقسم يعيش الحياة الأبدية حياة سعيدة وسيادة. يتنعم في الجنة كيف يشاء. وهم أبناء يعقوب وأما القسم الثالث فيعيش حياة أبدية. ويكون فيها خادماً لليهود. فقال بأغنية السؤال والجواب الجنة معشر اليهود لنا. فسأله فلاح من النصارى. والنصارى؟ فقال اليهودي من حولنا. فسأله البدوي والمسلمون؟ فقال اليهودي يفنون من أرضنا. فسكت البدوي على مضض:

وكان للبدوي ابن عم كريم محبوباً في قومه فجاء إلى اليهودي في الصباح يقدم له القهوة. وطلب إليه بتضرع أن يدخل ابن عمه الجنة وهو يقول. يا أفندي إن ابن عمي رجل كريم شريف أرجوك أن تدخله الجنة فأبى اليهودي بشدة وامتنع عن إدخاله ولو إلى داخل باب الجنة.

ولما أفطر اليهودي طلب خبيراً يسير معه إلى بيوت الأعراب ليجمع رسوم المواشي. فأرسل المختار معه الحارس البدوي ليدله على أبيات قومه فمضيا معاً.

لم ينسى الحارس البدوي قصة الجنة والنار. وجعلت تختلج في صدره قصة احتراق ابن عمه الزعيم البدوي في نار جهنم فحاول إنقاذه للمرة الأخيرة قبل الوصول إلى البيوت. فقال للجابي اليهودي يا أفندي هداك الله أدخل ابن عمي جابر إلى جنتكم فإنه يستحق كل إكرام. فقال الجابي إن الحاخام لا يقبل ولو قبلت أنا. فقال الحارس ترجاه لأجلنا. فقال الجابي حتى وأنا لا أقبل أيضاً. فترجاه الحارس لمرات فلم يقبل ونفذ صبر البدوي. ولم يكن في البرية سواهما. فأمسك بالجابي اليهودي وأنزله عن الفرس بعنف وبدأ بضربه بعصا من خيرزان. ويقول أنت تدخل الجنة. وابن عمي جابر يدخل النار ويحترق فيها؟ والله لن أدعك حياً أو تدخله الجنة.

وبقي يجلده واليهودي يأبى حتى كل البدوي من ضربه فتركه وحيداً ورجع إلى المختار الذي سأله عن الجابي فأخبره بكل شيء من طلبه إدخال ابن عمه الجنة ورفض الجابي إدخاله. وكيف رماه عن الفرس. وأنه تعب من ضربه وتركه وحيداً في البرية مع فرسه. ورجع إلى القرية. لقد رأى المختار حارسه قد رجع مبكراً فسأله عن الجابي فسكت. ثم عاد وسأله. وقد أحس بأمر اخافه وكان ما أخبره فلم يتمالك نفسه عن الضحك. وسأل الحارس وأين ذهب الجابي بعد ذلك فقال لا أدري. وخشي المختار موت الجابي فطمأنه الحارس. ومضت أيام وكلما اجتمع الناس في بيته كان يسأل الحارس عما جرى له مع الجابي فيحدثه بكلما كان وجرى. فلا يتمالك المختار نفسه ومن حضر عن الضحك إلا أن البدوي لم يضحك أبداً.

وفي يوم جاءت رقعة دعوى بحق المختار والحارس إلى مركز القضاء. بجرم الاعتداء على الجابي ومحاولة قتله. فطلب المختار حارسه الذي أتقن الحديث بما جرى بينه وبين الجابي اليهودي وقال المختار للحارس إياك أن تترك شيئاً مما جرى بينك وبين الجابي هل سمعت؟ قال نعم.

وحضر المختار والحارس إلى المحكمة. وسأل القاضي المختار الذي صافح الجابي مسلماً عليه ولكن الجابي سحب يده من يد المختار الذي استفسر من القاضي سبب الدعوى فقال القاضي ملخص الادعاء أنك أرسلت مع الجابي حارسك ليقتله. وأن الحارس نفذ أمرك بضربه حتى أشرف على الموت فأنكر المختار كل هذا. وطلب إلى القاضي أن يسأل الحارس ليخبره بما كان.

واستدرك المختار قائلاً لقد جاءني الجابي مسياً ونام في بيتي واجتمع الفلاحون يسمرون كما هي العادة في الشتاء والربيع وكان الجابي محدثاً لبقاً ومتديناً وحدث بكذا وكذا. وأن الجنة لهم وحدهم. وأن النصارى خدم لهم. وسأله الحارس عن المسلمين فقال سيفنون ولا محل لهم.

وفي الصباح أفطر الجابي وطلب مني دليلاً إلى منازل البدو ليجمع منهم وليعد مواشيهم وقد أرسلت معه البدوي الحارس خبيراً وأوصيته به لحفظه ورعايته ليس إلا.

والتفت القاضي إلى الحارس وسأله لم ضربت الجابي؟ فقال الحارس يا أفندينا أنا أخبرك تماماً بما حصل بيني وبين هذا الأفندي. وأقول الصحيح واحكم باللي تريد. فقال القاضي تكلم: فقال: نزل هذا الأفندي ضيفاً عند المختار. وقام المختار بواجبه. وكنت أسقيه القهوة وأكرمه. وجعل يحدث عن الجنة حديثاً أعجبني. وقال أن الجنة لهم وحدهم. وأن الله عن جميع خلقه قد فضلهم. وأنهم شعب الله وحدهم. فسأله أحد الفلاحين. والنصارى أين تكون منازلهم؟ فقال سيكونون خدماً لهم في مزارعهم وبساتينهم ومصانعهم. فقلت يا أفندي وأين مقام المسلمين؟ فقال لا حياة لهم. فسكت ولكني بت أهدس وأفكر بابن عمي جابر زعيم قبيلتنا رجل كريم شريف يكرم الضيوف ويعطي المحتاج. فقلت في نفسي سأترجى الأفندي ليدخل شيخنا جابر في جنتهم وقمت في الصباح الباكر وقدمت القهوة للأفندي. وطلبت إليه أن يدخل ابن عمي جابر في جنتهم فقال إن الحاخام لا يقبل فاستعطفته ولم يقبل وسكت.

وبعد الافطار طلب دليلاً إلى منازل ابن عمي جابر فأرسلني معه المختار. ولما صرنا في البرية عاودت الطلب في أن يدخل جابراً في جنتهم فرفض وقال لو أن الحاخام يرضى لن يرضى هو بذلك فاستعطفته فأبى فلم أملك نفسي فرميته من على الفرس وضربته وأنا أطلب منه أن يقبل بابن عمي في جنتهم ولم يقبل حتى كلت يداي عن ضربه. وتركته وانصرفت.

كان القاضي ومن حضر يغالبون الضحك في أنفسهم بكل ما أوتوا من قوة. حتى أتم البدوي الحارس قصته. فسأل القاضي الجابي اليهودي هل هذا صحيح؟ فقال الجابي نعم يا سيدي. فقال القاضي لمَ لمْ تدخل ابن عمه جابر إلى الجنة؟ فقال اليهودي الحاخام لا يقبل إدخاله.

لم يعد هناك مجال للصبر عن الضحك فضحك الجميع عدا البدوي واليهودي وقال القاضي لليهودي لعنك الله وكل من منع الجنة عن المستحقين. وبرأ البدوي وأدان اليهودي بأنه ليس أهلاً للجباية «المسيح ملك اليهود في الآخرة». والنصارى لا يسلكون أبداً مسلك اليهود. حتى ولا مسلك المسيح إنما مسلك النصارى هذا الذي جعله لهم بولص. ومن تبع وسلك مسلك

بولص. وبطرس الناسك ليس الحواري. وكل من رتب شيئاً وتبعه آخرون. فأين هم محلهم؟ ترى في الآخرة وهم يقرؤون في أناجيلهم أن المسيح سيكون ملكاً لليهود. فما هو شأنهم؟

يعيدون ويكررون هذا والله جل وعلا يقول في سورة الزخرف/٥٧: ﴿ولما ضرب بن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون * وقالوا ءآلهتنا خير أم هو؟ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون * إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون * وإنه لعلم للساعة فلا تمترُنَّ بها واتبعوني هذا صراط مستقيم﴾. المثل قياس وابتلاء ثم يقول جل وعلا في سورة الزخرف أيضاً الآية/٨١: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين * سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون﴾ في إنجيل متى الاصحاح السابع والعشرين جاء هذا/٣٥ ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها لكي يتم ما قيل بالنبي. اقتسموا ثيابي بينهم. وعلى لباسي القوا قرعة//

وفي إنجيل لوقا الاصحاح الثالث والعشرين/٣٤ وإذا اقتسموا ثيابه اقترعوا عليها//

وفي إنجيل يوحنا في الاصحاح التاسع عشر جاء هذا/٢٣ ثم إن العسكر لما صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسماً. وأخذوا القميص أيضاً. وكان القميص بغير خياطة. منسوجاً كله من فوق/٢٤ فقال بعضهم لبعض لا نشقه بل نقترع عليه لمن يكون ليتم الكتاب القائل. اقتسموا ثيابي بينهم. وعلى لباسي ألقوا قرعة هذا فعله العسكر//

هل عرفت أيها القارىء من أين جاء هذا القول؟ لقد جاء من المزمور الحادي والعشرين من مزامير داوود. والملك الذي لم يعترف اليهود بنبوته. والذي وصموه بالزنا وبالقتل والسفاح فلنعد إلى هذا المزمور لنرى هل قاله داوود لنفسه كشعر أم قاله للمسيح؟ وفي نسخة ثانية الثاني والعشرون المزمور الحادي والعشرون/١ لامام الغناء على ايلة الصبح. مزمور لداوود/٢ إلهي إلهي لماذا تركتني. بعدت عن خلاصي كلمات صراخي/٣ إلهي في النهار أدعو. فلا تستجيب. وفي الليل فلا روح لي/٤ وأنت القدوس الجالس مدحة لاسرائيل/٥ عليك توكل آباؤنا. توكلوا فنجيتهم/٦ إليك صرخوا. فخلصوا. وعليك توكلوا فلم يخزوا/٧ وأنا دودة لا إنسان. عارٌ عند البشر. ورذالة في الشعب/٨ كل الذين يبصرونني يستهزؤن بي يقفرون الشفاه ويهزون الرؤوس/٩ فوض إلى الرب أمره فلينجه. وينقذه فإنه راض عنه/١٠ أنت الذي أخرجتني من البطن. وأنت متكلي من ثدي أمي/١١ إليك ألقيت من الحشاء من بطن أمي أنت إلهي/١٢ لا تتباعد عني. فقد اقترب الضيق ولا معين/١٣ قد أحاطت بي عجول كثيرة. ثيران باشان اكتنفتني/١٤ فتحوا علي أفواههم. أسد مفترسة زائرة/١٥ كالماء انسكبت وتفككت جميع

عظامي. صار قلبي مثل الشمع. ذاب في وسط أحشائي/١٦ يبست كالخزاف قوتي ولساني لصق بحنكي. وإلى تراب الموت تحدرني/١٧ وقد أحاطت بي كلاب زمرة من الأشرار أحدقت بي. ثقبوا يدي ورجلي/١٨ إني أعد عظامي كلها. وهم ينظرون ويتفرسون بي/١٩ يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون/٢٠ وأنت يا رب لا تتباعد. يا قوتي أسرع إلى نصرتي/٢١ أنقذ من السيف نفسي. ومن الكلب وحيدتي/٢٢ خلصني من فم الأسد. ومن قرون الثيران الوحشية أغنني/٢٣ سأبشر باسمك إخوتي. وفي وسط الجماعة أسبحك/٢٤ ياأتقياء الرب سبحوه. ويا ذرية يعقوب مجدوه/٢٥ ويإذرية إسرائيل اخشوه كافة فإنه لم يزدر. ولم يسترذل لبؤس البائس. ولا حجب عنه وجهه. وإذا استغاث به استجاب/ من لدنه تسبيحي في الجماعة العظيمة إني سأوفي بنذوري أمام أتقيائه//٢٧ هذا المزمور الحادي والعشرين من مزامير داوود فما دخل يسوع في هذا؟ ثم هو يستغيث لينقذ من بلائه يستغيث بربه الواحد الأحد الفرد الذي لم يتعدد لقد أخطأ الرجل واستغفر ربه. وشكي إليه أعدائه. وحسب نفسه بين أيديهم وهم يمثلون به. ويصلبونه ثم يقتسمون ثيابه كما هي العادة في ثياب المصلوب. وهكذا شكى داوود لربه واستعاذه من أمر كهذا خاف الشماتة ونصر الأعداء. ونذر لربه التسبيح والتحميد إن نجا من الخطر.

رجل يستغيث بربه. فهل رضوا بأن يكون يسوع رجلاً يستغيث بربه إنهم لم يرضوا هذا وياللعجب إن قيل في التوراة في سفر التثنية هذا/١٥ يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك (من إخوتك مثلي له تسمعون./١٦ حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود اسمع صوت الرب إلهي. ولا أرى هذه النار العظيمة لئلا أموت/١٧ قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا/١٨ أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به/١٩ ويكون الانسان الذي لا يسمح لكلامي الذي يتكلم به بإسمي أنا أطالبه// قرأوا هذا في التوراة فأسرعوا ليجعلوه نبوة لعيسى. فهل عيسى نبي أم إله أم ابن الاله؟ ثم كتبوا شهادة يوحنا. وجعلوا فيها المسيح غير النبي وعرفوا في الشهادة المسيح وأنكروا النبي فهل كان النبي في التوراة عيسى؟ أم كان المسيح عيسى؟ أم كان ابن الله عيسى؟ أم كان الله عيسى؟ أم كان ثالث ثلاثة عيسى؟

إن محمداً ﷺ من أبناء إسماعيل الابن البكر لابراهيم. وهو الأخ الأكبر لاسحق والد يعقوب. وإن أبناء إسماعيل هم إخوة أبناء إسحق. ومنهم النبي الذي لا مراء فيه النبي الأمي الذي كان كلام الله في فمه كماقال تعالى في سورة القيامة الآية/١٦: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه﴾.

يقول تعالى في سورة المائدة الآية/١٧ : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً﴾.

وقال أيضاً في سورة المائدة الآية/٧٣: «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم * ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الأيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾.

ومن أطيب الأخبار وأغربها هذا الخبر الذي جاء في الاصحاح الحادي عشر من إنجيل يوحنا وهذا نصه/٤٧ فجمع رؤوساء الكهنة والفريسيون مجمعاً وقالوا ماذا نصنع. فإن هذا الانسان يصنع آيات كثيرة/٤٨ إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به. فيأتي الرومانيون. ويأخذون موضعنا وأمتنا/٤٩ فقال لهم واحد منهم وهو قيافا. وكان رئيساً في تلك السنة. أنتم لستم تعرفون شيئاً/٥٠ ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد. عن الشعب. ولا تهلك الأمة كلها/٥١ ولم يقل هذا من نفسه. بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ. إن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة/٥٢ وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد/٥٣ فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه.

قيافا نبي ترى من الذي نبأه؟ هل هو الأب؟ أم الابن؟ أم الروح القدس؟ ترى أي الأقانيم الثلاثة نبأه؟ وهل كان المسيح يعلم أن قيافا نبي. وكيف اقترح قيافا إعدام ربه أم إبن ربه أو الروح القدس؟ هذا شيء يوجب التفكر والتأمل. من الذي ينبىء النبي الأقانيم الثلاثة مجتمعة أم الأب وحده أم الملائكة؟

إن قصة ميخا النبي في عهد أخاب لتدل دلالة واضحة على التغيير والتبديل وتحريف معنى النبوة. وجعلها ألعوبة ولنحدث بها من الاصحاح الثاني والعشرين من الملوك الأول: ونلخص أولها أن يهوشافاط ملك يهوذا نزل ضيفاً على أخاب ملك إسرائيل. فقال أخاب إن راموت جلعاد وكانت من ملك أبائي واستولى عليها ملك آرام فهل تذهب معي لنردها إلى ملكنا؟ فقال يهوشافاط سأكون معك. ولكن هل عندك من نبي لنسأله هل نربح الحرب أم نخسرها؟ فجمع أخاب الأنبياء وكانوا نحو أربعمائة نبي. فقال لهم أخاب أنربح الحرب ضد آرام أم نخسرها؟ فقالوا: إصعد فيدفعها الرب ليد الملك، ثم طلبوا نبياً آخر واسمه ميخا. فسأله الملك يا ميخا أنصعد إلى راموت جلعاد للقتال أم نمتنع؟ فقال الملك أريد قول الصدق منك. فقال ميخا إسمع إذاً كلام الرب/١٩.

قد رأيت الرب جالساً على كرسيه. وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره/٢٠ فقال الرب من يغوي أخاب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد؟ فقال هذا هكذا. وقال ذاك هكذا/٢١ ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال أنا أغويه. وقال له الرب بماذا؟/٢٢ فقال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه. فقال إنك تغويه وتقتدر. فاخرج وافعل هكذا/٢٣ والآن هو الرب قد جعل روح كذب في أفواه أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشر/٢٤ فتقدم صدقيا بن كنعنة وضرب ميخا على الفك. وقال من أين عبر روح الرب مني ليكلمك// العهد العتيق، المضحكات كثيرة وكثيرة جداً هكذا صوروا الله كيف يرونه وكيف يجلس وكيف يرسل من يغوي وكيف يجعل الكذب في أفواه الأنبياء. وهكذا أيضاً تكون نبوة قيافا. ولا ننكر قول قيافا أنه قول جيد/٥٠ ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب. ولا تهلك الأمة كلها//

نبي يقول عن ربه أنه إنسان؟ وقد حكم عليه أيضاً بالاعدام؟ ترى لو أن أحد الناس في ذلك العهد اخترع طائرة. وطلب إلى الناس أن يعبدوه هل يمتنع الناس عن عبادته. أو سيارة أو حتى دراجة نارية أو عادية فلم لا يعبد؟ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾.

لقد باع يهوذا معلمه يسوع وقبض الثمن. وذهب مع جند الكهنة ليدلهم على المسيح. ومشى من خلف الجند الباعة الذين ألقى المسيح بضائعهم خارج الهيكل. وجمع غفير من الغوغاء الذين لا يفرقون بين هذا وتلك. حتى وصلوا المكان الذي يقيم به المسيح والحواريون.

لقد اتفق الأسخريوطي مع الذين ذهبوا معه أن لا يسمي لهم المسيح. ولا يشير إليه بيده. إنما يعانقه أمامهم. ومتى قبله وابتعد عنه عرفوه من بين الاثني عشر رجلاً.

وتقدم يهوذا بلهفة مصطنعة إلى عيسى وعانقه وقبله. فقال له المسيح مع المعانقة. أبقبلة تبيع ابن الانسان؟ وكان تبادل الشبه بين الرجلين بأمر وقدرة الخالق. وافترقا. وأمسك الجند بيهوذا وأخرس الله يهوذا. وأخذته الدهشة. وبدأ يفكر بذنبه. وأخذ إلى الهيكل وتبعه بطرس يظنه المسيح. وبدأ استجوابه. وحسابه. وضربه وعنابه. ولم يعرف بم يجيب ومن إنجيل مرقس نأخذ هذا من الاصحاح الرابع عشر/٥٣ فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة. فاجتمع معه جميع رؤوساء الكهنة والشيوخ والكتبة/٥٤ وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة. وكان جالساً بين الخدم يستدفىء عند النار/٥٥ وكان رئيس الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا/٥٦ لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً. ولم تتفق شهاداتهم/٥٧ ثم قام قوم

وشهدوا عليه زوراً قائلين/٥٨ نحن سمعناه يقول إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيدي وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بالأيدي/٥٩ ولا بهذا كانت شهاداتهم تتفق/٦٠ فقام رئيس الكهنة بالوسط وسأل يسوع قائلاً: أما تجيب بشيء؟ ماذا يشهد هؤلاء عليك (قيافا النبي يكلم بغطرسة الذي نبأه) /٦١ أما هو فكان ساكتاً ولم يجب بشيء فسأله رئيس الكهنة أيضاً. وقال له ءأنت المسيح بن المبارك/٦٢ فقال يسوع أنا هو. وسوف تبصرون ابن الانسان جالساً عن يمين القوة. وآتياً في سحاب السماء/٦٣ فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود/٦٤ قد سمعتم التجاديف فما رأيكم. فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت/٦٥ فابتدأ قوم يبصقون عليه. ويغطون وجهه ويلكمونه. ويقولون له تنبأ. وكان الخدام يلطمونه.

هل هذا هو يسوع الذي أعجز في اليوم السابق الكهنة والكتبة وأفحمهم فلم يستطيعوا مجابهته. والتصدي له. وأين الجموع التي كانت تخيف الجميع عن المساس به. فإن كان هذا ليلاً ففي الصباح. وعند الصلب؟ ونقول الآن هل ألغي هذا الانجيل. ونظن أنه يجب أن يلغى لأنه قد ثبتت براءة اليهود من دم المسيح وهذا يقول/٦٤ فالجميع قد حكموا عليه أنه مستوجب الموت. وكذلك جميع الأناجيل. تُرَى ألا تلغى تلك الأناجيل وتبدل بغيرها أو على الأقل ألا تعدل؟

من تفكر بخاتمة كل إنجيل عند الصلب لوجد أن المصلوب ليس المسيح، ولكن الحاضرين في عذر عن معرفته لأن القرآن نزل على محمد ﷺ بعد رفع المسيح بحوالي خمسة قرون فيه بيان أن عيسى لم يصلب إنما رفع. ومعنى الرفع ليس الصعود. إنما هو البعد عن الصلب. والترفع عن أن يهان رسول الله وكلمته. تلك الاهانة التي لا يرضاها الانسان للانسان فكيف بأحد أولى العزم الخمسة من الرسل.

لقد أنجى الله نوحاً بالسفينة. وأنقذ إبراهيم من النار. وجعلها عليه برداً وسلاماً. وفتح البحر لموسى ونصره على فرعون وأنزل عليه التوراة. فلمَ يهان عيسى تلك الاهانات التي لا مبرر لها. وليس الله بحاجة لمثلها.

وقد وفق الله محمداً ﷺ في رسالته التي بعثه الله بها في وسط أمي لا يعرف من الرسالات السماوية إلا السماع وذلك عند واحد بالمئة من الأمة العربية. وهذا أحد الخمسة هذا يسوع الذي أرسل في الثلاثين من عمره واختلف في مدة دعوته. فمن قائل أنها كانت سنة واحدة وصلب. ومنهم من قال بقيت لسنتين فقط. وربما نحن نظنها ثلاثة. وقالوا كانت نهاية المسيح بالصليب لفداء اليهود كما ذكر إنجيل يوحنا. والأناجيل الأخرى أو المفسرون لها وهو الأصح يقولون أنه قد

فدى العالم بأسره من العذاب لأن العذاب وجب للناس بخطيئة آدم وعيسى مخلص العالم. وينكرون قدر الله. ولم خلق الله الانسان.

لقد أهين المسيح من اليهود. واحتقر المسيح من اليهود. وضرب المسيح من اليهود. وشتم المسيح من اليهود وأعدم المسيح من اليهود. بأبشع طريقة. ولم يكن بيلاطس سوى آلة بما ذكرت الأناجيل في يد اليهود فلمّ يا ترى بريء اليهود من دم المسيح؟. ورغم أن القرآن رفض صلب المسيح لا يسعنا اليوم إلا هذا وهو فلنسأل أنفسنا كلنا هل يحق للكرسي البابوي. والمجلس الكنسي الأعلى أن يكون تبعاً لسياسة أميركا وأميركا تابعة للسياسة الصهيونية. فتصدر بلاغاً وقراراً بعد الفي عام إلا قليلاً يبريء اليهود من دم المسيح. ويكذب الأناجيل الأربعة التي عرفها العالم المسيحي منذ ألف وسبعمائة عام؟

ولنذكرها ثانية ونذكر به: لقد زعم قوم من النصارى أن عيسى هو الله. وعندما صلب صرخ الصوت العظيم يستنجد بإلهه. فكيف يستنجد الله؟ وبمن يستنجد؟

وزعم آخرون أنه ابن الله. فلم نادى إلهي إلهي لم تركتني. ولم ينادي أبي أبي لم تركتني؟ يا أهل العقول السليمة إن المستنجد كان يهوذا. وكان يؤمن أن خيانته تلك ليست خيانة إنما هي بما زين له الكهنة والكتبة أنه بإخباره عن مكان عيسى إنما هو يعبد الله. وأنه يقدم لله خدمة لا تنسى أبداً ودليل هذا أنه لم يكن يؤمن بشيء مما كان يقوله عيسى. فلو أمن لما سلم بعيسى ولما عضه الألم صاح يستنجد بإله إسرائيل. ولا يحق لعيسى أن يستنجد أبداً لأسباب كثيرة.

أولاً إنه يعرف إلى أين يذهب. أكان نبياً ورسولاً. أم كان كما وصفه النصارى هو الاله رب الألم أو ابن الاله رب الألم. أم ثالث ثلاثة أرباب الألم. وهم صانعوا الألم.

اللصان لم تذكر الأناجيل أنهما استغاثا. وقد سمرا كما سمر. فكيف استغاث هو؟ وهو من زعم النصارى عنه ما زعموا؟ لقد قال تعالى: ﴿وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه﴾ لقد بقي الحواريون في حيرة بعد حادثة الصلب. وإن جميع الأناجيل تخبر عنها. وأقوالها مختلفة. وترابطها ضعيف ولو وجدت جميع الأناجيل التي تزيد عن ثمانين إنجيلاً لَبَيَّنَتْ كل خفي من أمر الصلب والرفع.

إن أنصاره بما ذكر قد رأوه بعد سبعة أيام من فقده. فإنهم لم يجدوه في القبر. وقالوا أن رجلاً باراً واسمه يوسف قد تجرأ وطلب جسده من بيلاطس فسمح له به.

واليهود يقولون أنهم ثبتوا كذبه وصلبوه. والمسلمون يقولون أن عيسى لم يصلب. وأن الشبه الذي فيه ألقي على يهوذا فصلب يهوذا. وأن عيسى قد رفع.

ولا يحق لمن آمن به ورأى المعجزات على يديه. أن يسلم بصلبه وتعذيبه. ولا داعي لأي شيء من هذا أبداً. فإن الله خلق الخلق وقدر الخطيئة. وليس فوق يده فوق «يغفر لمن يشاء. ويعذب من يشاء وهو على كل شيء قدير» إذاً فلم يفدي بنفسه.

وأخيراً أين ذهب الأسخربوطي؟ يقول متى أنه رد الفضة إلى الكهنة لندمه على فعله وأنهم اشتروا بها أرضاً. وجعلوها للغرباء. وأن الرجل قد خنق نفسه.

والقول الآخر أنه اشترى بالمال حقلاً لنفسه ومات فيه بعد سبعة أيام من شرائه. وكلها أقوال لا تستند إلى حقيقة. ثم هل يحق لأنصار يسوع ومحبيه أن يتركوا يهوذا يمر بخيانته ولا ينتقمون منه أليس هذا من أعظم الغرابة. أو على الأقل يعرفون مصيره وأين ذهب؟

ومن إنجيل متى نأخذ جملتين من الاصحاح السادس والعشرين/٣٩ ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه. وكان يصلي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت/٤٠ ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً. فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة/٤١ إسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف/٤٢ فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً يا أبتاه. إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك//٤٣.

ومن إنجيل مرقس الاصحاح الرابع عشر/٣٥ ثم تقدم قليلاً. وخر على الأرض. وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن/٣٦ وقال يا أبا الأب. كل شيء مستطاع لك. فأجز عني هذه الكأس. ولكن ليكن لا ما أريد بل ما تريد أنت//

ومن إنجيل لوقا الاصحاح الثاني والعشرين/٤١ وانفصل عنهم قدر رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى/٤٢ قائلاً يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك/٤٣ وظهر له ملاك من السماء يقويه// قرأ هذا رجال علم وفهم وعرفوا أن الله الواحد لا شريك له وعرفوا أن عيسى من عباد الله وأن الروح أحد ملائكة الرحمن. وأن مثله كثير. وأن للمسيح أمثالاً كثيرين. وأن المسيح من لحم ودم كما هو الانسان تماماً ليس إلاّ وأنه كره الموت وطلب من الواحد الأحد الذي سموه الأب. أن لا يميته على يد أولئك الأئمة. فهل نسوا حب الله للمسيح؟ ألا يجيب طلبه ويصرف عنه أولئك الطغاة؟

ومما يؤلم قولهم/٤٣ وظهر له ملاك من السماء يقويه. ليتهم سكتوا عن هذا، فالله شيء. والملاك شيء والانسان شيء فلمن كان يسوع يصلي؟ لقد كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل يصلي حتى تورمت رجلاه، فقيل له يا رسول الله لقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر يعنون بذلك أول آية من سورة الفتح وهي قوله وتعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر * ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً﴾ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

وعلى هذا كانت صلاة عيسى عليه السلام. واستجاب الله دعاءه. فجعل شبهه على الذي قد خانه ليلقى جزاء خيانته. وهذه أصغر آية من الآيات التي جعلها الله على يد عيسى عليه السلام وأخبرنا في كتابه العزيز حيث قال في سورة النساء الآية: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ وقد أعذر كل من كان قبل عصر الاسلام وقد قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لو كان موسى بن عمران حياً لما وسعه سوى أتباعي» لقد ارتفع بفضل الله عيسى بن مريم وحماه الله من غَدْرِ اليهود. فلم تنله أيديهم. وترك تبليغ الرسالة للحواريين الأحد عشر مع من كان يؤمن برسالة عيسى عليه السلام.

ومضى الحواريون يلاحقون اليهود في كل مكان من أقطار الدولة الرومانية. وكان اليهود الذين بعدوا عن سلطان المجمع اليهودي يتابعون الحواريين أكثر من ساكني فلسطين من اليهود. كما أن المجمع اليهودي جعل يؤذي أتباع عيسى أكثر من أي سلطة أخرى.

وكان الرومانيون لا يأبهون لكل هذا لأن دولتهم تضم عشرات العقائد. ومئات الأصنام المعبودة أنذاك. ولهم أصنامهم وعباداتهم. وقد انحصرت الدعوة من الحواريين في المختونين. وهم اليهود. وأبناء إسماعيل. ولكن الأمر اقتصر على اليهود. وبقي هذا لسنوات.

وفي يوم جاء أحد أتباع المجمع اليهودي الأكثر عداء للنصارى من أي ملة أخرى إلى دمشق ليدس على النصارى في مدينة دمشق التابعة أيضاً لدولة روما. وادعى أن أمراً قد جرى له على جانب عظيم من الأهمية. وذلك من الاصحاح التاسع أعمال.

/١ أما شاول. فكان لم يزل ينفث تهدداً على تلاميذ الرب. فتقدم إلى رئيس الكهنة/٢ وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق. رجالاً أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم/٣ وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء/٤ فسقط على الأرض. وسمع صوتاً قائلاً له. شاول لماذا تضطهدني/٥ فقال من أنت يا سيد. فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس/٦ فقال وهو

مرتعد. ومتحير يارب ماذا تريد أن أفعل. فقال له الرب قم وادخل المدينة. فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل/٧ وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت. ولا ينظرون أحداً/٨ فنهض شاول عن الأرض. وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً. فاقتادوه بيده. وادخلوه إلى دمشق/٩.

لنسأل أنفسنا هذا. إن اليهود لا يملكون أنفسهم فهل يمكنهم بكتاب أن يقتادوا الآخرين حتى ولو كانوا من اليهود موثقين من دمشق إلى أورشليم؟ هل ترضى روما عن هذا. ويرضى النبي قيافا.

وعمي الرجل وأصابه العمى وهو مفتوح العينين لثلاثة أيام حتى تتم المعجزة التي جعلها المسيح على يديه إن معجزات كثيرة يجعلها الله على أيدي رجال صالحين. ولكن العاقل ينظر إليها ببصيرته إذا أراد الله له الخير فيعرف هل هي معجزات من الله؟ أم هي السحر؟ أم هي التمثيل؟ وكل هذا جائز. ولكن هذا لبولص أمره غريب عجيب لم يؤمن بالمسيح وفي عهد المسيح. وقد رأى المسيح. ولا بأتباع المسيح من حوارييه.

إن البلاء الذي أصاب المسلمين في عهد عثمان كان جله إن لم نقل كله قد جرى على يد أولئك الذين لم يؤمنوا في عهد محمد ﷺ. وكانوا رجالاً لهم بطشهم وزعامتهم. وبعضهم قاتل محمداً. وبعضهم لم يأته حتى إذا مات محمد ﷺ تقرب ليفوز بما يحب. وبدأت الفتن تخرج من الجحور. فإذا رأت عيناً ساهرة سحبت نفسها لداخل الجحر. وإذا رأت أن العين ساهية خرجت لتنفث السم. وتضرم النار. وكان لها بعض ما أرادت. ثم تنظر إليها العين الساهرة. وتعرف مجراها ومسراها. لتضربها. فربما أصابت الرأس. ولربما أصابت الذنب. ولكن البيوض لا تلبث أن تنقف من جديد. وهذا الذي كان عقب كل دعوة أي بعد وفاة الرسول. صاحب الدعوة. وهذا قدر الله حيث يقول في سورة هود الآية/١١٨: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم * وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾.

ولنتم حديث شاول من الاصحاح التاسع أعمال الرسل/١٠ وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا. فقال له الرب في رؤيا يا حنانيا. فقال ها أنا يارب/١١ فقال له الرب قم واذهب إلى الزقاق الذي يقال له مستقيم. وأطلب في بيت يهوذا. رجلاً طرسوسياً. إسمه شاول. لأنه هو ذا يصلي/١٢ وقد رأى في رؤ يا رجلاً اسمه حنانيا. وواضعاً يده عليه ليبصر/١٣ فأجاب حنانيا يارب قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشرور فعل بقديسيك في أورشليم/١٤

وها هنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة إن يوثق جميع الذين يدعون باسمك/ ١٥ فقال له الرب اذهب. لأن هذا لي أنا، مختار ليحمل اسمي أمام أممٍ وملوكٍ وبني إسرائيل/ ١٦ لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجلي/ ١٧ فمضى حنانيا ودخل البيت. ووضع عليه يده وقال: أيها الأخ شاول قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر. وتمتلىء من الروح القدس/ ١٨ فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور. فأبصر في الحال وقام واعتمد/ ١٩ وتناول طعاماً فتقوى//

إن بولص أو شاول قد تقدم حتى على بطرس في نشر الرسالة وفي بدئها صار الخلاف بينه وبين بطرس. وكان أقوى حجة. وأبلغ كلاماً فتغلب على بطرس. وأصبح الداعية الأول. وأمم رسالة عيسى وقد كانت محصورة في المختونين. وكان عيسى رسولاً خاصاً إلى بني إسرائيل لم يبرح فلسطين أبداً إلا أن إنجيل متى يقول أن يوسف النجار أخذ مريم وابنها إلى مصر في سنة ولادة ابنها خوفاً على يسوع من بطش هيرودس. وقد يكون هذا.

إن عيسى عليه السلام لم يصل إلى دمشق. أو إلى أي بلد مجاور قصد نشر الدعوة. ولكنه لم يحرمها عن مستمع. وأقنع بولص الحواريين بجعل رسالة المسيح أممية وكان هذا. ولكنهم علم الله أنهم لم يذكروا أبداً أبوة الله لعيسى أو أنه أحد ثلاثة. أو أن عيسى قد ادعى ألوهية. وجاءت كلها من شاول والآن يمكننا أن نفكر بمدى سيطرة الروم على بلاد الشام. وهل كان للمجمع اليهودي أن يرسل رجلاً إلى بلد آخر غير القدس يمكنه أن يعتقل أناساً من ذلك البلد ويسوقهم موثقين إلى أورشليم؟

إن مجلس الكهنة أو رئيس الكهنة لا يستطيع أن يضمن لنفسه الحرية فكيف يمكن لأتباعه أن يسوقوا الناس من دمشق أو من الطريق إلى أورشليم؟ لقد جاءت تلك الجملة بهذه الصيغة/ ١ أما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً أو قتلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه/ ٢ رسائل إلى دمشق إلى الجماعات. حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم/ ٣/ وهل يسمح الرومان بهذا؟ نحن نقول لا. والتاريخ يقول لا. وقوانين روما تقول لا. فكيف نصدق هذا؟ وقد صدقه الناس. ولا يمكن رفضه.

إنا لنعجب من أمر هذا الرجل لَمْ لَمْ يقبل رسالة المسيح في حياة المسيح. ثم جاء المسيح بعد أن كثرت شرور هذا الرجل ليجعله رسولاً ويقدمه على جميع الحواريين؟

حتى والأغرب أن يأتي بأشياء لا يعرفها الحواريون تلاميذ عيسى عليه السلام. وتابعه

كثيرون حيث جعل عيسى بن الله. ومرة أخرى في أنه الله. وفي أخرى شركه مع آخرين. وتبعه الناس

بدء كل إنجيل من الأناجيل الأربعة

إنجيل متى بدأه بهذا/ نسبة يسوع المسيح/١٨ حبل مريم العذراء من الروح القدس وهي مخطوبة ليوسف/١٩ إزالة الملاك شكوك يوسف/٢١ تسمية ولادة يسوع.

/١ كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داوود ابن إبراهيم/٢ إبراهيم ولد إسحق. وإسحق ولد يعقوب. ويعقوب ولد يهوذا وإخوته وهكذا كان داوود من سبط يهوذا. وداوود ولد سليمان من التي لأوريا. وسليمان ولد رحبعام وهكذا حتى كان السبي الذي سبي فيه يكينا. ويكينا ولد شلتائيل. وشلتائيل ولد زربابل وهكذا حتى كان يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح// فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داوود أربعة عشر جيلاً. ومن داوود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً. ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً//

هل يلزم التعقيب على النسبة؟

/١٧ أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا/ لما كانت أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وُجدت حبلى من الروح القدس /١٩ فيوسف رجلها إذ كان باراً لم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً/ ٢٠ ولكن فيما هو مفتكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً يا يوسف بن داوود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل فيها هو من الروح القدس/٢١ فستلد إبناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم/٢٢ وفي الفصل الثاني جاءت قصة المجوس الذين تتبعوا نجم عيسى حتى وصلوا إلى بيت لحم وشاهدوا المولود وقد تذكروا هذا في أول الكتاب.

لقد حبلت مريم من الروح القدس فلم ننسبه إلى داوود؟ ثم إلى إبراهيم؟ وكيف جاءها الروح القدس وهي في خطوبة رجل؟ وكيف جاءه ملاك الرب في حلمه ليقول له (لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك)؟ وهل خلص شعبه من خطاياه؟ ومن هم شعبه؟ فإذا كان اليهود شعبه فلم نذكره للناس رباً. أو ابن الرب. أو أحد ثلاثة. وما شأن بقية الأمم به. وقد ذكرنا أمر المجوس. وعلمهم بولادته في أول الحديث. والآن نذكر أول إنجيل مرقس//

/١ بدء إنجيل يسوع المسيح بن الله /٢ كما هو مكتوب في الأنبياء. ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك /٣ صوت صارخ في البرية يقول أعدوا طريق

الرب. اصنعوا سبله مستقيمة /٤ كان يوحنا يعمد في البرية. ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا/٥ وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأورشليم. واعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن معترفين بالخطايا/٦ وكان يوحنا يلبس وبر الابل. ومنطقة من جلد حول حقويه. ويأكل جراداً وعسلاً برياً /٧ وكان يكرز قائلاً. يأتي بعدي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أنحني. وأحل سيور حذائه/٨ أنا أعمدكم بالماء. وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس /٩ وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن /١٠ وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه /١١ وكان صوت من السموات أنت ابني الحبيب الذي به سررت /١٢ وللوقت أخرجه الروح إلى البرية /١٣ وكان هناك في البرية أربعين يوماً يجرب من الشيطان. وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه/١٤ وبعد ما أسلم يوحنا(أي استشهد) جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله/١٥ ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالانجيل//

والتعقيب هنا لا حول ولا قوة إلا بالله. إذ ليس هناك ما يؤخذ به حتى يعقب عليه. أقوال تعاد وتنقل ليثبت من لا شيء شيئاً. وذلك قدر الله. ثم ننتقل إلى إنجيل لوقا أنجيل لوقا - الاصحاح الأول - المقدمة.

/١ إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا/٢ كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين. وخداماً للكلمة /٣ رأيت أنا أيضاً إذ تتبعت كل شيء من الأول. بتدقيق أن أكتب إليك على التوالي أيها العزيز ثاوفيلس /٤ لتعرف صحة الكلام الذي علمت به.

/٥ كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هارون. واسمها اليصابات /٦ وكانا كلاهما بارين أمام االله سالكين في جميع وصايا الرب. وأحكامه بلا لوم /٧ولم يكن لهما ولد إذ كانت اليصابات عاقراً. وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما.

/٨ فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله /٩ حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر /١٠ وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجاً وقت البخور /١١ فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور/١٢ فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف/١٣ فقال له الملاك لاتخف يا زكريا. لأن طلبتك قد سمعت. وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً. وتسميه يوحنا/١٤ ويكون لك فرح وابتهاج. وكثيرون سيفرحون بولادته /١٥ لأنه يكون عظيماً أمام الرب. وخمراً ومسكراً لا يشرب. ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس /١٦

ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم /١٧ ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم ـ ترى ما شأن بقية الناس؟

/١٧ ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوة ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء. والعصاة إلى فكر الأبرار. لكي يهيء للرب شعباً مستعداً /١٨ فقال زكريا للملاك كيف أحلم بهذا لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها/١٩ فأجاب الملاك وقال أنا جبريل الواقف قدام الله. وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا/ ٢٠ وها أنت تكون صامتاً. ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته /٢١ وكان الشعب منتظرين زكريا. ومتعجبين من إبطائه في الهيكل /٢٢ فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم. ففهموا أنه قد رأى رؤ يا في الهيكل. فكان يومىء إليهم وبقي صامتاً /٢٣ ولما كملت أيام خدمته مضى إلى بيته/٢٤ وبعد تلك الأيام حبلت اليصابات امرأته وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة /٢٥ هكذا قد فعل الرب في الأيام التي فيها نظر إلي لينزع عاري بين الناس/

/٢٦ وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة/٢٧ إلى عذراء مخطوبة إلى رجل من بيت داوود اسمه يوسف واسم العذراء مريم/٢٨ فدخل إليها الملاك وقال سلام عليك أيتها المنعم عليها الرب معك. مباركة أنت في النساء/٢٩ فلما رأته اضطربت من كلامه. وفكرت ما عسى أن تكون تلك التحية/ ٣٠ فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله /٣١ وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسميه يسوع/٣٢ هكذا يكون عظيماً. وابن العلي يدعى. ويعطيه الرب الاله كرسي داوود أبيه/٣٣.

ـ ابن العلي يدعى. ويعطيه الرب الاله كرسي داوود أبيه ـ كل مقولة جائزة. ولكن الجائز لم يقل فما رأيكم؟ ـ ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية ـ ترى هل كان هذا؟ وهل يصدق أن سيكون مثل هذا؟ وقد عرفنا من بعض ما كتب حديثاً أن ريغان الرئيس الحالي لأميركا يظن هذا. ويعمل لأجله ففكروا/ ٢٤ فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا. وأنا لست أعرف رجلاً / ٣٥ فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك. فلذلك أيضاً القدوس المولود (منك يدعى ابن الله ـ من هذا نعرف أنه ابن الله بالتبني فكيف جعلناه رباً أي أنه الله أو واحد ثلاثة تتم الله؟.

/٣٦ وهو ذا اليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها. وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً /٣٧ لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله /٣٨ فقالت مريم هو ذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك فمضى من عندها الملاك.

/ ٣٩ فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا / ٤٠ ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات / ٤١ فلما سمعت اليصابت سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها. وامتلأت اليصابات من الروح القدس/ ٤٢ وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك/ ٤٣ فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي/ ٣٤ فهوذا حين صار صوت كلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني/ ٤٦ فطوبى للتي آمنت أن يتم لها ما قيل من قبل الرب//

والآن نكتب بدء إنجيل يوحنا. وقد جاء في الخط الغليظ هذا/ لاهوت المسيح وناسوته ووظيفته /١ في البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله/ ٢ هذا كان في البدء عند الله ـ هذا شيء لم أستطع فهمه فقد أغلق علي تماماً. ولم أفهم كيفية ارتباط الكلام فيه. وفهمت ما بعده/ ٣ كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ـ ولو قيل لم يكن قبله شيء لصلح الأمر تماماً. إذ لم يكن غيره حتى يكون به شيء ـ / ٤ فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس/ ٥ والنور يضيء بالظلمة. والظلمة لم تدركه/ ٦ كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا٧٦ هذا جاء لشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته/ ٨ لم يكن هو النور ولكن ليشهد للنور/ ٩ كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم/ ١٠ كان في العالم وكون العالم به. ولم يعرفه العالم/ ١١ إلى خاصته جاء. وخاصته لم تقبله١٢٦ وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله. أي المؤمنون باسمه/ ١٣ الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله / ١٤ والكلمة صار جداً. وحل بيننا. ورأينا مجده ومجداً. كما لوحيد من الأب مملوءاً نعمة وحقاً/ ١٥ يوحنا شهد له. ونادى قائلاً هذا هوالذي قلت عنه إن الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قبلي/ ١٦ ومن ولئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة / ١٧ لأن الناموس بموسى أعطى. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا / ١٨ الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي في حضن الأب خبر ـ كلمة صدق الله لم يره أحد قط. ويسوع أيضاً من ذلك الأحد ـ.

/ ١٩ وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم. كهنة ولاويين ليسألوه من أنت؟ / ٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقر إني لست أنا المسيح/ ٢١ فسألوه إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال لست أنا. النبي أنت فأجاب لا/ ٢٢ فقالوا له من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا. ماذا تقول عن نفسك/ ٢٣ قال أنا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب كما قال أشعياء النبي/ ٢٤ وكان المرسلون من الفريسيين/ ٢٥ فسألوه فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي/ ٢٦ أجابهم يوحنا قائلاً: أنا أعمد بماء. ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه/ ٢٧

هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيورحذائه/٢٨ هذا كان في بيت عبرة في عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد//

النور كان في يوم نزل على موسى. ثم كان في عهد نزل على عيسى ثم جاء في عهد نزل على محمد صلوات الله عليهم أجمعين. لقد عرفنا أن هذا الكلام كلام يوحنا وليس كلام الله. إنما جاء كما كان أول كتاب العهد العتيق وقد فسره الرجل بتفسيره الخاص. يقول الله جل وعلا في سورة المائدة الآية/٤٤: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾ وفي الآية/٤٦: ﴿وآتيناه الانجيل فيه هدىً ونور﴾ وقال أيضاً في سورة الأحزاب الآية/٤٨: ﴿ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾.

كان موسى أرسله الله بيوم خلقه الله كغيره بذرة في صلب آبائه ثم في رحم أمه. ثم من طعام الأرض من نبتها من سمك بحرها ولحم حيوانها وهكذا حتى أوتي الرسالة وعاش عمره ومات وترك التوراة.

ثم جاء عهد عيسى فأرسل الله جبريل ببذرته ونفخها كلمة في رحم مريم. ونما عيسى من طعام أمه حتى نزل كغيره طفلاً إلى الأرض وعاش كعيش الناس ونما كنموهم وأرسله الله إلى بني إسرائيل وأنزل عليه الانجيل وكذبه الاسرائيليون إلا قليلاً منهم. وأدى الرسالة ثم رفعه الله.

وجاء عهد محمد وكان بذرة في أصلاب آبائه حتى نزل إلى رحم أمه. واستقر كغيره في الرحم تسعة أشهر حتى آن أوان نزوله فنزل ونما أيضاً من نبات الأرض حتى أتم الأربعين وأرسله الله وأنزل عليه القرآن الكريم فأدى الرسالة أمانة حتى كمل عمره على الأرض فمات وترك القرآن نوراً. وكان خاتم النبيين فلم يكن من بعده نبي. وتلك إحدى الآيات التي أعطيها. بشرت به التوراة من قول الله فيها لموسى وبشر به الانجيل من أثر التوراة. وهؤلاء هم الكهنة واللاويون يسألون يوحنا. فيجيبهم أنه ليس المسيح فيقولون له إذاً من أنت؟ هل أنت إيليا؟ فيجيبهم لا. فيقولون له هل أنت النبي؟ فيقول لا من هذا نقول يا معشر اليهود والنصارى من هو النبي؟ لقد ثبت للجميع اليهود والنصارى أن يوحنا ليس عيسى وهذا معلوم. وأن يوحنا ليس إلياس. وأن يوحنا ليس النبي. وأن المسيح ليس إلياس. وأن المسيح ليس النبي. إذاً فمن يكون النبي؟

لقد مضت عهود النبوة ونحن نعرف هذا منذ أربعة عشر قرناً. لأن القرآن الكريم أخبرنا الله به بقوله في سورة الأحزاب الآية/٤٠: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن

رسول الله وخاتم النبيين﴾ وها قد مر دهر حتى الآن يساوي من الدهر بعد ما بين إبراهيم وعيسى تماماً. إن لم يكن أكثر ومع هذا لم يبعث نبي حتى الآن. لأن محمداً خاتم النبيين حقاً وصدقاً.

إن في أحد الأناجيل أو في أكثر الأناجيل التي أعدمت وأخفيت تبشير عيسى بمحمد. فقد نزل قول الله في هذا بسورة الصف الآية/٦: ﴿إذ قال عيسى يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم. *مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾.

كما جاء في كتاب العهد العتيق بل بالتوراة التي غلفت بكتاب العهد العتيق. وطعمت بموبقاته ومعضِلاّتِهِ وذلك كما مر معنا في سسفر التثنية في الاصحاح الثامن عشر/١٥ يقيم لك الرب إلهك من وسطك من إخوتك نبياً مثلي له تسمعون/١٦ حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً. لا أعود أسمع صوت الرب إلهي. ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت/١٧ قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا/١٨ أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم. مثلك واجعل كلامي في فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به/١٩ ويكون أن الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه//

نعم إن إخوتهم أبناء إسماعيل من عارض هذا وانكره فما هو إلا مكابر لا يؤمن بقديم من العهد أو جديد إنما يتابع هوى نفسه. والله يطالبه. لقد ذهبت الآيات التي كانت للأنبياء مع ذهابهم وكانت الآية التي نزلت على محمد في عهد كان فيه. ثم مات والآية لم تمت فهي باقية بحفظ الله ورعايته أبداً ما دام على الأرض من يحملها ويعمل بها. وهي القرآن الكريم الذي قال تعالى عنه: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ والآيات في القرآن لا تزال قائمة ومنها التحدي للبشر بأن يأتوا بمثله. ومنها ذكر أن محمداً خاتم النبيين. ومنها الآيات العلمية التي تدور النظريات حولها. وهي ثابتة في مكانها. وهي كثيرة في كيفية الخلق والمنشأ الأول. والحاضر والمستقبل. للدنيا والآخرة. وقد عرفنا أن المسلمين عندما أخذوا بها وصلوا قمم المجد في العالم وفي بضع سنوات فقط. وإن أخبار الآخرة صحيحة وحقيقة للعالم كأنه يراها ومن بعضها أخذ (دانتي) الكوميديا الالهية.

عودة إلى شاول ووعظه

وبدأ شاول الوعظ وجعل يكرز في دمشق بالمجامع في أن المسيح هذا هو ابن الله. فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم. وقد جاء إلى هنا لهذا ليسوقهم مؤمنين إلى رؤساء الكهنة. وأما شاول فكان يزداد قوة.

ويحير اليهود الساكنين في دمشق. محققاً إن هذا هو المسيح - هل يمكن لشاول والكهنة أن يهلكوا أحداً؟ فالأمر هناك لبيلاطس. وقد طلبوا منه أن يطلق باراباس وطالبوه بصلب المسيح. فكيف يقتل شاول والكهنة؟

لقد أصبح شاول يوماً مساوياً للحواريين. بل انتزع منهم الزعامة. وصارت الأمور تسير على يديه أعظم من بقية الرسل ترى هل كانت دمشق في حكم المجمع اليهودي؟ أو أن حكم المجمع اليهودي يفوق سلطة الروم؟

إن الروم لايفرقون بين اليهود والنصارى في ذلك العهد. والوثنيون أقرب إليهم. وأحب عليهم من اليهود والنصارى فلمّ ينزل النصارى شاول من فوق السور يدلونه بسل ولم هذا؟ يجب التفكير ممن يجد حرية التفكير في أمور كتلك.

إن قصة شاول ترتبط مع أممية الدعوة المسيحية. فإن عيسى لم يقم بدعوة خارج اليهودية والجليل. بل الجليل موطن الدعوة. واستطاع شاول أن يجعل الدعوة أممية وهذا معلوم لدى الجميع. وكان قصد المجمع اليهودي السري غير الذي كان. فقد أراد المجمع من جعل الدعوة أممية حتى يغضب الرومانيون من ذلك ويلاحقون النصارى. وتم لهم ذلك حتى أن الرومانيين في كل مكان طاردوا أصحاب الدعوة. وجعلوا يعذبون النصارى عذاباً مراً وأليماً. فقد نشروا البعض بالمناشير. وألقوا البعض في آبار الأسود والنمور والفهود. ومشطوا لحومهم بأمشاط الحديد وكانت الدعوى لاتتعدى كون المسيح من رسل الله وكلمته. أو نقول بذرة ألقاها جبريل الروح القدس إلى مريم فذكر شاول أنه ابن الله. ومن ثم أنه الله. وعاد إلى أنه ثالث ثلاثة. ولم يكن من قبل ذلك شيء من هذا. وكان أقرب الأناجيل إلى شرقي البحر وبلاد الشام غير هذه الأناجيل المحرفة.

لقد وصلت الدعوة السليمة إلى بلاد العرب وحلت في نجران. وامتدت في إقليمها. وغضب لذلك ملك اليمن آنذاك وكان اسمه ذو نواس. وكان الملك يهودياً من يهود العرب. فجاء إلى نجران. وطلب من الناس الرجوع عن دين النصرانية فأبوا عليه. فحفر الأخاديد في الساحات. وأشعل النيران فيها. وعرض على الناس إما الرجوع عن النصرانية أو يقذفهم في الأخاديد الممتلئة بالنار. فقتل الكثيرين. وقد ذكرهم الله جل وعلا في القرآن الكريم في سورة البروج بقوله: ﴿والسماء ذات البروج * واليوم الموعود * وشاهد ومشهود * قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود * ومانقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السموات والأرض والله على

كل شيء شهيد * إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق * إن الذين أمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز الكبير﴾ لقد كان المحرض لذي نواس كهنة اليهود الذين هربوا من غضب الروم إلى اليمن حيث كان التبابعة على دين اليهودية الممزوجة بالوثنية.

وهرب أحد أمراء نجران إلى بلاد الشام حيث دخل على قيصر ملك الروم وأخبره الأمر والقصة. وأن قتلهم كان في سبيل النصرانية. فكتب لذي ثعلبان وهو الرجل النجراني كتاباً يوصله إلى ملك الحبشة. لأن وصول الروم إلى بلاد اليمن أمر شاق وعسير. ووصل ذي ثعلبان إلى النجاشي وأخبره الأمر وأعطاه الكتاب فجمع هذا جيشاً كبيراً. وأرسله إلى اليمن، وساعده ذو ثعلبان بقبائل نجران. وأيدت قبائل كثيرة جيش الأحباش لكرههم لذي نواس. فانتصر الأحباش على ذي نواس. فأغرق نفسه في البحر. وحكم الأحباش اليمن أكثر من سبعين عاماً.

وظلم الأحباش أهل اليمن. وأخذ أمير الحبشة في اليمن امرأة أحد الأمراء اليمنيين المعروف بعدائه ومقاومته لجيوش الحبشة بعد أن قتل زوجها. ولها ولد صغير. فولدت لأبرهة ولداً ذكراً أسماه مسروقاً. وكانت زوجة ذي يزن تكتم على ولدها نسبه فكان يقول لأبرهة أبي. ولما بلغ مبلغ الرجال تخاصم مع أخيه الحبشي فشتمه الحبشي. فضربه سيف بن ذي يزن أخاه لأمه. فذهب مسروق لأبيه أبرهة وأخبره بضرب سيف له. فغضب أبرهة وجاء فضرب سيفاً وشتمه. ولولا مكانة أمه لقتله.

واستغرب سيف أمر أبيه الموهوم. وقال لأمه ودموعه تنحدر على وجنتيه. مابال أبي يفعل هذا؟ فقالت تخبره الحقيقة. إنه يابني ليس بأبيك إنما هو حبشي وأنت يمني إن أباك حميري ومن سلالة التبابعة وإياك أن تحدث أمراً. أو تذيع ماأخبرتك. فيقتلك قادة الأحباش.

لقد كان ظلم الأحباش في اليمن عظيماً حتى أن نصارى نجران قد كرهوا حكم الأحباش. وخرج إليهم سيف بن ذي يزن سراً حيث خرج معه بعض أهل نجران إلى قيصر. واستنجده سيف. على الأحباش. واعتذر قيصر عن مساعدته بحجة البعد. وكان سيف يعرف النصرانية. لأنه عاش نصرانياً. ولذلك ساعده أهل نجران ونزل سيف إلى العراق إلى ملوك الحيرة. وأخبرهم أمره مع الأحباش. فأوصله ملوك الحيرة إلى المدائن حيث دخل على كسرى. وطلب منه المساعدة على طرد الأحباش من اليمن. واعتذر كسرى أيضاً ببعد المسافة عن اليمن. وأعطى لسيف بن ذي يزن ألف دينار من الذهب. فأخذها سيف وخرج من عند كسرى. ووقف له السؤآل يطلبون منه من منحة كسرى. فجعل ينثر الذهب على السؤآل نثراً. حتى أنفقها بذلك.

لقد حسد أحد مبغضي العرب سيفاً على عطاء الملك. وأخبره بعض أتباعه عن تبذير سيف للمال الذي أعطاه كسرى. فرفع الخبر فوراً إلى كسرى الذي أمر بإرجاع سيف بن ذي يزن إليه. وسأله عن تبذيره المال الذي أعطاه. كأنه يحتقر عطاء الملك ؟ فأجاب سيف. عش أيها الملك إن أرض وحجر بلادي من الذهب والفضة. وقد جئتك مستنجداً ولم آتك سائلاً. فسكت الملك. وأمره بالانتظار لدراسة الأمر. فخرج سيف وبقي ينتظر أمر الملك.

واستشار الملك وزراءه ومستشاريه. وكلهم عظم عليه الأمر إلا واحداً منهم حيث قال للملك أرى أن ترسل معه كل سجين حكمه الموت في السجن. فيذهب معه أولاء. فمن مات منهم نال جزاءه. وإذا وصلوا معه وكان الفتح فيكون فتحهم إضافة ملكٍ إلى ملكك. فأعجبه الرأي. وأحصى أولئك فكانوا أربعة آلاف رجل فأرسلهم مع ابن ذي يزن بثمانية سفن أو ثمانية عشرة وهو الأصح فغرق بعض السفن ونجا بعضها مع ذي يزن والقائد الفارسي وهرز إلى اليمن في أواخر عام الفيل أو بعده بسنة. وكان جيش الأحباش قد قضى عليه الطير الأبابيل بأمر الله عندما هاجم الكعبة. ومات أبرهة. وتسلم الملك على اليمن مسروق بن أبرهة.

ونزل سيف يجمع القبائل العربية إليه فجمع الكثير منهم بلا تنظيم ولاتعبئة يحملون السيوف ويركبون الخيل. والتقى الجيشان في بطاح اليمن. ولم تدم المعركة إلا سويعات فقد رأى وهرز. لواء المُلْكِ على رأس مسروق وبين عيني مسروق ياقوتة لها بريق يدل على الملك من بعد. فرماه وهرز بسهم أصاب رأس مسروق وانتصر سيف والفرس على الأحباش. وأخرجهم من اليمن بعد حكم طويل زاد عن سبعين عاماً.

إن دعوة الرسل الأولى لم تحمل القصد في أن عيسى ابن الله وأنه ثالث ثلاثة أو أنه الله. وكانت الأناجيل المعدمة تحمل معاني الرسالة وبقيت تلك الأناجيل أكثر من مئتين وخمسين عاماً. هي الأكثر قبولاً من الناس وعليها أكثر النصارى حتى تنصر الأمبراطور الروماني في سنة ثلاثمائة وبضعة عشر للميلاد. فأمر بأول مجمع للكنائس آنذاك. وفرض ماشاء من أمر الأناجيل وكان حديث عهد بالنصرانية. فلم يترك الوثنية تماماً. وقد حرم أريوس في ذلك المجمع.

ثم كان المجمع الثاني في أفسوس. والثالث حرم فيه نسطور. ويعقوب وأكثر الدعاة في الشرق العربي أي شرقي البحر الأبيض وألغيت كامل الأناجيل. ومعها بيان الرسالة بتمامها وحقيقتها ووصف محمد صلى الله عليه. وكيف تأتي رسالته ومتى. وكان المجمع الكبير الذي اختلف فيه رجال الكنيسة وخاصة في أمر المنحوتات. وحرم كل من وقف ضدها وأقرت التماثيل المجسدة فكان تمثال عيسى ولم يره أحد إنما بالوصف ممن لم يره.

إن الوثنية تلازم التماثيل. فالأصنام تماثيل رجال. أو حيوانات أو طيور. أو حسبما تخيل المصور من ثور مجنح أو أسد مجنح أو سمك مختلف الشكل عند أهل الجزائر البحرية.

وقد حكم الناس وفرض عليهم أن يعبدوا فلاناً. وأوهموهم أنه من سلالة الشمس أو القمر. وساعد الجهل على هذا. وعُبد الأشخاص بعد تمثيلهم بأحجار منحوتة. وتابعت الامبراطورية الرومانية هذا وفرضته وصار الدين تبعاً للسياسة. وصار تمثال العذراء. والمسيح. والقديس حامل مفاتيح الجنة. وحامي الأرض. والقديسة كذا وكذا. ولم ينسوا المغفرة فجعلوها بيد قديسين. ووصل الأمر إلى ما يخجل.

إن الأناجيل لم يلحظ فيها أي تحبيذ لتمثال بل بالعكس فإن الانجيل يصدق التوراة في أمر التماثيل والمنحوتات وقد جاء في الاصحاح الخامس من سفرالتثنية/ لاتصنع لك تمثالاً منحوتاً. صورة ما مما في السماء من فوق ومافي الأرض من أسفل. ومافي الماء من تحت الأرض//

ومع هذا أقر المجمع صنع التماثيل فنحتت ووضع الكثير منها في الكنائس. وحرموا وطردوا من قال في تحريمها. وصارت تلك التماثيل تماماً كما كان عليه الحال عند الوثنيين. أمامها يسجدون. ولها يعبدون. ويسألون مطالبهم ولها عند ضيقهم يناجون. وضاع القوم. فجعلوا يخدعون الناس بالآيات المخترعة. والعجائب المفترية فيدعي هذا رؤية العذراء. وأنها تزوره في كنيسة كذا. ودير كذا. فيوهمون الناس برؤيتها. حتى تصيرالنذور. ويأتي أصحابها فيسقون المخدر. أو يطعمونه. فيرى بعض مايصور له. ويظنه حقاً وهكذا حتى تكون الدعاية على نطاق واسع. وتباع التماثيل في تلك الدعايات. ويصل الشيطان إلى غايته.

الخالق. والوالد. والمخلوق. والنبي

فالخالق: هو موجد المواد. وراسم الأبعاد. في الكليشة الأولى. ومكون موادها. أوجدها وأوجد طريقة صنعها وتصنيعها. وجعل الوالد واسطة لصنع الولد. وإن شاء خلقه بلا واسطة. وحافظ على نمو المصنوع لأيام أو لأسابيع أو لشهور. أو لأكثر. ورتب الأحوال حتى صار المصنوع والمخلوق. وفق غاية الخالق. والانسان من هذا.

أما الوالد فهو حامل البذرة لأمد معين فعنده المستقر حتى يستودعها في المستودع الذي يبدأ فيه النمو ويخرج من المستودع الذي يمكنه أن يستغني عنه. ليبدأ النمو من جديد على ظهر الأرض من المواد التي أوجدها الخالق. من النور والهواء والتراب والماء. والمشتقات منها كلها وكما قال تعالى في سورة الأنعام الآية/٩٨: ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾.

أما المخلوق. قد ينمو من المواد المخلوقة مثله كالماء والتراب ليصير واسطة صنع كأبيه يحمل البذرة أو المستودع ويحمل في ثنايا جسمه النزوة الدافعة كأبيه. وهكذا مشيئة الله لغايته.

أما النبي فهو رجل كان في مستقر. وأنزل إلى مستودع. ثم أنزل إلى وجه الأرض. ولامسها. ونما كأبيه الذي كان في صلبه. وأنزله إلى المستقر عند أمه. فلما أثقلت دفعته إلى سطح الأرض. وصار رجلاً ثم أحبه الله وقدمه على من حوله. فأرسل إليه الروح القدس ليحل عليه في حالات. فيوحي إليه ماشاء أن يوحي إليه. إذاً: فالنبي وكل نبي يجمع الرجل حيث هو رجل والنبوة. والروح الحالة عليه من الخالق. وقد ذكروا نبيات أيضاً في كتاب العهد العتيق. والله لم يقر هذا في القرآن الكريم وقد قال عن مريم أنها صديقة ففي سورة المائدة قوله تعالى في الآية/٧٥: ﴿ماالمسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾.

وكان عيسى على هذا. الرجل المخلوق من المادة. والنبي المقبول من الله. ليحل عليه الروح القدس وحل عليه كما حل على غيره من قبله. أكان بشكل وجسم حمامة. أم بجسم أو شكل لايرى لغيره.

إن الله شيء ليس كمثله شيء وله بدأ الخلق كما له القدرة على خلق كل شيء. وكما قال تعالى في سورة الأنعام الآية/١٠١: ﴿بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم * ذلكم الله ربكم لاإله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل * لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير * قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها ومأأنا عليكم بحفيظ﴾.

لقد صنعت الأشياء كل الأشياء التي ندركها في اللمس أو الحس بواسطة العقل. والعقل منها، أي من الأشياء التي ندركها بالحس وندرك صنعه بالحس واللمس. فالعقل مخلوق من صنع الخالق صاحب العقل الأول الخالق المبدع. صاحب الغاية التي لأجلها تم الخلق. وهو العدد الأول في تكوين الأعداد. وهو العدد المكون لسائر الأعداد ولايمكن أن نعرف كيف كان. ومتى كان. فهو سر الوجود. وعنده السر الأول. فهو الأول المنفصل عن الأجزاء. فلم يأت ويكون عن توالد. ولايمكن تصوره مشتركاً مع غيره. فكل بجزء منقوص. وكل منقوص ليس بتام وكامل.

إن التوراة نزلت على موسى في وقت واحد كما جاء في سفر الخروج. وكسر موسى اللوحين المكتوبة عليهما عندما رأى قومه يعبدون العجل ثم عاد إلى ربه حيث وحيث أملى عليه التوراة

ثانية. وهي تحوي التشريع للقوم كيف يكونون في دنياهم في المعاملة فيما بينهم وبين الناس. ولاتحوي الخبر عن كيفية الله ولاتاريخ الكون. ولاتاريخ آدم والطوفان ولاتملك الأرض. إنما سكنهم كغيرهم في الأرض لمدة صلاحهم وإصلاحهم. فبدل القوم وحوروا حتى استحقوا هذا الذي وصلوا إليه في السبي ومابعده حتى عصرنا هذا.

وبعد أن حصل منهم التغيير والتبديل. أرسل الله عيسى عليه السلام نبياً رسولاً إلى بني إسرائيل ثم أنزل عليه الانجيل حكماً وأمثالاً. وأيده بروح القدس. حيث أحيا الموتى بإذن الله. وأبرأ الأكمه والأبرص وكما قال عنه تعالى في سورة آل عمران الآية/٤٧: ﴿قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء * إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل * ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾.

وكما قال عنه تعالى في سورة مريم الآية/٣٤: ﴿ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ماكان الله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾.

ثم حوَّر القوم وبدلوا. ودليل التغيير والتبديل. قد رأيناه بأعيينا. ولمسناه بأيدينا. في عصر العلم والمعرفة في عصر أصبح الانجيل فيه بمتناول يد كل واحد. أكان بثمن يأخذه ويقرؤه من شاء أو في المكتبات العامة إذاً فكيف الأمر في عصر لايعرف الناس فيه الانجيل إلا هذا الذي يرتله من لايملك منه سوى تنفيذ الأمر بقوله (إقرأ هذا وإياك غيره).

إن الدليل الثابت للتغيير والتبديل سقط إلى الناس عفواً. وبدون سابق إنذار. فقد فوجيء الناس في يوم من أيام العقد السابع للقرن العشرين بخبر مفاده أن مجلس الكرادلة للكرسي البابوي. قد أجمع على أن اليهود أبرياء من دم المسيح. أي المجمع اليهودي في أورشليم ليس له يد في صلب المسيح.

لقد دهش اليهود العاديون أنفسهم لهذا الخبر. فقد برؤا من جريمة نكراء. بدون أن ينكروا تنفيذها أبداً ودهش النصارى الذين اعتقدوا كما اعتقد أباؤهم وأسلافهم. حتى وأباء الكرادلة. وأبائهم. ومعلميهم بأن اليهود منذ ألفي عام قد حكموا على المسيح بالاعدام. ونفذه جند الرومان مع أتباع الكهنة اليهود وبحضورهم الاعدام البشع. وروت هذه الأناجيل الأربع التي

هي في بيت كل مسيحي في العالم.

نعم بعد ألفين إلا ستين عاماً. تمت تبرئة اليهود من دم المسيح ترى من الذي طلب وألح في صلب المسيح؟.

إن في هذا احتمالات عدة منها: ربما أن الكنيسة قد اقتنعت بما جاء في القرآن الكريم. من أن المسيح لم يصلب إنما شُبِّهَ لصالبيه. بالتعيس يهوذا. وأن الناس من النصارى الأوائل قد التبس عليهم. ولابد لأهل الذمم من أن يؤدوا أماناتهم بإظهار الحقيقة. وتلك فضيلة بأن يقال الحق. ويعترف بالخطأ.

والاحتمال الثاني أن الذي دلهم على الشبه بعد قرابة ألفي عام تلك الآية من إنجيل يوحنا وهي أن. قيافا رئيس الكهنة كان نبياً وأوحي إليه بالشبه فصلب الخائن. وأصر على صلبه في نفس بيته.

ومنها أن القوم عادوا إلى اتباع الدين اليهودي في أمور. وبقوا على نصرانيتهم في أمور. فإيمانهم بكتاب العهد العتيق. يجيز لهم أن يتمسكوا بالدينين معاً.

ووقف المسلمون وقفة الظافر. فأخيراً تبين الحق. واقتنع النصارى. بأن المسيح لم يصلب. إنما شبه لصالبيه وتطابق قول الكنيسة مع قول المسلمين وسيكسر الصليب وينتهي أمره. ويبدأ الخط الجديد. بتفهم رسالة السيد المسيح. وسيثبت لهم أنه كان رسولاً نبياً. بذرته كلمة ألقاها الروح القدس في فرج مريم.

كلمة حق أريد بها باطل

ولكن أحد المخلصين للكنيسة قال وياللأسف. إن المسيح صلب. وأن الذين صلبوه هم الرومان. ولا دخل لليهود في أمر صلبه. فالقوم لايملكون أمر الصلب.

وهكذا تمت التبرئة بضرب قنبلة مسيلة للدموع. فلم يعد القاريء يتبين كيف يقرأ بالأناجيل الأربعة المعترف عليها لأن الدموع خلطت عليه الكلمات. وقد مر معنا ماجاء في الأناجيل بأمر الصلب.

ترى كيف فسرت تلك الأناجيل بتفسير جديد؟ أهو الاجتهاد. أم التمويه على صليبية جديدة. تأتمر بأمر الصهيونية العالمية التي بقيت الماسونية العالمية تخطط لها منذ ثمانية عشر قرناً.

إن الأمر قد جاء من أعلى سلطة في العالم وأقواها. وهذا ماتيقنه الناس على مختلف أديانهم

وعقائدهم أنه الدافع لتلك التبرئة. وامتعض كل شريف ومتدين من أهل الدينين المسيحي والاسلامي.

لقد استطاعت الصهيونية العالمية وليدة الماسونية العالمية. أن تؤثر التأثير المباشر على كرسي البابوية وعلى المجمع الذي أقر هذا القرار. ولاغرابة في هذا لأنه يظن أن الماسونية هي التي نصبت البابا كما هو رئيساً للكنيسة الكاثولكية. كما أن منصب الكاردينال اليوم لاينال إلا عن طريقها.

ترى أيها القاريء مهما كانت عقيدتك. وكيف كانت وجهتك. ألا ترى هذا الذي نرى؟ ألم تستغرب هذا. وتحتقره لأنه جاء في هذا الوقت بالذات. وقد سبقه عقب الحرب العالمية الثانية ضجيج عظيم بأن هتلر وأعوانه قد أعدموا من اليهود عدة ملايين مع أن الحقيقة لايعلمها سوى الله. وأنها لاتعدوا آلافاً أكثرهم كانوا يتجسسون على ألمانيا النازية لصالح الحلفاء. وكان تجنيدهم من قبل الحلفاء لهدف النصر على ثمنٍ هي هذه الدولة التي أقاموها. والتي من أجلها برأ القوم اليهود من دم المسيح. وكل هذا لاستدرار عطف العالم المسيحي. وكان لهم ماأرادوا فجمعوا الأموال. وهيئوا الظروف. وكان الذي كان.

إن المسلم يعرف أن قرار الكنيسة هو كلمة حق أريد بها باطل. فإن اليهود أرادوا قتل المسيح وصلبه ولكن الله قد أبطل كيدهم وألقى الشبه على من باعه وصُلب يهوذا الذي خان أستاذه وباعه بدريهمات قليلة ولكن المسلمين ينظرون إلى هذا القرار وفي هذا الوقت بالذات الذي أقام فيه اليهود دولة في فلسطين. أول إقامتها بالحراب الانكليزية. ثم ساندتها الأسلحة الأمريكية. والأموال الأمريكية. ولم تستغن عن ذلك حتى بعد أربعين عاماً من إعلانها. كلمة حق أريد بها باطل. وأنه مهزلة من مهازيل التاريخ. ودليل التبديل والتغيير.

وصدر هذا القرار المضحك والمخجل والمؤسف في عصر النور. والعلم. والمعرفة. عصر التحقق الذي يعرف فيه كل من أراد المعرفة حقيقة التزوير. ومثل هذا كان التزوير في عهد قسطنطين للكثير من حقيقة الانجيل وصب قالب التماثيل كما شاؤوه. وذلك قدر الله. وفرض التبديل والتغيير على الناس فرضاً.

هل يمكن أن تسلم الدول المسيحية سلطاتها إلى عيسى لو نزل؟

وأرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم. كما أرسل من قبله موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام. ليرد لكل ذي حق حقه. وليكون النبي المنتظر من اليهود. ومن النصارى. ليكون النبي الذي لايعقبه نبي فهو خاتم الانبياء والمرسلين. ولكن الكنيسة التي تسلط عليها الرومان

آنذاك لم تعترف بتفسير حقيقي لما جاء في أمر النبي وورد في التوراة أو في الأناجيل التي أعدموها.

ترى لو نزل المسيح اليوم. في عصر سلطة الدولة المسيحية على العالم. هل يقبلون منه الانجيل الصحيح ويسلمونه السلطة في العالم ليحل معضلاته. ويعطي كل ذي حق حقه؟. والجواب لا. ولو عرفوه تماماً.

وأنزل الله القرآن على محمد منجماً. يعطي لكل حالة لبوسها. وليبين للناس الأمر الجلي السوي. وليفضح كل تغيير وتبديل في كتابي العهدين العتيق والجديد. وكانت ثمرته أن كل عاقل عارف من اليهود والنصارى قد عرف وتأكد فمنهم من آمن بلسانه وقلبه. ومنهم من آمن بقلبه. كما هو حال هرقل الذي عرف هذا. وتغلبت عليه الدنيا. ومثله كثير. وأظهر الله الحق. وكما قال الله تعالى في عصر لم يكن فيه المسلمون يزيدون عن عشرة آلاف من الرجال والنساء والأطفال. قال وأنزل على نبيه هذا في سورة التوبة الآية/٣٣: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ وفي سورة الفتح الآية/٢٨: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق. ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾ وفي سورة الصف الآية/٩: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾.

وفي غضون خمس سنوات من نزول تلك الآيات العظيمة على محمد وأصحابه. تم إعلاء دين الله على جميع الأديان آنذاك من يهودية. ونصرانية. ومجوسية. حتى وشرك.

نعم لقد ظهر دين الحق على كل دين آنذاك وكان المسلمون بالآلاف واتباع تلك الأديان بالملايين. فما هو قول ورأي القاريء هل صح هذا. وكان هذا في خمس سنوات؟

نعم في خمس سنوات. فقد نزلت سورة التوبة قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنة وثمانين يوماً. فقد نزلت أيام الحج في السنة التي سبقت حجة الوداع عام تسع للهجرة. وفي السنة العاشرة للهجرة حج رسول الله ومات بعد ثمانين يوماً. وكانت معركة اليرموك الحاسمة في السنة الثالثة عشرة للهجرة. وملك المسلمون بلاد الشام وأخرجوا منها الروم. وتتالى النصر وظهر دين الحق دين الله الذي هو دين العلم الصحيح الذي لايختلف معه ودين العقل السليم الذي لايختلف معه. ولاغرابة في هذا فهو دين الله رب العلم ورب العقل.

لو قلنا الابن فذا تبعاً ... للأب بأم تهواه
بثلاثة أجزاء جمعوا ... رباً صنعوه وساواه
هل صنعة شاول كانت ... أم قسطنطين بأولاه؟
قد جعل الله وشتته ... روحاً ولعيسى أهداه
فالأب هناك على عرش ... قد بعث الروح لمولاه
لتحل بعيسى وبصوت ... من أب الكون سمعناه
بحبيبي الابن سررت به ... هذا المنقول قرأناه
من تلك الجملة قد صنعوا ... رباً والأصل دحضناه
وسؤال يأتي عن رحم ... قد كان الخالق يملاه
أو إبن الخالق كان به ... بشهور تسع رباه
هل يملأ بعد بذي روح ... من إبن الناس وسواه
أب أو إبن أو روح؟ ... سبحان الله ورحماه
أبعاد الكون بدت لغزاً ... لم يعرف أحد أولاه
أو يعرف أحد آخره ... ماشأن العبد ومولاه؟
هذا البرغوث وقد يعلو ... جسداً من عيسى ونراه
يمتص الدم بلافرق ... عن جسم آخر وسواه
فالله على العرش بعز ... قد فرض الأمر على ماهو
هو فوق الفوق وحيطته ... ماتحت الفوق وأدناه
وله الأبعاد بما اشتملت ... بشموس الكون وأشباه
ولرب الأرض لها مثل ... فيها الانسان بمسماه
أو رب تفوق في علم ... قد عرف الله وأرضاه
فاسمع ياهذا وبعقل ... قم فكر فيما تقراه
من أكل العيش ومثله ... مِنْ ذَاكَ الْعَيْشِ توخاهُ
عبداً إياك تؤلهه ... والنور ونار تسواه
فالنور لربك منشأه ... ووحيد الكون هوالله

العلم يدحض كل بهتان

لكل بناء أساس وعلى الأساس اعتماد البناء. وقد أثبت العلم الصحيح بطلان تسعين بالمئة تقريباً من كتاب العهد العتيق. فليس في العهد العتيق من الصحيح سوى التوراة. والتوراة ليست الأسفار الخمسة. فإن تلك الأسفار قد جمعت الغث والسمين. قد جمعت الموضوع والمصنوع. وضمته إلى التوراة عصبية تتبع هواها حسب إملاء العصبية. فلو قدرنا التوراة فلاتزيد من تلك الأسفار عن ثمانية بالمئة وهذا كثير. وبقيته قصص توافق زمن كتابتها كوّنت من الحبة قبة. ومن الوهم والخيال حقيقة. والله بريء منها. فالعنصرية سدوتها ولحمتها.

ومن سفر القضاة ناهيك عن حرب يوشع. ومن كان من بعد يوشع. وأهمها أسطورة من قتل من الفلسطنيين في معركة ستمائة من الرجال بمنساس البقر. ومن أهم الخرافات المكونة للسفر خرافة شمشون الذي قتل بلحي حمار ألفاً من الفلسطنيين. وكان روح الله يحل عليه وهو في بيت الزانية.

ولو أراد الناقد المحايد أن ينتقد الكتاب لما ترك كلمة تمر بلا نقد. وعلى هذا بني كتاب العهد الجديد وخاصة أعمال الرسل. ومواعظ القوم تستند على كتاب العهد العتيق. وتستشهد بما لاأصل له. ويكفينا تقيدهم بتواريخ آدم ومن بعده. والطوفان ومابعده. وعصر إبراهيم وولده. وتاريخ القوم في مصر وتلفيقه وعدد القوم في الخروج وتصفيفه. وكله الكذب إلا ماكان من الخروج والرسالة.

وفي العهد الجديد نسب عيسى المتصل بآدم وهو دليل عدم الثقة في جميع المنقول. إن الاستناد على الهواء من جسم ثقيل أو خفيف يسقط الجسم ويدل على هوية المستند. وهكذا ضاعت الحقيقة من العهد الجديد في الأناجيل المعدومة. والحقيقة متفرقة في جميع الأناجيل في كل إنجيل جملة أو جملاً تحوي الحقيقة لو قدر جمعها.

لقد أوجد الله الأرض منذ مليارات السنين. وجعل كتاب العهد العتيق خلق آدم من بعد ستة آلاف عام. وذلك من بعد خلق البحار. واليابسة. مباشرة. وكذلك الليل والنهار حيث قال ليكن نور فكان. بعد أن كان الكون مظلماً وهذا كما عرف الناس حق المعرفة أن الله كون الليل والنهار من دوران الأرض. فذلك النور. وتلك الظلمة. تجاه الشمس.

وعاش آدم ألف عام. من عمر الزمن. وبعد ستمائة عام تقريباً من موت آدم. صار الطوفان. وذلك عهد نوح الذي عاش أيضاً ألف عام من عمر الزمن. أي أن أكثر من ثلث

الزمن حتى عصرنا هذا وهو القرن الثامن والخمسين لعمر الزمن لهذا الانسان العجيب وجعلوا اثنين وأربعين جيلاً في أقل من سبعة عشر قرناً حتى ميلاد عيسى ولقد عرف الانسان نفسه مجدداً على هذه الأرض من قبل ستمائة ألف عام. فأين ألقى من حمل؟

لقد ذكر كتاب العهد العتيق أن خلق آدم كان من قبل الميلاد بثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثين عام. وأن الطوفان كان قبل الميلاد بألفين وتسع وتسعين عاماً. وتوجد أبنية في مصر من قبل ستة أو سبعة آلاف من الميلاد. فماهو رأي العهد العتيق؟ وهذه ملحمة جلجامش السومري. قد أرخت الطوفان وأنه قبل خلق آدم بآلاف السنين؟

وأن آثار تل المريبط في سوريا من قبل الميلاد بثمانية آلاف وخمسمائة عام.

وماهو رأي كتاب العهد العتيق؟

أيها الناس إذا ثبت بطلان المضاف إليه فقد ثبت بطلان المضاف. فلم نغمض أعيننا لنختبيء؟ لم نضع أيدينا على أعيننا لنخفي أنفسنا. وكل من حولنا يرانا. أو كل من ينظر إلينا يرانا؟ كلمة قديمة. لقد بطل السحر والساحر.

الدنيا قديمة قدم استحداثها الأول. وكان الله ولم يكن شيء قبل إذ لم يكن إلا شيءٌ واحدٌ. هو الله وحده ولايتصور أن يكون معه شيء. فلو كان لحصل التباين في كل ماهو موجود. ثم خلق الله ماشاء أن يخلق من شموس ونجوم وكواكب ثم خلق ذوات الأنفس الحية متى وكيف لاندري حتى يخبرنا مِنْ عِلْمِهِ بماشاء. فالانسان هذا يرى في النور ولايرى في الظلمة وربما خلق الله. أو إذا شاء خلق من يرى في الظلمة ولايرى في النور. وبعض هذا قد خلق.

كان الله ولم يكن شيء سواه. وخلق القلم. ثم خلق ماشاء أن يخلق. ولم يكن آدم ولا الأنبياء حتى و لاعيسى ومحمد حتى صلحت الأرض بقدرة الله ومشيئته لعيش الانسان. وقد كانت أكثر المخلوقات مخلوقة فهي عنصر التجربة كما هي اليوم. وقد عاشت على الأرض قبل الانسان بآلاف السنين.

لقد روى الترمذي وأبو داود والامام أحمد عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول ماخلق الله القلم. فقال أكتب. فقال ماأكتب؟ فقال أكتب ماكان وماهو كائن إلى الأبد».

فالخطيئة من آدم مقدرة عليه من قبل أن يخلق. والتأكيد عن ذلك في القرآن الكريم في الآية/ ٣٠: من سورة البقرة وهو قوله تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض

خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون﴾.

لقد أراد الله أن يستخلف على الأرض هذه التي هيأها لسكنى الانسان. مَنْ يقوم على أمرها. ويعتني بحاجته عليها. يجعله من المادة ليستخدم المادة. وليصنع الأشياء التي أراد الله صنعها. فيكون الخلق الثالث. بعد الملائكة والجان. يُرى ولايُرى من الخلقين اللذين قبله ذوو العقل والتفكير. يُرى لأنه من المادة المرئية خلق. أما من خلق من النور. ومارج النار فلا يمكنه رؤيته.

وخلق الله الانسان هذا الذي لايستطيع الحياة على هذه الأرض من بدء خلقه فهو أضعف وأجهل من أن يستطيع الحياة والعيش عليها. فجعله في مأمن. يبدأ الحياة والعيش يمرن العقل في نموه. ويتعرف به على كيفية الاستفادة من عقله. فخَلْقُهُ كان بيد الله تكريماً. وأراد الله تعريف مخلوقه الذي سيستخلفه على هذه الأرض. وعلى عقله الذي سيودعه فيه. بعد أن نفخ فيه ذلك العقل منحة مع الروح. فأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً. وكان إبليس ممثل الجن الخلق الثاني. فأبى السجود للمخلوق الثالث. وعصى وخالف رب العزة. وادَّعى أن المخلوق من نار أفضل من المخلوق من المادة المرئية لكل ذي نظر.

إن هذا من القدر المكتوب في قلم العزة قبل خلق السموات والأرض. منذ مليارات السنين. حيث يكون هذا الانسان في آخر أيام الحياة الدنيا يعيش ويموت ويتم الفناء من جديد. ثم يبدأ الله الخلق ثانية حيث قال في سورة البروج: ﴿إنه هو يبديء ويعيد﴾ وقد قال أيضاً في سورة الانبياء الآية/١٠٤: ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾.

مِنْ هذا نسائل من قال أن محمداً ﷺ أول خلق الله. أين كان محمد منذ تلك المليارات من السنين؟ ثم ماهو مكان عيسى منذ تلك الحقب القديمة والقديمة جداً.

فإذا قال من قال عن محمد أنه أول خلق الله. كان محمد نجماً في السماء. كما هو الحديث المفترى. نقول له لقد عرفنا الآن النجوم ومن أي شيء كونها الله. وكيف أصبحت مضيئة. فما هو رده على ذلك؟

وإذا قال النصارى إن عيسى ابن الله نقول له الولد يأتي عن تزاوج. وهل تزوج الله؟ وإن قالوا إن عيسى هو الله نقول له لمن كان عيسى يصلي؟ فإذا قالوا للجزأين الآخرين الأب

والروح. نقول له بأن الروح كان يلازمه. وقد حل فيه فلمن كان كانت صلاتها؟ فإن قالوا للأب، نقول لهم إذاً هو الله ولاشيء سواه. وهو على العرش وهما على الأرض ويستغني كما رأينا عنهما. ولاحاجة له بهما وكما قال تعالى في سورة النساء الآية/١٧٢« لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولاالملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً» وبهذا تطوى صحيفة البنوة والتجزؤ. ويبقى قولهم إن عيسى هوالله ونسألهم هل تحمل الأرض هذه رب هذا الكون. ومالحاجة لنزوله؟ وهل يأتي به الروح بذرة يجعلها في رحم مريم لتبقى في الرحم تسعة أشهر تمر بمراحل التكوين في الرحم. وتتغذى. وتنمو. ثم تنزل من الفرج بين الدم والأقذار طفلاً تحمله أمه وترضعه من ثديها وحصيلة طعامها. ثم يبول ويتغوط. وتبقى أمه تحوطه وترعاه حتى استغنى عنها. ثم بقيت تغسل له ثيابه. وتطهو له طعامه. حتى إذا صار رجلاً. وصار يعظ الناس تأتي إليه لتراه فينكرها ويقول مَن أمي؟ ويشير إلى المستمعين إليه ليقول هؤلاء أمي وإخوتي؟

ثم يعظ الناس في الجليل وبعض فلسطين. وبقية الناس سكان الأرض لم يخرج إليهم. ولم ينبههم إلى الايمان. إلى سكان الشام ومصر والعراق والحجاز واليمن وفارس والهند والصين واليابان. ولاننسى آسيا وبلاد الرومان الذين خلقهم ورزقهم وسلطهم على الناس آنذاك؟ ونستغفر الله من كل ماكتبنا.

أيها الناس. إن الله خلق آدم ليسكن الأرض. لاليسكن الجنة كسولاً مدللاً. ليسكن الأرض ويعمرها كما عمرها بالجد والكد والحب والبغض. وصفاء القلب والحسد. والسلم والحرب. والعلم والجهل. والوفاء والغدر. والصدق والكذب. والأمانة والخيانة. والذكاء والغباء. . والخير والشر. والكرم والبخل. والجمال والقبح والقوة والضعف. والعدل والظلم. والخفض والرفع. والرحمة والقسوة. ونختصر ونقول من أين وإلى أين؟

من هذا وذاك عمر ابن آدم الأرض حسب تقدير الله الأول فما شأن الخطيئة حتى تلزم الله أن ينزل وإلى أن يتكون في الرحم ولينزل إلى الأرض إنساناً يفتدي الانسان بنفسه يقدم نفسه أضحية فداء؟ وإلى أولئك الذين يقولون عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه نور عرش الله نقول: إن الله جل وعلا يقول في سورة النور الآية/٣٥: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ فكيف يكون محمداً أو غير محمد نور عرشه؟ وكما قال تعالى في سورة المؤمنون الآية/٥٣: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾.

لقد أدخل أحد الذين يدسون في الاسلام الدسائس. ويكيدون له المكائد أحاديث لاتتفق

والاسلام بشيء ليساووا المسلمين مع محمد كما فعل النصارى أو من دس الدسائس في رسالة عيسى. ولكن القرآن المحفوظ بحفظ الله يغلق الأبواب في وجوه الدساسين والكائدين فيجعل كيدهم في نحورهم. ولكن ويالالأسف لم يكتب الانجيل في عهد عيسى ولاكتبه حواريوه. حتى بلغ تعداد الأناجيل أو تجاوز الثمانين. أعدم بعد ثلثمائة عام كل إنجيل كان إلا الأربعة التي اعترفت عليها الكنيسة الأرثوذكسية التي انقسمت فيما بعد إلى روما والقسطنطنية ثم كانت الكنيسة القبطية. وحرم الباقون. وانتهى أمر الأناجيل التي لم توافق أذواق حاشية الامبراطور الرومي الذي ترك الوثنية وتنصر حسب رغبة الأكثرية.

الله قديم قدم علمه قد استوى على العرش حسب مشيئته. ويعلم من كل خلقه خائنة الأعين وما تخفي الصدور هو الأول والأخر والظاهر والباطن. وهو بكل شيء عليم. لقد قامت به الأشياء جملة. وله أمر تصريفها. وعنده علم سرها وتكوينها وكما قال في سورة هود الآية/٦: ﴿ومامن دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ وفي الآية/٥٦: ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ سورة هود.

ترى أي صنف من مخلوقات الله من مئات ألوف الأصناف خلق عيسى؟ أو كلف عيسى بمراقبته والسهر عليه؟ وماهي الأصناف المتعلقة بالروح؟ ومامهمة الأب في ذلك؟ قد يجدون التعليل ولكن لن يكون أهلاً للقبول.

لايتفق القول عن عيسى أنه الله وماجاء في الأناجيل من فصل التجربة أبداً. فإن الشيطان كان المجرِّب وكان الله المجرَّب. ولايتفق أخذ عيسى إلى أعلى جبل في العالم ليرى جميع ممالك العالم في تلك التجربة. ويطلب إليه الشيطان السجود مرة واحدة يسلمه فيها تلك الممالك جملتها. لأن أعلى جبل في العالم لايرى منه مملكة واحدة لكروية الأرض. وغاب هذا عن المصنفين. كما غاب عنهم أن يذكروا مصدر الحديث.

في إنجيل متى تجربة يسوع التي قام بها الخبيث إبليس. ويدؤها في الاصحاح الرابع هكذا/١ ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس/٢ فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً/٣ فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت إبن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً/٤ فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله// لقد أثبت هذا أن عيسى ليس الله. وأن إبليس الذي لم يذكر في كتاب العهد العتيق مرة واحدة صار لله مجرباً/٨ ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً. وأراه جميع ممالك العالم

ومجدها/ ٩ وقال له أعطيك هذه جميعها إذا خرَرْتَ وسجدت لي/ ١٠ حينئذ قال له يسوع إذهب ياشيطان. لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد//.

ليس أوضح من هذا وأجلى. أولاً إن جبل إفرست وقمته لاترى مملكة من ممالك العالم فمن أين جاء هذا؟ إنه يثبت عدم المعرفة. أو صحة المنقول فكروية الأرض تحول دون الرؤيا. والله يعرف هذا والانجيل من عطاء الله والآية العاشرة من فصل التجربة قول عيسى لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد وهي كافية لدحض كل شرك لو أراد القوم الدحض. وهي لعمري من أجمل كلمة توحيد. وتنفي الشرك نفياً باتاً. لأن الله كما قال عيسى واحد لايتجزأ. فلو تجزأ وخرج من الروح نقص الروح. وقد خرج منه عيسى الابن يصبح ناقص الابن والروح وقد تباعد الابن عن الروح والروح عن الأب. فانفرد هذا الأب لوحده. وأصبح إما ناقصاً عاطلاً وإما كاملاً قادراً. ولايحتاج لغيره. وأنه يمكن أن يخلق إبناً آخر وآخر متى شاء. وروحاً آخر وآخر متى شاء ونسأل القوم هل يستطيع الأب أن يبقى كاملاً قادراً بتباعد الروح عنه؟ فإذا أجابوا بالايجاب نقول فإذا كان باستطاعته أن يبقى بدون الروح كاملاً قادراً. فليس الروح بمتمم له. فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ولانحتاج القسمين الآخرين فهما مخلوقان.

وإذا قالوا إنه لايستطيع البقاء والعمل الصحيح إلا بهما. فقد أفسدوه وعطلوه. وأصبح الابن أقوى فالروح كانت معه وتلازمه. وهذا كله ينفيه ماجاء في إنجيل مرقص أحد الأناجيل الأربعة في الاصحاح الأخير السادس عشر وهو/١٩ ثم أن الرب بعد ماكلمهم إرتفع إلى السماء. وجلس عن يمين الله//.

إرتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله تفكير قاصر يؤدي إلى هذا. هذا يجلس على اليسار وذاك يجلس على اليمين والتباين ظاهر. وجلي فهما اثنان. وأين جلوس الروح؟ ولم نقول ثلاثة والله واحد. وهما من مخلوقيه.

الدين لايحتاج مطلقاً إلى ألغازٍ وتعقيدٍ. فإن الدين وجد مع الفطرة السليمة. ويحتاج إلى التعريف فقط فهو موجود مع الانسان فطرة. ويحتاج إلى من يخبر هذا القول وحسب. هذا كذا وهذا كذا. هذا الله. وهذا رسوله. وهذا واسطة التبليغ. فهم ثلاثة بالنسبة للانسان. فهم الخالق. والمخلوق ثم المخلوق صنفين. أو جنسين الروح الملائكي الذي خلقه الله من النور. والانسان المادي الذي خلقه الله من المادة وعيسى كما تبينا كان يأكل الطعام وتكوَّنَ من المادة. فإلى العقل أيها الناس.

المصادر

القرآن الكريم
العهد القديم النسختين الأرثوذكسية والكاثوليكية
حواشي النسخة الكاثوليكية
صحيحي البخاري ومسلم
سنن الترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجه
آثار المالك القديمة في سورية للدكتور علي أبو غسان
تاريخ بلاد الرافدين وسوريا منذ عصر ماقبل التاريخ حتى نهاية عصر حمورابي محاضرات
مجلة المعرفة السويدية الأصل
المدخل إلى اللغة السريانية أحمد رحّيم هبّو
المنجد في العلوم فردينال توتل اليسوعي
التفاسير للقرآن الكريم الخازن، ابن كثير، الطبري
تاريخ الطبري
السيرة النبوية لابن هشام
فتح الأندلس جرجي زيدان
تاريخ العرب القديم نجيب ميخائيل إبراهيم
العهد الجديد الأناجيل الأربعة
أعمال الرسل
مجلة العربي الكويتية
مسند الإمام أحمد
من المزامير
إيليا واليشع
الأغاني
إظهار الحق رحمة الله ابن خليل الهندي



الفهرس







